

دَارُ الْكِتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

كِتَابٌ

صُبْحُ الْأَسْبَعِ

تَالِيفُ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشِينِيِّ

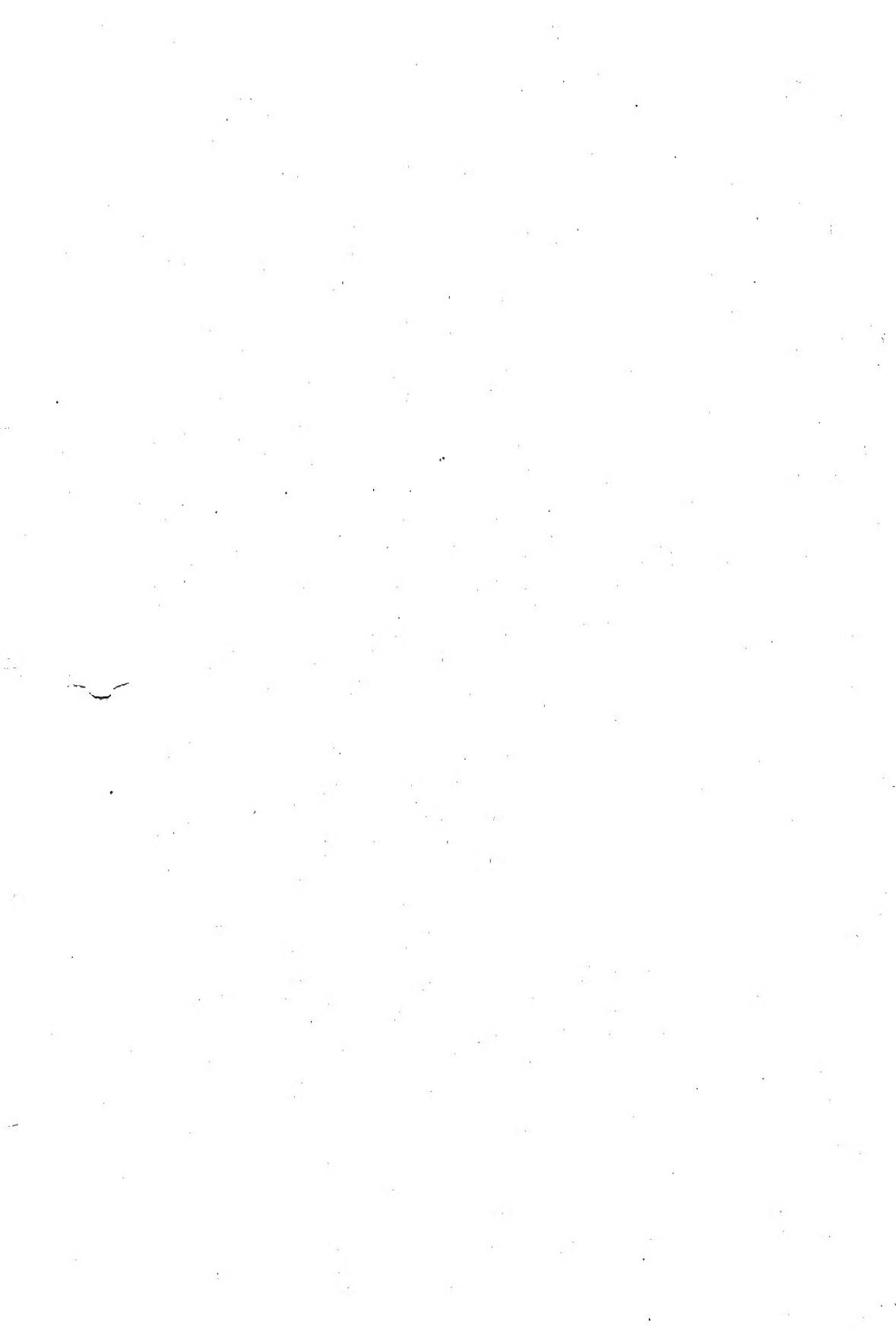
الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

س ١٣٣٦ هـ  
م ١٩١٨



# صَبْحُ الْأَسْبَةِ

---

الجزء الثاني عشر

---





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## القسم الثاني

(مما يُكْتَب من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وَأَعْلَم أَنَّ نَوَاب السلطنة في التولية على ضربين :

### الضرب الأول

(مَنْ لَا تُصَدَّر عنه منهم توليةٌ في عمل نيابته)

وهم نَوَاب الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجه البحري ، ونائب الوجه القبلي ، فليس لأحد منهم تصرّف في ولاية ولا عزّل لنائب ، ولا كاشف ، ولا وإلى حرب . إنما النائب الكافل يكتب في بعض الأمور على القصص ، والسلطان هو الذي يباشر الكتابة على الولايات بنفسه ، والنائب الكافل يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدّمت الإشارة إليه في موضعه .

## الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم نواب السلطنة بالممالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار، والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية، ووظائف مشايخ التصوف، والوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رئاسة اليهود، وبطريكة النصارى، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة عشرة فأكثر يولّى فيه النواب، وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة طبلخاناه فأكثر : يولّى فيه السلطان، وربما ولى فيه النواب . وما كانت نيابته تقدمة ألف، فولايته مختصة بالسلطان دون النواب .

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيراً ككتابة الدّرج وما في معناها، فأكثر ما يولّيها النواب . وما كان منها جليلاً : ككتابة السرّ وما في معناها، ونظر الجيش، ونظر المال، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الطرفين : ككتابة الدّست ونحوها : ففي دمشق تارة يولّى فيها السلطان، وتارة يولّى فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولّى فيها النواب، وقد يولّى فيها السلطان .

وأما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيراً : كالندريس الصغار، والخطّابات بالجموع الصغار، وأنظار المدارس والجموع الصغار، ونحو ذلك، فإنه يولّى فيها

النواب ولا يؤلى فيها السلطان إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإن توليته مخصصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يؤلى فيها السلطان ، وتارة يؤلى فيها النواب . إلا أن تولية السلطان فيها في النيابات الجار كالشام أكثر ، وتولية النواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشخة الخوانق فقد يؤلى فيها السلطان ، وقد يؤلى فيها النواب : إلا أن تولية السلطان في مشخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النواب في غير مشخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففي جميع النيابات توليتها من النواب أكثر ، وربما ولى فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها النواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

### النيابة الأولى

( نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام )

وظائفها على نوعين :

## النوع الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها  
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف )

## الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات )

## الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ«المقرّ العالی» مع الدعاء  
بـ«عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كُتِبَ به عن السلطان الملك العادل  
«كُتِبَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادلي» من إنشاء الشيخ شهاب الدين  
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأدّخر لكفالة  
مملكيتنا من الأولياء من تناسب وصفه آجتماعاً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعَدَقَ  
أمور رعايانا بمن أيقظ لها سيفه وجفنه فامتلات عيونهم بما وهب وسلّب من نومه  
ونوم العدا رقاداً ، ورفع ألوياً إحساناً على من زاد برفعها ظلّ عدله أنيساطاً على  
الرعية وأمتداداً ، ووطّد قواعد ممالكنا بمن أجلنا الفكر في حُسن اختياره انتقاءً  
لمصالح الإسلام وانتقاداً ، وأدّى لشكر نعم الله التي لا يؤدّي شكر بعضها ولو أنّ  
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مداداً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عِزًّا مِمَّا عَلَى الْأَبَدِ مَنْصُورَهُ، وَمَقَاصِدَنَا عَلَى مَصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ مَقْصُورَهُ، وَأَرَاءَنَا تَفَوُّضَ زَعَامَةِ الْحَيَوشِ <sup>(١)</sup> إِلَى مَنْ تُصْبِحُ فِرْقُ الْأَعْدَاءِ  
بِقَرَفِهِ مَغْزُورَةً وَمِمَّا لِكُفِّهِمْ بِمَهَابَتِهِ مَحْصُورَهُ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَزَالُ تَنْشُرُ دَعْوَتَهَا فِي الْأَفَاقِ ،  
وَتُزِيهِفُ لِإِقَامَتِهَا فِي مَمَالِكِنَا سَيْفًا يَصِلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِقَطْعِهِ وَيَقْطَعُ إِلَّا الْأَرْزَاقَ ،  
وَتُزِيهِبُ مِنْ أَلْحَدٍ فِيهَا بِكُلِّ وَلِيٍّ لِرُغْبِهِ فِي الْقُلُوبِ رَكْضٌ وَلِرَايَتِهِ فِي الْجَوَانِحِ حَقَقٌ  
وَلَأُسْتَنَّةٌ فِي الصُّدُورِ إِشْرَاقٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَشْرَفُ مَنْ فَوَّضَ حُكْمًا  
فِي أَيَّامِهِ إِلَى مَنْ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، وَأَرَأَيْتَ مَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَنْ بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ  
يَعْلَمُ أَنَّ صَلَاحَهُمْ فِي يَدَيْهِ ، وَالطُّفُّ مِنْ عَدَقٍ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ أَهْلِ مِلَّتِهِ بَيْنَ أَعَانَةِ اللَّهِ  
وَسَدَدِهِ فِي دَفْعِ عَدُوِّهِمْ وَصَلَاحٍ مَا يَرْفَعُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ إِلَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وُلُّوا عَلَى الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَأَمَرُوا بِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالنِّعْمَةِ  
وَالرَّحْمَةِ فَاثْتَمَلُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا نَهَجَ لَهُمْ مِنْ طُرُقٍ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلَّى فَمَا مَالُوا عَنْ  
ذَلِكَ وَلَا عَدَلُوا ؛ صَلَاةً لَا تَغْرُبُ شَمْسُهَا ، وَلَا يَعْزُبُ أَنْسُهَا ، وَلَا تُعْتَبَرُ أَوْقَاتُ إِقَامَتِهَا  
إِلَّا وَيُقَصَّرُ عَنْ يَوْمِهَا فِي الْكَثْرَةِ أَمْسُهَا ؛ وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَعْمَلْنَا إِلَيْهِ رِكَائِبَ الْآرَاءِ الْمُؤَيَّدَةِ ، وَصَرَفْنَا إِلَيْهِ أَزِمَةَ  
نَجَائِبِ الْأَفْكَارِ الْمُسَدَّدَةِ ؛ وَأَجَلْنَا فِيهِ طَرَفَ النَّظَرِ الَّذِي لَا يُشْقُّ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ غُبَارَهُ  
وَلَا يُدْرِكُ ، وَأَحْلَنَّا الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى التَّأْيِيدِ الَّذِي هُوَ عِمْدَتُنَا فِيمَا يُؤْخَذُ مِنْ تَوَاقِبِ  
الْآرَاءِ وَمَا يُتْرَكُ ؛ وَقَدَّمْنَا فِيهِ مُهِمَّ الْأَسْتِخَارَةِ الَّذِي يَتْلُوهُ التَّوْفِيقُ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ أَلَدَّ  
أَسْبَابِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهِ سُلُوكُ طَرِيقِ النَّصِيحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْإِسْلَامِ فَسَلَكْنَا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

(١) فِي الْأَصْلِ «بِفِرْضِ عَامَةٍ» وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

الطريق ، وقصّرنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الارتياح فيه لتعين من نرجو له ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتدبنا له سيفاً لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقديم الجيوش فيه زعيماً طالماً ملّ ضوء الصبح مما يغيّره وملّ سواد الليل مما يراحه ، وقدمنا له من نسا في حجر ولائنا ، وغدّى بلبان برنا وآلائنا ، وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبرنا من سيرته التهوّض في الرعايا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نيابة سلطنتنا الشريفة بالمالك الشاميّة التي نابت فيها مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي نخضعها على البعد بدوام الملاحظة ونضيفها ، وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرُقنا إلى جهاد الأعداء ومسالكنا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنابكنا ، ومواطن القربات التي نصّت الآثار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات التي طالما نصّت ركائب العباد العباد إليها ، ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامه ، ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرمهم من خذلهم إلى يوم القيامة ، وفلك الثغور الذي تُشرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نوبه إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ، فكم ذى جنود أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها بجيوشه فزلت وتزلزلت قدمه حيث سلك ، ولجيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحد الذي يعرفه أهل السياق و[ان] أنكرته أعناقهم « فما بالعهد من قدم » .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشر بها على الأمة لواء عدلنا ، ويسطفيها بالرفقة والرحمة رداء فضلنا ، ويحيي بها سنن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من سلف من قبلنا ،

وَيَقِيم مَنَارَ الْمُلْكِ مِنْ بَاسِهِ عَلَى أَرْفَعِ عِمَادٍ ، وَيُنِيمُ الرِّعَايَا مِنْ عَدْلِهِ فِي أَوْطَانِ مِهَادٍ ؛  
وَيَكْفُفُ أَكْغَفَ الظُّلَمِ إِلَى مَا يَتَجَاسَرُ إِلَى إِعَادَةِ يَدِهِ إِلَيْهَا عَادٍ وَمَنْ عَادَ ، وَيَجْرُدُ إِلَى  
الْعِدَا مِنْ خِيَالِهِ وَخَيْلِهِ سَرَايَا تَطْرُدُ عَنْ مَوَارِدِ جَفُونِهِمْ بِقَوَائِمِهَا الرُّقَادَ ؛ وَتُسْتَعِيدُ  
عَوَارِي أَرْوَاحِهِمْ مِنْ مُسْتَوْدَعَاتِ أَجْسَادِهِمْ فَهِيَ بِحُكْمِ الْعَارِيَّةِ غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ  
فِي الْأَجْسَادِ ، وَيَصُونُ الرُّتَبَ عَنْ تَطَرُّقِ مَنْ يُفْسِدُ أَحْوَالَهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ : فَإِنَّهُ مَا سَلَكَ  
أَحَدٌ فِي أَيَّامِنَا طُرُقَ الْفَسَادِ فَسَادَ ؛ وَيُعَلِّمُ بِهِ أَنَا جَرَدْنَا عَلَى الْعِدَا سَيْفًا يَسْبِقُ إِلَيْهِمْ  
الْعَدْلَ ، وَيَزَاحِمُ عَلَى قَبْضِ نَفُوسِهِمِ الْأَجَلَ ، وَنَحْنُ بِتَقْلِيدِهِ الدُّوَلُ ، وَيُتَحَقَّقُ بَفَتْكَه  
أَنَّهُ لَا حَاكِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ الَّذِي إِنْ جَارَ فِيهِمْ فَقَدْ عَدَلَ .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفلانى : هو الذى آخَرْتَنَاهُ لَذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ ، وَقَلَدْنَاهُ  
أُمُورَ الْمَالِكِ : لَمَّا فِيهِ مِنْ حِدَّةٍ بِأُسِّ وَآيَةٍ حِلْمٍ ؛ وَعَجَمْنَا عُودَهُ فَكَانَ لَيْنًا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ  
فَظًّا عَلَى الْعِدَا ، وَبَلَوْنَا أَوْصَافَهُ فَعَلَمْنَا مِنْهُ السَّدَادَ الَّذِي لَا يَضَعُ بِهِ النَّدَى فِي مَوْضِعِ  
السَّيْفِ وَلَا السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى ، وَعَرْضْنَا سَدَادَهُ عَلَى حُسْنِ اعْتِبَارِنَا لِلْأَكْفَاءِ  
فَكَانَ سَمِيرَنَا (وَحِلْمَ ، فَزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدِّدًا) ؛ وَهَزَنَاهُ فَكَانَ سَيْفًا يُنْصَلُ  
حَدُّهُ الْخَطْبُ إِذْ أَعْضَلَ ، وَأَعْطَيْنَاهُ أَمْرَ الْجُيُوشِ فَلَمْ يَخْتَلَفْ أَحَدٌ فِي أَنَّهُ أَفْضَلُ  
مِنَ الْأَفْضَلِ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَصْطَفِي مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلَّ كُفٍّ كَرِيمٍ -  
أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ : تَقْوِيضًا يُعْلَى قَدْرَهُ ، وَيُسْطُ  
فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ وَالْمَمَالِكِ أَمْرَهُ ؛ وَيُطْلَقُ فِي مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ سَيْفُهُ وَكَلِمَتُهُ ،  
وَيُدْرُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ إِحْسَانَنَا الَّذِي إِذَا جَارَى الْغَيْثَ أَجْجَلَ دَوَامُهُ دِيمَهُ ، وَيَرْفَعُ بِالْعَدْلِ

مَنَارَ دَوَامٍ مُلْكًا الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِجُودِنَا ، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ  
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظْرًا  
عَاقِمًا ، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ نَفُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا تَامِمًا ، وَيَأْمُرُ التُّوَابِ  
مِنْ سِدِّ خَلَلِهَا بِمَا كَفَايَتُهُ أَذْرَى بِهِ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَهُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكْرِ  
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ ، وَيُلَاحِظُ أُمُورًا مَا بَعُدَ مِنَ الْبِلَادِ كَمَا لَحَظَتْهُ أُمُورًا مَا دَنَا ،  
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا : فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السَّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ  
غِنَى ، وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ الَّتِي وَكَلَّتْهُ مَعْرِفَتُنَا بِهِ إِلَيْهَا ، وَيُجَوِّزُهُمْ عَلَى عَوَائِدِ  
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيسًا عَلَيْهَا .

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَقَامَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي أَعْدَائِهِ بُسُنتَهُ وَفَرَضَهُ ، وَمَكَّنَ  
لَنَا فِي الْأَرْضِ : لِإِقَامَةِ دَعْوَتِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَتَطْهِيرِ أَرْضِهِ ، وَعَضَّدَنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ  
الْإِسْلَامِ ، وَأَمَدَّنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءُ بِهِ الْيَقْظَةَ وَتَسْلُهُ  
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فِيهِ إِمَامٌ سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمَرُّمٌ  
السَّحَابِ أَوْ جَوَارٍ مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالَ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ  
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيَعِدُّهُمْ فِي غَيْدِهِ بِإِعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرَضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ، وَيُرْتَبِ  
أَمْرَ كُلِّ إِقْلَامٍ وَحَالَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالنَّقْدَةِ تَقَدُّمَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ وَآرْتِحَالَهُ ،  
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالنَّاهِبِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به للأمر « جمال الدين أقوش  
الأشرفي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب  
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :



الحمد لله الذى جعل الدين فى أيماننا الزاهرة زاهياً بجَماله ، سامياً بتقديم مَنْ  
إذا أَرَهَفَ فى الدَّبِّ عنه بسيفِ عَزمِهِ غَدَتِ الجنةُ تحتَ ظِلّالِهِ ، حَالِياً بتفويضِ  
رِزْمَةِ جُيُوشِهِ إلى مَنْ لو نَاحَرَ به البُدُورَ تَعَجَّبَتْ من نُقصانِها وكَماله ، عالِياً بإيالة  
من تتولّد معانى النصر والظفر بين الكَامِلَيْنِ : من رَوِيَهُ رَأْيُهُ وَآرَتَجَالِهِ ، رَاقِياً على هامِ  
الكُفْرِ بعزائم من لا يزال تُصَبِّحُ مَهَابَتُهُ العِدَا بَطَلانِعِ خِيَلِهِ وَتُبَيِّتُهُمْ بطوارقِ خَيَالِهِ ،  
نامِياً بإسناد الحكم فيه إلى من يقطع إنصافَهُ بين المُبْطِلِ وَرِجَائِهِ وَيَصِلُ العَدْلُ [منه]  
بين الحَقِّ وَبين آمالِهِ .

نحمده على نِعَمِهِ التى أَنَامَتِ الرِّعَايَا من مَعْدِنَاتِنَا فى أوطائِ مِهَادٍ ، وَأَدَامَتِ الدُّعَاءَ  
الصَّالِحَ لِأَيَّامِنَا بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِي العَدْلِ وَالْجِهَادِ ، وَأَقَامَتِ الإِيَالَةَ فى أَسْنَى مَمَالِكِنَا بَيْنَ هُوِ  
أَجْرَى من الغِيُوثِ ، وَأَجْرَأَ من اللُّيُوثِ ، فى مصالِحِ البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً لا تَزَالُ الأَلْسُنُ لإِقَامَتِهَا مُدِيمَةً ،  
وَالضَّمائرُ على إِدَامَتِهَا مُقِيمَةً ، وَالقُلُوبُ تَعْقُدُ من كَلِمَةِ إِخْلَاصِها وإِخْلَاصِ كَلِمَتِها فى جِدِّ  
الإِيْمَانِ نَمِيمَةً ، وَالتَّوْحِيدُ يُظْهِرُ أنوارَها فى الوُجُوهِ الوَسِيمَةِ ، بِأَمْنٍ مُطالِعِ  
القلوبِ السَّليمةِ .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى جَبَلَهُ على خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وجعله وإن تَأَخَّرَ عَصْرُهُ  
من مَقَامِ النُّبُوَّةِ فى أَعْلَى رُتَبِ التَّقْدِيمِ ، وَمَنْ على الأُمَّةِ بإرسالِهِ إليهم من أَنفُسِهِمْ  
وَأَنَّهُ بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ؛ صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ الذين دُعُوا إلى طاعته  
وَأَجابُوا ، وَحَكَمُوا بِسُنَّتِهِ وَأَصابُوا ، وَجَاهَدُوا المُعْرِضِينَ عن مِلَّتِهِ حَتَّى رَجَعُوا إلى الهدى  
وَأَنابُوا ؛ صَلَاةٌ لا تَغِيْبُ أنوارُها ، ولا يُفَارِقُ وَجوهَ أهلِها وَقُلُوبُهُمْ رُؤُوسُها  
وَأَرواؤُها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصص الشرك وحصره، وفتحنا من بسطة ملك زينب بها أسارى البسيطة وأسرتها، ووهبتنا من فوائح فتوح علت على وجوه الكفر مساءتها وبدت على وجوه الإسلام مسرتها - لم نزل نؤدى شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أنفراده؛ فلا نقدم على الرأفة بخلق الله أمرا، ولا نحاي في بسط المعدلة عليهم زيذا ولا عمرا؛ ولا نعدل بهم عن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجملة، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وجملة؛ وإذا رسم بأمرنا أصغت السيوف إلى مراسيمه، وإذا نظر بعين عنايتنا نغرا أهدى الشنب إلى مباسميه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيدة، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ذبول هزائمها، ورأت الفرار أمتع لها من صوارمها، وتثلت مافي ككائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجنب العالى الفلانى هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التي للشرك منها مصائب هي عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الخلبة، التي أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التي أخذها دون الأكفاء بحققها؛ لاناخذة في الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا بجده «وما ليل المحد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو في مكانه، وتؤدى مهايته في نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه؛ ويشفع العدل في الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف في أحكامه مع الشريعة التي أعلى الله تعالى منارها، ويستضىء بأحكامها التي هي لا بصر النظار تغير أنوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في ايمن ،  
والواسطة في العُقد الثمين ؛ والإدراك في الصدور ، والإشراق في البدور ؛ وبها الأرض  
المقدسة ، والحُصُون التي هي على نكاية الأعداء مؤسَّسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت  
في الجهاد السرى ، وأُنِفَت لسيوفها في الجُفُون الكرى ؛ ومَرَّت على مَقَاتِلِ العدا  
أَسْتَمَّها ، وصُرِفَت في مَسَالِكِ الحربِ أَعْتَمَّها ؛ ورَاعَتِ مُلُوكَ أَهْلِ الكُفْرِ سُمْعَةً  
أَمْرَائِها ، وحَاطَتْها أمدادُ النَّصْرِ في حروبها من بين يديها ومن وراءها ؛ وفيها من الأئمة  
العلماء الأعيان من يعِدِلُ دَمَ الشَّهْدَاءِ مِدَادَ أَقْلَامِهِمْ ، ومن الأتقياء الصُّلَحَاءِ مَنْ  
لَا تَطِيشُ دُونَ مَقَاتِلِ أَهْلِ الكُفْرِ مَوَاقِعَ سَهَامِهِمْ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُنْتَجَعَ  
هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن تُبَلَّغَ هذه الدرجة السرية بمن حوى هذه الأوصاف  
الفارقة غاية آمالها ؛ ليُصْبِحَ بها لِيَوَاءِ عَدْلِنَا ، مَرْفُوعَ الذُّوَابِ ، وَمَنْهَلُ فَضْلِنَا ، مَدْفُوعَ  
الشُّوَابِ ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغارب ، وقبضة بأُسنَا ، آخذة من أعداء  
الدين بالذُّرَا والعَوَارِبِ ، وطليعةُ كَتَائِبِنَا مُؤْتَمَّةٌ بِنِ تَوْقِنِ الطَّيْرِ أَنَّ فَرِيقَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَى  
الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت صوارمه للشَّرك قَامِعَةً ، ومراسمه لمصالح  
الدين والدنيا جامع - أن تفوِّضَ إليه تفويضًا يرفع علمه ، ويُضِي في مصالح  
الإسلام سِيفَهُ وَقَلَمَهُ ، وَيَنْشُرُ في آفاق الممالك الشامية عَدْلَهُ ، وَيَسْطُرُ على رَعَايَا  
تلك الأقاليم المحروسة فَضْلَهُ وَظِلَّهُ ؛ فيَطْلُعَ في أَفْقِ المَوَاقِبِ هَالَةً أَهْلَتِها ، وَطِرَازَ  
حُلَّتِها ؛ وَطَلْعَةَ لَوَائِها ، وَوَاسِطَةَ عَقُودِ مَقْدَمِها وَآرَائِها ؛ وَزِينَةَ تَسْيِيرِها وَوَقُوفِها ،  
وَحِلْيَةَ طَلَائِعِها وَصُفُوفِها ؛ وَيَجْلِسُ في مَوَاطِنِ الْجُلُوسِ صَادِعًا بِالْحَقِّ فِي حَكْمِهِ ،  
أَمْرًا بِإِدَامَةِ التَّائِبِ لِلْعُدُوِّ فِي أَيَّامِ سَلَامِهِ ؛ مُعْطِيًا مَنَصِبَ النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ حَقَّهُ مِنْ  
الْجَلَالِ ، مُوَفِّيًا رُتْبَتِها الْمُنِيفَةَ مَا يَجِبُ لَهَا مِنْ أَهْمَةِ الْمَهَابَةِ وَكِفَاةِ الْكَفَالَةِ ؛ وَلَا يَزَالُ

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظًا، وعلى إزاحة أعضائهم مُحافِظًا، وإلى حركات عُدُو  
الإسلام وسكَّاتِهِ مُتَطَلِّعًا، وإلى مايتعين من إبطال مكائده متسرِّعًا، ولِإِوَاطِنِ أحوالهم  
بِحَسَنِ الإِطْلَاعِ مُحَقِّقًا، ولِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الإِجْتِمَاعِ لِلْقَائِمِ مُفَرِّقًا، فَلَا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةً  
إِلَّا وَعَلِمُهَا عِنْدَهُ قَبْلَ ظَهْوَرِهَا لَدَيْهِمْ، وَلَا يُسْرُونَ غَارَةً إِلَّا وَرَأَيْتَا خَيْلَهُ الْمُغِيرَةَ  
أَسْبَقُ مِنْهَا إِلَيْهِمْ .

وَلْيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْلِيًا، وَلِأَقْدَارِ أَرْبَابِهِ مُغْلِيًا، وَلِرُتَبِ الْعُلَمَاءِ رَافِعًا،  
وَلِأَقْوَالِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعًا، وَلِدَوَى الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ مُكْرِمًا، وَلِأَهْلِ الْوَرَعِ  
وَالصَّلَاحِ مُعْظَمًا، وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبًا، وَفِي آقْتِنَاءِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ  
رَاعِبًا، وَبِجِلِّيلِ النَّظَرِ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ مُدِيمًا، وَبِحُسْنِ الْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْأَمْوَالِ مُعِمِّلًا  
رَأْيًا بِمَصَالِحِهَا عَلِيًّا، وَبِلَهْجَاتِ الْبِرِّ بِجِلِّيلِ الْعَنَاءِ وَالْإِعَانَةِ عَامِرًا، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَجِبُ  
أَعْتَادُهُ نَاهِيًا وَبِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ فَعْلُهُ أَمْرًا . وَفِي كَمَالِ خِلَالِهِ، وَأَدَوَاتِ جَمَالِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ  
الْوَصَايَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ، الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَعَوَائِدِ سِيرَتِهِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب بها للأُمير «سيف الدين تنكر  
الناصرى» في ربيع الأول سنة أَلْتَمِثِي عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ  
مَحْمُودِ الْحَلَبِيِّ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفَوِّضِ أَسْنَى الْمَالِكِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ إِلَى مَنْ تَزْهَوُ بِتَقْلِيدِهِ، وَمُسَيِّدِ  
قَوَاعِدِ أَسْمَى الْأَقَالِيمِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ بِمَنْ يَعْلُو بِإِيَالَتِهِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مَعَاقِدُ مَقَالِيدِهِ،

وَمُسَدِّدِ الآرَاءِ فِي تَصْرِيفِ أَعِنَّةِ جِيوشِنَا الْمَنْصُورَةِ بِتَقْدِيمِ مَنْ تَعُدُّو سَيُوفَهُ مِنْ  
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ مِنَ الْعِدَا قِلَادَةَ جَيْدِهِ ، وَنَاشِرِ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي رَعَايَانَا وَإِنْ بَعُدُوا  
بِمَنْ تُنِيمُ كَلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ يَدِ مَهَابَتِهِ وَتَمْهِيدِهِ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الْجِهَادِ  
فِي سَبِيلِهِ بَمَنْ إِذَا جَرَّدَ سَيْفَهُ فِي وَغَى تَهَلَّلَتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيبِهِ  
وَتَجْرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَيْدَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحَقِّهِ ، وَقَلَّدَتْ سَيْفَ  
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلَاءَنَا لِمَنْ إِذَا جَارَتْ  
الْحَتُوفُ سَيُوفَهُ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمَزِيَّتِي كِفَايَتِهِ وَسَبْقِهِ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَرَالُ أَلَسْتُنَا تَرْفَعُ مَنَارَهَا ،  
وَسَيُوفُنَا تَصِلُ مِنْ جَحْدِهَا قَبْلَ نَارِهَا ، وَآرَاؤُنَا تُفَوِّضُ مَصَالِحَ جُمْلَتِهَا إِلَى مَنْ إِذَا رَجَعَتْهُ  
لِنُصْرَةٍ أَنَالَهَا وَإِذَا أَسْدَى مَعْدِلَةً أَنَارَهَا .

وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بَنَصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقَ مَنْ تَقَدَّمَ  
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَآتَاهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَضِيقُ الثُّلُثُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنْ  
الْمُعْجَزَاتِ مَا يَحُولُ الْحَصْرُ دُونَ حَصْرِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا  
بِهُدَاهُ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مَنْ عَادَاهُ ، وَنَهَضُوا فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ إِلَى مَظَانِّ  
الْجِهَادِ وَإِنْ بَعْدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةٌ يَشْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَنَبْتَغِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ  
أَجْرٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِ الْفِكْرِ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ  
الْحَزْمُ الْمُرَوِّى وَيُؤَيِّدُهُ الْإِلْهَامُ الْمُتَبَكِّرُ ؛ وَقَدَّمْنَا فِيهِ الْأَسْتِخَارَةَ عَلَى مَا حَزَمَ الْيَقِينُ بِأَنَّ  
الْخَيْرَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي اعْتِمَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِجَبَلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَازَالَ نَتَكَفَّلُ

لنا في كُلِّ أَمْرٍ بِسَدَادِهِ وفي كُلِّ ثَغْرِ بِسَدَادِهِ - أَمْرُ الْمَالِكِ الشَّامِيَةِ الَّتِي هِيَ وَاسِطَةُ  
عَقْدِ الْمَالِكِ ، وَجُمُوعُ مَا يُفْضَى إِلَى مَوَاطِنِ النَّصْرِ مِنَ الْمَسَالِكِ ؛ وَمَرْكَزُ فَلَكَ الْأَقَالِمِ  
الَّذِي تَنْتَظِمُ عَلَيْهِ بَرْوَجُ ثُغُورِهَا ، وَنُقْطَةُ دَائِرَةِ الْحُصُونِ الَّتِي مِنْهَا مَادَّتُهَا وَعَلَيْهَا مَدَارُ  
أُمُورِهَا ؛ وَغَيْلُ لُبُوثِ الْحَرْبِ الَّتِي كَمْ أَتَشَبَّهَتْ أَظْفَارُ أَسْنَنَتِهَا فِي طُرَةِ ظَفَرٍ ، وَمَوَاطِنُ  
فُرْسَانِ الْوَعْيِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرَ عَنْ إِبْطَالِ أَغْنَتِهَا إِلَى غَايَاتِ النَّصْرِ وَجْهَ سَفَرٍ ؛ وَأَنْ  
نَزَادَ لَكِفَالَةِ أُمُورِهَا ، وَكِفَايَةِ جُمْهُورِهَا ، وَحِمَايَةِ مَعَاقِلِهَا الْمَصُونَةِ وَثُغُورِهَا ؛ وَزَعَامَةِ  
جُيُوشِهَا ، وَإِرْغَامِ طَارِقِي أَطْرَافِهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَثَلَّ عُرُوشِهَا ، مَنْ جَرَدَهُ الدِّينُ  
فَكَانَ سَيْفًا عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَأَنْتَقَاهُ حُسْنُ نَظَرِنَا لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ التَّوْفِيقُ الْإِلَهِيُّ مُتَوَلَّى  
جَمِيلِ أَنْتَقَادِهِ وَأَنْتَقَائِهِ ؛ وَجَعَمْنَا عُودَ أَوْصَافِهِ فَوَجَدْنَاهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ ، مُتَمَكِّنًا فِي طَاعَتِهِ  
بِإِخْلَاصِ تَقْوَاهُ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ؛ مَتَّقِظًا لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي حَالَتِي حَرَكَتِهِ  
وَسُكُونِهِ ، أَخَذًا عِنَانَ الْحَزْمِ يُسْرِئُ سِرَّاهُ وَيَسْنَانُ الْعَزْمَ يَمِينُ يَمِينِهِ ؛ وَاقِفًا مَعَ الْحَقِّ  
لِذَاتِهِ ، مُقَدِّمًا مَشَاقَّ الْجِهَادِ عَلَى سَائِرِ مَآرِبِهِ وَلِذَاتِهِ ، مَاضِيًّا كَسِيفِهِ إِلَّا أَنَّهُ [لَا] يَأْلَفُ  
كَالسَيْفِ الْجُفُونُ ، رَاضِيًّا فِي رَاحَةِ الْآخِرَةِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا وَمَصَاعِبِهَا فَلَا يَرْعَى فِي مَوَاطِنِ  
الْجِهَادِ إِذَا حَلَّهَا أَكْثَافُ الْهُوَيْنَا وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ ؛ مَا نَعَا حَمَى الْإِسْلَامَ لَا "حَمَى الْوَقْبِي"  
يَضْرِبُ" ، يُفَرِّقُ بَيْنَ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ وَ"يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ" .

ولما كان فلان هو الذي تشوّفت هذه الرتبة إلى أن تتجمل به مواكبها، ونتكل به  
مراتبها، وتنتظم على دسسته هالة أمرائها كما تنتظم على هالة بدر السماء كواكبها ؛ فإذا  
طلع في أفق موكب أعشت الأعداء جلالته ، وأعدت الأولياء بسالته ؛ وسرى إلى  
قلوب أهل الكفر رعبه ، وفعل فيهم سامه ما يفعل من غيره حربيه ؛ وإذا جلس  
على بساط عدل خرس الباطل ، وأنجز ما في ذمته الماثل ؛ وتكلم الحق بملء فيه ،  
وتبرا الباطل حتى ممن يسره ويخفيه ؛ وإن نظر في مصالح البلاد أعان الغيث على

رَبِّهَا بِرَفْقِهِ ، وَأَعَادَ رَوْنَقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكُفِّ الظُّلْمِ وَوَصُولِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْعَلَ فُنُونُ أَفْنَانِهِ بِمِثْنِ إِبَالَتِهِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَيِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فَلِذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ زَمَنُ عَصْرِهِ ، مُؤَرِّخًا بِالْفَتْوحِ ، وَسَيْفُ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَقْوُضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ : تَقْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمَنَابَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يَلْقَاهُ مِنَّا ؛ وَيُلِيسُهَا مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعِفُ بِهِ أَمَنَ سِرِّيَّهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْمَجْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِهَا ؛ وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِ الْجَلِيلَةِ طُلُوعَ الشَّمْسِ الَّتِي يَعْمُ نَفْعُهَا ، وَيُعِشَى النَّوَاطِرَ لَمَعُهَا ؛ وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةُ سِرِّنَا وَجَهْرُنَا ؛ نَاشِرًا مِنَ مَهَابَةِ الْمُلْكِ مَا تَرْجَفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصْبِحُهُمْ بِهِ سَرَايَا رُغْبِهِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ؛ مُنْزِمًا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأْهِبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسَمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْرُورَةً ؛ مُطَّلِعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّدْبِيرِ وَمَوَارِدِهِ ؛ فَلَا يُبْرِمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمُ إِلَى تَقْضِ مُبَرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ أَخَّرَهَا بَوَثْبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَلِيُعْظَمَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِتَكْرِيمِ حُكَّامِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ وَيَرْفَعَ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِتَرْفِيهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلِ مَآرِيهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ؛ وَلِيُعَمَّ الرِّعَايَا بَعْدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَيُسْتَرْفَعَ لَنَا أَدْعِيَاةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خَصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَبَجَّيَّاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٌ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ تَشْدِيدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأمر «يلبغا الكاملى» بعد نيابته بحلب وحماة، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله، وهى :

الحمد لله مجرى الأقدار ، برقة الأقدار ، ومثرى آمال من حسنت له فى خدمتنا  
الآثار ، بمواهب العطايا والإيثار ، ومثرى غروس نعم أوليائنا التى رعى عهدها عهداً  
سحب جودنا الغزار ، جاعل أصفياء مملكتنا الشريفة كل حين فى ازدياد ، وما نفع  
المخلصين فى خدمتنا مزيد الإسعاف والإسعاد ، وفتح أبواب التأييد بسيوف أنصارنا  
التي لا تنجع فى الاعتماد .

نحمده على مواهب نصيره ، ونشكره على إدراك المارب من جوده الذى يعجز  
لسان القلم عن حصره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد  
قائلها فى موافقه ، وتجمع له من خير الدنيا بين تآلده وطأرفه ، ونشهد أن محمدا عبده  
ورسوله الذى هدى الله به هذه الأمة من الضلال ، وفضل به المجاهدين حيث  
جعل الجنة تحت ما ليسوفهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة  
لا انفصام لعروتها ولا انفصال ، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من انتدب لحفظ ممالك الإسلام ، وأئمن على صونها بعزمه  
الذى لا يسامى ولا يسام ، وأسند إليه من أمور الرعايا بأجل المالك ما يقضى بمزيد  
التكريم ، وأعتمد على صيانتة وديانته لما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم ، وجرأت  
الدول محالصة ، وتحقق آهتامه الذى بلغه من العز غايته ، وأثبت على حسن سيرته  
وسريره سوابق خدمه ، وشكر آهتامه فى المحالصة التى أعربت عن عزمه ، ففاق  
أشباهها وأنظارا ، وكفل المالك الشريفة الحليّة والحماية فأيدها أعوانا وأنصارا ،



وبسط فيها من العدل والإنصاف ما أعلیٰ له شأنًا ورفع له مقدارًا ، وسلك فيها  
مسلكًا شَنَّفَ أسماءَ وشَرَّفَ أبصارًا .

ولما كان المقرّر الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه  
المقائب ، ونير هذه الكواكب ، كم أبهج النفوس بمآله من عزيم مشكور ، وكرم  
مأنور ، ووصف بالجميل موقور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازال لسيف أوليائه مُرهِقًا ، ولا يرح لأخصائه  
مُسْعِدًا ومُسْعِفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ،  
على أجمل عوائد من تقدّمه في ذلك وأكمل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف  
بيد لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو  
بدوام النعمة خير كَفِيل ؛ ويضاعف ما هو عليه من اهتمام لم يزل منه مألوفًا ، واعتزام  
إذا لاقى غيره مهمًا واحدًا لاقى هو أُلُوفًا ؛ ويُعِين النظر في مصالح هذه المملكة  
الشامية المحروسة ، ويعتمد من حُسن تديره ما تغدو رُبوعها بحسن ملاحظته  
عامرةً مأنوسة . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وسجية أيامنا التي هي على  
هَامِ الجوزاء مُنِيفَه ؛ فليسلِك سَنَنَه ، ويتبع قَرَضَه وسُنَنَه ؛ ويعلم أن عدل سَنَةِ خير  
من عبادة ستين سَنَه ، ولينشر على الرعايا مَلَائِسَه الحَسَنَه ، ويعظم الشَّرْع الشريف  
وحُكَّامَه ، ويعين الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق  
إكرامَه ؛ والله تعالى يجعل السَّعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييدًا يُلْغِه مُرَادَه من  
النَّصر ومَرَامَه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذى طَهَّرَ الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وَصَانَهُ وَحَرَسَهُ ، وجعل لسلطاننا فيه قواعِدَ  
بالنَّصْرِ مُؤَسَّسَهُ ، وَأَنواراً لِلهُدَى مُقَتَّبَسَهُ ، وَكَفَلَهُ بَيْنَ إِذَا صَفَّ لَهُ الْعُدُوُّ أَفْتَرَسَهُ ،  
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وَأَرْغَمَ مَعْطِسَهُ ، وَقَطَفَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى  
فَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أَثْنَهُ ، وَعَظَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ  
وَيَبْلُغُ السَّائِلَ مُلْتَمَسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبَ الْعَفَافِ وَالثَّقَى فَكَانَ خَيْرَ ثَوْبٍ لَيْسَهُ .

نحمده على أَصْلٍ جُودٍ غَرَسَهُ ، وَعَارِضٍ سَوَاءٍ حَبَسَهُ ، وَنشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادةً أَزَالَتِ الشَّرْكَ وَمَحَتِ نَجَسَهُ ، وَنشهد أن محمداً عبده ورسوله  
الذى أُنْبِغَ اللهُ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا مُنْبِجَسَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لِمَا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ  
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلَسَهُ ، وَأَتَرَعَ الْحَقُّ مِنْ بَحْسِهِ ، وَجَاهَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِمَا وُلِدَ  
فَمَا نَحَسَهُ ، وَتَوَرَّ الْقَلْبُ الَّذِي خِيمَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشَّرْكَ قَدْ أُنْبِتَ  
فِي الْأَرْضِ فَطَوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَهُ ، وَجَاهَهُ وَدَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فُطُوْبِي لِمَنْ تَلَاهُ  
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ صلى الله  
عليه وعلى آله وصحبه ما أَوْجَحَ اللهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَغَمَسَهُ ، وَمِيزَ بِنِصْفِ الْعَدَدِ مِنْ  
الثَّلْثِ سُدُسَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فَإِنَّ الشَّامَ هُوَ عِقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعِينُ النَّصْرِ  
الَّذِي بَرُّوقُهُ شُّشَامٌ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ، وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ  
الْإِعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخْضَوْنَ لِحُجِّ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ، وَنِيَابَةُ  
السلطنة الشريفة به من أَجَلِ النِّيَابَاتِ مَقْدَارًا ، وَأَكْرَمِهَا آثَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا ؛

إذ هو تلقاء أوامرنا الشريفة المنظوية عليها أسرار البريد، ومن عنده تنفترع المهمات للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل ثناء جديد، ومنه يأتي إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، وذو رأي سديد، وحزم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفأها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وألغيت المتوالي الندى، والهمام الذي جرد سيف عزمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأتصف بحسن الصفات فما ساد سدى؛ قد تجلت الممالك بأرائه ورآياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته، وحسن اعتماده في خدمة ملكنا الشريف ومهماته؛ إن ذكرت الموالاة الصادقة كان راوى مسندها، وحاوى جيدها، والآوى إلى ظلها المديد وطيب موردها؛ وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كتابها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربها، ومجرد قواضيه، وفارس جنائبها، ومطلب أطلابها ومنجع مطالبها، ومجلى غايبها - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يعقد عليه لواء الاحتشام، في الشام؛ وأن يخص بالبركات، المخصصة من الدرجات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا في نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس : من ممالك وقلاع، ومدين وضياح، وتغور وموانى، وسواحل في أقاص وأداني؛ تفويضا آتسقت درره، وأشرق غره، وتليت آياته وسوره.

فليمد بالعدل أكفاف البلاد، ولينظر بعين الرعاية والسداد؛ ولينشر لواء الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الصافي وإليه الحق مضاف. وليد الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السُّلَاف ، وعلى السارقين بالقطع من خِلاف ؛ وليستترِيف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمرء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار وأنجاد ، وأولياء دولتنا الشريفة المآحون للفساد ، ومن نتجمل بهم المواقب وتنفطر بهم للعدا الأكباد ؛ والله الله في الشريع الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ كلمة أحكامه وإزالة أعذاره ؛ والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ؛ والوصايا فمنه يُشْرِقُ هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكل بأنواره ، وهو غني عن إنكاره .  
نفذ تقليدنا هذا باليمين ، وألبس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فمنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منا ، والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسن ؛ وانلخط الشريف أعلاه .

### الطبقة الثانية

( من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالي» )

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية )

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مُسَدِّدِ سهام الاختيار ، ومُسَيِّرِ الأولياء إلى منازل العُلَفاء مَسِيرَ الأَهْلَةِ إلى منازل الإبدار ؛ الذي جَدَدَ نِعْمًا ، وعدَدَ كَرَمًا ، وعَلِمَ مَوَاقِعَ الاضطرار ، إلى مَوَاقِعِ الأوزار ، فأرسل إليها مَنْ تستهل آراؤه دِيمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتَّخِذْ صاحبًا ولا وزيرًا ؛ ونصلى على سيدنا محمد الذي عمَّر الله به البلاد تَعْمِيرًا ، وأحسن بالعدل

تقريرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتباً  
وأميراً ، صلاةً لا ينقطع توالئها ، ولا تزال الآفاق تتناقلها وتستهدىها .

وبعد ، فإن أولى من عظم شأنه ، وكرم مكانه ، وثبت إيمانه ، وأُنيت في منابت  
الرماح قلمه الذى هو ترجمانه ، وبُسِطت في تشييد الممالك يده وأُطلق لسانه - من  
كان علامة العلم ، وغداً بالنشاط في كبره قتي السن كهل الحلم ؛ الذى فاق جلاله  
ونسبا ، وأستعلى همّة وأدبا ، وعُرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقاً  
ومغرباً ، والهمّة التى سواء عليها أحملت قلماً أم أنتضت قُصْفاً .

ولما كنت أيتها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ؛  
وكبت حسودك ، وضاعف صُعودك - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنضدة عليك  
هذه الجواهر ، الدالة على مناقبك هذه المفآخر ؛ الذى وجدناك على الانتقاد تزيد  
استخلاصاً ، وتعدو على السبك خلاصاً .

فلذلك خرج الأمر الشريف أن تُوزّر ، وتُحمى موارد أرائك لتُسغَر ؛ ويكون  
لك الحكم فى المملكة الشاميّة عموماً ، وتُتصرّف فى معاملاتها مجهولاً ومعلومياً ؛ على  
أكمل قواعد الوزراء وأتمها ، وأجملها وأعمّها ؛ متصرفاً فى الكثير والقليل ، والحقير  
والجليل ؛ تغزل وتوتل من شيت ، وتكنفى وتستكنفى من أرتضيت . ونحن نُوصيك  
بالرفق الذى هو أخلق ، والعدل الذى تُستدرّ به سُحب الأموال وتُسغَد ؛ والحق  
فإن كل القضايا به تتعلّق ، ويُمن السياسة فإن الرئاسة بها تكمل وتُعدّق ؛ وإياك  
والغرض الذى هو يهوى بصاحبه ، ويرديه فى عواقبه ؛ وأتق الله الذى لا تتم  
الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضلّ سبيله وأتبع هواه ؛ والله تعالى  
يُنجح رجاءك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاضت واختصمت  
مُججك ؛ إن شاء الله تعالى .

## الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُّ له مرسومٌ شريفٌ ، وهى على مرتبتين )

## المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُّ له فى قطع النصف وهو نائب قلعة دمشق )

إن كان مقدّم ألف كما كان أولاً ، كتب له بـ « المجلس العالى » . أو طبلخاناه  
كما هو الآن ، كتب له بـ « السامى » بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا  
بـ « الحمد لله » .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، من إنشاء المقر الشهابي  
ابن فضل الله رحمه الله ، وهى :

الحمد لله مُشْرِفِ القلاع ، ومُصَرِّفِ رجالها فى الامتناع ، ومُعَرِّفِ من جادلها  
أنَّ الشَّمْسَ عاليةً الأرْتَفاع .

نحمده حمداً يُسَنِّفُ الأسماع ، ويُشَرِّفُ الإجماع ، وتُحَلِّقُ فى صُعوده الملائكةُ  
أولىً أَجْنَحَةٍ مَثْنًى وثلاثَ ورَباعٍ ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
شهادةً نرجو بها لما بَقِيَ من قِلاعِ الكُفرِ الأَقْتِلاع ، وأَسْتِعَادَةَ ما قَرَّ معهم من قُرَى  
وضاع من ضياع ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى حمى به دِرةَ الإسلام  
من الأَرْتِضاع ، وصان به حوزةَ الحق أن تُضاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
صلاةً دائمةً ما أَسِيلَ لِلَّيْلِ ذَيْلٌ وَأَمْتَدَّ لِلشَّمْسِ شُعاع ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ الحُصُونِ حواضرَ كما للبلاد ، وحواضِنُ تَضُمُّ بقاياها ضَمَّ الأمهاتِ  
للأولاد ؛ ومعاقلُ يُرْجَعُ إليها إذا نابتِ التُّوبُ الشَّداد ، ومعاقدُ يعتصم من منعها  
بِجبالٍ ويمسك بأطواد ؛ وقلعةُ دمشق المحروسة هى التى تفتخر بقايا القلاع بالاتصال  
(١) لعله القلاع .

بَسْبِهَا ، وَالتَّمَسُّكَ فِي الشَّدَائِدِ بِذَيْلِ حَسْبِهَا ؛ لَا يُهْتَدَى فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا ،  
وَلَا يُقْتَدَى فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا ، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى السُّحْبِ  
مِنْ فَيْضِ أَمْطَارِهَا ؛ قَدْ تَرَجَّلَتْ لُتْبَارِزٌ ، وَتَقَدَّمَتْ لُتْنَاهِزٌ ، وَدَلَّتْ بِقَوَاهَا فَمَا  
أَحْتَجَبَتْ مِنْ سُجُوفِ الْجَبَلِ بِحِجَابٍ وَلَا أَحْتَجَزَتْ مِنَ الْغَامِ بِحَاجِزٍ ؛ بَلْ أَلْقَتْ إِلَى  
قَرَارِ الْمَاءِ حِمْلَهَا ، وَأَثْبَتَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجُلَهَا ؛ وَكَشَفَتْ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ  
قِنَاعَهَا ، وَأَشَعَلَتْ أُنْبِيَّتَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعَهَا ، وَأَشْغَلَتْ أَفْنِيَّتَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تُطَاوَلَ  
بَاعَهَا ، أَوْ تُحَاوَلَ أَرْتِفَاعُهَا ؛ قَدْ جَاوَرَتْ قُبَّتَهَا الرِّزْقَاءُ أَخْتَهَا السَّمَاءَ ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا  
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ اعْتِلَاءً ؛ وَهِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ فَرَعِهِمْ ، وَأَمْنٌ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا  
اللَّهُ مِنْ جَزَعِهِمْ ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْعُدُوقُ عَلَيْهَا وَنَازَلَهَا زَمَانَا يُجْمِعُهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ،  
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ ؛ وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ ، وَنَكَالًا لِمَا  
خَلَفَهُمْ وَمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَفْدَامَ بَقِيَّةِ الْقَلَاعِ ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِنْدَامَ مَنْ فِيهَا  
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَقَلْعَةُ الْجَبَلِ الْحَرُوسَةُ وَإِيَّاهَا كَالْأَخْتَيْنِ ، وَهِيَ لَهَا ثَانِيَةُ اثْنَيْنِ ؛  
وَكَلَّنَاهُمَا لِكُرْسَى مُلْكَا الشَّرِيفِ مَنَزَلٌ سَعِيدٌ ، وَمَتَرَهُ يَوْدٌ صَفِيحُ الْأَفلاكِ لَوْ تَرَامَى  
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلَمَّا رَسَمْنَا بِنَقْلِ مَنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ،  
وَقَدَّمَاهُ أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرَى قَادِمَةُ الرِّيحِ السَّيَّانَ ؛ وَاتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ  
تُغَوَّرِهَا الضَّاحِكَةِ شَدْبًا ، وَمِنْ هَمِيمِهِ الْمُتَصِلَةِ الْمَدَدِ بِهَا مَا تَمُدُّ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَبًا -  
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُؤَوِّلَ فِي أَمْرِهَا الْمُهْمَ ، وَبَرَّاهُ الَّذِي بِهِ مُصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ  
مَمَالِكَا الشَّرِيفَةِ تَمَّ ؛ وَنَحْمَلُ مَشَارِفَهَا بِمَنْ تَضَاحِكُ الْبُرُوقِ سَيُوفُهُ فِي لَيْلٍ كُلِّ نَفْعٍ  
مُدْلِهِمْ ، وَنَحْمِي حِمَاهَا بِرَجُلٍ تَمْنَعُ مَهَابَتَهُ حَتَّى عَنْ نَقْلِ الْأُسْنَةِ (٩) طَارِقَ الطَّيْفِ  
أَنْ يُلِمَ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَعَزُ لَهُ دُرَا ، وَلَا يُنَاخِ لِإِدَارَةِ سَيْلِهِ فِي دَرَا ، وَلَا يَقْدَرُ مَعَهُ

الأسدُ أن يبيتَ حولَ غايِهِ مُضِحِرًا، ولا الطيرُ أن يُحَلِّقَ إليه إلا مَهِجًا بِجَنَاحِهِ على الثرى، ولا أدبَحَتْ إليه زُمُرُ الكواكبِ إلا تَقَاعَسَتْ فلا تَسْتَطِيعُ السرى .

وكان فلانٌ هو حامِي هذا الحِمَى، ومَانِع ما يَحُلُو في الثُّغُور من مَوَارِدِ اللَّيْلِ، وَغِيُورِ الحَيِّ فلا تَبْرُزُ له إلا من عَقَائِلِ المَعَايِلِ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ كَالدَّمَى، وَحَافِظُ ما اسْتَوْدِعَ من مَصُونٍ، وَاسْتُجْمِعَ من حُصُونٍ، وَاسْتَجْهَرَ من مَوَارِدِ تَرْدُهَا من زَرَدِ الدروعِ عيونَ، ويُفَرِّقُ منها المجانيقَ سَحَابَ مُمْطِرَةٍ بالْمُنُونِ؛ فَصَمَّ رأينا الشريفُ على آخِيَارِهِ لِيُوقِلَ صَهْوَةَ هذا الجِوَادِ، وَيُوقِيَ ما يَجِبُ لهذه العَقِيلَةِ من مَرْتَمَقٍ لِحَظٍ ومَرْتَمَى فَوَادٍ، ويبحثُ من الشَّغْفِ بها عن أملٍ أملٍ أو مرادٍ مرادٍ، ويُعَجِّبُ من عَقِيلَتِهَا المصنونة أن أبراجها تَتَبَرَّجُ وما لِنُعْمَاهَا إِنْعامٌ ولا لِسَعَادِهَا إِسْعَادُ .

فرسم بالأمر الشريف العالی المَوْلَوِيَّ، السُّلْطَانِيَّ، المَلِكِيَّ، الفَلَانِيَّ - أعلاه الله وشرقه، وأدام في الأرضِ وَمَنْ عَلَيْهَا تَصَرُّفَهُ - أن تفوض إليه النِيا بة بَقْلَةِ دِمَشَقِ المحروسة : على عادة من تَقَدَّمَهُ وَقَاعِدَتُهُ، ومُقَارَبَتَهُ ومُبَاعَدَتُهُ، وَتَحْلِيَهُ ومُسَاعَدَتُهُ ؛ وكل ما جرت به العوائدُ في رجائها ورجالها ، وما لها وما لها ؛ وهذه نِيا بة شريفه، وسَحَابَةُ مُطِيفِهِ ؛ ونعمة تُقَابِلُ برعايتها، وتُكَمِّمُ نَوَاحِيَهَا بِإِذَاعَتِهَا ؛ وتَقْوِي اللهُ حَلِيَةَ عِنَقِهَا، وَحَلَّةَ أَفْقِهَا، وَبَحْرَى المَجَرَّةِ لِإِجْلَالِهَا فِي طُرُقِهَا .

فعليك بحفظها لَيْلاً ونهاراً، وَتَفَقُّدِ أحوالِ مَنْ فِيهَا سِرًّا وَجِهَارًا ؛ وَفَتْحِ بابِهَا وَغَلْقِهَا مع الشمسِ، وَتَصَفُّحِ ما بها من لِبْسٍ، وَتَتَبُّعِ أسبابِهَا كما في النفسِ ؛ وَالتَّصَدَّى لملازمة الخدمة الشريفة في أبوابِنا العاليةِ بِبابِهَا ، والأخذِ في أدواتِ حِفْظِهَا بِمَجَامِعِ أطرافِها دون التمسك بأهدابِها، وَالتَّجَسُّسِ على مَنْ يُلِمُّ فِيهَا جَفْنُهُ بِكَرَى وما أنقله مناما،



وَالْإِزَامُ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا يُلْزَمُهُ مِنَ الْوُظَائِفِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَإِدْلَاجُهُ وَابْتِكَارُهُ ،  
وَمَنْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْقِلِ إِشْرَافٌ مِنْ شُرَفَاتِهِ أَوْ تَسَوُّرٌ عَلَى أَسْوَارِهِ ، وَإِظْهَارُ الرَّجْحِ  
وَالصَّيْتِ وَالسُّمْعَةِ بِالْإِهْتِمَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِزَفَافٍ عَرُوسِهَا ، وَضَرْبِ الْحَرَسِ لِنَوَاقِيسِهَا ،  
وَالِإِعْلَانِ لَصَبَاحِ الْخَيْرِ لَنَا فِي صُبْحَاتِهَا وَالدَّعَاءِ الصَّالِحِ فِي تَغْلِيصِهَا ، وَصِيَانَةِ مَا فِيهَا مِنْ  
حَوَاصِلٍ ، أَوْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ وَاصِلٍ ، وَمَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ ، وَمَا فِي خَزَائِنِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ  
مَدَدِ الْبَحْرِ الرَّائِحِ ، وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ دَارُ الضَّرْبِ مِنْ أُمُودٍ تُضْرَبُ لِلْهَبَاتِ بِرَسْمِنَا ،  
وَأُمُودٍ النَّاسِ [التي] حُمِلَتْ إِلَيْهَا لِنُشْرِفَ تَقْوَدُهَا بِاسْمِنَا ، وَخَزَائِنِ السِّلَاحِ الْمَنْصُورَةِ  
وَمَا يُسْتَكْتَرُ فِيهَا مِنْ عَدَدٍ ، وَمَا يُسْتَغْزَرُ مِنْ مَدَدٍ ، وَالْمَجَانِيقُ الَّتِي تَحْطِرُ مِنْهَا كُلُّ  
خَطَّارَةٍ كَالْفَنِيْقِ ، وَتَصْعَدُ وَمَرْمَاهَا إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا تَحْطِفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ  
فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ، شَائِلَةً عَقَارِهَا ، آفِلَةً بِالْأَعْمَارِ كَوَاقِبُهَا ، وَالْحُدُوجُ وَالْقِسَى  
وَالرَّايَاتُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحٍ ، أَوْ دُرُوعٍ تَرُدُّ السَّهْمَ عَلَى أَعْقَابِهَا وَتَحْنِي قَامَاتِ  
الْعَوَالِي وَتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . وَالْبَحْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ  
مِنْ نَجُومِ آفَاقِهَا ، وَغُيُومِ إِرْعَادِهَا وَإِبْرَاقِهَا ، وَدِيمِهَا إِذَا أُسْبِلَتِ الْمَسَالِمُ ذُبُودَهَا وَأَعْوَانِهَا  
إِذَا شَمَرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . وَبَقِيَّةُ الْمُسْتَخْدِمِينَ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ الَّذِينَ هُمْ عِمَارَةُ  
أَوْطَانِهَا ، وَأَمَارَةُ الْعِنَايَةِ بِهَا مِنْ سُلْطَانِهَا ، فَكُلُّ ذَلِكَ مَذْخُورٌ لِمَنْفَعِ الْإِسْلَامِ ،  
وَمَا رِيشَ السَّهْمِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُرْمَى وَلَا طَبِيعَ السَّيْفِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ يُسَامُ ،  
فَاحْفَظْ لَأَوْقَاتِهَا تِلْكَ الْمَوَادَّ الْمَذْخُورَةَ ، وَاحْظُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ فَإِنَّهُمْ ظَهَرُ الْعَسَاكِرِ  
الْمَنْصُورَةِ ، وَخُذْ بَقُلُوبِهِمْ وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَاجْمَعْ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ  
مُتَّفَرِّقَهُمْ وَأَكْرِمْ قَرَبَتَهُمْ ، وَمَنْهُمْ الْمَالِيكُ السُّلْطَانِيَّةُ وَهُمْ إِخْوَانُكَ فِي وَلائِنَا ، وَالَّذِينَ  
تَشْرِكُهُمْ فِي آلَائِنَا ، وَبِالْبَعْثِ فِي حِفْظِ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سُجُونِهَا ، وَلَفْظِ الْمُعْتَقِدِينَ خِلَافًا  
فِي مَكُونِهَا ، وَنَحْنُ نُعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ نَقُولَ : تَفَقَّدَهَا بِالْتَرِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَكِنَّا نَأْمُرُكَ

أن نتعهد بها بما نتعهد من الزين الملاح ؛ ولك من معاضدة من فى ذلك الإقليم ،  
من لك برأيه طريق مستقيم ؛ ومن تراجع فيه فيا أشكل عليك من الأمور ، وتجد به  
فى طاعتنا الشريفة نوراً على نور ، وأتبع مراسمتنا المطاعة فهى شفاء لما فى الصدور ؛  
والوصايا كثيرة ، والله تعالى يجعلك على بصيره ، ويتولاك بما فيه حسن السيره ،  
وصلاح السيره ؛ والاعتماد .... .



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، كتب بها الحسام  
الدين «لاجين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهى :  
الحمد لله الذى صان الحصون بانتضاء الحسام ، وزان الملك بارتضاء ذوى  
اليقظة من الأولياء والأهتام ، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة  
وأجمل القيام .

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وأفرة الأقسام ، ونشكره على أن أقبل عليهم  
بأوجه إقبالنا الوسام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود  
إخلاصها آتظام ، ولسعود اختصاصها آلتنام ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله  
الذى منحه الإجلال والإعظام ، ومدحه بالإفضال والإكرام ، ورجحه بمزايا الفضل  
على جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام ، ورضى عن أصحابه  
الذين لهم صدق الاعترام ، صلاة ورضواناً لهما تجديد ومزيد وتأييد ودوام ؛ وسلم  
تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء ، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوى المناصحة  
الإصفاء ، ونعماءنا تديم لملايس إجلالها على أولى الخدم الإفاضة والإصفاء ، وتبقى  
بوعود جودها لمن أدام لناهج المخالصة الاقتفاء .

ولما كان فلان هو الذى عُرِفَتْ له فى مُهِمَّاتنا خِدْم سالفه ، وأُلِفَتْ منه هِمَّةٌ عَلَيْهِ خَصَّتْهُ بِكُلِّ عَارِفِهِ ، وَخَوَّلْنَاهُ نِعْمَنَا الْوَائِكِفَهُ ، وَأَهْلُنَاهُ لَاسْتِحْضَافِ الْحِصُونِ فَسَاعَدَهُ تَوْفُرُ التَّوْفِيقِ وَسَاعَفَهُ ، وَتَقَلَّنَاهُ فِي الْمَمَالِكِ فَسَارِ سِيرَةٍ حَمِيدَةٍ أَقْتَضَتْ لِمَوَاهِبِنَا لَدَيْهِ الْمَضَاعِفَ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ زَفَعَ مَحَلَّهُ بِأَعَزِّ الْقِلَاعِ ، وَنُطِّلِعَهُ بِأَفْنَى سَعْدِهَا أَيْمَنَ إِطْلَاعِ ، وَنُنْدِبُهُ لَضَبْطِهَا فَيَحْسُنُ لَهُ فِيهَا الْأَسْتِقْرَارُ وَيُجَدُّ مِنْهَا لَهُ الْأَسْتِيدَاعُ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحَقِّقُ الْأَطْلَاعِ ، وَهَبَاتُهُ تُفِيضُ مَلَابِسَهَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَنْتَرَاعُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي نِيَابَةِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ... .

فليباشر النياحة بالقلعة المذكورة بآذِلًا الْأَجْتِهَادَ ، مُوَاصِلًا لِلْعَزْمِ وَالسَّدَادَ ، عَامِلًا بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ إِصْدَارٍ وَإِيرَادَ ، كَافِلًا مِنْهَا بِحَسَنِ الْأَعْتَادِ ، حَافِظًا حَوَاصِلَهَا مِنْ الضَّيَاعِ ، مُقَرَّرًا أَحْوَالَهَا عَلَى أَجْمَلِ الْأَوْضَاعِ ، وَلِيَأْخُذَ رِجَالَهَا بِالْإِتِّلَافِ عَلَى الْخِدْمَةِ وَالْأَجْتِمَاعِ ، وَلِيُحَرِّضَهُمْ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْمَرَاسِمِ وَالْإِسْرَاعِ ، وَلِيُطَالِعَ مِنْ أُمُورِهَا بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ لِأُبُونَا الْعَالِيَةِ فِيهِ الْمَطَالَعَةِ وَيَحِبُّ لِعُلُومِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الْأَطْلَاعَ ، وَلِيَرَاوِجَ كَافِلَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ بِمَا جَعَلْنَا لآرَائِهِ فِيهِ الْإِرْجَاعَ ، وَلِيَكُنْ لَهُ إِلَى إِشَارَتِهِ إِصْغَاءٌ وَاسْتِمَاعُ ، وَإِلَى سَبِيلِ هَدْيِهِ أَفْتِنَاءٌ وَاتِّبَاعُ ، وَلِيَقِفَ عِنْدَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِ فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الرُّشْدُ وَالْإِنْتِفَاعُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجِدُّ عَلَيْهِ سَوَائِغَ نِعْمَانَا الَّتِي جَادَتْ بِأَجْنَائِسٍ وَأَنْوَاعٍ ، وَيَجُزُّ فِي نُصْرَتِنَا حُسَامَهُ الَّذِي مِنْ بَاسِهِ الْأَعْدَاءُ تَرْهَبُ وَتَرْتَاعُ ، وَيَدِيمُ لَهُ وَلِجَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ صَدَقَاتِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ الْإِمْتِنَاعُ ، وَالْخَطُ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردها في "التعريف" :

وعليه بحفظ هذه القلعة التي زُفَّت إليه عقيلتها المُنْعَه ، وجايت عليه سافرة ودُونها  
السَّاء بالسُّحْب مُنْعَه ، وسَلَّمَت إليه مَفَاتِيحُهَا ، وخَوَاتِيم الثَّرِيَّا أَقْفَال ، وأُوقِدَتْ له  
مَصَابِيحُهَا ، وفتائل البروق لا تُسَبُّ لِقَفَال <sup>(١)</sup> . فليبدأ بعمارة ما دَعَت الحاجة إليه من  
تجديد أبنيتها ، وتشديد أقيمتها ، وشَدَّ عُقُودها ، وعدَّ مالا يحصى <sup>(٢)</sup> [ في الذخائر ] من  
تقودها ، [ وتنبيه أعين رجالها والكواكب قد هَمَّت بِرُقُودها ] <sup>(٣)</sup> ، والأخذ بقلوب من  
فيها ، وتدارك بقية ذمائم وتَلَا فيها ، وجمعهم على الطاعة ، وبذر الإحسان فيهم  
إذا عَرَفَ أرضاً تركو فيها الزراعة ، والتَّامِدَى لهم : قُرب رجال تجزئ عن عِدَّة سنين  
في سَاعَه ، وتُحْصِيَن هذا الحِصْن المنيع بما يُدَحَّر في حواصله ، ويُسْتَمَدُّ بعمارة البلاد  
المختصة به من وأصله ، وما يكون به من المجانيق التي لا تُرْقَى عَقَارِبُهَا ، ولا تُوقَى  
منها أَقَارِبُهَا ، ولا تُرَدُّ لها مَضَارِب ، ولا يُكَفُّ من زُبَانِي زَبَانِيَّتِهَا كُلُّ ضَارِب ،  
ولا يُحِطُّ سَهْمُهَا ، ولا يُخْفَى بين النجوم نَجْمُهَا ، ولا يُعْرَفُ ما في صُنُودِقِهَا [المقفل] ،  
من البلاء المُرْسَل ، ولا ما في نَحْدِهَا المُشْمِر السَّاقِ من النشاط الذي لا يَكْسَل ،  
وغيرها من الرايات التي في غيرها لا تُسَدُّ ، ولسوى خَيْرِهَا لا تُعْقَد ، وما يَرْمَى فيها  
من الدِّمَام التي تُشَقُّ قَلْب الصَّخْر ، وتُبْكِي خَنَسَاء كُلَّ فَاقِدَةٍ على صَخْر ، وكذلك قِسْيُ  
اليد التي لا يَدَبُهَا ولا قَبَل ، وَكَثَائِرُ السَّهَام التي كم أصبح رَجُلٌ وبه منها مِثْلُ  
الجلب ، وما يُصَان من اللُّبُوس ، ويعدُّ للنعيم والبُوس ، وما يَمُدُّ من الستائر التي <sup>(٣)</sup>

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد واللبوس» .

هى أسوارُ الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقِل منها حلى سِوى كلِّ سِوار ؛ وهى التى ثلاثُ لُثمها على مَباسِمِ الشُّرَفات ، وتُضربُ حُجُبها على أعالى العُرُفات ؛ وسِوى هذا مما تعتصم به شواخُ القِلال ، ويُتَبَوأ به مَقاعدُ للقتال ؛ فكلُّ هذا حصَّله وحَصْنه ، وأَحْسبه وحَسَنه ؛ وأَعَدَّ منه فى الأمنِ لأوقاتِ الشدائد ، وأَجْر فيه على شأو من تقدّم وزدّ فى العوائِد ؛ وهكذا ما يَدْتَحِر من عُدَد أربابِ الصنائع ، ومَدَد التحصين المعروف بكثرةِ التَّجَارِبِ فى الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يُزال يُفَكِّر فى تحصيله لأجل بعض الأوقات ؛ وكُنْ من هذا مُستَكثِرا ، وله على ما سِواه مؤثِرا ؛ حتّى لا تَزَالَ رِجالُك مُطْمَئِنَّةً الخِوَاطِر ، طَيِّبةً القلوب ماعليها إلا السُّحْبُ المِوَاطِر ؛ وأَعْمَلُ بعادةِ القِلاع فى غلقِ أبوابِ هذه القلعة وفتحِها ، وتَفَقُّدِ متجدّداتِ أحوالها فى مَساء كُلِّ ليلةٍ وصُبحِها ؛ وإقامةِ الحَرَس ، وإدامةِ العَسَس ، والحِذارِ مَنْ لعلّه يَكُونُ قد تَسَوَّرَ أو اُخْتَلَسَ ؛ وتَعَرَّفَ أخبارَ مَنْ جاورَكَ من الأعداء حتّى لا تَزَالَ على بَصِيرِهِ ، ولا تَبْرَحَ تُعَدُّ لِكُلِّ أمرٍ مَصِيرِهِ ؛ وأَقِمِ نُوبَ الحَمَامِ التى قد لا تَجِدُ فى بَعْضِ الأوقاتِ سِواهَ رَسُولا ، ولا تَجِدُ غِيرهَ مَخبرا ولا سِواهَ مُسْئِلا ؛ وطالِعِ أبوابنا العالِية بالأخبار ، وسارِعِ إلى ما يَرِدُ عليك منها من أبتداءٍ وجِوابٍ ؛ وَصَبِّ فِكْرَكَ كُلَّهُ إِلَيْها وإلى ما تَتَضَمَّنُهُ من الصواب .

## المرتبة الثانية

(من المراسيم التى تكتب بحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب فى قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى - شَدُّ الدواوين بِدِمَشق . وصاحبها يتحدّث فيما يتحدّث فيه شاد

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدّم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشت الدواوين بِدَمَشَق :

الحمد لله الذى أرهف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سَيْفًا مَاضِيًا ، وَجَرَدَ  
لمِهْمَاتِ خِدْمَتِنَا الشريفة من الأصفياء ، عَضْبًا يَغْدُو الْمُلْكُ عَنْ تَصَرُّفِهِ الْجَمِيلِ رَاضِيًا ،  
وَجَدَدَ السُّعُودِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ لِمَنْ لَا تَحْتَاجُ هِمْمُهُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ الْحُرُوسَةِ  
مُتَقَاضِيًا .

نُحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَسْتَعْرِقُ الْحَامِدَ ، وَتَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ الْمُسْتَأَنَفَ عَلَى الْحَامِدِ ؛  
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُجَاهِدَةً لِأَعْدَائِهَا ، مُجَاهِرَةً لِإِعْلَانِهَا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ الْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا ، وَأَوْفَى فِي الرِّبَةِ مَكَانَةً ، وَإِنْ كَانَ  
آخِرُهُمْ عَصْرًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِأُمُورِهَا ، وَعَمَّرُوا الدِّينَ  
قَبْلَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَمُكِّنِ الْأَيَّامُ مِنْ [نَقْضِ] مَا عَمَّرُوا ؛ صَلَاةً يَتَأَزَّجُ تَشْرِهًا ، وَيَتَبَلَّجُ  
بِشْرِهًا ؛ وَسَلْمَ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ عُدَقَ بِهِ مِنْ مِهْمَاتِنَا الشريفة أَعْمَهَا نَفْعًا ، وَأَحْسَنَهَا فِي عِمَارَةِ  
الْبِلَادِ وَقَعًا ، وَأَكْثَرَهَا خِزَانِ الْأَمْوَالِ تَحْصِيلًا وَجَمْعًا ؛ وَأَجْمَعَهَا لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ،  
وَأَضْبَطَهَا لِحَوَاصِلِ الْمَالِكِ الَّتِي إِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا تَلَا عَلَيْهَا لِسَانُ الْإِنْفَاقِ :  
(وَيْسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) مَنْ زَانَتْ عَزَمَهُ نَزَاهَتُهُ ، وَكَلَّتْ قُوَّتُهُ فِي الْحَقِّ خِبْرَتُهُ  
وَنَبَاهَتُهُ ؛ وَكَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْمُعَدِّينَ لَشَدِّ أَرْكَانِهَا ، وَإِشَادَةِ بُيَانِهَا ؛ وَالنُّهْوضِ  
بِمَصَالِحِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَنَشِيرِ كَلِمَةِ عَدْلِهَا الَّتِي تَغْدُو بِالْأُدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مَبْسُوطَةً وَبِالْأَنْثِيَةِ  
الْعَاطِرَةِ مُتَضَوِّعَةً .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى مَحَاسِنِهِ ، وَبُنِيَ عَلَى إِبْرِيذَ فَضْلِهِ الْمُظْهَرِ مِنْ  
مَعَادِنِهِ ؛ مَعَ صَرَامَةٍ تُخَيِّفُ اللَّيْثُ ، وَنَزَاهَةٍ تُعِينُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ الْغِيُوثُ ؛ وَخِبْرَةٍ  
يُظَاهَرُ الْمَصَالِحَ الْخَفِيَّةَ وَفِيهِ ، وَيُبَارِزُ مَعَادِنَ الْأَمْوَالِ مِنْ وَجْهِهَا الْجَلِيَّةِ مَلِيَّةً ؛

وَمَعْرِفَةٍ تَعْمُ الْبِلَادَ بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَجْعَلُ مَثَلٌ مَا يُودَعُ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ وَالنِّسَاءِ مَثَلٌ  
حَبَّةٌ أَتَبَّتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُدْبَلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُنْبِئَهُ  
عَلَى حَسَنِ اعْتِنَانِنَا بِأَمْرِهِ ، وَاعْتِمَادِنَا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَسْبَابِ إِسْنَاءِ رُتْبَتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ ؛  
فَلِذَلِكَ رَسَمَ - زَادَ اللَّهُ فِي عِلَالَتِهِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ ..... .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مُظْهِرًا مِنْ مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَا كَانَ فِي ضَمِيرِ كِفَايَتِهِ مَكْنُونًا ،  
مُبْرَزًا مِنْ تَثِيرِ الْأَمْوَالِ وَتَعْمِيرِ الْأَعْمَالِ مَا يَحْقُقُ بِهِ : مِنْ خِصْبِ الْبِلَادِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى مَا كَانَ مَظْنُونًا ؛ مُوَالِيًا إِلَى الْخَزَائِنِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ حُمُولِ تَدْيِيرِهِ مَا يُنْسِي بِهِ طَائِرُ  
تَصَرُّفِهِ مَيُونًا ، وَسَبَبُ تَوْقِفِهِ مَأْمُونًا . وَلْيَكُنِ النَّظَرُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ هُوَ الْمِهْمُ الْمَقْدَمُ  
لَدَيْهِ ، وَالْأَمْرَ الَّذِي يَتَعَيَّنُ تَوْفُّرُ أَهْتَامِهِ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَجْمَادًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ،  
وَيُجْتَنَى أَثَرُهُ ، وَيُجَمَدُ وَرْدُهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَتَتَفَرَّعُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ  
أَسْبَابُ الْمَدَاحِ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ بَسْطُ الْمَعْدِلَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لِلْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ  
يَوْمًا ، وَاعْتِمَادُ الرِّقْقِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ الْبَأْسُ قَوْمًا ، وَلَا يُجِئُ عَلَى فَاعِلِهِ مَعَ الْحَزْمِ  
لَوْ مَا ، وَلَا يَطْرُدُ عَنْ أَرْزَمَةِ الْعَدْلِ فِي مِهَادِ الدَّعَةِ نَوْمًا ؛ وَلْيَصْرِفْ إِلَى اسْتِجْلَابِ  
الْأَمْوَالِ وَمُوَالَاةِ حَمْلِهَا هِمَّةً نَاهِضَةً ، وَعِزْمَةً إِلَى مَاقَرُبٍ وَنَائِيٍّ مِنَ الْمَصَالِحِ رَاكِضَةً ،  
وَقُوَّةً بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ آخِذَةً وَعَلَى أَعْنَةِ التَّدْيِيرِ قَابِضَةً ؛ وَفِيَا خَبَرْنَاهُ مِنْ عِزَائِمِهِ  
الْمَشْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الَّتِي مَا بَرَحَتْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مَشْهُورَةً ؛ مَا يُكْتَفَى بِهِ  
عَنِ الْوَصَايَا الْمَوْكَّدَةِ ، وَيُوثَقُ بِهِ فِيمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسَدَّدَةِ ؛ لَكِنْ تَقَوَّى اللَّهُ  
تَعَالَى أَوْلَى الْوَصَايَا وَأَوَّلَهَا ، وَأَحَقُّ مَا تُبَلِّغُ عَلَيْهِ تَفَاصِيلُهَا وَجُمْلُهَا ؛ فَلْيَقْدَمْ تَقَوَّى اللَّهُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبِجَعْلِهَا الْعُمْدَةَ فِيمَا اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ  
تَعَالَى أَعْلَاهُ .

الوظيفة الثانية - شدّ المهمات . وصاحبها يتحدّث فيما يُطلَبُ للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التثقيف" أنَّ عادته أن يكون مقدّم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشدّ المهمات بدمشق ، وهى :

الحمد لله الذى شدَّ عُرَا المصالح من الأولياء بكل ذى أيدٍ ، وكلِّ مَنْ هو فى المهمات أبطشُ بعَمُرٍ من زَيْد ، ومن له تدبيرٌ كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن حِبَالَةِ صَيْد .

(١) [وبعد] فإن أحق من أَسْتُخْلَصَ لاستخلاص الأموال ، وأَخْتِيرَ لَصُونِهَا من الاختِرال وحِفْظِهَا من الاختلال ، وأَهْلَ قَلَمِهِ وَكَلِمِهِ : هذا للتمثيل وهذا للامثال ؛ وَفُوضَ إليه التَّصَرُّفُ فى التَّغْيِيبِ والترهيب ، والأَجْتِهَادُ فى التَّمْيِيزِ والتَّحْرِيرِ والتَّوْفِيرِ إذ كلُّ مجتهدٍ مُصِيبٌ - من أشتهر بأنه ذو حَرَمٍ لا يَبْنَى ، وعَزَمٍ عن المصالح لا يَنْتَنِي ، وأَحْتِفَالٍ بالأحوال التى منها نُكْرُهُمُ لِمَنْ يَجْنِي وشُكْرُكُنْ يَجْتَنِي ؛ وله نَبَاهَةٌ يدركُ بها كلَّ إِيهَامٍ وكلَّ إِيهَامٍ ، ويَطْلُعُ [بها] على فَلَائِتِ السِّنَةِ الأَقْلَامِ ، ويفهمُ بها مقاصدَ كُلِّ مَنْ هو من الحِنَّةِ فى كلِّ وَاِدٍ يَهِيمُ ، ولا يخفى عليه جَرَأُ الجُرَّاءِ ولا حَزَاؤُ الحَزَائِمِ ؛ وفيه رَحْمَةٌ كم أَصْبَحَ بها وهو الأَنْبَى ، ولم يَأْتِ قَسَاوَةً يكون بها هو المُنْبَتُّ الذى لا أَرْضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أُنْبِىَ ؛ وكَم سَاسَ الأمورَ ودَبَّرَهَا فأحسَنَ فيها السياسةَ وأَجَمَلَ التدبيرَ ، وأَسْتَخْرَجَ [الشَّيْءَ الكثيرَ] بالتخويفِ اليسيرِ ؛ حتَّى جمع حُسْنَ تدبيرٍ وأسْرَعَ ، وصنع حَسَنًا وأَحْسَنَ صُنْعًا .

(١) زدنا هذه اللفظة لزومها واستقامة الكلام بها . فتنه .



ولما كان فلان هو لهذا الأمر الحليل المسترعى، واسمه في أول مدارج التنويه والتنويل خير مستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبة، وقد علم من أحوالهم ما هو أحرى لهم بالتجربة؛ وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بجزئيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعامة - أقتضى حسن الرأي المنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا يرح يشد عضد كل مهم من الأولياء يأنى كل عزم، ويجعل له سلطانا لا يكل مصلحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهمات بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطاً مستوعباً، وليتصب لذلك انتصاباً مترتباً؛ وليحتز منفذاً ومصرفاً، ومسيراً ومستوقفاً؛ ومتى ظهر حق يتمسك به تمسك الغريم، ولا يحاب فيه ذا بأس قوى ولا ذا منهج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجاً عن ترويح الكلاب؛ ولتكن الجول مسيره، والمتخزجات متوفره؛ وجهات الخاص مقرره، إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم سوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يحفظ أو يضاع، وبهم يترقى أو ينحط الارتفاع؛ وجهات المقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، ولتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها امتداد الأيدي المختلة ولا خطا العدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من في باب الشد من مقدمين ومن رسل يأكلون أموال الناس بالباطل، ويعيون الآجل بالعاجل؛ ويخيفون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رقاص .

هذه زبدة من الوصايا مقنعة، وعزومات غنية عن تكثير في القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

## الصنف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب فيها توافيع ، وهي على مرتبتين )

### المرتبة الأولى

( ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي بالياء» مفتتحا بـ «الحمد لله» )

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقرَّ أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكل القواعد ، وأمر مدار الحكم المنيّف ، في دولتنا القاهرة على أجمل العوائد ؛ وأمضى فصل القضاء في ممالك الشامية بيد إمام غيت فضائله عن الشواهد ، وأمنه الأئمة لأقتباس الفوائد ؛ وعدت أحكام الملة منه يُجَاهِر في الحق مجاهد ، مُسَدِّد في الدين سهم أجتهاد رمى به شاكلة الصواب عن أثبت يد وأشد ساعد .

نحمده على نعيمه التي حلت مناصب الدين في ممالك الشريفة بأكفائها ، وعلت رتب العلم في دولتنا القاهرة باستقرار من جعلته فضائله غاية اختيارها ونهاية اضطفاها ، ودلت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من اتعبت سيرته الجميلة من سهم في اتباعها وجهد في اقتنائها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال أعلامنا بها تدهر ، وأيامنا على الجهاد لتكون كرامتها هي العليا تقتصر ، وأقلامنا لنشر دعوتها في الآفاق تُسهب ولا توجز وتُطنب ولا تختصر ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلقّت عنه أحكام ملته

فَفَاقَتْ بِذَلِكَ الْأُمَّمَ وَفَضَلَتْ ، وَحَكَمَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعَتِهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ فَسَلِمُوا ، وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَذَلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا أَلْمُوا ؛ صَلَاةٌ تُوَدَّى بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَزُغْمٌ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ تَنَقَّلَ فِي رُتَبِهِ السَّنِيَّةِ ، وَوُطِدَتْ لَهُ بِمَضَرِ وَالشَّامِ قَوَاعِدُ سِيرَتِهِ السَّرِيَّةِ ؛ وَأُطْلِقَتْ جِيَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حَكَمِهِ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ مِثْلَانِي أَعْنِيَا ، وَأَنْطَقَتْ صَعَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيمَا [السنّة] أَسْتَهْتَا ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نُرُدَّهُ إِلَى أَعَزِّ الْمَالِكِ عَلَيْنَا لِنُقَرَّرَ عَيْنًا ، وَقَصَدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُتَبَتِهِ بِهَا لِنُتَوَّقِيَ بِاسْتِعَادَتِهِ دِينَهَا ؛ وَأَخْتَرْنَا أَنْ نَجِدَّ لَهُ هَذِهِ الْوُظُفَةَ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ نُزِيَهُ أَعْتَانًا بِأَمْرِ مُنْصَبِهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْأُمَمَةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَارَ الْمَضَرِّيَّةَ قَدْ أَخْتَصَتْ بِفَضَائِلِهِ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلْفَتْ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ تُرِدْ بِهِ بَدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَبَادَتْ فَوَائِدُهُ رِنَاقُ الْآفَاقِ : مِنْ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ وَأُمَّةٍ وَقْتِهِ ، وَعُلِمَتْ أَوْصَافُ الصُّدُورِ الْأَوَّيِّ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَسَمْتِهِ ؛ وَنَشَرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ مَا لَمْ يُطَوِّبْ لِنُطَوِّى إِلَيْهِ الْمَرَا حِلَ ، وَنَقَلَتْ الْأَقْلَامُ مِنْ فُنُونِهِ مَا يُرَوِّى فَيَرَوِّى بِهِ السَّمْعَ الطَّامِيَ وَيُنْخَصِبُّ بِهِ الْفِكْرَ الْمَاحِلَ ؛ وَالْفَتَى الْأَقَالِيمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا غَدَتْ بِهِ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِإِشْرَاقِهِ ، وَمُرَوِّعٍ بِفِرَاقِهِ ، فَمِنْ أَفْضِيَّةٍ مُسَدَّدَةٍ ، وَأَحْكَامٍ مُؤَيَّدَةٍ ؛ وَأَقْوَالٍ مَنَزَّهَةٍ عَنِ الْمَوْئِ ، وَأَحْوَالٍ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةٍ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَزَاهَةِ مُجْتَمَعَةِ الْقَوَى ؛ وَإِصَابَةٍ دَالَّةٍ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِجَابَةٍ فِي الْحَقِّ نَحْيًا بِهَا السُّنَنُ وَتَمُوتُ الْبِدْعُ ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ تَصَدَّعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَّعَ ؛ وَعَدْلٍ لَا يُسْتَلَانُ

جَانِبُهُ ، وَحَزْمٌ لَا يُسْتَرَلُّ صَاحِبُهُ ، وَلَا يُسْتَزَلُّ رَاكِبُهُ ؛ وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ  
الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَلِينٌ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ مَجَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَجَالِسٌ غَدَّتْ بِالْعِلْمِ  
طَيِّبَةُ الْأَرْجِ ، وَفَضَائِلُ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ؛ وَبَدَائِعَ  
تُضْرِبُ إِلَى أَسْتِمَاعِهَا أَجَادُ الْإِيلِ ، وَبَدَائِعَ تَهْرُمُ الْأَيَّامُ وَعُمْرُ شَبَابِهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العاشر - أدام الله نعمته - هو الذي وردَ على أبوابنا العالية ونور  
ولائه يسعى بين يديه ، وصدر الآن عنها وحلُّ آلائنا تَضْفُو عَلَيْهِ ؛ وَأَقَامَ فِي خِدْمَتِنَا  
الشريفة معْدُودًا فِي أَكْرَمِ مَنْ بِهَا قَطَنَ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ مَجْمُوعًا لَهُ بَيْنَ مُضَاعَفَةِ النِّعَمِ  
وَالْعَوْدِ إِلَى الْوَطَنِ . وَهُوَ الَّذِي تَحْتَالُ بِهِ الْمَنَاقِبُ ، وَتَحْتَارُ فَضْلُهُ الْعَوَاقِبُ ؛ وَيُشْرُقُ  
قَلَمُهُ بِالْفَتَاوَى إِشْرَاقَ النَّهَارِ ، وَتُغْدِقُ مَنَافِعُهُ إِغْدَاقَ الشَّجْبِ بِالْأَمْطَارِ ، وَتُحَدِّقُ  
الطَّلِبَةُ بِهِ إِحْدَاقَ الْكِبَامَةِ بِالْثَمَرِ وَالْهَالَاتِ بِالْأَقْفَارِ ؛ وَهُوَ شَافِي عَنِ كُلِّ شَافِيٍّ ،  
وَدَوَاءُ أَلَمِ كُلِّ أَلْمَعِيٍّ ؛ طَالَمَا جَانَبَ جَنْبُهُ الْمُضَاجِعَ سُهَادًا ، وَقَطَعَ اللَّيْلَ ثُمَّ أَسْتَمَدَهُ  
لَمَدَدِ فِتَاوِيهِ مِدَادًا ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ نَظْرًا وَتَقْلِيدًا ، وَالْمَذْهَبَيْنِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَدِيمًا  
وَجَدِيدًا ؛ وَسَلَكَ جَمِيعَ الطَّرِيقِ إِلَى مَذْهَبِ إِمَامِهِ . وَمَلَكَ حِسَانَهَا فَاسْفَرَلَهُ كُلُّ وَجْهِ  
تَغَطَّى مِنْ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ بِلِثَامِهِ ؛ وَأَنْفَتَحَتْ بِفَهْمِهِ لِلتَّصَانِيفِ أَبْوَابٌ شَغَلَتْ  
«الْقَفَالَ» أَقْفَالُهَا ، وَنَفَحَتْ [لَهُ] نَفَحَاتُ مَا «لِلْمَاورِدِ» مِثْلُهَا ، وَمُنَحَتْ حُلَلًا يَفْخَرُ  
«الْغَزَالِيُّ» إِذَا تُسِجَ عَلَى مِثْوَالِهِ سِرْبَالُهَا ؛ فَلَوْ أَدْرَكَ «الرَّافِعِيُّ» لَشَرَحَ «الْوَحِيدَ» مِنْ  
لَفْظِهِ ، وَأَمْلَى أَحْكَامَ الْمَذَاهِبِ مِنْ حِفْظِهِ ؛ وَصَدَّرَ الْمَسَائِلَ بِأَقْوَالِهِ ، وَأَعَدَّ لِكُلِّ  
سُؤَالٍ وَارِدٍ حُجَّةً مِنْ بَحْثِهِ وَبُرْهَانًا مِنْ جِدَالِهِ ؛ فَلَهُ فِي الْعِلْمِ الْمُرْتَقَى الَّذِي لَا يُدْرَكُ ،  
وَالْمُنْتَهَى الَّذِي لَا يُنَازَعُ فِي تَقَرُّدِهِ وَلَا يُشْرَكُ ، وَالْغَايَةُ الَّتِي أَحْرَزَهَا دُونَ غَيْرِهِ فَلَوْلَا  
الْمَشَقَّةُ لَمْ تُتْرَكْ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ يَهْدِي الرِّبْتَ مَلِكِيًّا ، وَبِمَا عُدِقَ بِذِمَّتِهِ مِنْ أَحْكَامِهَا

وَفِيَّاءَ، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أَحْوَالِهَا قَائِمًا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا مِنْ حِينَ مَنَحَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَآتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرَحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَىٰ فَيُجِيبُهَا، وَيَتْرَكَ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَزْرِيبًا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ جَحَرَ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عَلَيْهِ عِيُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْئَانٍ فَضْلَهُ فُنُونًا، وَكَانَ لَهَا خَيْرَ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَسَاقِيهَا، وَأَكْرَمَ نَزِيلٍ نَوَىٰ بِالْوُصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَاهَا، وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدِهِمْ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبَهُمْ وَشَاهَدَهُمْ، وَعَدَّوْهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقْبُولَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْتَدَوْا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَدَمَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَفَدَ إِلَيْهَا بِحُسْنِ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ اللَّتَيْنِ مَا وَفَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا، فَوَإِنَّا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالْهَوَىٰ، وَلَا يُنَوَىٰ فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرَ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ « وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَىٰ » ؛ وَهُوَ - بِمَجْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْصِبِ خَيْرًا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ بَصِيرًا، وَبِإِجْرَائِهَا عَلَى أَكْمَلِ السَّنَنِ وَأَوْضَحِ السَّنَنِ جَدِيرًا، وَبِإِمضاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِيجَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ؛ مَعَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ فَضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالتَّحَلُّى بِالْوَرَعِ الْمَتِينِ، وَالتَّخَلُّى لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَتَصَفَّ بِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِ النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمِ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَأَلَمَ الْجَهْلُ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُتَمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنْ يَقُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْقَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرُ الْأَوْقَافِ بِدَمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالُهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَمَا هُوَ مُضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِيسِ وَالتَّصْدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنُهَا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنُهَا ؛ وَفِي الْعَدْلِ  
 أَنْيَسَاطُهَا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاذَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتُهَا وَأَحْتِيَاطُهَا ؛ وَلِيَمِضْ  
 عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافَهَا ، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتَّصَافَهَا ؛ وَحَلَّى الْعَدْلُ  
 مَقَاحِرَهَا ، وَأَحْيَا التَّقَى مَا ثَرَهَا ؛ وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامَهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ  
 هُدَايَا هُدَايَا مَا تُشْخَفُ بِهِ حُكَّامُهَا ، وَفِيمَا نُعِتَ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُبْنَى عَنْ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةِ ،  
 وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةِ ؛ لَكِنِ الذِّكْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ  
 مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْدِينِ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلْيَرْحُكْهَا هُوَ الْحُكْمُ الْمَتَّبِعَ  
 وَأَمْرُهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُطَاعَ ؛ وَالْاعْتَادَ ..... رَابِعَ عَشَرَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ  
 خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

قُلْتُ : وَلَمْ أَتَفَ عَلَى تَفْوِيضِ لِقَاضٍ مِنْ كِتَابَةِ مَنْ تَقَدَّمَ سِوَى تَفْوِيضِ وَاحِدٍ ،  
 مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، كَتَبَهُ لِقَاضِي الْقَضَاةِ « شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ  
 عَبْدِ اللَّهِ » بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ . وَهَذِهِ نَسِخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِهِ ، وَالتَّنَسُّكِ بِذَرَائِعِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِتَأْيِيدِ أَحْكَامِ  
 شَارِعِهِ ، وَالتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى دِينٍ يُقَطَّعُ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ أَعْنَاقُ مَطَامِعِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَأْخُذُ مِنَ الْخَيْرِ بِجَمَامِعِهِ ، وَيُضَاهِي الْغَامَ فِي عُمُومِ مَنَافِعِهِ ، وَيُيَاهِي  
 السِّيفَ بِقَلَمِ الشَّرْعِ فِي قَهْرِ عَاصِيِهِ وَحِمَايَةِ طَائِعِهِ . وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوَدَّى لِلْإِيمَانِ أَمَانَةً وَدَائِعِهِ ، وَتَهْدِي إِلَى صِيَانَةِ مَشَارِعِهِ ، وَتَقِيمُ  
 مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّ شَهَابٍ تُقْسِمُ الْأَنْوَارُ بِلَوَائِعِهِ ، وَتُقْسِمُ الْأَبْصَارُ بِبِدَائِعِهِ ، وَتَجُولُ  
 الْفَنَائِيُّ فِي صَدْرِهِ الْفَسِيحِ وَتَجُولُ فِي شَوَارِعِهِ ، وَتُرْهِفُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلِّ قَلَمٍ  
 يَدُلُّ السَّهْمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ ، وَيُبْنِي الرُّوحَ مِنْ مَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاضِعِهِ ، وَيَسْتَرِي

عَمَّاهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاقِعِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِعِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ  
وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَاعَتِهِ ، وَأَصْعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمَلَّةَ بِمَا  
أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صَنَائِعِهِ وَيُمِّنَ طَلَائِعِهِ ، وَمِنْ شَرِيعَتِهِ الَّتِي أَمِنَ حَبْلُهَا الْمُدُودُ  
مِنْ جَذْبِ قَاطِعِهِ ، وَكُفِيَ شَرَّ قَاطِعِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً [تَتَوَالَى  
إِلَيْهِ تَوَالِي] الْعَذْبِ إِلَى مَنَائِعِهِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَقَامَنَا لِحَايَةِ شَرِّهِ الشَّرِيفَ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَاهُ ، أَوْ يُبَاحَ لِأَحَدٍ  
مِنْ حُكَّامِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي سُخْطِهِ أَوْ رِضَاهُ ، أَوْ يُحْدِثَ فِي أَمْرِهِ  
مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جَعَلْنَا] نُجِدُّ عَلَى إِقَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطَمَسَ ،  
وِإِدَامَةِ مَبَازِهِ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخْسَ ، أَسْتَدَامَةً لِنَأْيَسَ حُكَّامِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ،  
لَأَنَّهُ سَحَابٌ أَنْوَاءٍ يَغْمُ الرِّبْعُ رُبُوعَهَا ، وَمِشْكَاةُ أَنْوَارٍ يُكَاثِرُ الصَّبَاحَ لُمُوعَهَا ، وَأَفَاقِي  
وِقَاقٍ تُنِيمُ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعُهَا ، وَشَجَرَةُ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ زَكَّتْ أَصُولُهَا وَنَمَتْ فُرُوعُهَا ،  
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْسِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ،  
لِنَمْنَعَ الْحَنَّ أَنْ تُسَامَ ، وَبُرُوقَ الْفَنِّ أَنْ تُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفَتَوَى أَنْ تَتَرَنَّ إِلَّا بِشَامَةِ  
الشَّامِ ، غِبْطَةً بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَأَشْرَفُ وَأَنْبَى ، وَأَعْظَمُ  
بَلَدٍ تَنْشَعِبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوُدُّ الْحَجْرَةَ لَوْ قَمَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسَقًا . تَتَرَاخَمُ  
فِي مَرْكَبِهَا الْأَعْلَامُ ، وَتَنْصَافِرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْجِلَادِ وَالْجِدَالِ تَارَةً بِالسِّيُوفِ  
وَتَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرْمِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلَامِ ، وَمَدَدُهُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى  
مِشَارِعِهَا حَنْوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْقَطِيمِ ، وَتَنْبَتُ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمَنُ مَعَهَا الْغَوَانِي حَتَّى  
تَلْمُسَ «جَانِبَ الْعِقْدِ الْعَظِيمِ» ، وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ تَعَاقِبِ

فيها كواكبهم ، وَتَتَنَاقَبُ سَحَابُهُمْ ؛ وَتَتَنَاهَى إِلَى حَكْمِهَا الْعَزِيزُ الشَّكُورُ ، وَتَتَفَصَّلُ بِحَكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوَى ، وَتَمْتَدُّ جَنَاحُ طَيْلَسَانِهِ عَلَى رَضْوَى ، وَيُخَلِّقُ الْبَرْقُ وَرَاءَ فَهْمِهِ وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ الْقُصْوَى ؛ وَيَطْوُلُ قَلَمُهُ عَلَى السَّيْفِ الْمُشَهَّرِ ، وَيُرْفِزُ سِجْلُهُ عَلَى الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ؛ كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُذُورٌ ، وَكَمْ حُدَّتْ مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةُ اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ؛ كَمْ آدَاءُ دَرَسَ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ آدَبُ نَفْسٍ شِكْرٌ ؛ كَمْ بِهِمْ مَجْدٌ رَسَخَ ، وَجَدُّ مِلَّةٍ مَمْلَأَةٌ نَسَخَ ؛ كَمْ أَفْضِيَّةٌ لَهُمْ بِالْحَقِّ وَصَلَتْ ، وَقَضِيَّةٌ لِلْحَقِّ فَصَلَتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلَبِهِمُ الْإِلَاقُ حَصَلَتْ ؛ كَمْ سِجْلٌ صَاحِبُ هَذَا الْمَنْصِبِ حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورُ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِهِ الْحَافِلَةُ عَلَى مِثَرِ الدُّهُورِ ؛ بِشَرَفٍ مُدْرَسٍ عِلْمٌ يُطْلَعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَلَسَّكَ حِلْمٌ يَبْدُو بَدْرُهُ التَّمَامُ خَلْفَ سَحَابِهِ ؛ وَمَجْلِسُ إِفَادَةٍ ، آتَعِدُ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَمَحْفِلُ سَادَةٍ ، كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَةُ عَقْدِ الْاجْتِمَاعِ .

[ولما] تَزَلَّزَتْ قَدَمُ مَنَارِهِ ، وَأَتَتْكَ حِجَابُ ضَمَائِرِهِ ؛ وَأَسْتَرَلَهُ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ الْمَتِينِ ، وَأَضْلَهُ عَلَى عَالَمِهِ الْمُبِينِ ؛ وَسَبَقَ الْقَلَمُ الشَّرْعِيَّ ، بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، وَمَضَى الْحُكْمُ الْقَطْعِيَّ ، بِمَا هُوَ مِنْ تَصَرُّفِهِ بَاطِنٌ - تَرَدَّدَ الْإِخْتِيَارُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تُحَلَّى جِيدُهُ بِتَقْلِيدِهَا ، وَتُوَهَّلُ بِرَاعَتِهِ لَتَسْلِيمِ مَقَالِيدِهَا ؛ وَصَوَّبْنَا صَوَابَ النَّظَرِ فِيهَا مِصْرًا وَشَامًا ، وَأَسْتَشْرَفْنَا أَعْلَامًا ، وَتَبَيَّنَّا لِأَقْوَى مَا يَكُونُ [لَهَا] قَوَامًا ، وَأَبْتَكْرْنَا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا مَنْ كَانَ لِحُلَّةِ الْمَجْدِ طَرَازًا ، وَيَزِيدُ الْعَمَلَ إِلَيْهِ اعْتِرَاءً وَالْعِلْمَ بِهِ اعْتِرَازًا ؛ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيُنَا الْعَالِي عَلَى مَنْ لَا يَنْبَغُكَ دُوقِدَمٌ وَلَا قَدَمٌ وَلَا قَلَمٌ ، أَنَّهُ السَّابِقُ ؛ وَلَا يَحْجُدُ رَبُّ عِلْمٍ وَلَا عَمَلٌ وَلَا عِلْمٌ ، أَنَّهُ الْبَاسِقُ . وَلَا يُسَكُّ أَنَّ مِنْ فَوَائِدِهِ يُسْتَمَدُّ الْمَطَرُ وَمِنْ تَوْقُدِ ذَهْنِهِ يُقَدِّحُ زِنَادُ الْبَارِقِ ، وَلَا يَرْتَابُ الْبَحْرُ أَنْ فَوَائِدِهِ مَا يَطْوِقُ الْعُنُقَ وَيُسْنِفُ الْأُذُنَ وَيَتَوَجُّ الْمَفَارِقُ ؛ وَلَا يُمَارَى فِي فَضْلِهِ الَّذِي لَوْ طُلِبَ لَهُ مِثْلٌ لَمْ يُصَبْ ، وَلَوْ أَدْعَى الْكَوْكَبُ السَّارَى أَنَّهُ لَهُ شَيْبَةٌ لَمَسَهُ النَّصَبُ ، أَوْ تَلَفَّتْ أَعْنَاقُ الْقَنَا إِلَى قَلَمِهِ لَا يَقْنَتَ أَنَّهَا كُلٌّ عَلَى الْقُضْبِ ؛



وهو الذى أفتى عُمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطلّب لصالح العمل وإن تَغَالَى ؛ وبِقِيَّةِ قَوْمٍ ما جدّ منهم مثله ما جدّ ، ولا جادتْ يدُ كريمٍ منهم تمتدّ بما هو جائدٌ ؛ ودرجَ أقرانه إلى الله وخُلّ دونهم شرعا لا يردّ واردا ، وخُفّ بعدهم سَهْمًا فى الكفانة وإحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تَحْتَلُّ به المناقب ، وتَحْتَارُ فضائله العواقب ؛ ويُشْرِقُ بَقَلَمِهِ الفتاوى إشرقا النهار ، وتُغْدِقُ مَنَافِعُهُ إغداق السُّحْبِ بالأمطار ، وتُحْدِقُ به الطلّبة إحداق الحكمة بالثمر والهالات بالأقمار ؛ وهو شافى عيِّ كُلِّ شافعيٍّ ، ودواء ألم كُلِّ ألمعيٍّ ؛ طالما جانبَ جنبه المضاجع سُهادا ، وقَطَعَ الليلَ ثم استمده لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ، والمُذهِبَيْنِ من القولين قديما وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ، وملك حسانها فأسفرله [ كل ] وجه تغطى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وانْفَتَحَتْ [ بفهمه ] للتصانيف أبواب شغلت « القفال » أبقالها ، ونَفَحَتْ له نَفَحَاتُ ما « لآوردى » مثالها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سجالها ، ومنحت حلالا يَفْخَرُ « الغزالي » إذا نُسِجَ على منواله سر بالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يحدد ملايس فضله ، ويقلد كل عمل لصالح أهله - أن يفوض إليه قضاء الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجنودها وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المُضَافَةِ إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يؤلّى ذلك ولايةً صحيحةً شرعيةً ؛ على عادة من تقدّمه وقاعدته المرعية ؛ مع ما هو مضاف إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تقويضا لا يُنَافِسه فيه مُنافِسٌ ، ولا يحالسه فى درسه إلا من ارتضى من النجوم ان يجالس ؛ وأذنا له أن يستنيب عنه من

لَا يَجْبُلُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَنَا بِاسْتِنَابَتِهِ ، وَلَا يُدَاخِلُهُ ظَنٌّ فِي خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى اللَّهِ فِي نِيَابَتِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَدُ أَعْمَالَهُمْ ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ : فَمَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ نِقَاتَهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ أَقْرَهُ ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَائِمُهُ ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعَوُّدُ الْأَلِئِمَّةِ ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عَيَانًا ، وَإِنَّمَا وَصِفْتَ لَنَا حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ وَسَمِعْتَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ ؛ فَشَيْدَ مَنْ شَيْدَ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا ، وَأَعْلَى ذِكْرُهُمْ لِمَجْدِكَ بِنَايَا ، وَجَعَلَ لَكَ قَدْرَهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا ؛ وَأَقِيمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرُوفِهِمْ وَجَازِهِمْ عَنْ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا ، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخُلُوقِ شَيْخًا : فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِهَا ؛ فَإِنْ قُمْتَ بِهَا كَأَنَّ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ اشْتِرَاكٌ ، وَإِنْ أَضَعْتَ حَقُوقَهَا فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا أَخْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَلَدْنَاكَ ، وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أُولَيْنَاكَ وَمَا وَلَّيْنَاكَ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعْلَمُهُ سَوَاءً رَضِيَ فَلَانٌ أَوْ سَخِطَ فَلَانٌ ؛ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ ، وَإِمْضَاءُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ وَإِنَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، وَقَمْعِ الْبِدْعِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَمَثَلُكَ مِنْ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرُعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ؛ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَتَّبِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُلَهُ ، أَوْ «تَتَّبِعَ» عَنْ خُلُقِي وَتَنَاقِي مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مائة مساكين ، وجادة الشاكرين ، ففرقها على أهلها ،  
وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها ؛ ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لأكلها ،  
فلو أراد واقفوها - رحيمهم الله - أنها تبقى مخزونة ، لماسمحوا ببذلها ، وبقية الأوقاف  
شارف في أمورها ، وشارك الواقفين - رحيمهم الله - في أجورها ؛ وخص الأسارى -  
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال  
التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمراهق ومن لم يملك رشد ، أو من  
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده ؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره من  
ينفعه ، ولكن الله يعرفه وفي أعماله يرفعه ؛ فاجتهد أن تكون فيهم آبا برا ، وأن  
تتخذ فيهم عند الله أجرا ، وأن تعامل في نيك بمثل ماعاملتهم إذا أنقلبت إلى الدار  
الأخرى ، وأحفظ أموالهم أن تلحقها أجرة العمال ، وترجع في قراضها إلى مايحجف  
برئوس الأموال ؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صحائفها المعروضة ، وأحذر  
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة ورهن مقبوضه .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك ، ووداعة لحظك ، فلا تول كل جهة إلا من  
هو جامع لشرطها ، قائم بموازين قسطها .

والشهود هم شهداء الحق ، وأمناء الخلق ؛ وعلى شهاداتهم تُبنى الأحكام ، فإياك  
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام ؛ ومنهم من يشهد في قيمة المثل  
ويتعين أن يكون من أهل البلد المثل ، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو وسعة  
ممول ؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب ، وما  
تمهل إشفافا لأختلاط الأنسال والأنساب ؛ يقبل بالتعريف مايجلو من الموانع

الشرعية مَنْ كان، ولا يُحْسِنُ في تزويجه يُمَسِّكُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ ولا يُسَرِّحُ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ؛ وهؤلاء مَقَاسِدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، والبلاء بهم أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَرَ أَوْ يُسْتَقْصَى؛ فَاعْتَبِرْ أحوالَهُمْ أَعْتَابًا جَلِيًّا، وَفَكِّرْ في آسْتِدْرَاكِ فَارِطِهِمْ فَكْرًا مَلِيًّا؛ وَمَنْ لم يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِينِ مَا يُوضِّحُ لَهُ الْمُشْتَبَهَاتِ، فَإِيَّاكَ وَتَرْكَهُ قُرْبٌ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ يَطَأُ وَطَأً حَلَالًا وَقَدْ أَوْقَعَهُ هَذَا وَمِثْلُهُ فِي وَطْءِ الشُّبُهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمُدُ إِلَى التَّحْلِيلِ، وَيَرْتَكِبُ مِنْهُ مَحْدُورًا غَيْرَ قَلِيلٍ؛ وَهُوَ بَعِيْنُهُ نِكَاحُ الْمُتَعَةِ الَّذِي كَانَ آخِرَ الْأُمَرَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَذِّرًا مِنْهُ؛ فَاحْصِمِ هَذِهِ الْمَادَّةَ الرَّدِّيَّةَ الَّتِي تُؤْلَمُ عَضْوًا فَيَسْرَى إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ أَلْمَهَا، وَيَتَّقَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الذَّرَارِيِّ الْمَوْلُودَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْكَحَةِ الْفَاسِدَةِ ثَلَمُهَا.

وَالرُّسُلُ وَالْوُكَلَاءُ بِمَجْلِسِ الْحُكْمِ الْغَزِيْزِ وَمَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَمَا نَزَلَ فِي أُمُورٍ مَا يَرِيدُونَ بِهَا تَقْلِيدَ حُكْمِكَ بَلْ مَا يَقْضُونَ بِهِ الْأَوْقَاتِ؛ فَلَا تَدْعُ مَنْ تَرِيدُ مِنْهُمْ إِلَّا كُلَّ مَشْغُورٍ الطَّرِيقِ، مَشْهُورٍ الْقِصَّةِ بَيْنَ الْخَصُومِ بِطَلَبِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَكَاتِبُ هِيَ سَهَامُكَ النَّافِذَةُ، وَأَحْكَامُكَ الْمُوَاخِذَةُ؛ فَسَدِّدْ مَرَامِيهَا، وَلَا تُرْدِفْهَا مَا عَرَضَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ حَتَّى لَا يَسْرَعَ الدَّخُولُ فِيهَا؛ وَالْمَحَاضِرُ هِيَ مَحَلُّ التَّقْوَى، فَاجْتَهِدْ فِيهَا أَجْتِهَادًا لَا تَدْرُ مَعَهُ وَلَا تُتْبِعِ.

وَأَمَّا قَضَايَا الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْكَ فِي شَكَاوِيهِمْ، وَالْمُحَاكِمِينَ فِي دَعَاوِيهِمْ، فَانْتَهِمْ خَيْرًا، وَلَمْ تَأْقِدْ بِصِيرٍ؛ فَإِذَا اتَّوَكَّلْتَ لَتَكْشِفَ بِحُكْمِهِمْ لَأَوَاءَهُمْ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛ وَقَدْ فَهَّمَكَ اللَّهُ فِي دِينِهِ، وَأَوْرَدَكَ مِنْ مَوَارِدِ يَقِينِهِ، مَا جَعَلَهُ لَكَ

أُورًا، وَجَلَّاهَ لَكَ سُهُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا ،  
فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِمَاعِ  
أَصْحَابِهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ شُورَى ؛ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ ، فَأَعْمَلَ بِمَقْتَضَاهُ ،  
وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرَتْضَاكَ لَخَلْقِهِ فاعمل على رِضَاهُ .

وَالْأُئِمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ ، وَلِسَانُكَ  
فِي الْحَفْلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشَّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَرْكُهُمْ مَنَازِلَهُمُ الَّتِي أَحْلَاهُمْ  
اللَّهُ فِي شُرَفَاتِهَا ، وَبَوَاهُمْ رَفِيعَ غُرَفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفَ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ  
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءٍ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَحْبَابُوهُ  
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظُمَ حَيَاتُهُمْ ، وَجَانِبَ مُحَابَاتِهِمْ ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ آخَتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا مَنْ  
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَبِيبًا يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ  
مِنَ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلَبَةِ فَإِنَّ الْكِرَامَ لَا يَمَحِقُهُ الْإِهْتِمَاسُ ،  
وَالْمَصْبَاحَ لَا يَفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْإِقْتِبَاسِ ، وَالْغَامَ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طَوْلُ  
الْإِحْتِبَاسِ ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُو عَنْ الْوُرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٌ ، وَبَارِقَةٌ لَامِعَةٌ ؛ وَمِنْكَ يُسْتَفَادُ بَسَاطَةُ  
الْقَوْلِ ، وَانْبِسَاطُ الطَّوْلِ ؛ وَلِهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ ، وَيُحْصِي  
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِكَ ؛ حَتَّى تَجِدَ فَلَا يَخْلُفُ بِكَ السَّيْرُ ، وَتُسْتَعِدَّ لِيُخْتَمَ لَكَ  
بِخَاتَمَةِ الْخَيْرِ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأته بدمشق للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شيد أحكام الشرع الشريف وزاد حكمه في أيامنا شرفا ، ورفع منار العلم على كل منار وبوأ أهله من جنات إحساننا غرفا ، وأباح دم من ألد فيه عنادا أو وجه إليه طعنا ، وأوجب الانقياد إليه بقوله تعالى : (( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا )) ؛ وألهم الصواب في اختيار من لم يزل لهذه الرتبة معدا ومن رجاها معدودا ، وصرف وجه إقبالنا إلى من آرتضيناه للمسلمين حاكما فأصبح بنظرنا مسعودا .

نحمده حمد من أعتنى بالقيام بشرائع الإسلام وتعظيم شعائره ، ونصح للرعية فيمن ولّاه عليهم وأعطى منصب الشرع حقه بتقديم أكابرهم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقضى لصاحبها بالنجاة من النار ، ويسجل لقاءها بالثبوت في ديوان الأبرار ؛ وأن مجدا عبده ورسوله الذي شرط الإيمان بالرضا بحكمه وأوجب طاعته أمرا ونهيا واستجابة وتحكما ، فقال تعالى : (( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا )) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نحن بسيرهم مهتدون ، وبآثارهم مقتدون ، وعلى آله وصحبه الغر الكرام الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ؛ صلاة لا يختلف في فضلها آثنان ، ولا يتنازع في قبولها خصمان ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكمه في الوري أرفع المناصب ؛ إليه تنتهي المخاصمات في فصلها ثم لا تعدوه ، ويحكم فيه على

الخصم فيُدْعَنُ لِحُكْمِهِ ثم لَا يَسْنُوهُ ؛ بل يَتَفَرَّقُ الْخَصْمَانِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا قُضِيَ لَهُ وَعَلَيْهِ رَاضٍ ، وَيَقُولُ الْمُتَمَرِّدُ الْجَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قَدْ رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فَاقْضِ فِيَّ مَا أَنْتَ قَاضٍ ؛ وَنَاهِيكَ بِرُتْبَةٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُتَصَدِّى الْقِيَامَ بِوَاجِبِهَا ، وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مُحَافِظِينَ عَلَى أَدَاءِ رَوَاتِبِهَا ؛ ثُمَّ اخْتَصَّ بِهَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَلِيقَةِ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ فَهَمُ أَهْلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ إِذْ لَا يُؤْهَلُ لِهَذِهِ الرُّتْبَةِ إِلَّا مَنْ ارْتَقَى إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، وَاتَّصَفَ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ وَاحْتَوَى عَلَى أَنْفَسِ الْخِصَالِ ؛ وَتَضَلَّعَ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِمَا يُرْوَاهُ ، وَفَاقَ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ بِمَا يَبْحَثُهُ وَيُرْوَاهُ .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْفُلَانِيّ : هُوَ عَيْنَ هَذِهِ الْقِلَادَةِ وَوَاسِطَةِ عِقْدِهَا ؛ وَقُطْبَ دَائِرَتِهَا وَمِلَاكَ حُلَّتِهَا وَعَقْدِهَا ؛ إِذْ هُوَ «شُرَيْحُ» الزَّمَانِ ذِكْرًا ، وَ«أَبُو حَامِدٍ» سِيرَةً وَ«أَبُو الطَّيِّبِ» نَشْرًا ؛ لِأَجَرَمَ أَلْبَسَتْهُ أَيَّامُنَا الزَّاهِرَةُ مِنَ الْحُكْمِ ثَوْبًا جَدِيدًا ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ إِنْعَامُنَا نَحْلَةً نَعِيقُهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَزِيدًا .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةَ بِمَنَاصِرَتِهِ فِي أَعْزِّ صَوَانٍ ، وَحُكَّامُهَا بِمَعَاذَتِهِ فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ وَأَرْفَعِ مَكَانٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ ... ..

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مَبَاشَرَةً مِثْلَهُ لِمِثْلِهَا ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَحْكَامِهَا فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَالْخَبِيرُ بِمَسَالِكِ وَعَرِهَا وَسَهْلِهَا ؛ فَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يُسَاوَى ، وَالْإِمَامُ الَّذِي يَقْتَدَى بِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْفَتَاوَى ؛ فَعَلَيْهِ بِالتَّنَاقُصِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَالتَّثَبُّتِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنَ النَّقِصِ وَالْإِبْرَامِ ؛ وَلْيَسْتَظِرَّ فِي الْأَمْرِ قَبْلَ الْحُكْمِ الْمَرَّةَ ثُمَّ الْأُخْرَى ، وَيُكَرِّرِ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ وَلَوْ أَقَامَ شَهْرًا ؛ وَيُرَاجِعْ أَهْلَ الْعِلْمِ فِيمَا وَقَفَ عَلَيْهِ وَيُسَاوِرْهُمْ فَمَا نَدِمَ مِنْ أَسْتِشَارٍ ، وَيَقْدِمَ أَسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ أُمُورِهِ فَمَا خَابَ مِنْ أَسْتِخَارٍ ؛ وَلْيَسْذُرْ

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أتى توجهه ويقتفى أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على ابنه وأبيه ، وأعزَّ أصدقائه وأخصَّ ذويه ؛ غير مُفترق في فصل القضاء بين القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا مُميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليسويين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى وردَّ الأجوبة فيما لهم وعليهم ؛ وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، وجمدت عنده طريقته ؛ ويوص كلاً منهم بما نوصيه به ويبلغ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كُلُّكُمْ رَايَ وَكَلَّمَكُم مَّسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . ولِئَمَنِ النَّظَرُ فِي أَمْرِ الشُّهُودِ الَّذِينَ تَرْتَبُ عَلَى شَهَادَتِهِمْ أُمُورُ الدُّنْيَا وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَتَقْفَدُ أَمْرَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَلَا يَفْعَلُ عَنْهُمْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ وَيَحْمِلُهُمْ مِنَ الطَّرَائِقِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ ، وَأَحْقُّهُمْ بِإِمْعَانِ النَّظَرِ شُهُودُ الْقِيَمَةِ وَالْعَائِرِ ، الَّذِينَ يَقْطَعُ بِقَوْلِهِمْ فِي أَمْلَاكِ الْإِيْتَامِ وَالْأَوْقَافِ مَا تَنْفِرُ عَنْهُ الْقُلُوبُ وَتَنْبُو عَنْهُ الصَّمَاةُ .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فضَّل عنهم الشُّرْبَاعُوهُ ، وَاسْتَحْفِظُوا الْوَدَّ فَلَمْ يَرَعُوا حَقَّهُ وَأَضَاعُوهُ ؛ فَهُمْ آفَةُ أَبْوَابِ الْقَضَاةِ بِلَا نِزَاعٍ ، كَيْفَ وَهُمْ الضُّبَاعُ الضَّارِيَّةُ وَالذَّنَابُ الْجِيَاعُ . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يُحَسِّنُ النَّظَرَ فِي وَجْهِهِ مَصَارِفَهَا ، مَعَ حِفْظِ أَجْوَالِهَا الَّذِي هُوَ أَغْيَا مُرَادٍ وَاقِفَهَا .

وأهل العلم أبناءُ جنسه الذين فيهم نساءٌ ومنهم نَجَمٌ ، وَجُنْدُهُ الَّذِينَ يَقْصِدُونَهُ بِالْفَتَاوَى فِيمَا قَضَى وَحَكَمَ ؛ فَلْيُوفِّرْ لَهُمُ الْإِحْسَانَ ، وَيَصْنَعْ مَعَهُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يَبْقَى ذَكَرَهُ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ ؛ وَمِثْلُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ الْوَصَايَا ، وَثَوَقًا بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ



بِالأحكام والمعرفة بالقضايا ؛ لَكِنْ عَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ يَكُنْ لَهُ مِمَّا يَتَّبِعُهُ  
ظَهيراً ، وَيَسْتَرْشِدُهُ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ لَدُنْهُ هَادِياً وَنَصِيراً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَبْلُغُ وَائِقَ أَمَلِهِ مِنْ كَرَمِنَا مَرَاماً ، وَيُوطِّئُ لَهُ الْمِهَادَ بِنَيْلِهِ حَسَنَتٍ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً .  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين  
محمود الحلبي تَعَمَّده الله بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله جاعل المذاهب الشرعية في أيماننا الشريفة زاهيةً بأركانها الأربع ،  
مستقرةً على النظام الذي غدت به قواعد الحجّة محكمةً ومواقع الرحمة متباعدةً ، فإذا خلا  
رُكْنٌ مِنْ مُبَاشَرَةٍ أَقْبَنَا مِنْ تَكُونِ الْقُلُوبِ عَلَى أَوْلَوِيَّتِهِ مُجْتَمِعَةً ، وَأَنْتَقِينَا لَهُ مِنَ الْإِتْقَاءِ  
مَنْ تَعُدُّوهُ الْأُتَمَّةُ حَيْثُ كَانَتْ مُتَفِعَةً ، وَأَسْتَدْعِينَا إِلَيْهِ مَنْ تَعُدُّوهُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ  
لَنَا بِتَفْوِيزِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ مُرْتَفِعَةً ؛ الَّذِي خَصَّ مَذْهَبَ « إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ »  
بِكُلِّ إِمَامٍ هَجَرَ فِي التَّبَحُّرِ فِيهِ دَوَاعِيَ السُّكُونِ وَبَوَاعِثِ الدَّعَاةِ ، وَجَمَلَ مَنْصَبَ حُكْمِهِ  
بِمَنْ كَمَلَ بَعْلُومُ الدِّينِ نَفَرُهُ إِذَا حُكِمَ غَدَتِ الْأَقْضِيَةُ لِحُكْمِهِ مُنْفَذَةً وَإِذَا قَضِيَ أَصَحَّتِ  
الْأَحْكَامُ لِأَقْضِيَّتِهِ مُتَّبِعَةً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ لَدَيْنَا كَالْأَسْتَفْهَامِ الَّذِي لَهُ  
صَدْرُ الْكَلَامِ ، وَبِمَثَابَةِ النِّيَّةِ الْمَقْدَمَةِ حَتَّى [عَلَى] تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَثْبَتَ الْإِخْلَاصَ حُكْمَهَا ، وَأَحْكَمَ الْإِيمَانَ عِلْمَهَا ،  
وَأَبْقَى الْيَقِينَ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ وَالْوُجُودِ وَسَمَّاهَا الْمَشْرِقَ وَأَسَمَّاهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ فِي الْإِقْرَارِ بِفَضْلِهِ ، وَأَرْسَلَهُ بِالْهُدَى

وَيَنِ الْحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّهُ بِالْكَتَابِ الَّذِي أَنْحَسَ الْأَثَمَ عَنْ مُجَارَاتِهِ  
فَلَوْ (أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَأَوْصَحُوا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ  
بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أَمْنَهُ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعُ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مِنْبَتُهُ ، وَأَنْوَاءُ الْإِيْقَانِ  
لِأَوَامِهَا مُقْلَتُهُ<sup>(١)</sup> ؛ وَسَلَمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعيةُ تتوقفُ على ملاحظةِ قضاءِ قضائياتِها  
في غالبِ الأمور ، وتستندُ إلى مُراجعةِ أصولِ حُكَّامِها في أكثرِ مصالحِ الجمهورِ ،  
لم يكنْ بُدٌّ من مُرَاعَاةِ أَصُولِهَا الَّتِي إِنَّمَا تُتَوَبُّ الْفُرُوعُ عَنْهَا ، وَتَدْبِرُ أحوالِ أَحْكَامِ  
حُكَّامِهَا الَّتِي تَنْشَأُ أَقْضِيَةُ النَّوَابِ مِنْهَا ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا أَصْبَحَ مَنْصِبُ قِضَاءِ الْقِضَاةِ عَلَى  
مَذْهَبِ الْإِمَامِ «مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ لَضَعْفِ مُبَاشَرِهِ  
الْمُتَمَدِّ ، فِي حُكْمِ الْحَالِ ، وَتَعْطَلِ بِعِجْزِهِ الْمَشْتَدِّ ، مِمَّا أُلِفَ بِهِ قَدِيمًا حَالُ حُكْمِهِ  
الْحَالِ ؛ وَتَمَادَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَرَقَّى النَّاسُ مِنْهُ إِلَى دَرَجَةِ الْبَقِيَّةِ ؛ وَتَنَاهَى الْحُكْمُ فِيهِ  
إِلَى أَنْ يَعِينُ أَنْ يُرْتَادَ مِنْ يَتَعَيَّنْ لِمِثْلِهِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُتَّقِينَ ؛ لِئَلَّا يَحُلُوَ هَذَا الْمَذْهَبُ مِنْ  
قَاضِي قِضَاةٍ يُقِيمُ مَنَارَهُ ، وَيُدِيمُ أَنْوَارَهُ ، وَيَرْفَعُ شِعَارَهُ ، وَيُحْيِي مَآثِرَ إِمَامِهِ وَأَنَارَهُ ،  
وَيُؤْمِنُ كَمَا أَلْفَقَهُ أَنْ يُعَاوِدَ سِرَارَهُ ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الْقَاضِي ، الْفَخْرِيُّ ،  
هُوَ الَّذِي لَا يَعُدُّهُ الْآرْتِيَادُ ، وَلَا يَقِفُ دُونَهُ الْإِتْقَانُ وَالْإِتْقَادُ ، وَلَا تَجَاوِزُهُ الْإِصَابَةُ  
فِي الْأَجْتِهَادِ : لَمَّا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ جَعَلَهُ مَحْطُوبًا لِلْمَنْصَبِ ، وَعَمِلَ تَرْكُهُ مَطْلُوبًا لِلرَّاتِبِ  
الَّتِي لَا تُدْعَى لِكُلِّ طَالِبٍ ؛ وَتَقَى أَعَادَهُ مُرْتَقِيًا لِكُلِّ أَفْقٍ لَا يَصْلُحُ لَهُ كُلُّ شَارِقٍ ،  
وَوَرَعَ فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّلَقُّى بِالْأَسْتِدْعَاءِ وَإِنْ لَمْ تُفْتَحْ لِكُلِّ طَارِقٍ ؛ وَقَدْ هَجَرَ الْكِرَا  
فِي تَحْصِيلِ مَذْهَبِ «إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ» إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ ، وَأَنْفَقَ مُدَّةَ

(١) الْأَوَامِ شِدَّةُ الْعَطَشِ وَمَقْلَتُهُ مَهْلِكَةٌ .

عُمره في آقتناء فوائده إلى أن حصل من الثروة بها على ما حصل به فسارت فتاويه في الآفاق ، وممت بركات فوائده التي أنفقها على الطلبة فزكت على الإنفاق - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نُبقي نحر هذا المنصب الجليل بفخره ، وأن نُخص هذا المذهب النبيل بذخره ، وأن نُحلي جيده بمن نقلنا إلى وشام الوسام ما كان من حُسن شنب العلم مختصاً بثغره .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيماً ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مديماً ؛ أن يفوض إليه ... .. لما تقدم من تعينه لذلك ، وتبين من أنه لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فليل هذه الوظيفة حاكماً بما أراه الله من مذهبه ، مُراعياً في مباشرتها حق الله في الحكم بين عباده وحق منصبه ؛ مجتهداً فيما تبرأ به الذمة من الوقوف مع حكم الله في حالتي رضاه وغضبه ، وأيقناً في صفة القضاء على ما نص فيه من شروطه وأوضاع من قواعده وشرح من آدبه ؛ مُمضياً حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رأي إمامه ، متوجاً الحكم بنصوصه المجمع دليماً من أئمة مذهبه في نقض كل أمر وإبرامه ؛ جاريّاً في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مُشرفاً في ذلك الأفق بجماله وزينه ، وأيقناً في ذلك جميعه مع رضا الله تعالى فإنه في كل ما يأتي ويدّر بعينه ؛ والله تعالى يسدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضا نهاية سوله وغاية آمله ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، كُتب بها للقاضي علاء الدين «منجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بلاءَ الدِّينِ قَضَاءَ قُضَايَاهُ ، وَأَوْضَحَ الْهُدَى فِي الْقِيَامِ فِي تَوَلِّيَتِهِمْ بِمُقَرَّرَاتِهِ ، وَأَعْلَى مَنَارِ الشَّرْعِ بِمَا أَوْفَقَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِهِ وَوَقَّعَهُمْ لَهُ مِنْ مَرْضَاتِهِ .

نحمده حمداً نَسْتَعِيدُ مِنْ بَرَكَاتِهِ ، وَنَسْتَعِيدُ بِهِ أَنْ نَضِلَّ فِي ضَوْءِ مَشْكَاتِهِ ، وَنَسْتَعِينُ عَلَيْهِ رَبِّ كُلِّ حُكْمٍ يُمِدُّنَا قَلْبُهُ بِسُكُونِهِ وَقَلَمُهُ بِحَرَكَاتِهِ ، وَيُنْثِيَتْ مِنْ جَبَلِ مُحَضَّرِهِ لَدِينَا مَا يَرِفَعُ مَسَّ شَكَايَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُسْتَوْدِعُ إِخْلَاصَهَا فِي قُلُوبِ تَقَاتِهِ ، وَتُفَوِّضُ أَحْكَامُهَا إِلَى نِقَاتِهِ ، وَيُنْجِي سَرْحَهَا مِنْ أَبْطَالِ الْحِلَالِ وَالْحِدَالِ بِكُلِّ مُسْتَنَاقٍ إِلَى مَلَاقَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ ، وَجَاهَدَ فِي بَرَاهِهِ وَرَأْيَاتِهِ ، وَشَرَعَ مِنَ الدِّينِ مَا يُنْجِي الْمُتَمَسِّكَ بِهِ مِنْ غَوَايَاتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَقَامَ شَرْعَهُ مِنْهُمْ بُكَاتِهِ ، وَجَعَلَ حُكْمَهُمْ دَائِمَ الْفُؤَادِ أَبَدًا بِأَقْلَامِ عِلْمَائِهِ وَسَيُوفِ حُمَاتِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَنَنْصِبُ الْحُكْمَ الَّذِي بِهِ تُفَصَّلُ الْأُمُورُ ، وَتَتَفَرِّجُ لَهُ الصُّدُورُ ؛ وَتَسَدَّدُ أَقْلَامُ حُكَّامِهِ سِهَامًا ، وَتُفَيْضُ عَمَامًا ؛ وَتَتَعَلَّمَ مِنْهُ الْأَسْوَدُ زَيْئِرًا ، وَيَطُولُ السَّيْفُ صَلِيلًا وَالرِّفْخُ صَرِيرًا ؛ وَتَنْصَبُ بَيْنَ يَدَيْ حُكَّامِهِ الْأَقْدَامُ ، وَتَنْتَصِفُ عَلَى أَحْكَامِهِ الْخِصَامُ<sup>(١)</sup> ؛ وَتَتَكَسَّرُ الرُّؤُوسُ لِهَيْبَتِهِ لِطَرَاقَا ، وَتَغْضُ الْمَقَلُّ فَتَا تُدِيرُ جَفُونَنَا وَلَا تُقَلِّبُ أَحْدَاقَا ؛ وَيَحْرَى بِتَضَرُّفِهِ قَلَمُ الْقَضَاءِ ، وَيُجَارِي مُرْهَفَهُ الْبُرُوقُ فَتُقْرَأُ بِالْمَضَاءِ ؛ وَقَدْ شَيْدَ اللَّهُ مَبَايِتَهُ فِي مَمَالِكَا الشَّرِيفَةِ مِضْرًا وَشَامًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، وَجَمَعَ فِي قَضَائِهِ الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ لِنُكُلِ بِهِمْ فُصُولَ الزَّمَانِ ؛ وَمَذْهَبُ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الطَّرَازُ الْمَذْهَبُ ، وَطَرِيقَةُ

(١) الخصام جمع خصم كبحر وجمار . انظر المصباح .

السلف الصالح في كُلِّ مَذْهَبٍ ؛ وقد تَجَنَّبَ من سَلَفٍ من علمائه التَّأْوِيلَ في كثيرٍ ،  
ووقفَ مع الكتابِ والسُّنَّةِ وكلِّ منهما هو المصباح المنير .

وكانت دِمَشْقُ المحروسةُ هي مَدَارُ قُطُوبِهِمْ ، ومَطْلَعُ شُجُورِهِمْ ونُجُومِهِمْ وشُهُبِهِمْ ؛  
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كل بيع وإيجار ،  
ومُزَارَعَةٍ في غِلَالٍ ومُسَاقَاةٍ في ثِمَارٍ ، ومُصَالَحَةٍ في جَوَائِحِ سَمَاقَةٍ لا ضَرَرَ فيها  
ولا ضَرَارٍ ، وتَرْوِيجِ كُلِّ مَمْلُوكٍ أذِنَ له سَيِّدُهُ بِحُرَّةٍ كَرِيمَةٍ ، وأَشْرَاطٍ في عَقْدٍ بأن  
تكون الأَمْرَأَةُ في بلدِها مُقِيمَةٍ ؛ وفَسْخِ إنْ غاب زوجها ولم يترك لها نفقةً ولا  
أَطَقَ سَرَّاحُهَا ، وَبَيْعِ أَوْقَافٍ دَائِرَةٍ لا يَجِدُ أَرْبَابُ الْوَقْفِ نَفْعًا بها ولا يستطيعون  
إِصْلَاحَهَا .

فلما أَسْتَأْثَرَ اللهُ بِمَنْ كَانَ قد تَجَلَّى هذا الْمَنْصِبُ الشَّرِيفُ بِشَرَفِهِ ، وَتَجَلَّى مِنْهُ  
بَبَقِيَّةِ سَلَفِهِ ؛ حَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ نَقَلَهُ هَذِهِ الْأَمَانَةُ فِي عُنُقِهِ ، وَنَهَى هَذَا  
الْمَنْصِبُ بِطُلُوعِ هَلَالِهِ فِي أَفُقِهِ ؛ إِلَى أَنْ تَرْجَحَ فِي آرَأَانَا الْعَالِيَةِ الْمَرْجُحِ الْمُرْجُحِ ، وَتَعَيَّنَ  
وَاحِدًا لِمَا أَتَبَلَّى النَّاسُ بِالْقَضَاءِ كَانَ الْمُتَجَنَّبُ بْنُ الْمُتَجَنَّبِ ؛ طَالَمَا تَطَاوَزَتْ لَهُ الْفَتَاوَى  
بِالْأَقْلَامِ ، وَأَلْتَفَتَتْ بِهِ حَلَقَةُ إِمَامٍ ، وَخَافَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ مُضَايَقَةِ اللَّيَالِي فَمَا نَامَ  
- أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْقَضَاةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى  
مَذْهَبِ الْإِمَامِ الرَّبَانِيِّ «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ» الشَّيْبَانِيُّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

فَلْيَحْكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَا أَرَادَ اللهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَآتَاهُ مِنْ حُكْمِهِ ؛ وَبَيَّنَّ لَهُ مِنْ سُبُلِ  
الْهُدَى ، وَعَيَّنَّه لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مَنْ حَادَ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ  
وَأَعْتَدَى ؛ وَلْيَنْظُرْ فِي أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلْ بِكُلِّ مَا صَحَّ نَقْلُهُ عَنْ إِمَامِهِ ، وَأَصْحَابِهِ  
مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَيَّامِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - إِمَامَ حَقِّ

نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةُ الْحِجَّةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
نَوْبَةَ الرَّدِّ ، وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَارِعُ «الْمَرِّيَّيْنِ» وَقَدِ هَبَّتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»  
وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ دَوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قُطْرِ عَيْسَا ، وَلَا نَكَثَ عَهْدَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ «الْمَامُونُ»  
فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَّعَهُ صَوْتُ «الْمَعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ  
وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِقِ» ؛ فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ؛  
وَلْيَقْضِ بِمُقَرَّدَاتِهِ وَمَا آخَرَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارُ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛  
وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْأَسْتِبدَالِ بِمَا فِيهِ  
الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِيهِ ؛ وَالْفَسْخِ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً  
لَمْ يَتْرَكْ لَهَا نَفَقَةً ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجَتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا  
لِتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسْخِ بِشَرْطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمُ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَفِيمَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ  
الْجَارِ ، وَمَا تَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٍ وَقِفَ  
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةٌ عُلَمَاءُ لَوْلَاهُمْ  
لَمَّا جَلَا الزَّمَانُ جُنَحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْخَوَاصِ الَّتِي يَخْفَفُ بِهَا عَنِ الضُّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ  
لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا تَجَرِّي إِلَّا بِمَجَرِّي الْمَصَالِحَةِ دَلِيلَ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمُعَامَلَةُ الَّتِي  
لَوْلَا الرُّخْصَةُ عَنْهُمْ فِيهَا لَمَّا أَكَلُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْبَضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ  
الْفَلَاحِ وَالْمُعَامَلِ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مَحِيطُ]  
بِمُقَرَّدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفَقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّعَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَالِيهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا  
أَسْتَقَرَّتِ الْأُصُولُ كَانَتِ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةً ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سَيِّدُ تَيْمٍ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

## المرتبة الثانية<sup>(١)</sup>

(من توابع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا  
بـ«الحمد لله» إن عُلِّت رُتْبَةُ الْمُتَوَلَّى أَوْ بـ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ»  
إِنْ أُنْخِطَتْ رُتْبَتُهُ عَنْ ذَلِكَ بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى — قَضَاءُ الْعَسْكَرِ . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،  
كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إِقْتَاءُ دَارِ الْعَدْلِ بِدِمَشْقَ . وبها أربعة : من كل مذهبٍ  
واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مُجَدِّدِ النِّعَمِ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ لِمَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ مَلَائِسُهَا ، وَمُضَاعِفِ  
الْمِنَنِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ لِمَنْ سَمَّتْ بِهِ نَفَائِسُهَا ، وَمَوْلَى الْآلَاءِ لِمَنْ بَسَقَ غَرُسُهَا لَدَيْهِ  
فَزَهَتْ بِجَمَالِهِ ثَمَرَاتُهَا وَزَكَتْ مَغَارِسُهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُؤْنِسُ بِالشُّكْرِ أَوَانِسُهَا ، وَتُؤَسِّسُ عَلَى التَّقْوَى جَجَالِسُهَا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَسْتَضَاءُ بِنُورِ الْإِيمَانِ قَالِسُهَا ،  
وَأَجْتَنَى ثَمَرِ الْهُدَى غَارِسُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ أُنْشَرَفَ بِهِ  
مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ فَعَمَّرَ دَارِسُهَا ، وَأَشْرَقَ دَامِسُهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ  
قُلُوبُهُمْ مَشَاهِدُ الذِّكْرِ وَالسِّتِّهِمْ مَدَارِسُهَا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرٌ ورُسْمٌ ، وجُدِّدَ له من المَنَاصِبِ  
الدِّينية ما عُرِفَ به من قَبْلُ ووُسْمٌ ، وأُثْبِتَ لَتَرْقِيهِ ما حُتِمَ له به من المراتب السنية  
بمقتضى الاستحقاق وحُكِمَ - من رَقَّتْ أَوَامِرُنَا له حُلَّةٌ مَنَصِبٍ يَجِدُّهَا الإحسان ،  
وأَمَرَتْ له مَرَّاسُنَا بوظيفة تُؤَكِّدُ عَوَارِفَنَا الحِسان ، وَأَثَلَتْ [له] نِعْمُنَا مَنَصِبًا أَعَدَّ له  
من كَمَالِ الأَهْلِيَّةِ أَكْمَلُ ما يُعَدُّه لذلك الإنسان .

ولما كان فلان هو الذى تحلَّى من إِحْسَانِنَا بما يَأْمَنُ [معه] سعيد رتبته [من] العَطل ،  
وَأَسَمَ من رِثَانَا وَامْتِنَانِنَا بما هو فى حُكْمِ المِستَقَرِّ له وإن أَوَّلَى به الدَّهْرُ ومَطْلُ -  
أَفَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ يُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعم ، وَنُسَيْدَ من رَجَائِهِ مَوَاضِعَ ما شَمِلَهُ من البرِّ  
والكَرم ، وَنُرَى من عَدَقِ بِنَا رَجَاءَ أَمَلِهِ أَنَّنَا نَتَعَاهَدُ سُقْيَا أَمَالِ الأَوْلِيَاءِ وَالخَدَمِ .

فلذلك رسم ... - لا زال يَرُهُ شَامِلًا ، وبَدَّرُهُ فى أَفْقِ الإحسان كَامِلًا - أن يُفَوِّضَ إليه  
نَظَرَ الحِسْبَةِ وَيَسْتَمِرَّ فى ذلك على حُكْمِ التَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ الذى بيده : لِمَا سَبَقَ من  
أَخْتِيَارِهِ لذلك وَأَصْطَفَائِهِ ، وَأَدَّخَارِهِ لهذا المَنَصِبِ من كُفَاةِ أَعْيَانِهِ وَأَعْيَانِ أَكْفَائِهِ ؛  
وَلِمَا تَحَلَّى [به] من رِيَّاسَةِ زَانَتِهِ عُقُودُهَا ، وَتَكَلَّلَ له من أَصَالَةِ ضَفَّتْ عليه حَبْرُهَا  
وَسَمَتْ به بُرُودُهَا ؛ وَتَجَمَّلَ به من نَزَاهَةِ أَشْرَقَتْ فى أَفْقِ صُعُودِهَا إلى الرِّتبةِ الجَلِيلَةِ  
سُعُودُهَا ، وَأَتَّصَفَ به من كَمَالِ مَعْرِفَةٍ تُجَزِّتُ له به من مَطَالِبِ المَنَاصِبِ وَعُودُهَا .

فَلْيُبَاشِرْ ذلك مُعْطِيًا هَذِهِ الوَظِيفَةَ من حُسْنِ النَّظَرِ حَقَّهَا ، مُحَقِّقًا بِجَمِيلِ تَصَرُّفِهِ  
تَقَدُّمَ أَوَّلَوِيَّتِهِ وَسَبْقُهَا ؛ وَلْيَكُنْ لِأَمْرِ الأَقْوَاتِ مَلاحِظًا ، وَعَلَى مَنَعِ ذَوَى الغَدْرِ  
من الأَحْتِكَازِ المُضَيِّقِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مُحَافِظًا ؛ وَعَلَى الغِشِّ فى الأَقْوَاتِ مُؤَدِّبًا ؛ وَلِإِجْرَاءِ  
المَوَازِينِ عَلَى حُكْمِ القِسْطِ مُرْتَبًا ؛ وَلِنَ يَرْفَعِ الأَسْعَارَ لِغَيْرِ سَبَبٍ رَادِعًا ، وَلِنَ لَا يَزِعُهُ  
الكلام من المُطَفِّينَ بِالتَّأْدِيبِ وَازْعًا ؛ وَلِنَقِيمِ الأَشْيَاءَ مُحَرَّرًا ، وَلِنَقَانُونِ الجَوْدَةِ



فِي الْمَزْرُوعِ وَالْمَوْزُونِ مُقَرَّرًا ؛ وَلِذَوِي الْهَيْئَاتِ بِلُزُومِ شُرَائِطِ الْمَرْوَةِ اخِذًا ، وَعَلَى تَرْكِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُوَاخِذًا ؛ وَلِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدِّمًا ، وَبِمَا يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ الْمَعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا ؛ وَفِي خَصَائِصِ نَفْسِهِ مَا يُغْنِيهِ عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَتَكَرَّارِ الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْمَزَايَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا شِعَارَ نَفْسِهِ ، وَنَجَى أَنْفِهِ ، وَمُسَدَّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَطْهَرُ بِهَا مَرْيَّةٌ يَوْمَهُ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، مضافا إلى نظر أوقاف الملوك ، وهي :

الحمد لله مُبْتَدِئٍ مِنْ أَحْتَسَبَ ، وَمُجِيبِ الْمُنِيبِ فِيمَا آكُتَسَبَ .

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب ، ( ١ ) ( ؟ ) ونشهد أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً ظَاهِرَةً الْحَسَبِ ، طَاهِرَةً النَّسَبِ ؛ وَنشهد أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ آتَدَى وَأَتَدَبَ ، وَأَدَّبَ أُمَّتَهُ فَأَحْسَنَ الْأَدَبِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً يُكْتَمُّ أَجْرُهَا فَيَكْتَسَبُ ، وَيَسْتَمُّ بِهَا كُلُّ صِلَاحٍ [ وَيَغْتَمُّ بِهَا كُلُّ فَلَاحٍ ] ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ هِيَ قَانُونُ جَوَادِّ الْأَوْضَاعِ ، وَمَضْمُونُ مَوَادِّ الْإِجْمَاعِ ، تَجْمَعُ إِلَى الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سِيَاسَةَ يَرْهَبُ جِدُّهَا ، وَيَرْهَفُ حَدُّهَا ؛ وَتَنْحَشِي الرِّعَايَا سَطَوَاتِ مَبَاشِرِهَا ، وَتَتَنَحَّى عَمَّا تُصَبُّهُ سَيُولُ بَوَادِرِهَا ؛ وَأَصْحَابُهَا الْآلَةُ الَّتِي هِيَ أُخْتُ السَّيْفِ فِي التَّأْثِيرِ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا سَطَوَةٌ تُخَافُ لِافْرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَا بَيْنَ

التَّائِيثِ والتَّذَكِيرِ؛ وله التَّصَرُّفُ المُلَاقَ، والتَّعَرُّفُ الَّذِي يَفْتَحُ مِنَ الحَوَائِثِ عَلَى  
أَرْبَابِهَا كُلِّ بَابٍ مُعَلَّقٍ؛ وَلِرُكُوبِهِ فِي المَدِينَةِ زِينَةٌ يُحْشِرُهَا النَّاسُ صُحًى، وَرَهْبَةً  
يَغْدُو بِهَا كُلُّ أَمِينٍ لَشَأْنِهِ مُصْلِحًا؛ وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ فِي كُلِّ تَقْوِيمٍ، وَهُوَ المَرْجُوعُ فِي كُلِّ  
أَمْرٍ عَظِيمٍ؛ وَهِيَ بِدَمَشَقٍ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَجْلِ المَنَاصِبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ [عَو] إِلَيْهَا  
بِيَدِ مُتَوَلِّيِّهَا وَتُؤَمِّلُ مَنَازِلَ البُدُورِ، وَإِنَّ رَبَّهَا تَرْجِعُ إِلَى تَصْرِيفِهِ أَزِمَةَ الْأُمُورِ،  
وَيَتَجَيَّعُ سَحَابُهُ المَاطِلَ عَمَامَةً الجُمُهورِ؛ وَتَحْيَا بِهِ سُنَّةٌ عُمَرِيَّةٌ لَوْلَاهَا لَصَاقَتْ رِحَابُ  
المَعَامِلَاتِ، وَضَاعَتْ بِالْعِشِّ المَعَايِشُ المَتَدَاخِلَاتِ؛ وَظَهَرَ الْعَيْنُ فِي غَالِبِ مَا يُشِيرُ  
وَيُبَاعُ، وَانْتَشَرَ التَّطْفِيفُ [الَّذِي] يُزِيلُ رَاجِحَةَ المِيزَانِ وَتَوَازُرَّاعَ؛ وَلَكَمْ نَابَ بِحُسْنِ  
تَدْيِيرِهِ عَنِ العَمَامِ، وَنَظَرَ فِي الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ لِلخَاصِّ وَالْعَامِ؛ طَالَمَا أُنْخِطَ بِهِ سِعْرٌ  
غَلَا أَنْ يَقُومَ، وَوُجِدَ مِنَ الْأَقْوَاتِ صِنْفٌ لَا يُوجَدُ وَلَوْ بُدِّلَ مِنَ الشَّمْسِ دِينَارٌ  
وَالْبَدْرِ دِرْهَمٌ.

وَكَانَ المَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْقَضَائِيُّ، الْأَجَلِيُّ، الْكَبِيرِيُّ، الصَّدْرِيُّ، الرَّئِيسِيُّ،  
الْعَالِمِيُّ، الْكَافِلِيُّ، الْفَاضِلِيُّ، الْأَوْحَدِيُّ، الْأَثِيرِيُّ، الْمَاجِدِيُّ، الْأَصِيلِيُّ،  
الْعِمَادِيُّ؛ مَجْدُ الْإِسْلَامِ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ، بَهَاءُ الْأَنْامِ، جَمَالُ الصُّدُورِ، نَخْرُ الْأَعْيَانِ،  
خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ، صَفْوَةُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ: أَدَامَ اللَّهُ عُلُوهَ، هُوَ الَّذِي رَبَّنَهُ السِّيَادَةُ  
عَلَى وَسَادِهَا، وَلَبَّيْتَهُ السَّعَادَةَ إِلَى مُرَادِهَا؛ وَبَنَتِ الْعَلِيَاءُ قَوَاعِدَهَا عَلَى عِمَادِهِ،  
وَنَتَتْ المَرَاتِبُ أَعْنَاقَهَا مُتَشَوِّفَةً إِلَى حُسْنِ اعْتِمَادِهِ؛ وَبَاشَرَ الجَمَاعُ المَعْمُورُ خُصُوصًا  
وَالْأَوْقَافُ الشَّامِيَّةُ عُمُومًا فَعَمَرَهَا، وَكَثُرَ أَعْدَادُهَا وَأَتَمَّى مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ مَتَحَصَلَاتِهَا  
وَتَمَرَّهَا؛ وَشِيدَ فِي كُلِّ مِنْهَا مَوَاطِنَ عِبَادَةٍ، وَمُلْتَقَى حَلَقَةٍ وَمَدَارُ سُبْحَةٍ وَمَقَرِّشُ سَجَادَةٍ،  
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ وَالجَمَاعُ الْفَارُوقُ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَ وَزِيَادَهُ؛  
فَأَوْجِبَ لَهُ جَمِيلٌ نَظَرْنَا أَنْ نُضَاعَفَ لَهُ الْأَجْرُ فِي كُلِّ عَمَلٍ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُ، وَتَزِيدَهُ

فِي رِزْقِهِ سَعَةً : مِنْ حَيْثُ يَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُقَلَّدَ مِنْ أُمُورِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ حُكْمُهَا الْمُصْرَفُ ، وَحَكْمُهَا الْمَعْرُفُ ؛ وَيَقَامُ فِيهَا بِهِدْيٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ فِي تَقْرِيرِ أُمُورِهَا عَلَى أَثْبَتِ الْقَوَاعِدِ ، وَتَقْدِيرِ مَصَالِحِهَا عَلَى أَجَلٍ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ ؛ وَيُطَهَّرُ أَقْوَاتُهَا مِنَ الدَّنَسِ فِيمَا يَحْضُرُ عَلَى الْمَوَائِدِ ، وَإِخَافَةِ الْأَعْنَاقِ مِنْ مُضَارَبِهِ الَّتِي تَقْطَعُ مَا غَفَا السَّيْفُ عَنْهُ مِنْ مَنَاطِ الْفَلَائِدِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَتْ بِمَرَاسِمِهِ تُتَلَقَّى كُلُّ رُبَّةٍ ، وَتُتَوَقَّى الدُّنَايَا مِنْ يَوْمٍ بِالْحِسْبَةِ - أَنَّ يَقُوضَ إِلَيْهِ النَّظَرُ عَلَى الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِدِمَشْقٍ وَمَا مَعَهَا مِنَ الْمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : مُضَافًا إِلَى مَا هُوَ بِيَدِهِ : مِنْ نَظَرِ الْأَوْقَافِ الْمَبْرُورَةِ بِالشَّامِ ، وَأَوْقَافِ الْمُلُوكِ . خَلَا نَظَرَ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ بِحُكْمِ إِفْرَادِهِ لِمَنْ عَيْنُ لَهُ ، تَفْوِيضًا يَضُمُّهُ إِلَى رَبَائِبِ كَنْفِهِ ، وَيَعْمَهُ بِمَوَاهِبِ شَرْفِهِ ، وَيُجِلُّهُ فِي أَعْلَى عُزْرِفِهِ ، وَيُجِلِّهِ بِمَا يَحْسُدُ الدُّرَّ مَارِمِيٍّ مِنْ صَدَفِهِ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَاتَّقِ مَنْ يُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَمِنْكَ الْمُنْكَرُ لَا يُعْرَفُ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَاعْتَبِرْ أَحْوَالَ أَرْبَابِ الْمَعَاشِ أَعْتِبَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُرْغِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ صَاحِبَ سَاعَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مَعِيشَةٍ [يَقْدَمُ] عَلَى تَحُلُّلِ خَلِيلٍ فِي الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سَوَاءٌ فِيهِ الْبَائِعُ وَالْمَشْتَرِي ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ وَالْثَمِينِ ؛ وَأَقِمِ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تَنْتَكِنَ كِفَاتُهَا أَنْ تَتَحَامَلَ وَلَا تَتَحَمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُهَا أَنْ يَمِيلَ مَعَ مَنْ يَتَمَوَّلُ ، وَلَا يَقْدِرُ لِسَانُهَا أَنْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُثْقَلًا حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛ وَاجْعَلْ لَكَ عَلَى

أَهْلُ الْمَبَايِعَاتِ حَفَظَةٌ لِنَظْلِ أَعْمَالِهِمْ لَكَ تُنْسَخَ . وَتَفْقَدِ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا  
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَاضَ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَرَّخَ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ  
 يُدَلِّسُ ، وَفَقَّهَاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يُدَنِّسُ ؛ وَالْقُصَّاصُ غَالِبُهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ  
 فِي قِصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمْ مِنْهُمْ مَنْ لِعَبِّ مَرَّةٍ بِعَقْلِ أَمْرَأَةٍ وَأَمَاتَ رَجُلًا  
 بِغُصَصِهِ ؛ وَآخَرُونَ مِمَّنْ تَضِلُّ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَظَلُّ حَايِرَةً فِيهِمُ النُّقُولُ ؛ وَكثِيرٌ مِمَّنْ  
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَدُكُ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛  
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مَنْ مَالٌ ، وَقَلَدٌ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بِإِنْهَاكَ الْجَسَدُ  
 وَتَارَةً بِإِنْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْنَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَّبَ ... (١) ...  
 وَثُمَّ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يَلُمُّ عَلَى شَعَثٍ وَائِي الرِّجَالِ الْمُهْدَبِ ؛ وَفِيكَ  
 مِنَ الْأَلْمَعِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُبْلِيَ الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا  
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَفَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُّكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ أَعْمَادَكَ ،  
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ  
 بِمَقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

#### الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين البارنباري ،  
 للقاضي نجم الدين أبي الطَّيِّب .

الحمد لله الذي جعل الطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ ، وَهَدَىٰ بِالنَّجْمِ الْمُنِيرِ السَّبِيلَ الْمُبِينِ ، وَعَدَّقَ  
 بِأُيْمَةِ الدِّينِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ ، وَآتَانَا بِتَقْوِيضِنَا إِلَيْهِ ، وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ ، شَرَفًا فِي الشَّأْنِ وَقُوَّةً  
 فِي الْيَقِينِ .

نحمده على أن أعان بحيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإرادات ،  
بالملائكة المقترين ، ونصّرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ، ونشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحيين ،  
وأذكّرها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً  
عبدّه ورسوله هادى المهتدين ، وموضح شرعة الإحسان للحسين ، و «أبو الطيب»  
و «أبو القاسم» كنى بأولاده المطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم  
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوّج  
بأنثى الرسول ولم يتفق ذلك لغيره في سالف السنين ، ومنهم من كان الخير ملء  
يديه : فشمول البركة بشماله وذو الفقار في اليمين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم التفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلّماً ،  
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محلّ ، وأسنى الأنجم ما أشرق في مطلعته وتجلّى ،  
وأحقّ [الولاية] بإعلاء منصبه من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى  
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، في تشييد شأنه ، وتمكين مكانته ومكانه ، وحفظ  
حوزته من سائر أركانها - وكأله بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقدسة ،  
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسة ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،  
وبها تُراد قيم المبيعات مما هو لبنت المال ما بين عامر ودائر ؛ وإلى متولّيها تأتي  
الرغبات ممن يتنازع أرضاً ، وبه تُمنح المصالح وتُقضّى ، وبه يظهر التمييز في الثمن  
الأرضي ؛ وهي في الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية الربح في كل أرض  
بينت المصالح في كل بناء دائرة بالنجح في كل دار ؛ فلا يشيم برقها ، ويتوج فرقها ،  
ويوقها حقها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن  
رأى فيما آثره وأثره ، وصدارة ورد بها مهمل الكرام البررة .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدّوج الوريق ، والمنّسب إلى  
 أعزّ فريق ، والطّيب أصلاً وفرعاً على التّحقيق ، والإمام في علومه التي أصّلت  
 التّفريع ووصلت التّفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله وليّ التّوفيق ؛ قد أشرق  
 بدمشق نجمه نورا ، وأبّسم البرق الشّامي به سروراً ، وتصدّر بحافلها فشرح صدورا ،  
 وأبّنى له سؤودا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ؛ تلقى بمحضرة المسائل فتلقى منه  
 ولياً مرشداً ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقّد هدى ، وإذا اضطرب  
 قول مشكل سكن ببابته وهذا ؛ إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظري مصلحة  
 كان رأيه في السّداد موافقاً لقليله ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -  
 في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه ....

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركته من بابه ، وليخيم في فسيح رحابه ، ولينعم  
 بجناته في جنابه ؛ وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه ولوازمه المستورة  
 في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باغتصابه ، فليس لعرق ظالم حق ؛ وهو  
 إما بناء بإنشائه وإما غراس بإنشائه ؛ وما يرجع إلى بيت المال المعمور من أرض  
 وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فليحرر  
 مجموعه ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين الماهدين  
 لما هم ، ولينصَح لنا وللسامعين فهو ويكل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من  
 عصبية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقدّناك هذه الولاية ، والدك - رحمه الله - كانت  
 مقوضة إليه قديماً فلذلك أحيينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمَ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِنِ طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِنْ أَوْجَزَتْ  
فَقَدْ كَفَى لِمَعْنَاهَا وَلِمَحْنِهَا ؛ وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صُبْحُهَا ، وَحَسَنَ  
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامٍ أَفْلَامُهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوَّلُهَا  
وَأَخِيرُهَا وَخَتَمُهَا وَفَتْحُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ [ ذَوَى <sup>(١)</sup> صَبْحُهَا ] ؛ وَالْخَيْرُ  
يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بيت المال بالشَّام أيضًا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَمُحْسِنِ مَالٍ مَنْ قَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ ، وَمُجَلِّ مَالٍ مَنْ  
قَدَّمَ رَجَاءَنَا عِنْدَ الْمُهْجَرَةِ إِلَى أَبْوَابِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمُقَرِّعِينَ مِنْ أَسْهَرِ فِي أَسْتِطَارِ عَوَارِفِنَا  
بِكَمَالِ الْأَدْوَاتِ نَاطِرِيهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ سَعَى مَنْ آمَنَ كَرَمَنَا ، مَشْكُورًا ، وَسَعَدَ مَنْ قَصَدَ حَرَمَنَا ،  
مَشْهُورًا ، وَإِقْبَالَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مُحَقَّقًا يَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَانَا مَحْبُورًا ، وَيَتَقَلَّبُ  
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَعْتَضِدُ فِيهَا  
بِالْإِخْلَاصِ وَنَعْتَصِّمُ ، وَنَتَمَسَّكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِعُرْوَتِهَا ، الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ ، وَنُوكِلُ فِي إِقَامَةِ  
دَعْوَتِهَا ، سُيُوفِنَا الَّتِي لَا تَزَالُ هِيَ وَأَعْنَاقُ جَا حِدِيهَا تَخْتَصِمُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ  
الَّذِي أَضَاءَتْ شَرِيعَتُهُ ، فَلَمْ تَخَفْ عَلَى ذِي نَظَرٍ ، وَأَنَارَتْ مَلَّتُهُ ، فَأَبْصَرَهَا الْقَلْبُ قَبْلَ  
الْبَصَرِ ، وَعَمَّتْ دَعْوَتُهُ ، فَاسْتَوَى فِي وَجُوبِ إِجَابَتِهَا الْبَشَرُ ، وَأَخْتَصَّتْ أُمَّتُهُ ، بِعُلَمَاءِ  
يَبْصُرُونَ مِنْ فِي طَرَفِهِ عَمَى وَيُظْهِرُونَ حَقَّ مَنْ فِي بَاعِهِ قِصَرٌ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى  
آلِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا ، وَعَدَلُوا فِي مَا حَكَمُوا ، وَحَفِظُوا بِالْحَقِّ بَيْتَ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ

(١) القضيبة الرطبة من النبات وذوى يس والصبح في الأصل خروج العقود من كمامه .

فَأَشْرَكَ أَهْلَ الْمِلَّةِ فِيمَا غَنَمُوا ؛ صَلَاةً تَوَكَّلَ الْإِخْلَاصُ بِإِقَامَتِهَا ، وَتَكْفُلُ الْإِيمَانُ بِإِدَامَتِهَا ؛ وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد : فإنَّ أَهْمَ مَاصِرْفٍ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَأَعَمَّ مَا نَوْجِبُ فِي اخْتِيَارِ الْأَكْفَاءِ لَهُ بَرَاءَةُ الدِّمَمِ ؛ وَأَخْصَ مَا اتَّخَذْنَا الْاسْتِخَارَةَ فِيهِ دَلِيلًا ، وَأَحَقَّ مَا أَقْنَأْنَا فِيهِ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ وَكَيْلًا ، لَا يَدْعُ حَقًّا لِلْأُمَّةِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - أَمْرُ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ جِهَادِهِمْ ، وَجَادَةُ جِلَادِهِمْ ؛ وَسَبَبُ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَطَرِيقُ إِخْلَاصِهِمْ فِي طَاعَتِهِمْ ؛ وَسِدَادُ نُفُورِهِمْ ، وَصَلَاحُ جُمْهُورِهِمْ ؛ وَجَمَاعُ مَا فِيهِ إِنْقَانُ أَحْوَالِهِمْ وَأَسْتِقْرَارُ أُمُورِهِمْ ؛ وَمَنْ آكَدَ مَصَالِحِهِ وَأَهَمَّهَا ، وَأَخْصَّ قَوَاعِيدِهِ وَأَعَمَّهَا ، وَأَكَلَ أَسْبَابَ وَفُورِهِ وَأَتَمَّهَا ؛ الْوَكَالَةُ الَّتِي تَصُونُ حَقُوقَهُ أَنْ تُضَاعَ ، وَتَمْنَعُ خَوَاصَّهُ أَنْ تُشَاعَ ؛ وَتُحْسِنُ عَنِ الْأُمَّةِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهَا الْمَنَابِ ، وَتَتَوَلَّى لِكُلِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمُ الدَّعْوَى وَالْجَوَابَ ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَزَلْ تُخَيِّرُهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُلَمَاءِ مِنْ زَانَ الْوَرَعِ سَجَايَاهُ ، وَكَلَّ الْعِلْمُ مَزَايَاهُ ؛ وَأَنْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى كَمَالِهِ ، وَقَصُرَتْ الْأَطْلَاعُ عَنِ التَّحَلِّيِ بِجَمَالِ عِلْمِهِ : وَهَلْ يُبَارَى مِنْ كَانَ عِلْمُهُ مِنْ جَمَالِهِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشَّيْخَى ، الْفَلَانَى ، هُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ وَعُلُومُهُ ، وَدَلَّ عَلَى بُلُوغِ الْعَايَةِ مَنْطُوقِ تَعْنِهِ وَمَفْهُومِهِ ؛ وَحَلَّى عِلْمُهُ بِالْوَرَعِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الدِّينِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَةَ أَبِيهِ فِي التَّقَرُّدِ بِالْفَضَائِلِ فَكَانَ بِحَكْمِ الْإِرْثِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ صَاحِبَ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ؛ مَعَ نَسَبٍ لِنَسِيبِ مَامَرٍّ حَلَالِهِ ، وَتُبْقٍ مَا وَرِثَهُ مِنْ أَبِيهِ عَنْ كَلَالِهِ ؛ وَثَبَاتٍ فِي ثُبُوتِ الْحَقِّ لَا تَسْتَفِزُّهُ الْأَغْرَاضُ ، وَأَنَاءَةً فِي قَبُولِ الْحَكْمِ لَا تُحِيلُ جَوَاهِرَهُ الْأَغْرَاضُ ؛ وَوُقُوفٍ مَعَ الْحَقِّ لَا يُبْعِدُهُ إِلَى مَا [لَا] يَجِبُ ، وَبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ بِهَا يَقْبَلُ مَا يَقْبَلُ وَيَتَنَبَّأُ مَا يَتَنَبَّأُ ؛ وَتَحْقِيقِ تَجْرِى الدَّعَاوَى الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَحَجَّتِهِ ، وَإِنْصَافٍ لَا يَضُرُّ خَصْمَهُ مَعَهُ كَوْنُهُ الْحَنَ مِنْهُ بِحُجَّتِهِ ؛ مَعَ وَفَادَةٍ إِلَى



أبواب العالیه تَقَاصَتْ له كَرَمَنَا الْجَمِّ ، وَفَضَّلَنَا الذی حَصَّ وَعَمَّ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِیفَةَ أَنْ یَرْجِعَ إِلَى وَطَنِہْ مَشْهُوْلًا بِالنَّعَمِ ، مَحْصُوصًا مِنْ هَذِهِ الرِّبَّةِ بِالْغَايَةِ الَّتِی یَكْبُو دُونَهَا جَوَادُ الْهَمَمِ ، مَنْصُوصًا عَلَى رِفْعَةِ قَدْرِهِ الَّتِی جَاءَتْ هَذِهِ الْوُظِیفَةُ عَلَى قَدَرٍ ، مُدَاوِمًا [لشکر أبوابنا] <sup>(١)</sup> عَلَى اخْتِيَارِهَا بَعْدَ إِمْعَانِ الْاِخْتِيَارِ وَإِنْعَامِ النَّظَرِ .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِیفِ أَنْ تَفَوِّضَ إِلَيْهِ وَكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

فَلْيَرْقَ هَذِهِ الرِّبَّةَ الَّتِی هِيَ مِنْ أَجَلِّ مَا يُرْتَقَى ، وَيَتَلَقَّ هَذِهِ الْوَكَالََةَ الَّتِی مَدَارُ أَمْرِهَا عَلَى التَّقَى وَهُوَ خَيْرُ مَا يُتَّقَى ، وَيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظِیفَةَ الَّتِی مَنَاطُ حُكْمِهَا فِي الْوَرَى الذِّی لَا تَسْتَحِيفُ صَاحِبَهُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَسْتَفِرُّهُ الرُّقَى ؛ وَلِيَنْهَضَ بِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا بِمَصَالِحِهَا ؛ مُتَصَدِّيًا لِمَجَالِسِ حُكْمِهَا الْعَزِيزِ لِتَحْرِيرِ حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ وَتَحْقِيقِهَا ، مُتَلَقِّيًا مَا يَرِدُ مِنْ أَمْرِ الدَّعَاوَى الشَّرْعِيَّةِ الَّتِی يُبْتَثُّ مِثْلُهَا فِي وَجْهِهِ بِطَرِيقِهَا ؛ مُتَقَبِّيًا عَنْ دَوَافِعِ مَا يَثْبِتُ لَهُ وَعَلَيْهِ ، مُحْسِنًا عَنْ بَيْتِ الْمَالِ الْوَكَالََةَ فِيمَا جَرَّهُ الْإِرْثُ الشَّرْعِيُّ إِلَيْهِ ؛ مُسْتَظْهِرًا فِي الْمَعَاقِدَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ وَجْهِهِ الْأَحْتِرَازَ ، مُجَانِبًا جَانِبَ الْحَيْفِ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ بِأَبْوَابِ الرُّخْصِ وَأَسْبَابِ الْجَوَازِ ؛ مُنْجِبًا فِي تَشَدُّدِهِ عَنْ طَرِيقِ الظُّلْمِ الذِّی مِنْ تَحَلُّيْهِ بِهِ كَانَ عَاطِلًا ، سَالِكًا فِي أُمُورِهِ جَادَّةَ الْعَدْلِ فَإِنَّهُ سَيَّانٍ مَنْ تَرَكَ حَقَّهُ وَآخَذَ بِاطِلَالٍ ؛ مُجْتَهِدًا فِي تَحْقِيقِ مَا وَضَعَ مِنَ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ وَكَمَنْ ، مُتَتَبِعًا مَا غَالَتْ الْأَيَّامُ فِي إِخْفَائِهِ فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَضِيعُ بِقَدَمِ الْعَهْدِ وَلَا يَبْطُلُ بِطُولِ الزَّمَنِ .

وَفِي أَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَسَجَايَاهِ الَّتِی غَدَّتْ بِهَا أَقْلَامُ آيَّامِنَا لِسَنَنِهِ ، وَعُلُومُهُ الَّتِی أَسْرَتْ إِلَيْهَا أَفْكَارُهُ وَالْعُيُونُ وَسَنَنِهِ ، مَا يُعْنَى عَنْ وَصَايَا يُطْلَقُ عِنَانُ الْبِرَاعَةِ فِي تَحْدِيدِهَا ، أَوْ قَضَايَا يَنْطَلِقُ لِسَانُ الْبِرَاعَةِ فِي تَوْكِيدِهَا ؛ مَلَا كُفَّهَا تَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ سَجِيَّةُ نَفْسِهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « مُدَاوِمًا لَهَا عَلَى الْخ » .

وَنَجِيَّةٌ أَنْسِهِ، وَحِلْيَةٌ خِلَالِهِ المَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ فَلْيَقْدِّمُهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَيَقِفْ عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِأَرْضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاللَّهُ الْمُوفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة — الخطابة <sup>(١)</sup> ] .

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأمويّ، كُتِبَ بها لَزَيْنُ الدِّينِ الفَارُوقُ، من إنشاء الشيخ شهاب الدِّينِ محمود الحَلَبِيِّ :

الحمد لله رافع الدِّينِ أَوْتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَجَاعِلِ الْمَنَازِرِ بِفَضَائِلِ أَيْمَةِ الْأُمَّةِ أَرَجَاتٍ ، وَشَارِحِ الصُّدُورِ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ الْمَوَاعِظِ حَرَجَاتٍ ؛ الَّذِي زَانَ الدِّينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِمَنْ سُلِّمَتْ لَهُ فِيهِ الْإِمَامَةُ ، وَصَانَ الْعِلْمَ مِنَ الْأَيْمَةِ الْمُتَقِينَ بِمَنْ أَصْحَبَ لَهُ جَائِحُ الْفَضْلِ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ زِمَامَهُ ؛ وَوَطَّدَ ذِرْوَةَ الْمُنْتَبِرِ الْكَرِيمِ لِمَنْ يَحْفَظُ فِي هِدَايَةِ الْأُمَّةِ حَقَّهِ وَيَرْعَى فِي الْبِدَايَةِ بِنَفْسِهِ زِمَامَهُ ، وَوَطَّأَ صَدْرَ الْحَرَابِ الْمُنِيرِ لِمَنْ إِذَا أَمَّ الْأُمَّةَ أَرَتْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ أَنَّ وَجَهَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَمَامَهُ .

تَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ صَوْنِ صَهَوَاتِ الْمَنَازِرِ إِلَّا عَنْ فُرْسَانِهَا ، وَحَفِظَ دَرَجَاتِ الْعِلْمِ إِلَّا عَمَّنْ يَنْظُرُ بِإِنْسَانِ السَّنَةِ وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ لَا تَزَالُ أَفْوَاهُ الْحَاوِيَةِ تُثَبِّتُ طُرُوسَهَا ، وَأَنْوَاءُ الْمَنَازِرِ تُثَبِّتُ غُرُوسَهَا ، وَالسَّنَةُ الْإِخْلَاصِ تُتْلَى عَلَى الْمَسَامِعِ مِنْ صُحُفِ الصَّمَاثِرِ دُرُوسَهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَتِ الْمَنَازِرُ أَوَّلًا بِرُفِيهِ إِلَيْهَا ، وَآخِرًا بِذِكْرِ أَسْمِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ ؛ فَهِيَ الرُّتْبَةُ الَّتِي يَزِيدُ تَبَصُّرَةً عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ بَقَاؤُهَا ، وَالدَّرَجَةُ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى وَرَثَةِ عَلَيْهِمُ آرَتْقَاؤُهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَذَكَرُوهَا ،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأقتضاء الكلام لها .

(٢) أى ذلّ واقاد بعد صعوبة .

وَبَصَرُهُمْ بِالْآلِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ؛ وَعَرَفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِخَادِلُوا بُسْنَتَهُ وَأَسْنَتَهُ الَّذِينَ  
أَنكَرُوهَا ، صَلَاةٌ لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْأَفَاقِ  
وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملّة سيدنا  
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده  
من تقصيره ، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ؛ وجعلها  
من وظائف الأمة العاتمة ، ومن قواعد وراثته النبوة التامة ؛ يقف المتلبس بها موقف  
الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناهض بقرضها مقام المؤدى عن رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقيمها  
في فروض الكفايات على سنن سبيله <sup>(١)</sup> ، ويستنزل بها موائد الرحمة إذا ضن الغيث  
على الأرض بوبله ؛ وكان المسجد الجامع بدمشق المحروسة هو الذى سارت بذكره  
الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التى وضعت على غير مثال ؛ قد تعين أن نرتاد  
له بحكم خلوه من الأئمة من هو مثله فرد الأفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛  
وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وعلامة أئمة أوانه الذى يضىء بنور  
فتاويه ليل الشك الحالك ؛ وناصر السنة الذى تدب علومه عنها ، وحاوى ذخائر  
الفضائل التى تنمى على كثرة إنفاقه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذى يعقد على  
فضله بالختاصر ، ورحلة الأقطار الذى غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية  
الأحساب طاهرة الأوصار ؛ وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر  
الذى صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعايد الذى أصبح حجة

الْعَارِفِ وَقُدُورَةِ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مِنْ أَغْضَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلانٌ هو الذي خَطَبَتْهُ لهذه الخطابة علومُهُ التي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَامَ ،  
وَعَيْنَتُهُ لهذه الإمامة فَضَائِلُهُ التي حَسُنَتْ بها وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامُ ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي فَمِ  
الزَّمَنِ أَبْتِسَامُ ؛ وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَلَامُهُ الَّذِي صَدَّ عَنْهَا الْخُطَابُ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ  
الْخُطَابِ ، وَقِيلَ : هَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَوَّلَى بِهَذَا الْمِنْبَرِ وَأَحْرَى بِهَذَا الْمِحْرَابِ -  
أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنَّ نُحَلِّيَ أَعْطَافَ هَذَا الْمِنْبَرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عَوْدَهُ رَطِيبًا ،  
وَيُضَمِّعُ طِيبًا مِنْهُ مَاضٍ خَطِيبًا ؛ وَأَنَّ نَصْدِرَ بِهَذَا الْمِحْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأُمَّةِ  
مُنَاجٍ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فلذلك رُسِمَ ... ... - لَا زَالَ يُوَلَّى الرَّتَبَ الْحَسَنَ ، وَيَجْرَى بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ  
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنَّ تَفَوُّضَ إِلَيْهِ الْخُطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ بِجَمَاعِ دِمَشْقِ الْحُرُوسِ عَلَى  
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرَقْ هَذِهِ الرُّتْبَةُ الَّتِي أَمَطَّاهُ اللَّهُ ذِرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلَ صَهْوَتَهَا ؛ وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ  
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَجَّحَهُ لَهَا أَنْعَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَادَتْ  
لِلشُّوقِ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِإِمَامٍ لَا تَعْدُو مَوَاعِظُهُ حَبَاتِ  
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهُا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبُهُ أَثَرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهُا تُوكِّلُ مَاءَ الْعُيُونِ  
بَغْسِلِهَا ؛ وَلَا تُتْبِقِي نَصَائِحُهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدَرًا ؛ لِأَنَّهُا تَبْصِرُهُ بِخِدَاعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ  
بَلَاغَتَهُ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا ؛ فَلِإِنِّهَا تُخَدِّرُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ؛ وَلَا  
تَجْعَلُ فَوَائِدُهُ لَدَوِي النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ الْتِفَاتًا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ لِأَنَّهُا تُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لَمْ نَخْرَجْ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَا تُمْكِنُ زَوَاجِرُهُ مِنْ نَشْرِ الظُّلَمِ أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدًا لِأَنَّهَا تُخْرِجُهُ بِمَا فِي الْإِقْدَامِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِغْضَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلْيُطْلَ - مع قِصْرِ الْخُطْبَةِ - لِلظَّالِمِ مَجَالَ زَجَرِهِ ، وَلِيُطَبَّ قَلْبَ الْعَالِمِ الْعَامِلِ بِوصفِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَجْرِهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ خُطْبَهُ كُلَّ وَقْتٍ مَقْصُورَةً عَلَى حِكْمِهِ ، مَقْصُودَةً فِي وُضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ مَنْ يَنْهَضُ بِسُرْعَةٍ إِدْرَاكُهُ أَوْ يَقْعُدُ بِهِ بُطْءُ فَهْمِهِ ؛ غَيْرُ الْكَلَامِ مَادَّلَ بِلَاغَتِهِ وَإِنْ قَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مَثْنَةً مِنْ فِقْهِهِ فَمَا قَصَرَ مَنْ حَافِظَ عَلَى حُكْمِ السُّنَّةِ فِيهِمَا وَلَا أَخْلَ .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «تَقِيّ الدِّينِ السَّبْكِ» .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ دَرَجَاتِ الْعُلَمَاءِ آخِذَةً فِي مَزِيدِ الرُّقِيِّ ، وَخَصَّ بِرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ كُلَّ تَقِيٍّ ، وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الْإِمَامَةِ لِمَنْ يَصُونُ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ بِالْوَرَعِ وَيَقِي ، وَأَعَادَ إِلَى مَعَارِجِ الْجَلَالِ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَمِيدَ الْجَلَالِ ، وَيَلْتَقِي ، وَأَسَدَلَ جِلْبَابَ السُّودِّ عَلَى مَنْ أَعَدَّ لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاتِ مِنْ قَلْبِهِ وَتَوْبِهِ كُلَّ طَاهِرٍ تَقِيٍّ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَعْلَى عِلْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَقَامَهُ ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّقْوَى بَاقِيَةً فِي أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَدْلٍ قَيِّدٍ<sup>(١)</sup> الْفَضْلَ بِالشُّكْرِ وَأَدَامَهُ ، وَأَيَّدَ النِّعْمَةَ بِمَزِيدِ الْحَمْدِ فَلَا غَرْوَ أَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ «شَهَادَةُ عَدْلٍ فِيهَا قَيْدُ الْخ» وَضُبُّهُ عَلَى لَفْظَةِ «فِيهَا» .

وَالرَّعَامَهُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيْرَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ  
وَمُسْدَرَجِ الْأَقَامَةِ ، وَأَعْلَى بِرَكَتِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيلِ الْهُدَى وَلَا زَمَ طَرِيقَ  
الْإِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُھُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،  
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامَهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةً  
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْيَقِيْنِ وَتُدَيِّمُ ذِمَامَهُ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شِيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،  
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوْطِدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي  
وَتَزِيدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْسُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُودِ مِطْرَفًا مُبَارَكًا وَطِيًّا ، وَتُطْلَقَ  
لِسَانُ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ خَرُّوا لِعَاطَةِ رَبِّهِمْ سُجَّدًا وَبُكْيًا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ وَشَادَهَا ،  
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّبَّانِيَّةَ وَأَعَادَهَا ؛ وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِيْنِ  
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فُسَادَهَا ، وَقَوَّمَ مُنَادَهَا ؛ وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْتَاتًا ،  
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ الثَّقَاةِ رُفَاتَا ، وَأَوْضَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَدْيِهِ وَسَمِيَتْ هَذِيًّا  
وَسِمَاتَا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ الصَّالِحِي الْعَامَدِي ... .. .



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَوْقِيعَ بِحْطَابَتِهِ أَيْضًا ، أُنْشِئَتْهُ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ  
أَبْنِ حَاجِّي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ شِهَابَ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَمَوَاتِ الْمَنَازِرِ بِمِنْ  
قَرَّتْ عُيُونُهَا مِنْ وَلَايَتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِتَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِّ حَبْرٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - نَحْرًا لِلْعَادَةِ - مَبَانِيهَا ، وَشَرَفَ دَرَجَهَا بِأَكْلِ عَالِمِ  
مَاوُضَعَ بِأَسَافِلِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَدَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَسِّ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ خَصَّ مَصَاقِعَ الْخُطَبَاءِ مِنْ فَضْلِ اللِّسَنِ بِالْبَاجِ الْمَدِيدِ ، وَقَصَرَ الْجَامِعَ  
الْأُمَوِيَّ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ خَطِيبُ يَسِيبٍ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَلِيدَ ، وَأَفْرَدَ فَرِيدَ الدَّهْرِ بِاعْتِبَارِ  
الْأَسْتَحْقَاقِ بُرْقَى دَرَجٍ مِنْبَرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
شَهَادَةً تَحْقِيقُ عَلَى مَوَاقِبِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَوَقَّرُ مِنْ تَذْكِيرِ آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى  
أَقْسَامُهَا ، وَلَا تُقْصِرُ عَنْ تَبْلِغِ الْمَوَاعِظِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبَةِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سِنَاتِهَا ، وَأَيَقُظُ الْخَوَاطِرَ النَّائِمَةَ  
مِنْ سُبَاتِهَا ، وَأَحْيَا رَمِيمَ الْأَفْنَدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ مَمَاتِهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابُهُمُ الرُّؤُوسُ ، وَرُفِعَتْ فِي الْمَجَامِعِ رُتَبُهُمْ ،  
فَكَانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ مَنْزِلَةَ الرَّئِيسِ مِنَ الْمَرْؤُوسِ ، صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مُسْجِدًا ،  
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرِقُ الْمَنَابِرِ بِاخْتِرَاقِ الْآفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتِ الْعَنَاءُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْاِقْتِنَارُ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ عَلَيْهِ -  
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أُقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رُسْمُهُ ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى  
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، لَا سِوَا الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ ،  
وَأَمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا خَطَرًا ، وَأَبْيَنُهَا فِي الْحَاسَنِ أَثَرًا ،  
وَأَسِيرُهَا فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ خَبَرًا ، بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ الرِّحَالَ إِلَيْهَا ، وَيَعُولُ  
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ عَلَيْهَا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي الْفَخْرِ قَوَاعِدُهُ ، وَقَامَتْ عَلَى مَمَرِ  
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ ، وَقَاوَمَ الْجَمَّ الْغَفِيرَ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ ، وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تَصْرِفُ الْعَنَاءَ  
إِلَى إِقَامَةِ شَعَائِرِ وَطَائِفِهِ ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رِئِيسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ،

فما شغرت به وظيفته إلا اختاروا لها الأعلى والأرفع، ولا وقع التردد فيها بين اثنين إلا تقيّلوا منهما الأعلم والأورع، خصوصاً وظيفة الخطابة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بها متصدياً، وعلم الخلفاء مقام شرفها بعد فباشرها بأنفسهم تأسياً.

ولما كان المجلس العالي، القاضوي، الشيعي، الكبير، العالمي، الفاضلي، الأوحدي، الأشكلي، الرئيسي، الموهبي، البليغي، الفريدي، المييدي، النجدي، القدوي، الحجّي، المحقّق، الورعي، الخاشعي، الناسكي، الإمامي، العلّامي، الأنيلي، العريقي، الأصيلي، الحاكّي، الخطيبي، الشهابي: بحال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء المجتهدين، حجة الأئمة، عمدة المحدثين، نخر المدرسين، مفتي المسلمين، معز السنة، قاصع البدعة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، حجة المتكلمين، لسان المناظرين، بركة الدولة، خطيب الخطباء، مذكر القلوب، منبه الخواطر، قدوة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين «أبو العباس أحمد» أدام الله تعالى نعمته: هو الذي خطبته هذه الخطابة لنفسها، وعلمت أنه الكفء الكامل فنسيت به في يومها ما كان من مصابيح الخطباء في أمسيها؛ إذ هو الإمام، الذي لا تُسامى علومه ولا تُسام، والعلامة الذي لا تُدرك مداركه ولا تُرام؛ والخبر الذي تُعقد على فضله الخناصر، والعالم الذي يعترف بالقصور عن مجاراة جيازه المناظر؛ والحافظ الذي قاوم علماء زمانه بلا منازع، وعلامة أئمة أوانه من غير مدافع؛ وناصر السنة الذي يذب بعلمه عنها، وجامع أشتات الفنون التي يقتبس أمثال العلماء منها، وزاهد الوقت الذي زان العلم بالعمل، وناسك الدهر الذي قصر عن مبلغ مداه الأمل؛ ورحلة الأقطار الذي تُشد إليه الرحال، وعالم الآفاق الذي لم يسمح الدهر له بمثال - آقتضى



حسن الرأى الشريف أن ترفع من المنابر على درجها ، وتقطع براهينه من دلائل الإلباس الملبسة داحض حجبها ؛ وتقدمه على غيره ممن رام إبرام الباطل فنقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع خفض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنتورى ، المعزى - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبره الذى عاقب فيه راحته الطالع أعزل غيره الغارب ، وليتبعوا ذروة سنامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليقصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قرطيسها المانعة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يذهب مذهب الأمثال السائرة ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامرة ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكمل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإنما تهذيب العلم يغني عنها ، وتأديب الشريعة يكفى مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعنده منها القدر الكافى ، والحاصل الوافى ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لَنرجو فوق ذلك مظهرا » .



الوظيفة السادسة — التّداريس البكار بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتّدرّيس المدرسة الرّيحانية ، كُتِبَ به لقاضى القضاة «عماد الدين الطّرسوسى» الحنفى ، عوضا عن جلال الدين الرّازى . كُتِبَ بسؤال بعض كُتاب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى جعل عماد الدين عليا ، وأحكم مبانى من حكم فلم يدع عصيا ، وقضى فى سابق قضائه لإمضاء قضائه أن لا يبقى عتيا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنبّه بالعلم بوحدانيّته من كان غيبا ، وتكبت لمقاتل سيوف العلماء من كان غويا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى كان عند ربه رضىا ، وعلى ذبه عما شرع من الدين مرضيا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هى التى يتنافس عليها ، ويتطاول إلى التنقل إليها ، ويختار منها ما كسب مباشرة المتقدم ملايس الحلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ، وكانت المدرسة الرّيحانية بمحروسة دمشق هى ريحانة المجالس ، وروضة العلم الزّاكية المغارس ، وبحر الفوائد الذى يخرج الفرائد ، ومسرح العلماء الذى قد آن أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ، وكان ممن قد ولي الأحكام استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدّين جلالا ، لم تكن إلا لمن ينسئ به ذلك

الذَّاهِبُ ، وينسب إليه عِلْمٌ مَذْهَبِهِ كُلُّهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَقْتَصِرُ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْمَذَاهِبِ ؛  
وَيَعْرِفُ مَنْ هُوَ وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِاسْمِهِ ، وَيَعْرِفُ مَنْ هُوَ وَإِنْ لَمْ يُذَكِّرْ بِعَلَاءِ قَدَرِهِ الْعَلِيِّ  
وَعِلْمِهِ ؛ وَلَا يُمْتَرَى أَنَّهُ خَلَفَ « أَبَا حَنِيفَةَ » فِيمَنْ خَلَفَ ، وَحَصَلَ عَلَى مِثْلِ مَا حَصَلَ  
عَلَيْهِ الْقَاضِي « أَبُو يُوسُفَ » وَذَهَبَ ذَلِكَ فِي السَّلَفِ الْأَوَّلِ مَعَ مَنْ سَلَفَ ؛ وَأَعْلَمَ  
بِحِدَالِهِ أَنَّ « مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ » لَيْسَ مِنْ أَقْرَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، وَأَنَّ « زُفَرَ » لَمْ يُرْزَقْ  
طِيبَ أَنْفَاسِهِ فِي بَرَاةِ اللِّسَنِ ؛ وَأَنَّ « الطَّحَاوِيَّ » مَا طَحَا بِهِ « قَلْبٌ إِلَى الْحَسَنِ  
طُرُوبَ » وَ « الْقَاضِي خَانَ » لَدَيْهِ مِنْهُ الْأَنْبُوبُ ؛ وَتَلَقَّبَ « شَمْسُ الْأُتْمَةِ » لَمَّا طَلَعَ  
عِلْمُهُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ ، وَ « الرَّازِيَّ » لَمَّا جَاءَ تَيَقُّنُ أَنَّهُ يَرْوِزُهُ  
عَنْ عِلْمِ الْجُيُوبِ ، وَ « الْمَرْغِينَانِيَّ » مُسَّ وَلَمْ يُرْغَنَ لَهُ فِي مَطْلُوبِ ؛ وَ « الثَّلَجِيَّ » مَا بَرَدَ  
لَطَائِلُ غَلَّةِ ، وَ « الْخَبَّازِيَّ » لَمْ يُوَجَدْ عِنْدَهُ لَطْعَامٌ فَضَّلَهُ ، وَ « الْهِنْدَوَانِيَّ » مَا أَجْدَى  
فِي جِلَادِ الْحِدَالِ وَلَا هَزَّ نَصْلَهُ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يُشَارُ إِلَيْهِ وَالتَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ لَهُ بِالْحُكْمِ  
الْمُطْلَقِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ شَاهِدٌ ، وَدَسْتُ الْحُكْمَ عَلَى عُلَى كِبَوَانِ شَائِدِ ؛  
وَمَدَارِسُ الْعِلْمِ تُسَمِّرُ مِنْ حُبِّهِ ، مَا حُنِيتَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَارِبِهَا الْأَضَالَعِ ، وَبَجَالِسِ الْقَضَاءِ  
تُظْهِرُ بَقْرِيهِ ، مَا لَمْ يَكُنْ تُدَانِي إِلَيْهِ الْمَوَاضِعُ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْقَضَائِيَّ ، الْأَجَلِّيَّ ، الْإِمَامِيَّ ، الصَّدْرِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ،  
الْعَامِلِيَّ ، الْعَلَامِيَّ ، الْكَامِلِيَّ ، الْقَاضِيَّ ، الْأَوْحَدِيَّ ، الْمُفِيدِيَّ ، الْوَرَعِيَّ ، الْحَاكِمِيَّ ،  
الْعِمَادِيَّ ؛ ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الْأَنَامِ ، صَدْرُ الشَّامِ ، أَثِيرُ الْإِمَامِ ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ  
وَالْحُكَّامِ ؛ رَئِيسُ الْأَصْحَابِ ، مُعِزُّ السَّنَةِ ، مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ ، جَلَالُ الْأُتْمَةِ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ  
وَالسَّلَاطِينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الطَّرَسُوسِيِّ الْحَنْفِيِّ ، قَاضِي

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ مِنْ زِيَادَةِ قَلَمِ النَّاسِخِ .  
(٢) بَرُوْزُهُ يَسْأَلُهُ وَيَخْتَبِرُهُ . يَرِيدُ  
يَسْأَلُهُ عَنْ عِلْمِ الْجُيُوبِ الْفَلَكَيَّةِ .  
(٣) مِنْ أَرْغَنَ لَهُ فِي كَذَا . أَطَاعَهُ فِيهِ .

القُضَاة بالشَّام - نشر مُلَاةَ مَذْهَبِهِ ، وَحَلَّى بِجُلُوسِهِ لِلْحُكْم طَرَفِي النَّهَارِ إِضَاءَةً مُفَضِّضَةً  
 وَتَوْشِيحَ مَذْهَبِهِ ؛ طَالَمَا سَاسَ الرِّعْيَةَ بِحُكْمِهِ ، وَسَادَ نَظْرَاهُ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ  
 بَعْلَمُهُ وَحِكْمُهُ ؛ وَسَارَ مِثْلَ فَضْلِهِ فِي الْأَقْطَارِ وَضَوْءُ الشَّمْسِ مَرْدُّ شُعَاعِهِ ، فَطَالَ إِلَى  
 السَّمَاءِ وَقَصُرَ الْأَفْقُ الْمُنْتَدِّ عَلَى طَوْلِ بَاعِهِ ، وَفَاضَ فَيْضُ الْغِيَامِ وَمَا آكَلَ الْبَحْرُ بِكَيْلِهِ  
 وَلَا صَارَ مِثْلَ صَاعِهِ ؛ وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ أَنْ يُجْبِيَ  
 رِيحَانَتَهَا ، وَلَا أَنْ تُوْدَى إِلَى يَدِ سِوَاهُ فَيُودِعَ أَمَاتَهَا ؛ فَأَثَرَهَا عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ  
 الْمُقَدِّمِيَّةَ الْمُتَقَدِّمَ لَهُ دَرْسُهَا ، الْمُعْظَمَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ غَرُسُهَا ؛ لِيُوسِّعَ بِهَا عَلَى الطَّالِبِ  
 مَذْهَبَهُ ، وَيَقْرُغَ لَهَا سَاعَةً مِنْ أَوْقَاتِهِ الْمُتَنَبِّهَةِ ، وَيَهَبَ [لَهَا] مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ  
 فِي يَدِهِ مَا لَوْ شَاءَ مَا وَهَبَهُ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُقَرِّبُ الْآمَادَ ، وَيُرِضِي الْقَوْمَ وَأَقْضَاهُمْ عَلَى  
 وَأَثْبَتَهُمْ طَوْدًا الْعِمَادَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ الرَّيْحَانِيَّةِ الْمَعِينَةِ أَعْلَاهُ ، عَلَى  
 عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ؛ بِحُكْمِ تَرْكِهِ لِلْمُقَدِّمَةِ لِهَبِّ عَلَيْهِ رَوْحُهَا  
 وَتَهَبَ لَهُ السَّعَادَةُ رِيحُهَا ؛ وَلَهَا مِنَ الْبُشْرَى بَعْلَمُهُ مَا تَمَيَّسُ بِهِ رَيْحَانَتُهُ رِيحُهَا سُورًا ،  
 وَتَمِيدُ وَقَدْ أَكْنَتْ جَبَلًا مِنَ الْعِلْمِ وَقُورًا ؛ وَتَمْتَدُّ وَقَدْ نَأَخَتْ فِي مِسْكَةِ اللَّيْلِ عَيْرًا ،  
 وَفِي أَفْوَانَةِ الصَّبَاحِ كَافُورًا ؛ وَمَا نُوصِي مِثْلَهُ - أَجَلَ اللَّهِ قَدْرَهُ - بِوَصِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ  
 يَعْلَمُهَا ، وَيُلْقِنُهَا مِنْ حِفْظِهِ وَيُعَلِّمُهَا ؛ وَمَنْ فَضَّلَ قَضَائِهِ تُوَخَّذُ الْآدَابُ ، وَتُنْفَذُ سِهَامُ  
 الْآرَاءِ وَالْآرَابِ . وَتَقْوَى اللَّهِ بِهَا بَاطِنُهُ مَعْمُورٌ ، وَكُلُّ أَحَدٍ بِهَا مَأْمُورٌ ؛ وَمَا نَذَرَهُ  
 بِهَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهَا ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرِهَا . وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُتَفَقِّهَةُ هُمْ جُنْدُهُ ،  
 وَبِهِمْ يَجِدُّ جِدُّهُ ، [ فليجعلهم له في المشكلات عدَّة ، وليصرف في ] الإحسان إليهم  
 جُهِدُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَى مَا وَلَّى ، وَيُعِينُهُ لِكُلِّ عَلِيَاءٍ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَحُلَّهَا إِلَّا عَلَى .  
 وَسَبِيلُ كُلِّ وَقَفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



الوظيفة السابعة — التصدير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لقاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى بدمشق : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفيهما، والثانى بزول، ونخرج عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى شوال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال، مترددا فى فلك المعالى بأكرم مساعين بهاء وجمال، منزها عن شوائب النقص فى جميع حالاته : فإما مرتقب الظهور فى سريره، أو متيسر بالتتام فى إبداره، أو أخذ فى الأزدياد وهو هلال .

نحمده على أن أفر الحقوق فى أهلها، وأنترع من الأيدى الغاصبة ما اقتطعته الأيام الجائرة بجهلها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحمى قائليها من شوائب التكدير، ونصون متحليها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أقتفت أمته أناره وأتبعته سننه، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفالة الردى، صلاة يبق على مدى الأيام حكمها، ولا يتدرس على ممر الليالى رسمها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له الحقوق القديمه، وحفظت له مساعيه الكريمة، وخُلدت عليه النعم التى حق لها أن تكون بأهلها مقبمه، من كرم أصلا وطاب

فَرَعَا ، وَزَكَا مَنبَعًا وَعَدُبَ تَبَعًا ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ الْمُتَوَاتِرِ فَأُعِدِّقَ الْحُكْمُ  
بِتَفْضِيلِهِ قَطْعًا ، وَمِنْ إِذَا تَكَلَّمَ فَاقَ بِفَضْلِهِ نَثْرَ اللَّالِي ، وَإِذَا قُدِّرَ قُدْرَهُ انْحَطَّتْ عَنْ  
بُلُوغِ غَايَتِهِ الْمَعَالِي ، وَإِذَا طَلَعَ بَدْرُهُ الْمُضِيُّ مِنْ أَفْقِ مَجْلِسِهِ الْمَوْرُوثِ عَنْ أَبِيهِ وَأَعْمَامِهِ  
قَالَ : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهِدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ؛ وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِمَحَلَّتِهِ الْبَيْتَةِ غَشِيَتْهُ  
مِنْ الْهَيْبَةِ جَلَالُهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلَبَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ  
فِي هَذِهِ الْهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَتَبَعَ طَلَبَتَهُ عَلَى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِتِّمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَشَمَّخُ نَفُوسِ  
تَلَامِيذِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدِّرِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمَضَرَّ طَلَعِ الشَّامِ  
بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمَضَرَّ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وَكَانَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَاضِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْأَفْضَلِي ،  
الْأَكْمَلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْبَلِيغِي ، الْفَرِيدِي ، الْمُفِيدِي ، النَّجِيدِي ، الْقُدُوسِي ،  
الْحُجِّي ، الْمُحَقِّقِي ، الْإِمَامِي ، الْأَصِيلِي ، الْبَدْرِي ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ  
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُفِيدِينَ ، قُدُوةُ الْبُلَغَاءِ ، حُجَّةُ الْأَدَبِ ، عُمْدَةُ  
الْمُحَدِّثِينَ ، نَخْرُ الْمُدْرَسِينَ ، مُفْتِي الْفِرَقِ ، أَوْحَدُ الْأَئِمَّةِ ، زَيْنُ الْأُئِمَّةِ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ  
وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَاضِي ،  
الْكَبِيرِي ، الْمُرْحُومِي ، الْبَهَائِي ، أَبِي الْبَقَاءِ الشَّافِعِي ، السُّبْكِي ، ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى  
نِعْمَتَهُ : هُوَ عَيْنُ أَعْيَانِ الزَّمَانِ ، وَالْمُحَدِّثُ بِفَضْلِهِ عَلَى مَرَّ اللَّيَالِي وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ ؛  
مَا وَلِيَ مَنَصِبًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ إِلَّا كَانَ لَهُ أَهْلًا ، وَلَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ مِنْ  
مَجْلِسِ عِلْمٍ إِلَّا قَالَ لَهُ مَهْلًا ؛ وَلَا أَسْتَبْدِلَ بِهِ فِي وَظِيفَةٍ إِلَّا نُسِبَ مُسْتَبْدَلُهُ إِلَى  
الْحَيْفِ ، وَلَا صُرِفَ عَنْ وِلَايَةٍ إِلَّا قَالَ أَسْتَخَفَّاهُ : كَيْفَ سَاغَ ذَلِكَ لِمُتَعَاظِيهِ  
فَكَيْفَ وَكَيْفَ .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،  
البارعى، الأصيلى، العريقى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،  
جمال الأعيان، نجلى الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة  
أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به  
عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل؛ قد أرضع لبان العلم وربى فى حجره، ونشأ  
فى بَيْتِه ودرج من وكره؛ وكل له سُودُّ الطرفين : أباً وأماً، وحصل على شرف  
الحَمْدَيْن : خالاً وعمماً؛ لم يقع عليه بصر مُبْصِرٍ إِلَّا قال : نِعَم الولد، ولا تَأْمَلْهُ صَحِيح  
النَّظَرِ إِلَّا قال : هذا الشُّبْلُ من ذاك الأسد؛ ولا رمى والدّه إلى غايَةٍ إِلَّا أدركها،  
ولا أحاط به مِنْطَقَةُ طَلَبَةٍ إِلَّا هَزَّهَا للبحث وحركها؛ ولا أَقْتَفَى أثر أبيه وجده  
فى مَهَيِّجِ فَضْلِ إِلَّا قال قائله : أَكْرَمَ بِهَا مِنْ دُرِّيَّةٍ مَا أَبْرَكَهَا ! .

وَأَتَّفَقَ أَنْ خرج عنهما ما كان باسمهما من وَظِيفَتَيِ التَّصْدِيرِ بِالْحَامِعِ الْأُمَوِىِّ  
المعمور بذكر الله تعالى بِدَمْشَقِ المَحْرُوسَةِ : الْمُتَّقِلَّةِ إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِمَا عَنْ سَلَفِهِمَا  
الصَّالِحِ قِدَمًا، وَالصَّائِرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْهِمَا بِطَرِيقِ شَرْعِيٍّ مُعْتَبَرٍ وَضَعًا وَنَائِبٍ حُكْمًا -  
أَقْتَضَى حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يحفظ لهما سَالِفُ الخِدْمَةِ، وَيُرْعَى لهما قَدِيمُ الْوَلَاءِ  
فَالْعِبْرَةُ فى التَّقْدِيمِ عِنْدَ الْمُلُوكِ بِالْقُدَمَةِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لِدَوَىِ الْبُيُوتِ حَافِظًا، وعلى الإحسان  
لأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ على مَرِّ الزَّمانِ مُحَافِظًا - أَنْ يُعَادَ ذلك إِلَيْهِمَا، وَيُؤَالَى مَزِيدُ  
الإحسان عليهما؛ فَلْيَتَلَقَّيا ذلك بِالْقَبُولِ، وَيَسْطَا بِالْقَوْلِ أَلْسِنَتُهُمَا فَمَنْ شِمْلَهُ إِنْعَامُنَا  
الشَّرِيفُ حَقٌّ لَهُ أَنْ يَقُولَ وَيَطُولَ؛ وَمِلاكُ أَمْرِهِمَا التَّقْوَى فهِى خَيْرُ زَادٍ، وَالْوَصَايَا

وإن كَثُرَتْ فعنهما تؤخذ ومنهما تُستفاد؛ والله تعالى يُقرُّ لهما بهذا الاستقرار عينا،  
ويُنْجِ خواطرهما بهذه الولاية إِبْهَاجَ من وَجَدَ ضَلَّتَهُ فقال : (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ  
إِلَيْنَا) . والاعتماد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، مُجَّةً بِمُقْتَضَاهُ ؛  
إن شاء الله تعالى .

### الوظيفة الثامنة — النَّظَر .

وهذه نسخة توقيع بنظر البَيَّارِستان النُّورى، كُتِبَ بها لمن لَقِبَهُ «شِهَابُ الدِّين»  
وهى :

رِسْمَ ... - لا زَالَ يُطْلَعُ في سماءِ المناصبِ السَّيِّئَةِ من ذَوَى الْأَصَالَةِ وَالْكُنَايَةِ  
شِهَابًا، وَيُوزَعُ الْمُسْتَحَقِّينَ بِجِهَاتِ الرَّشْكَه إِذْ اخْتَارَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْضَةِ مَنْ ارْتَدَى  
الْعَفَافِ جِلْبَابًا، وَيُودَعُ صَحَائِفَ الْأَيَّامِ ذِكْرَهُ الْجَمِيلَ حِينَ أَحْيَا قُرْبَاتِ الْمُلُوكِ  
السَّالِفِينَ بِاتِّخَابِ مَنْ يُحَدِّدُ لَهُمْ بِحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ ثَوَابًا - أَنْ يُجَمَلَ «مَجْلِسُ الْأَمِير»  
فُلَانٌ : أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا هُوَ بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْبَيَّارِستانِ النُّورى بِدَمْشَقِ الْحَرْوسَةِ ،  
عَلَى حُكْمِ التَّوْقِيعِ الْكَرِيمِ وَالْوَلَايَةِ الشَّرْعِيَةِ اللَّذِينَ بِيَدِهِ ، وَاسْتَقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَاهُمَا  
أَسْتَقْرَارًا يَسْطُو فِي هَذَا الْمَنْصِبِ يَدَهُ وَلِسَانَهُ ، وَيُظْهِرُ شِهَابَ عَدْلِهِ الَّذِي يُحْرِقُ مِنْ  
الْجَوْرِ شَيْطَانَهُ ؛ وَيُبْرِزُ مِنْ مُبَاشَرَتِهِ مَا عُرِفَ جَوْهَرُهُ بِحُسْنِ الْإِتْقَانِ وَإِبْرِيزُهُ بِحُسْنِ  
الْإِنْتِقَادِ ، وَمِنْ تَأْثِيرِهِ مَا تَبْلُغُ بِهِ الْإِنْفُسُ الْمُرَادَ بِأَوْسَعِ مَرَادٍ ؛ وَيُنْدِي مِنْ تَدْيِيرِهِ ،  
مَا يُنْتِجُ تَمِيزَ الْوَقْفِ وَتَمِيمَهُ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَاسْلُكْ فِيهَا مَا عُمِدَ مِنْ طَرِيقَتِهِ  
الْمُسْتَحْسَنَةِ ؛ مُحْصَلًا مِنَ الْمَقْرَدَاتِ مَا يَصْرِفُهَا لِمُسْتَحَقِّهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، مُثَارًا



على حُسن مُعَالَجَةِ الْمَضْرُورِ الَّذِي لَا تَقْدِرُ يَدُهُ مِنَ الْعِجْزِ عَلَيْهَا ؛ مُوَاصِلًا فِعْلَ الْخَيْرِ  
بِاسْتِمْرَارِ صِدَقَاتِ الْوَاقِفِ لِيُشَارِكَهُ فِي الْأَجْرِ وَالنَّوَابِ ، مُسْتَجِيبًا لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ وَلَنَا  
بِمُشَارَكَتِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْعَمَلِ بُسْتَةً إِلَى يَوْمِ الْمَأْتِ ، ضَائِعًا أَمْوَالَ هَذِهِ الْجَهَةِ بِتَحْرِيرِ  
الْأَصُولِ وَالْمَطْلُوقِ وَالْحِسَابِ وَالْحُسْبَابِ ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى الْخُدَامِ وَالْقَوَمَةِ بِحَسَنِ الْخِدْمَةِ  
لِلْعَاجِزِ وَالضَّعِيفِ ، مُؤَكِّدًا عَلَيْهِمْ فِي أَخْذِهِمْ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ دُونَ الْكَلَامِ الْعَنِيفِ ؛  
مُتَزِمًا لَهُمْ بِجَوْدَةِ الْخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، مُؤَاخِذًا لَهُمْ بِمَا يُحِلُّونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِهْمَالًا  
وإِفْصَارًا ؛ مُتَقَدِّمًا إِلَى أَرْبَابِ وَظَائِفِ الْمَعَالِجَةِ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ ، وَاسْتِدْرَاكِ الْأَدْوَاءِ  
الْمُسْقِمَةِ بِإِتْقَانِ الْأَدْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ الْأَحْوَالُ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْمَكَانِ  
أَنَّ وَرَاءَهُمْ مَنْ يَقَابِلُهُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَلِيَبْذُلَ فِي ذَلِكَ جُوهْدَهُ فَإِنَّ الْأَجْتِهَادَ الْقَلِيلَ  
يُؤَثِّرُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعِنْدَهُ مِنَ النَّادِبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ مَا فِيهِ  
كَفَايَةٌ ، وَفِي أَخْلَاقِهِ مِنْ جَمِيلِ الْمَآثِرِ وَمَا حَازَهُ فِي الْبِدَايَةِ مَا يَنْفَعُهُ فِي النِّهَايَةِ ؛ وَلَكِنْ  
تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، وَالْمَهْلُ الَّذِي مِنْ وَرَدِهِ يَرَوَى ؛ فَلْيَجْعَلْنَاهَا  
لَهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَمَعْقِلًا عِنْدَ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَلِّغُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ  
الْأَمَلِ وَالْمُرَادِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! ، وَالْاعْتِمَادُ ... .. إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## الصنف الثالث

(من تواقع أرباب الوظائف بحاضرة دمشق - تواقع أرباب  
الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان )

## المرتبة الأولى

( ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالي» وهي على ضريين )

الضرب الأول<sup>(١)</sup>

( تواقع الوزارة بالملكة الشامية على ما استقر عليه الحال )

فقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب بالشام للصاحب <sup>(٢)</sup> [عز] الدين أبي يعلى  
« حمزة بن القلايسى » رحمه الله بـ «الجناح العالي» لحالة قدره ، وسابقة خدمه ،  
وعناية من كتب له بذلك . لكنه لم يبين مقدار قطع الورق لذلك . ولا يخفى أنه  
كتب به في قطع الثلاثين ، على القاعدة في أنه يكتب للجناح في قطع الثلاثين . وقد ذكر  
بعد ذلك أن الذي استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام « المجلس العالي »  
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[ وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى — ولاية تدبير الممالك الشامية <sup>(٣)</sup> ] .

وهذه نسخة توقيع للصاحب « أمين الملك » المذكور بتدبير الممالك الشامية  
والخواص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدي ، وهي :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) بياض بالأصل والتصحيح من " التعريف " ( ص ٧٥ ) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتتم الكلام .

الحمد لله الذى جعل وَلِيَّ أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةَ، أَمِينًا، وَأَحْلَهَ من صَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةَ، مَكَانًا  
أَيَّمًا تَوَجَّهَ وَجَدَهُ مَكِينًا، وَخَصَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَصْدُ  
بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةَ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الْأَمَلِ الذِّى لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنَ بِهِ آفَاقُ  
الْمَعَالِي فَا دَجَا أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلَ بِهِ الرُّتَبَ الْفَاخِرَةَ فَكَمْ قَلْدُ  
جِيدِهَا عِقْدًا نَفِيسًا وَرَصَّعَ تَاجُهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ  
الذِّى آتَخَذَ الْأَقْلَامَ عَرِينًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي حَصَصْنَا بِوَلِيِّ نَجْمِ بِلَدِنَا، وَتَعْنَى الْمَالِكِ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ  
الْأَنْصَارِ وَالْحَقُولِ، وَنَحْسُدُ أَيَّامَنَا الشَّرِيفَةَ [ عَلَيْهِ ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى مِنْ الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .  
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَسْتَمْطِرُ بِهَا صَوْبَ الصَّوَابِ،  
وَنَرْفُلُ مِنْهَا فِي ثَوْبِ الثَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرَّهَا وَاصِلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَأْبِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الذِّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَضَيْنَ، وَحَبِيبُهُ الذِّى فَضَلَ  
الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجَّيَهُ الذِّى أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى  
مُجَبَّةً عَلَى الْمُلْحِدِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَوَزَرُوا، وَأَيَّدُوا  
حَرْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لَهُمْ هُدًى إِذَا حُشِرُوا،  
وَتَضْوَعُ لَهُمْ عَرَفُهُمْ فِي الْعُرْفِ وَتُطِيبُ نَشْرَهُمْ إِذَا نُشِرُوا؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرًى وَأَقْلَهَا سِرَارًا،  
وَأَعْلَاهَا مَنَارًا، وَأَطْيَبَ الْجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَثَمَارًا، وَبُخْرَ خِلَالِهِ كُلُّ نَهْرٍ  
«يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى»، وَرَنَحَتْ مَعَاطِفَ غُصُونِهِ سُلَافُ التَّسِيمِ قَرَاهَا  
سُكَارَى، وَمَدَّتْ ظِلَالُ الْغُصُونِ فَتَخَالَ أَنَّهُمَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت دِمَشْقُ المحروسَةُ لها هَذِهِ الصِّفَاتُ ، وعلى صَفَاهَا تَهْبُ نَسَمَاتُ هَذِهِ  
السَّمَاتِ ، لم يَتَّصِفْ غَيْرُهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، ولا اتَّفَقَ أُولُوا الْأَبَابِ إِلَّا على مُحَاسِنِهَا  
الْمُخْتَلِفَةِ ؛ فهي الْبُقْعَةُ الَّتِي يَطْرُبُ لِأَوْصَافِ جَمَاهَا الْجَمَادُ ، والْبَلَدُ الَّذِي ذَهَبَ بَعْضُ  
الْمُفَسِّرِينَ إلى أَنَّهَا إِرْمُ ذَاتِ الْعِمَادِ ؛ وهي فِي الدُّنْيَا أُمُودُجُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ،  
ومِثَالُ النِّعَمِ لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ؛ وهي زَهْرَةٌ مُلْكَمَا ، ودُرَّةٌ سِلْكِيَا ؛ وقد خَلَّتْ  
هَذِهِ الْمُدَّةُ مِمَّنْ يُرَاعَى تَذْيِيرُهَا وَيُجْبَى حَوْزَتُهَا وَيُحَاشِيهَا مِنَ التَّدْمِيرِ وَيَمْلَأُ خَرَائِمَهَا  
خَيْرًا يُجْنَى ، إِذَا مَلَأْنَا سَاحَتَهَا خِيَلًا وَرَجَلًا - تَمَيَّنْ أَنْ نَتَدَبَّ لَهَا مِنْ جَرَبِنَاهُ بَعْدًا  
وَقُرْبًا ، وَهَزْزَنَاهُ مَثَقَفًا وَسَلَاسَنَاهُ عَضْبًا ، وَخَبَانَاهُ فِي خَرَائِنِ فِكْرِنَا فَكَانَ أَشْرَفُ مَا يُدْخَرُ  
وَأَعَزُّ مَا يُنْجَبُ ؛ كَمْ نَهَى فِي الْأَيَّامِ وَأَمَرَ ، وَكَمْ شَدَّ أَرْرًا لَمَّا وَزَرَ ، وَكَمْ غَنَيْتُ بِهِ أَيَّامُنَا  
عَنِ الشَّمْسِ وَآيَالِنَا عَنِ الْقَمَرِ ، وَكَمْ رَفَعْنَا رَايَةً بِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابُهُ فَضْلُهُ بِيَمِينِ الظَّفَرِ ،  
وَكَمْ عَلَا دُرًّا رُتِبَ تَعَزُّ على الْكَوَاكِبِ الثَّائِتَةِ فَضْلًا عَمَّنْ يَتَنَقَّلُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مِنَ  
الْبَشَرِ ، وَكَمْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ جُمَادِي وَأَعَادَهَا رَبِيعًا غَرَّدَ بِهِ طَائِرُ الْإِقْبَالِ وَصَفَرَ .

و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] <sup>(١)</sup> هو معنى هذه الإشارة، وشمس هذه الهالة  
وبذر هذه الدَّارَ ؛ نَزَلَ مِنَ الْعِلْيَاءِ فِي الصِّمِيمِ ، وَخَرْنَا بِأَقْلَامِهِ إِلَى هِي سُمْرُ الرِّجَاحِ كَمَا  
نَخَرَتْ بِقَوْسِهَا تَعِيمَ ؛ وَحُفِظَتِ الْأَمْوَالُ فِي دَفَائِرِهِ الَّتِي يُوشَّيْهَا فَأَوَتْ إِلَى الْكَهْفِ  
وَالرَّقِيمِ ، وَقَالَ لِسَانُ قَلْبِهِ : « اجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيطٌ عَلِيمٌ » وَعَقِمَ  
الزَّمَانُ أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِهِ « إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَعَقِيمٌ » وَتَشَبَّهَ بِهِ أَتَوَامٌ فَبَانُوا وَبَادُوا ، وَقَامَ  
مِنْهُمْ عِبَادُ الْعِبَادِ فَلَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ كَادُوا - أَرَدْنَا أَنْ تَنَالَ الشَّامُ فَضْلَهُ كَمَا نَالَ مَضْرُ  
فَمَا تَسَاهَمَ فِيهِ سَوَاهُمَا ، وَلَا يَقُولُ لِسَانُ الْمُلِكِ لغيره :

حَلَلْتَ بِهِذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً \* بِهِذَا فَطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

فلذلك رسم بالأمر الشريف أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْيِيرُ الْمَالِكِ الشَّرِيفَةِ ، وَنَظَرُ  
الْخَوَاصِّ الشَّرِيفَةِ وَالْأَوْقَافِ الْمُبْرُورَةِ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ .

فَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْوِلَايَةَ بِالْعَزْمِ الَّذِي نَعَهْدُهُ ، وَالْحَزْمِ الَّذِي شَاهَدَنَاهُ وَنَشْهَدُهُ ، وَالتَّذْيِيرِ  
الَّذِي يَعْتَرِفُ الصَّوَابُ لَهُ وَلَا يَجْحَدُهُ ؛ حَتَّى يُثَمِّرَ الْأَمْوَالَ فِي أَوْرَاقِ الْحِسَابِ ، وَتَزِيدَ  
نُمُوًّا وَسُمُوًّا فَتَفُوقُ الْأُمُوجَ فِي الْبِحَارِ وَتَفُوتَ الْقَطَرُ مِنَ السَّحَابِ ؛ مَعَ رِفْقٍ يَكُونُ  
فِي شِدَّتِهِ ، وَلِينٍ يَزِيدُ مَضَاءَ حِدَّتِهِ ، وَعَدْلٍ يَصُونُ مُهْلَةَ مُدَّتِهِ ؛ وَالسَّدْلَ يُعَمِّرُ ،  
وَالْعَدْرُ يُدَمِّرُ ، وَلَا يَثْمُرُ ؛ بَحِيثٌ إِنَّ الْحَقُوقَ تَصِلُ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَالْمَعَالِمُ تَطْلُعُ بِدُورِ  
بَدْرِهَا كَامِلَةً كُلَّ هَلَالٍ عَلَى أَصْحَابِهَا ؛ وَالرُّسُومَ لَا تَرْدَادُ عَلَى الطَّاقَةِ فِي بَابِهَا ، وَالرَّعَايَا  
يَجْنُونَ ثَمَرَ الْعَدْلِ فِي أَيَّامِهِ مُتَشَابِهًا ؛ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى بَعْضِ أَوْلِيَائِنَا بِنَحْلٍ فَلَا يُكَدِّرُ  
وَرْدُهَا بَأَن تَوْحَرُ ، وَإِذَا أَسْتَدْعَيْنَا لِأَبْوَابِنَا بِمُهِمٍّ فَلْيَكُنِ الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ يُجِلُّ الْبَرْقَ  
الْمُنَاقِقَ فِي السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ؛ فَمَا أَرَدْنَاكَ إِلَّا لِأَنَّكَ سَهْمٌ خَرَجَ مِنْ كَنَانِهِ ، وَشَهْمٌ لَا يَنْهَى  
إِلَى الْبَاطِلِ عِيَانَهُ وَعِنَانَهُ ؛ فَاشْكُرْ هَذِهِ النِّعْمَةَ عَلَى مَا نَحْنُجُهَا ، وَشَفِّفِ الْأَسْمَاعَ بِمَدَائِحِهَا ؛  
مُتَحَقِّقًا أَنَّ فِي الثَّقَلِ ، بُلُوغَ الْعِزِّ وَالْأَمَلِ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغُ مَنَى « لَمْ  
تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ » ؛ فَاسْتَصْحِبِ الْفَرَحَ وَالْجَدَلَ ، بَدَلَ الْفِكْرِ وَالْجَدَلَ .

الوظيفة الثانية — كتابة السَّرِّ بِالشَّامِ .

وَيَعْبَرُ عَنْهَا بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدِمَشْقَ . وَشَأْنُهُ هُنَاكَ شَأْنُ كَاتِبِ  
السَّرِّ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهَا لِفَتْحِ الدِّينِ بْنِ  
الشَّهِيدِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْثَانِيِّ ، فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ  
وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهِيَ :

الحمد لله يُجْزِلُ الْمَنَ وَالْمَنْحَ ، وَمُرْسِلُ سَحَابِ الْعَطَاءِ السَّمْحَ ، وَمُعْمِلُ فِكْرِنَا الشَّرِيفِ  
فِي اتِّخَابِ مَنْ أَوْرَى زَنْدَ الْخَيْرِ بِالْقَدَحِ ، وَمُنْقِلُ السَّرَّيْنِ الْأَفْضَلِ مِنْ صَدْرِ إِلَى  
صَدْرِ يَحْمِي يَصُونُ لَهُ السَّرْحَ ، وَيُعْنِي مَشْهُورَ الْفَاطِهَ عَنِ الشَّرْحِ ؛ وَجَمِّلِ بِنَاءَ الدِّينِ ،  
بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صَمِيمِ الْفَضْلِ الْمُيِّنِ ، وَمَا اقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ عَاطِرَةِ النَّفْعِ ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنَنِ عَالِيَةِ السَّفْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُجَبِّى قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ وَتَقْبِيهِ شَرَّ شَرَرِ ذَلِكَ  
اللَّفْحِ ، وَتَحْطُبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَارِ الْأَنَامِلِ قُنُوشُ عِنْدِهَا مِنْ مُطَرَبَاتِ  
الْوُرْقِ عَلَى غُصُونِ الْأَوْرَاقِ هَدْيِلُ الصَّدْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَغَ  
الرِّسَالَةَ وَادَّى الْأَمَانَةَ وَعَامَلَ الْأُمَّةَ بِالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرَحُّ وَأَمِنَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ  
وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّه اللَّهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالْمَدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيْمٍ مِّنْ حَا وَمَنْ لَمْ يَلْحَ ؛ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ  
حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكُدِّ وَالْكَدْحِ ؛ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ الْمُظَلَّلَةَ ، وَنَصَبُوا  
أَقْلَامَهُمُ الْمُعَدَّلَةَ ، فَكَمْ لَهُمْ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِرَاحٍ لَا تَعْرِفُ الْجَرْحُ ؛ وَذَادُوا عَنْ حَوَازَةِ  
الدِّينِ ، بِإِرَاقَةِ دَمِ الْكُفَّارِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، فَحَسُنَ مِنْهُمْ الذَّبُّ وَالذَّبْحُ ؛ وَكَانُوا قُرْسَانَ  
الْكَلَامِ ، وَأُسُودَ الْإِقْدَامِ ، الَّذِينَ طَالَمَا خَسَّاتُ بِهِمْ كِلَابُ الشَّرِكِ فَلَمْ تُطِيقِ التَّبَعُ ؛  
صَلَاةٌ دَائِمَةٌ بِأَقْيَةِ الصَّرْحِ ، مَا اقْتَرَنَ النَّظْرُ بِاللَّفْحِ ، وَمَا هَظَلَ السَّحَابُ بِالسَّحْ ؛ وَسَلِّمْ  
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ خَطَبَتِ الْمَنَاصِبُ الْعَالِيَةَ ، مُحَاسِنَتَهُ الْجَلِيلَةَ الْجَلِيلَةَ ، وَرَغِبَتْ  
الْمَرَاتِبُ الَّتِي هِيَ بِالْخَيْرِ حَرِيَّةً ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ الْمَفَاحِرِ حَالِيَّةً ، وَتَجَبَّتْ

سَحَابُ الإِقْبَالِ الْوَابِلِ، ذُبُولُ فَضَائِلِهِ الْفَاضِيَّةِ، وَكَتْسَبُ الْعُلُومِ الْفَرَعِيَّةِ وَالْأَصْلِيَّةِ،  
 مِنْ تَجَامِيعِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرِبُ عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَائِدِ الْجُمْلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ - مِنْ شَهَدَتِ الْمَقَاحِرُ  
 بَأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنُ الشَّهِيدِ، وَحَسَدَتِ الْمَآثِرُ الَّتِي هُوَ الشَّهِيرُ بِهَا فَمَا عَلَيْهَا  
 فِي جَمِيلِ الْأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ؛ وَتَشَسَّيَدَتِ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْرَنَ بِأَبْ خَيْرِهَا مِنْهُ  
 بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ الْمَتِينِ؛ وَتَعَدَّدَتِ  
 أَوْصَافُ شَيْعِهِ فَهِيَ لِمَحَاسِنِ الدَّهْرِ تَزِيدُ وَتَزِينُ، وَغَدَا مِنْ الْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ وَالْكَرَامِ  
 الْكَاتِبِينَ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَاصِدُ الْمَقَاصِدِ وَتَبِينُ. طَالَمَا أَتَسَّقُ عِقْدُ نَظْمِهِ  
 الْمَتِينِ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ الْمُثْمِرُ بِالْدِّينِ، وَأَضَافَ إِلَى آدَبِ الْكُتَّابِ حِلْيَةَ الْعُلَمَاءِ  
 الْمُتَقِينَ، وَأَرْتَقَبَ أَفْعَالَ الْجَمِيلِ الَّتِي أَسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّيِّ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ  
 الْمُتَقِينَ، وَقَدْ أَجَادَ الطُّرُوسُ جَوَاهِرَ الْفَاطَةِ الَّتِي تَفُوقُ الْجَوْهَرَ عَنْ يَقِينٍ؛ فَهِيَ  
 بُضَارُ خَطِّهِ مَصُوعَةٌ أَبْهَجَ صِيَاجِهِ، وَفِي طَرِيقِ الْإِنْشَاءِ سَالِكَةٌ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ، وَكَذَا  
 يَحَارُ الْفَضَائِلُ وَارِدَةٌ مَنَاهِلِهَا الْمُسَاغَةِ؛ كَمْ أَعْرَبَ كَلِمُهُ الطَّيِّبُ، عَنْ سَخِّ سَحَابِ الصَّوَابِ  
 الصَّيِّبِ؛ وَكَمْ أَغْنَى فِي الْمُهِمَّاتِ بَكُوتُهُ، عَنْ جَبَشِ الْكَتَائِبِ وَقُضْبِهِ؛ وَكَمْ هَزَأَتْ  
 صَحَائِفُهُ بِالْصَّفَاحِ، وَكَمْ أَغْنَتْ رَاشِقَاتُ فِكْرِهِ الثَّابِتَةِ الْعِلْمَ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّائِحِ؛ وَكَمْ  
 تَسَاجَرَتْ أَقْلَامُهُ الْبَيْضُ الْفِعَالِ هِيَ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ فَكَانَ نَصْرُهَا الْإِلَاحِ، وَكَمْ تَعَارَضَ نَشْرُ  
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبُ فَالْتَمَى الزَّمَانُ ثَنَاءَهُ هُوَ الْفَائِخُ، وَكَمْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النَّفَاسَةِ  
 فَاسْتَوْجَبَ مِمَّا مَنَّا يَقْضَى لَهُ بِأَجْزَلِ الْمُنَى وَالْمَنَاحِ.

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي، الْقَاضِي، الْأَجَلِّي، الْكَبِيرِي، الْعَالِمِي، الْفَاضِلِي،  
 الْكَامِلِي، الْأَوْحَدِي، الْأَيْمَرِي، الرَّئِيسِي، الْبَلِغِي، الْمُفِيدِي، الْمُحِيدِي، الْأَصِيلِي،  
 الْعَرِيقِي، الْعَاذِي، الرَّاهِدِي، الْمُؤْتَمِنِي، الْفَتَحِي، بِجَمَالِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلَى

أَمِير الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدُ بْنُ الشَّهِيدِ ؛ أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ : هُوَ الَّذِي أَعْرَبَ الْقَلَمُ عَنْ صِفَاتِهِ ، وَأَطْرَبَ الْمَسَامِعَ مَا أَذَاهُ الْيَرَّاعُ عَنْ أَدَوَاتِهِ ؛ وَرَامَ الْبَنَانُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ بَيَانَ شُكْرِهِ فَلَمْ يَذْكُرْ شَأْوَ غَايَاتِهِ ، وَتَسَارَعَتْ بِدَائِعِ الْبَدَائِهِ مِنْ أَفْكَارِهِ فَسَابَقَتْ جَرَّانَ يَرَاعِهِ فِي أَبِيَاتِهِ ؛ وَرَاقَتْ أَمَالِيهِ ، لِنَاقِلِي أَنْفَازِهِ وَمَعَانِيهِ ، فَشَكَرَ السَّمْعُ وَالْفَهْمُ بِهَا هَبَّاتِ هَبَاتِهِ ؛ فَأَذَابَهُ مَشْهُورُهُ ، وَعُلُومُهُ مَذْكُورُهُ ؛ وَتَحْلِيَّتُهُ بِمَذَاهِبِ الصُّوفِيَةِ آرْتَاضَتْ بِهِ نَفْسُهُ الْخَيْرَةُ الْخَيْرِيَّةُ ، وَإِخْلَاصُهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَسُنَتْ بِهِ مِنْهُ السَّيْرَةُ وَالسَّرِيرَةُ ؛ وَصِيَانَتُهُ لِلْأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ آسَتْحَقَّ بِهَا إِسْنَادُ أَمْرِهَا إِلَيْهِ ، وَإِيدَاعُ غَوَامِضِهَا لَدَيْهِ ، وَالتَّعْوِيلُ فِي حِفْظِهَا وَفِي لَفْظِهَا لِلْفِظْهَا عَلَيْهِ - أَقْتَضَى 'حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ' أَنْ تَجَنَّبِيَّتُهُ لِمَا تَحَقَّقْنَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْصُهُ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ فِي أَجَلِ الْمَمَالِكِ ، وَتَجَمُّعُ قَدَمِهِ ثَابِتَةُ الرُّسُوحِ ، وَالصُّعُودِ فِي مَشِيخَةِ الشُّيُوخِ ، لَيْسَلُكَ فِيهَا أَحْسَنُ الْمَسَالِكِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ <sup>(١)</sup> الْأَشْرَفِي ، النَّاصِرِي - لَا زَالَ لِأَبْوَابِهِ الشَّرِيفَةِ فَتَحَ فِي الْخَيْرِ يَقْدُمُهُ النَّصْرُ ، وَلَسَعَاهُ مَنَحَ مَا يَعْرِفُ مَدَدَ أَمْدَادِهِ الْقَصْرِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ صَحَابَةُ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ ، وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ بَوَافِرَ عَفَافِهِ ، وَوَافِي إِنْصَافِهِ ؛ وَمَشْهُورَ أَمَانَتِهِ ، وَمَشْكُورَ صِيَانَتِهِ ؛ كَاتِمًا لِلْأَسْرَارِ ، كَاتِبًا لِلْبَّارِ ، لِيَكُونَ مِنَ الْأَبْرَارِ ؛ عَالِمًا مَصَالِحَ الْأَنْامِ بِإِرْشَادِ رَأْيِهِ وَصَوَائِهِ ضَائِعًا أَحْوَالِ دِيَوَانِهِ ، مُتَحَرِّيًا فِي كَثِيرِ الْأُمُورِ وَقَلِيلِهَا : فَإِنَّ الْكِتَابَ يَظْهَرُ مِنْ عُنْوَانِهِ ؛ مُحَرَّرًا لِمَا يُمْنِي مُعْتَبَرًا لِمَا يَكْتُبُ ، مُجَمَّلًا لِلطَّلَاعَاتِ الْكَرِيمَةِ بِفِكَرِهِ الْمُتَسَرِّعِ .

(١) بياض بالأصل ولعله "العالى" .



وتصوره الأرتب ، حَافِظًا أَرِزَمَةً مَا يَصْدُرُ مِنْ مِثَالٍ وَمَا يَرِدُ فِي الْمُهَيَّمَاتِ الشَّرِيفَةِ  
فَهُوَ أَدْرَى وَأَدْرَبُ بِمَا عَلَى ذَلِكَ يَتَرَبَّبُ ، مُحَافِظًا كَعَادَتِهِ عَلَى دِينِهِ ، لِأَزِمًا لَصَدَقَ  
بِقِيَمَتِهِ ، حَافِضًا لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاحَهُ ، مَانِحًا لَهُمْ نَجَاحَهُ ، مُعَامِلًا لِلْفُقَرَاءِ بِكَرَمِ نَفْسٍ بِاللَّهِ  
غَنِيَّةً ، مُلَاحِظًا لِأَحْوَالِهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ ، مُحْتَرِمًا لِكَبِيرِهِمْ ، حَانِيًا عَلَى  
صَغِيرِهِمْ ، مُفَكِّرًا فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ ، رَاجِيًا فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ إِلَيْهِمْ ، مُعْنِيًا لَهُمْ  
بِالْأَشْغَالِ بِالْعِبَادَةِ ، مُسَلِّكًا لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ الْجَادَّةُ ، مُسْتَجِلًّا  
لِدَعْوَاتِهِمُ الصَّالِحَةِ ، مُسْتَفِيدًا مِنْ مَتَاحِرِ بَرَكَاتِهِمُ الرَّاحِمَةِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْ نُورِ  
إِفَادَتِهِ تُقْتَبَسُ ، وَمِنْ مَشْهُورِ مَادَّتِهِ تُلْتَمَسُ ، وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ أَمْرٍ  
وآخِرُهُ ، وَبِمَلَازِمَتِهَا تَتِمُّ لَهُ مَفَاحِرُهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَيُظْهِرُ  
بَارِسَادَهُ لِلْعَامِي وَالْبَيَانُ كُلُّ نَجْوَى بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السِّرِّ بالشَّام ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « شَرَفِ الدِّينِ  
عَبْدِ الْوَهَّابِ » بن فَضْلِ اللَّهِ ، عِنْدَ مَارِسِمِ بِنْقَلِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى دِمَشْقَ ،  
فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ « مَجْمُودِ  
الْحَلَبِيِّ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ دَوْلَتَنَا الشَّرِيفَةَ بِرِعَايَةِ الدِّمَمِ ، وَحِفْظِ مَا أَسْلَفَ الْأَوَّلِيَاءُ  
مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْخِدَمِ ، وَإِدَامَةِ مَا أَسَدَّتْهُ إِلَى خَدَمِ آيَاتِنَا الزَّاهِرَةِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ ،  
وِإِفَاضَةِ حُلَلِ أَعْيُنَائِهَا ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ شَرَفِ بَوْلَائِهَا ، مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ، وَأَبْقَى  
عَوَارِفِهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا فِي صَوْنِ أَسْرَارِهَا بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَفِي تَذْيِيرِ مَصَالِحِهَا  
بِصَحَّةِ الرَّأْيِ وَفِي تَنْفِيزِ مَرَامِهَا بِطَاعَةِ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مَا اسْتَهَلَّتْ عَلَى وَلِيِّي فَأَقْلَعَ عَنْهُ غَمَامُهَا ، وَلَا اسْتَقَرَّتْ بِيَدِ صَنِيعِي  
فَانْتَرَعَ مِنْ يَدِهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ زِمَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
شَهَادَةً لَا تَزَالُ نَعْتَصِمُ بِحَبْلِهَا الْمَتِينِ ، وَيَتَلَقَّى عَرَابَهُ إِخْلَاصِنَا رَايَةً فَضْلِهَا بِالْيَمِينِ ؛  
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَمِ ، بِالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَرَّمْتَ أَنْسَابَهُمْ ، وَأَضَاعْتَ لَهُمْ وُجُوهَهُمْ وَأَحْسَابَهُمْ ؛  
فَرَفَلُوا فِي حُلُلٍ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، وَاكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، فَحُسْنٌ مِنْهَا اكْتِسَابُهُمْ  
وَاكْتِسَابُهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْأَفَاقِ  
وَمُجَدًّا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ خَوَّلْتَهُ مَكَارِمُنَا الْإِقَامَةَ حَيْثُ يَهْوَى مِنْ وَطَنِهِ ، وَبَوَّاتِهِ نِعْمَنَا  
الْجَمْعَ بَيْنَ ذِمَامِ رَبَّنَا وَبَيْنَ مَا فَارَقَهُ مِنْ سَكْنِهِ ؛ وَمَلَكَتْهُ عَوَاطِفُنَا ، زِمَامَ التَّصَرُّفِ  
حَيْثُمَا أَمَكُنْ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَعَرَفْتَهُ عَوَارِفُنَا ، أَنَّ مَكَانَتَهُ عِنْدَنَا عَلَى حَالِهَا حَيْثُ  
أَدَّى مَا عُدِّقَ بِهِ مِنْ وَظِيفَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِسَانَ مَرَّاسِمِنَا ، وَعِنَانُ مَا تُجْرِيهِ  
فِي الْأَفَاقِ مِنْ سَوَابِقِ مَكَارِمِنَا ، وَتَرْجُمَانِ أَوَامِرِنَا ، وَخُطِيبِ آلَيْنَا الَّتِي غَدَتْ بِهَا  
أَعْطَافُ التَّقَالِيدِ مِنْ جُمْلَةِ مَنَابِرِنَا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي : هُوَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ صَدْرُهُ خِزَانَةَ أَسْرَارِنَا ، وَفِكَرُهُ كَنَانَةً  
إِعْلَانِنَا فِي الْمَصَالِحِ وَإِسْرَارِنَا ، وَخَاطِرُهُ مِرَاةَ آرَائِنَا ، وَيَرَاةُ مِشْكَاةَ مَا يُشْرِقُ : مِنْ أَنْوَارِ  
تَذْيِيرِنَا ، أَوْ يَبْرِقُ : مِنْ أَنْوَاءِ آلَيْنَا ؛ يَنْطِقُ قَلَمُهُ فِي الْأَقَالِيمِ عَنْ أَلْسِنَةِ أَوَامِرِنَا الْمُطَاعَةِ ،  
وَيَنْفُذُ كَلِمَتَهُ عَنْ مَرَّاسِمِنَا فِي دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِمَا تُقَالُ بِهِ أَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛  
وَكَانَتْ سُنَّتُهُ قَدْ عَلَتْ فِي خِدْمَتِنَا إِلَى أَنَّ رَأَيْنَا تَوْفِيرَ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَرَكَاتِ ، عَنْ كَثِيرٍ  
مِمَّا يَتَّبِعُ رِكَابَنَا الشَّرِيفَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَرَكَاتِ ؛ وَأَنَّ نِعْفِيهِ مِمَّا يُلْزِمُ الْإِقَامَةَ بِأَبْوَابِنَا

الشريفة من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السرّين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فرسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، المبحوى « يحيى بن فضل الله » ويستمر أخوه القاضى « محيى الدين » المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشِر هذه الرتبة التى تأثّلت به قواعدها وعن تقريره وتحريه أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها علماً ؛ فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوّض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه، وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشرط ؛ فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها ؛ ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفة وتمكيناً، والاعتماد ..... .

قلت : ومن غريب ما وقع : أنه كتب للقرّ الشهابى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توقيع مفتتح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى « تاج الدين بن الباربارى » وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كتاب السر فى مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة توقيع بكتابة السرباشام المحروس :

أما بعد حمد الله منقل الشهب في أحب مطالعها ، ومعلي الأقدار بتصرف  
الأقدار ورافعها ، ومبهيح النفوس بمعادها إلى أوطانها ومواضعها ، وممضي مشيئته  
في خليقته بالخيرة فيما يشاء لطائعها ، والشهادة له بالوحدانية الآخذة من القلوب  
بجامعها ، والصلاة على سيدنا محمد الذي بصر الأمة بهديها ومنافعها ، وصان شرعته  
الشريفة تلو الملل بنسخ شرائعها ، وعلى آله وصحبه الذين استودعوا أسرار الملة  
حفظوا نفيس ودائعها - فإن ممالك الشريعة هي سواء لدينا في التعظيم ، وأولياء  
دولتنا الشريفة يتتقلون فيها في منازل التكريم ، وعندنا من « فضل الله » رعاية للعهد  
القديم ، وتأكيده لأسباب التقديم ، فلا غضاظة لمن نقلناه من أبوابنا إليها ، ولا وهن  
يطرأ على علو المراتب ويعتريها ، حيث صدقنا دأيمه ، ونغور إقبالنا باسمه ،  
ومراسمتنا لمساعدة الأقدار في الأيام حاكمه ، و« الشهاب » لو لم يسر في سماءه ، لما  
أهتدى الناظرون بضياءه ، والذرة لو مكثت في صدفها ، لما حظيت في العقود  
بشرفها .

وكان المجلس العالي ، القضائي ، الشماهي ، قد أقام في خدمتنا الشريفة بالأبواب  
العالية حافظا للأسرار ، قائما بما يحب ونختار ، ثم لما أخذ حظه من القرب من  
أيدينا الشريفة : رأينا أن عوده إلى أوطانه ، وأدليه من تمام إيمانه ، وأن مرجعه  
إلى محله ، من نعم الله عليه وقضيه ، وما سار إلا والإقبال يزوده ، والاستقبال به  
وأهل بيته يسعده ويضعده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن ينقل إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق  
المحروسة ، وأن يكون متحدثا عن والده ، على ما كان عليه بالديار المصرية ، وليقرر له  
من المعلوم كذا وكذا .

فَلْيَسِرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرَّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ ،  
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،  
وَلْيُصْبِحْ لَهُ فِي مَهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيدًا ، وَلْيُضِجْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ  
غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَلَهُ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحُسْنُ طَوِيَّةٍ ،  
فَنَحْنُ نَرْعَاهُ لَذَلِكَ ، وَالْمُهَمَّاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُصْدِرْ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ  
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْوِيجِ طَرِيسِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ  
عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَّا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا  
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِنَّا مَنًّا ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ ؛  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الوظيفة الثالثة — نَظَرُ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنْشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَنْزِيلُ الْمُنَاشِيرِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي  
تُصَدَّرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ ، كُتِبَ بِهِ «لِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» مِنْ  
إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شِهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ  
شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفُنَا تُنَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِنَاتِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ  
الْبَرَكَةَ وَالْإِيمَنَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوٍ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحَسَنَاتِهِ ، وَأَضْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ  
وَالْإِلَهِيَّةِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاضِحَ آيَاتِهِ ،

وَأَصْبَحَ النَّشْرَ عَاقِبًا مِنْ نَشْرِ رَايَاتِهِ ؛ وَمَا الْفَتْرَةَ بِهَدْيِهِ وَسَرَّ سَرَائِرَ أَوْلِيَائِهِ وَأَسْمَدَ قُلُوبَ عُدَائِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأُبْهِجَ الْعَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ مِنَ النَّعِيمِ مَا إِذَا عَادَتْ أَقْرَبُ الْعُيُونِ ، وَحَقَّقَتِ الْآمَالَ وَالظُّنُونِ ؛ وَرَفَعَتِ الْأَقْدَارَ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلُّهَا ، وَجَمَعَتِ الْمَسَارَّ الْمُمْتَدَّ عَلَى الْأَفْتِدَةِ ظِلُّهَا ؛ وَعَمَرَتْ رُبُوعَ الْإِحْسَانِ ، وَعَمَّرَتْ بِمَنَائِحِهَا الْحِسَانَ ؛ كَهَذِهِ النَّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتِ الْإِقْبَالَ مِنْ حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتْ شَمْلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِإِكْرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتْ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقُطْبِهَا ، مُشْرِقَةً الْأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَتْ بُدُورَهَا بَيْنَ هُوَ أَوْلَى بِاجْتِلَائِهَا ، وَتَهَيَّأتْ رُبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِاعْتِلَائِهَا ؛ وَحَقِيقٌ أَنَّ تَعُودَ الْمَوَاهِبِ بَعْدَ فُتْرَتِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْمَنَائِحِ بَعْدَ لَفْتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الْإِسْعَادِ كَأَنَّهَا مَا أَفَلَتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَأَنَّهَا مَا أَتَنَقَّلَتْ ؛ وَيُعُودُ عَلَيْهِ الْيَوْمُ كَأَمْسِهِ ، وَيَرْجِعُ أَفُقُ الْعَوَارِفِ الْحِسَامِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الْاجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَتْ فِي الْخِدْمِ الشَّرِيفَةِ آثَارُهُ ، وَحُمِدَ إِبْرَادُهُ فِي الْمُهِمَّاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارُهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامُهُ وَمِصْرُهُ ، وَسَمَا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدْرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةُ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النَّعْمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِيَ لَهُ الدَّوْلَةُ مِنْ الْإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ أَلْفِهَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْفَضْلِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ الْمَدَى تَكْرِيمًا .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لَا زَالَ ... أَنْ يَسْتَقَرَّ ... تَجْدِيدًا لِمَلَايِسِ سَعْدِهِ ، وَتَأْكِيدًا لِلْعَوَائِدِ مَجْدِهِ ، وَتَرْدِيدًا لِلْفَضْلِ الَّذِي حَلَا مِنْهُلُ وَرْدِهِ ؛ وَرِعَايَةً لِيُخَدِّمَهُ إِلَى أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْثِيرَهَا جُنُودُنَا - نَصَرَهَا اللَّهُ

تعالى - بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَلَمَّا لَهُ مِنْ حُسْنِ سَمِيٍّ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ ثِمَارُهُ .

فَلَيْسَتْ قَرَّ فِي هَذِهِ الْوُضُفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَالِمًا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنْ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ خَبَرَهُ الْوُضُفَةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْفَتْ مِنْهُ نَاطِرًا عَلَا قَدْرًا وَكُرْمَ مَحَدًّا وَفَضْلًا ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَدْرَى بِسُلُوكِ مَنْهَاجِهَا الْقَوِيمِ ، وَأَدْرَبُ بِاقْتِضَاءِ سَنَنِهَا الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْاعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

### المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بِدِمَشْقَ - مَنْ يُكْتَبُ لَهُ

فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ «الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِالْيَاءِ مُفْتَتِحًا بِـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» إِنْ عُلَّتْ رُبَّتَهُ وَإِلَّا بِـ «أَمَّا بَعْدُ» ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى وَظَائِفَ

مِنْهَا - نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ ، وَشَأْنُهَا هُنَاكَ نَظِيرُ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى بِالْأُيُودِ الْمَصْرِيَّةِ فِي الْقَدِيمِ ، وَنَظِيرُ خِزَانَةِ الْخَاصِّ الْآنَ .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِنَظَرِ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّتْ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِكُلِّ كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ كُلِّ حَفِيفٍ عَالِمٍ ، وَأَفَاضَتْ ظِلَّ إِعْظَامِنَا عَلَى مَنْ إِذَا أَنْعِمَ النَّظَرُ فِي حَقِّ دَوَى الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ كَانَ أَحَقَّ بِالْقَدِيمِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ حَبَاهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، وَاجْتَبَاهُ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ مِنَ النَقْصِ مَقْرُونَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ - فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ رَجَحِهِ لِحُدُودِنَا الْإِخْتِيَارِ ، وَقَدَّمَهُ فِي دَوْلَتِنَا الْإِخْتِبَارِ ،

وَأَخْلَصَهُ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ رُبَّةَ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَأَعْدَقَ لَهُ سَحَابُ رِنَّا صَوَّبَ إِحْسَانٍ فَلَمْ يُصِبْهُ طَلُّ بَلٍّ وَبَلٍّ - مِنْ مُحَمَّدٍ سَيَرِهِ وَسَيَرِهِ ، وَشُكِرَ فِي طَاعَتِنَا وَرَدُّهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَزَانَ الْأَصَالَةَ بِالنَّبَاهَةِ ، وَالرَّاسَةَ بِالْوَجَاهَةِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالزَّاهَةِ ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الصِّلَفِ وَالْإِطْلَاعِ ، وَالتَّضَلُّعِ مِنَ الْعِفَّةِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ تَخَيَّرَهَا لِنَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ .

وَمَا كَانَ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِدَمَشَقَ الْمَحْرُوسَةِ رُبَّةَ لَا يَرِقُّ إِلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ إِلَّا مَنْ وَمَنْ ، وَلَا يُقَدِّمُ لَهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مَنْ تَعَيَّنَ مِنْ رُؤُسَاءِ الْعَصْرِ وَفَضْلَاءِ الزَّمَنِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي عَيْنُهُ لَهَا آرْتِيَادُ الْأَكْفَاءِ ، وَأَصْطُفِي هُوَ مِنْ أَهْلِ الصِّفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ وَصَفِ مُحَاسِنِهِ مَا لَا يَرَوُّعُ تَمَامُ بَذَرِهِ وَظُهُورُهُ بِالنَّقْصِ وَالْإِخْتِفَاءِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً مِنْ يَحْقُقُ فِي كِفَايَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ التَّائِمِلَ ، وَيُظْهِرُ حَسَنَ نَظَرِهِ الَّذِي هُوَ كَالنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ؛ وَلِيَجْرِ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي النَّهْوِ فِي خِدْمَتِنَا بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، وَيُضَاعِفَ أَجْتِهَادَهُ الَّذِي بَمَثَلِهِ جُعِلَ مِنْ اخْتِيَارِ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرُّبَّةَ مَالُ الْأَمْوَالِ ، وَذَخَائِرُ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْحَيُوشِ وَمَوَارِدُ الْإِفْضَالِ ؛ فَلْيُعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا فِكْرَهُ وَدَأْبَهُ ، وَإِذَا كَانَ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ قَدْ جَعَلَهُ الْمُؤْتَمِنَ عَلَيْهَا : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ . وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي عُرِفَتْ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي إِنْ وَصِفَتْ فَمَا انْصَفَتْ ؛ مَا يُعْنِي عَنْ تَفَاصِيلِ الْوَصَايَا وَجَمَلِهَا ، وَإِعَادَةِ مَزَايَا التَّأَكِيدِ : قَوْلُهَا وَعَمَلُهَا ؛ لَكِنْ مَلَكَهَا الصِّيَانَةُ الَّتِي هُوَ بِهَا مُوصُوفٌ ، وَالتَّقْوَى الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجیش ونحو ذلك من الوظائف الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الشريفة السلطانية ، وإلا فالغالب كتابة ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

### الصنف الرابع

( من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الخوانق ،  
وفيها مرتبتان )

### المرتبة الأولى

( ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» .  
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه  
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية )

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهى :

الحمد لله الذى اختار لعامة بيوته أولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حَفَّهُم بِرَحْمَتِهِ  
فاجتهدوا فى طاعته فازدادوا قُرْبَهُمْ ، وأتقياء زهدوا فى الدنيا وأبدلوا الفانى بالبقى  
وطاب فى مَوْرِدِ الصِّفَاءِ شَرِبَهُمْ .

نحمده حمد من جعل حُبَّ الله دَنَارَهُ ، ومَلَأَ لِسَ التَّقْوَى شِعَارَهُ ، وَشَكَرَهُ وَالشُّكْرُ  
لِمَزِيدِ النِّعَمِ أَمَارَهُ ، وَلِلْقُلُوبِ الدَّائِرَةِ عِمَارَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ شَهَادَةٌ مُخْلِصٌ فِي التَّوْحِيدِ ، يَتَّبِعُونَهَا جَنَانِ الْخُلْدِ وَيَخْلُصُ مِنْ سَمَاعِ قَوْلِ جَهَنَّمَ :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ ونشهدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَسْرَى بِهِ إِلَى حَضْرَةِ  
 أَنَسِهِ ، وَحَظِيرَةِ قُدْسِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ  
 بِشَيْءٍ وَقَرَفَى صَدْرَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعُهُ سَارِيَةً عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛  
 صَلَاةً لَا تَرَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمَ  
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عُومِلَ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ يُخَصَّ بِالتَّكْرِيمِ ؛ مَنْ كَانَ  
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ؛ وَتَجْرِيدُهُ عَنِ  
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِيًا ،  
 وَاسْتِجْلَاؤُهُ لِمَوَادِّ الْأَنْسِ مُسْتَمْلِيًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سَرِيُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ  
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي جَمْعِ الْأَخْيَارِ .

ولما كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْأَوْحَدِيُّ ،  
 الرَّاهِدِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ جَلَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفَ الصُّلَحَاءِ  
 فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخُ الشُّيُوخِ ، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقِدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، أَعَادَ اللَّهُ  
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمُلْحُوظُ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَفْتَضَى  
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُخَصَّ فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ لَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطِيشُ  
 سِمَاهُ ، وَمِنْ فُرْسَانِ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَزِلُّ فِي مُلَاقَاةِ الرِّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ  
 فِي كَذَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلْيَتَأَنَّلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشَّكُورِ ؛ وَلْيَوَاطِبْ  
 عَلَى وَظِيفَةِ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ ، وَلْيَسْتَمِطِرْ جَزِيلَ الْفَضْلِ مِنْ سَحَابِ جُودِنَا

الْمَاطَرَهُ؛ وَلْيَبْسُطْ يَدَهُ فِي عَمَلِ الْمَصَالِحِ، وَلْيَسْتَمِرَّ عَلَى السَّعْيِ الْحَسَنِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةَ مَأْوَى الْقَادِمِ وَالْقَاطِنِ، وَتَسْمُو عَلَى أَمْثَالِهَا مِنَ الْمَوَاطِنِ؛ وَلْيَكُنْ لِأَسْرَارِهِمْ مُوقَرًا، وَلِأَقْوَاتِهِمْ الْمُعِينَةَ عَلَى الطَّاعَةِ مُيسَّرًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ خَلَوَاتِهِ مَعْمُورَةً، وَأَفْعَالَهُ مَبْرُورَةً؛ وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ وَلِيَهَا شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ، عَلَى عَادَةِ الْخَوَاقِ . وَقَدْ بَلَّيَهَا كَاتِبُ السَّرِّ بِالشَّامِ، فَيُكْتَبُ تَقْلِيدُهُ بِكِتَابَةِ السَّرِّ فِي قِطْعِ النَّصْفِ «بِالْمَجْلِسِ الْعَالِي» عَلَى عَادَةِ كُتَّابِ السَّرِّ، وَيُشَارُ فِي تَقْلِيدِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَنْفَازِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ، وَيُضَافُ إِلَى أَلْقَابِ كِتَابَةِ السَّرِّ بَعْضُ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِهَذَا الْمَقَامِ . عَلَى أَنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ بِوَلَايَتِهَا عَنْ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَوْ غَيْرِهِ .

### المرتبة الثانية

(من يكتب له في قِطْعِ الْعَادَةِ مَفْتَحًا بـ «رُسم» )

وهذه نسخة تَوْقِيعٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ :

رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ تُحِلُّ الْقُرْبَاتِ مَحَلَّهَا، وَمَرَّاسِمُهُ تُسَنِّدُ الرُّتَبَ الدِّينِيَّةَ لِمَنْ إِذَا خُصُّوا بِمَوَاقِعِهَا كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا - أَنْ يُرَتَّبَ فُلَانٌ فِي كَذَا : إِذْ هُوَ أَوَّلَى مِنْ خُصَّ بِمَوَاطِنِ الْعِبَادَةِ، وَنَصَّ بِتَرْفِيهِ الْأَسْرَارَ عَلَى التَّحَلِّيِ بِإِفَاضَةِ الْإِفَادَةِ؛ وَوَقَّرَ كَدَّهُ عَلَى اجْتِلَاءِ وَجْهِهِ الْمَعَارِفِ مِنْ أَفْقِ الْمَرَاقِبَةِ، وَجَمَعَ خَاطِرَهُ لِاجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ الْأُنْسِ مِنْ أَفْنَانِ الطَّاعَاتِ النَّائِيَةِ فِي رِيَاضِ الْحَاسَبَةِ؛ مَعَ تَمَسُّكِهِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي [خُلِصَ] مَعْرِفَتُهُ مِنَ الشَّوَائِبِ، وَأَحْيَا الدُّجَى مِنْ أَقْبَاتِلِ شَيْبَةِ

ظلامه إلى أن تَسِيَّبَ منه الدَّوَابُّ ؛ وَنَفَعَ مَتَعَدًّا إِلَى كُلِّ طَالِبٍ فَضْلٍ وَمِلْتَمَسٍ ،  
وَدِينٍ بَاهِرٍ مِنْ مَصْبَاحِ مَشْكَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِكُلِّ بَاغِي نُورٍ وَمُقْتَبِسٍ .

فَلَيْسَتْ قَرَشِيخًا بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيَّ : لِتَعْمَرَ أَرْجَاؤُهُ بِبَهْجِهِ ، وَلِتُشْرِقَ خُلُوعَاتُهُ بِتَعَبِيدِهِ ؛  
وَتَعْدُبَ مَوَارِدُهُ بِأَوْرَادِهِ ، وَتُطْلِعَ مَجَالِسُهُ نُجُومَ مَعْرِفَتِهِ الْبَازِغَةِ مِنْ أَفْقٍ يُرَادُهُ ؛ [وَلِتَغْدُوَ  
هَذِهِ الْبُقْعَةُ رَوْضَةً أَفْكَارٍ ، وَقِبْلَةً أَذْكَارٍ ؛ وَمَرَاقِي دَعَوَاتٍ ، وَمَرَافِقِي بَرَكَاتٍ ،  
تُسْتَزَلُّ بَيْنَ صَلَوَاتٍ مَقْبُولَةٍ وَخُلُوعَاتٍ ؛ وَلِتَتَنَاوَى الْمَعْلُومَ الْمُسْتَقَرَّ لَهُ تَرْفِيهَا لِسِرِّهِ ،  
وَتَنْزِيهَا لِفِكْرِهِ ؛ وَإِعَانَةً عَلَى الْإِنْقِطَاعِ بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ  
فِي أَرْجَائِهَا ، وَتُخَصِّصُهَا لَهَا مِنْهُ بِإِمَامٍ تُقَى لَوْ كَانَ لِبُقْعَةٍ أَنْ تَجْتَنِي بَرَكَتَهُ لَكَانَ مُنْتَهَى  
رَجَائِهَا ؛ وَلِيَرْفَعَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الْمُبَارَكَةِ مَا لَا تَرَالُ مَوَاطِنُ الْقَبُولِ لِنَفْحَاتِهِ  
الْمُتَرَقِّبَةِ مُتَلَقِّيهِ ، وَمَا لَا تَبْرَحُ النُّفُوسُ لِحَشِيَّتِهِ الْمَانِعَةِ مُتَوَقِّيهِ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ  
الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِلَّا فَالْغَالِبُ كِتَابَةُ ذَلِكَ عَنِ  
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ .

## النوع الثاني

( مِنْ وَظَائِفِ دِمَشْقَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَاضِرَتِهَا )

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ : أَنَّ لِدِمَشْقَ أَرْبَعَ صَفَقَاتٍ ، وَهِيَ : الْغَرْبِيَّةُ ،  
وَالشَّرْقِيَّةُ ، وَالْقِبْلِيَّةُ ، وَالشَّمَالِيَّةُ .

فَأَمَّا الصَّفَقَةُ الْغَرْبِيَّةُ : وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا بِالسَّاحِلِيَّةِ وَالْجَبَلِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِيهَا ، فَفِيهَا  
مِنْ وَظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ عَدَّةٌ وَظَائِفٌ ، وَتَوَلَّى فِيهَا الْأَبْوَابُ السُّلْطَانِيَّةُ .

منها - نيابة القدس . وقد تقدّم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي، ثم استقرت نيابة طبلخاناه، في سنة سبع وسبعين وسبعائة، وأنّ العادة جرت أن يُضاف إليها نظر الحرمين : حرم الخليل عليه السلام، وحرم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السائي» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبة . وقد تقدّم أنّها من أجل الفلّاح وأمنعها، وأنّه كان يليها نائب مفرد من أجناد الحلقة أو مقدّمها عن نائب دمشق، ثم أضيفت إلى وإلى بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجّلون . وقد تقدّم أنّها على صغرها حصن حصين، مبنية على جبل عوف، بناها أسامة بن منقذ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر، وأنّه كان مكانها رهب اسمه عجّلون، فسميت به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمرة طبلخاناه .

وقد تقدّم أول هذا القسم ما يكتب للقدمين، وما يكتب للطبلخاناه، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فمنها - مشيخة الخاقاه الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتتحاً بـ «الحمد لله» .

(١) في تقويم البلدان ص ٢٢٨. أن جبل عوف كان أهله عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجّلون وهو معقل حصين مشرف على النور .

ومنها - خطابة القدس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مَشِيخة حَرَم الخليل ، وتوقيعها في العادة يكتب مفتتحا بـ «رُسِم» .

وأما الصَّفقة القِليَّة ، فالتي يولَّى بها من الأبواب السلطانية نيابة صرَّخد . وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب المملكة الشَّاميَّة أنَّه قد يجعل فيها من يقرب من رُتب السُّلطنة ، وحينئذ : فإنَّ وليها مُقدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالي» . وإنَّ وليها أمير طبَّخانه ، كان مرسومه في قطع النصف أيضا ، بـ «السَّامى» بالياء .

وأما الصَّفقة الشَّرقية فالنيابات بها على طبقتين :

### الطبقة الأولى

( ما يُكتب به مرسومٌ شريفٌ في قطع النصف ، وهو ما يليه مُقدَّم ألف  
أو طبَّخانه ، وفيها نيابات )

النيابة الأولى - نيابة حمص .

وقد تقدَّم أنَّها كانت نيابة جليَّة ، كان يليها في الدولة النَّاصرية «محمد بن قلاوون» مُقدَّم ألف ، وأنه ذكر في «التَّحْقِيف» أنَّها صارت الآن طبَّخانه . وحينئذ : فإنَّ كان بها مُقدَّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالي» . وإنَّ كان طبَّخانه ، كان مرسومه في قطع الثلث بـ «المجلس السَّامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة السلطنة بِمَحْص :

الحمد لله مُقدِّر كلِّ أَجَلٍ إلى حِين ، ومُقرِّر أُمُورِ الممالك في عِبَادَةِ الصَّالحين ؛ الذى جعل بِنَا أَوْلِيَاءَنَا مِنَ الرَّايحين ، وحَفِظَ ما أَسْتَرْعَانَا مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ بَوْلَايَةِ النَّاصحين .

نحمده على اختيار لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكون بها في غمرات الحروب على السوابع ساجدين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفاتحين ، وأشرف من ولي الأعمال الكفاة الوفاة المكافين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال فيها الحفظه على أعمالنا مماسين ومصابحين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن مراسمنا الشريفة وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ؛ ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فإننا كالسيف يتلاهى ثم إذا صمم لا يرجع ، وكالغمام تمتدئ مدد مدته ثم يحود فلا يقلع ؛ ولم نزل منذ فوض الله أمور بلادنا إلينا ، وصرف أمور جمهور عباده بيدينا ؛ نرى أن نحمي غاياتنا بأشد الأسود ، ونرمي غاياتنا بمن هو لأمرنا يسود ؛ ونحوط جنباتنا بمن لا يستيحي حرمة إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ وننصب إلى ما يترجح من مصالحهم لدينا ، ونستنصب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنيننا ، ومرأى من عينيننا ؛ لأن نواب الممالك الشريفة فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحسان بأوامرنا المطاعة قطعها ووصلها .

وكانت خمص المحروسة من أكبر الممالك القديمة ، والمسدن العظيمة ؛ تفرق الأقاليم في مدها ، وتمتد عساكرها فتعد حماة حماة من جندها ؛ وهى من الشام المحروس فى مائتى موابكة ، ومجر عواليه ومجرى سواقه وجميع كتائبه ؛ طالما كان بها الحرب سجالا ، وطالما سابت بها الرجال أجالا ؛ وكان لنا بها فى الحرب يومان عوضنا الله أدناهما بما حفظت المعارك ، وضاعت الأرض بدماء القتلى ففاض إلوا

السَّاءُ مَا أَلْتَقَى بِالشَّفَقِ مِنْ [تلك المسالك] <sup>(١)</sup>، وَأَتَّصَلَتْ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ؛  
وَأَتَّصَفَتْ بِأَنَّهُمَا مَهَبُّ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرَّمَاكِ ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بُشْرَى النِّصْرِ وَيَحْقِيقُ  
مِنْ عَصَائِبِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمَدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَنْوِبُ عَنِ السَّلَاطِنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،  
وَيُثَوِّبُ إِلَى تَسْيِيدِ مَرَامِي سِهَامِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ أَرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ تُجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ  
يُقَدِّمَ قَدَمَهُ إِلَى رُتَبَتِهَا الْعَالِيَةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عِزَّائِمَهُ الْمَشْرِفِيَّةَ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا  
الشَّرِيفَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ،  
وَيَسْطِطُ بِسَاطِ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرَعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهِؤُلَاءِ مَحْرُوسَةٌ وَبِهِؤُلَاءِ  
مَعْمُورَةٌ - فَرَأَيْنَا أَنَّ أَوَّلَى مَنْ حَكَمَ فِي عَاصِمِهَا وَالْمُطِيعِ ، وَأَخَذَ لِسُورِيَا السُّورِ الْمُنِيعِ ؛  
مَنْ هُوَ الْمُؤْتَوَّقُ بِمَا أَمْضَتْ السِّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ ، وَأَرْضَتْ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ  
خِدْمِهِ ؛ وَطَارَتْ سُمْعَةُ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَطَابَتْ أَثْنَتُهُ بِخَفَاتِهَا بِمَا يُعْرِفُ مِنَ  
الطَّرِبِ لِإِسْحَاقِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي عَيْنَتَابِ ، نِيَابَةً كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ  
ثُمَّ لَمَّا نَظَرَ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفَلَاءِ مِمَّا لِكُنَا الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهَمَ مِنْ  
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَفَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَا لِنِّيَابَةِ إِحْكَامِ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ  
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوَلِيَّةَ حُكْمٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا يَبِينُ الْحَاجِبُ وَالْحَاجِمُ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْسِ هَذِهِ الْمَقَاحِرِ ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ  
لَا خَيْرَ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمِنَا الْمُطَاعَةَ أَنْ يَزَانَ جِيدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ؛  
وَيُمَدِّدُ هَذِهِ الرِّتَبَةَ لَتَلْقِيهِ ، وَتَخْضَعُ عَنْقُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ لَتَرْقِيهِ ؛ وَتَحْوِلَ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلِي مُغْنِي الخلفاء المشهور .



التي ألحقت قدره بالأكفاء، وأهلت هممه للاكتفاء؛ وشرفت مكانه بما أجمعت عليه آراؤنا الشريفة له من الأصطفاء، وأحسنّت به الظن لما رأت نيته الجميلة ممثلة من خاطره في مرآة الصفاء.

فُرِسِم بالأمر الشريف - لا زال مرفوعاً به كل علم، ممنوعاً به حي كل حرم - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بحص المحروسة وأعمالها، وجنّدها وعمّالها، وعساكرها وعشائرها، وعامريها وغامريها، وأولها وآخرها، ودانيتها، وقاصيها، وكل ما في حدودها الأربعة، ودخل في جهاتها الممنعة، على أكل ما جرت به عوائد من تقدّمه، واستقرت عليه القواعد المتقدّمة.

فاتق الله في أمورك، وأجعل الشرع الشريف مشكاة نورك، وعظم حكماءه، ونفذ أحكامه، فهم أمنع سورك. وأعدل فهو قرار خواطير جمهورك، وتيقظ لسداد سداد ثغورك، وأرفق لتطلق به نطق نطاق شكورك. وأقيم الحدود فإنها زيادة في أجورك. وأما العساكر المنصورة، فممل بهم في خدمتنا الشريفة موابك، وكل بعزائمهم مضاربك، ولا تستخدم منهم إلا من يسرك أن تراه في يوم العرض، وتعتقد هوائى جياحه السماء بالأرض، وأحيم أطراف بلادك من عادية الرجال، وأحفظ جانبيها من تحطيف الغارات فسرقياتها [لا يدفعه] غير احتيال، وأهتم بالجهد تحت صنّاجتنا المنصورة لأعداء الله متى أجمعوا، وضررهم بأنياب أسنّتك فأنت صاحب العصا وهي تتلقف ماصنعوا، وعمر بلادها بملاحظتك الجميلة، ونم أمورها فهي قوام الجنود وهم إلى الثقة في النصر الوسيله، وسارع إلى ما ترد به مراسمتنا الشريفة عليك لتهديك إلى صراط مستقيم، وعجل البريد فإنك تعلم به ما لست بعليم،

وَبَقِيَّةُ الوصايا لِحَاجَةِ إِيَّاهَا لِمَا تَعْرِفُهُ مِنْ قَدِيمٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُتَمَتِّعُ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ؛  
وَالْخُلُقُ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ....

### النِّبَاةُ الثَّانِيَّةُ — نِيَابَةُ الرَّحْبَةِ .

وهذه نسخةٌ بِنْيَابَتِهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَدَّنَا بِنَصْرِهِ ، وَشَمِلَ يُجُودَ سُلْطَانِنَا أَهْلَ عَصْرِهِ ؛ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ أَوْهَامَا  
مُتَّصِلٍ بِأَوَّلِ عِرَاقِهِ ، وَآخِرُهَا بِأَحْرِمِ مَصْرِهِ ، وَفَرَّقَ بِسِهَامِهِ الْأَعْدَاءَ فِي حَوَاصِلِ الطَّيْرِ بَيْنَ  
حُضْنِهِ وَخَصْرِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَيَحَافِظُ عَلَى حُسْنِ ذِكْرِهِ ، وَيُسْتَعَاذُ بِهِ إِلَّا مِمَّا يَدْمُرُ  
عَلَى الْعِدَا مِنْ عَوَاقِبِ مَكْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرْغِمُ  
مَنْ جَادَلَهُ بِكُفْرِهِ ، وَتُمَرِّقُهُ بَيْنَ كُلِّ نَابٍ سَيْفَ وَظُفْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ مُقِيمًا لِأَمْرِهِ ، وَمُؤَيِّدًا فِي الْجِهَادِ لِأَعْمَالِ بَيْضِهِ وَسُمْرِهِ ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَمَلَةَ سِرِّهِ ، وَنَقَلَةَ هَدْيِهِ بِأَسْرِهِ ؛ صَلَاةً بَاقِيَةً فِي الْوُجُودِ بَقَاءَ  
دَهْرِهِ ، رَاقِيَةً أَرْتَقَاءَ زُهْرِهِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الثُّغُورَ بِسَيَادِهَا ، وَالْبُحُورَ بِأَمْدَادِهَا ، وَالنُّجُورَ لَا تَحُلِي بِأَحْسَنَ مِنْ  
حَالِيَةِ نِجَادِهَا ؛ وَالْمَمَالِكَ الْحُرُوسَةَ لَا تُحَرِّسُ إِلَّا بِشُهُبِ نُحُوصَانِهَا ، وَلَا تُشْقِي بِأَنْتَقَعِ  
مِمَّا تُطْلَعُ مِنَ الدَّمَاءِ سُحُبُ فُرْسَانِهَا ؛ وَالْفُرَاتُ لَا تُنْحِي مَوَارِدُهَا إِلَّا بِأَمْشَالِ سَيُوفِهَا  
الْقَوَاضِبِ ، وَلَا تَمْنَعُ مَخَاوِضُهَا إِلَّا بِدِمِّ خَاضِبِ<sup>(١)</sup> ، وَالْحَصُونُ لَا يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْتَجِنٍ  
غَضَبَانٍ إِلَّا بِوَصَالِ مُغَاضِبِ ، وَالْقَلَاعُ لَا تَتَطَّلَعُ عِيُونُ دِيَادِبِهَا إِلَّا لِمَنْ مَاءُ الْكَرَى

(١) فِي الْأَصْلِ مَخَالِصُهَا .

في جُفُونِهِ نَاصِبٌ ، وَالْمَعْقِلَ لَا تَسْمَحُ بَعْقَائِلُهَا إِلَّا مَنْ هُوَ عَلَى خِطْبَتِهَا مُوَاطِبٌ ،  
وَكَانَتْ الرَّحْبَةُ - حَرَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رِحَابًا ، وَأَذْنَى إِلَى مَطَرٍ سَحَابًا ،  
وَأَوْثَقُ مَا عُلِقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبُ مَا سَمِعَ حُرَّاسُهَا فِي السَّمَاءِ دُعَاءَ مُجَابَا ،  
قَدْ مَلِكْتَ سَمَائُهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُوحِ وَاسْتَقَتَتْ مِنَ الْغَامِ  
قُلُوبًا ، وَعَدَّتْ مَا وَرَاءَ الْحَجَرَةِ فُعِمَّتْ دُونَهَا الْمَسَالِكُ ، وَحُسِبَتْ لِلْمَلِكِ وَنُسِبَتْ إِلَى  
مَالِكٍ ، وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا أَبْنَ طُوقٍ - خَازِنُهَا ، وَمَنْزِلُ أَمْنٍ وَفِي غَابِ الْأُسْدِ  
مَسَاكِنُهَا ، قَدْ وَقَفَتْ لِبَغْدَادَ فِي قِيمِ الْمَضِيقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِدَا أَنْ تَخْوَضَ الْفِرَاتَ  
إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ، قَدْ أَفْتَرِ فِي وَجْهِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ نَغْرَهَا الضَّاحِكِ ،  
وَرَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فَرَعُهَا الْمُتَمَاسِكِ .

فَلَمَّا أَعْمَدَ حُسَامُهَا الْمُسْلُوحَ ، وَأَفْلَعَ غَمَامُهَا وَكُلَّ هُدْبٍ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَبْلُوحٌ -  
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجِدَّ دَعْوَاهَا زَفَافًا ، وَلِيُوتِيَهَا أَفْوَافًا ، وَلِيُسَوِّفَهَا جَلَاءً ،  
وَلِيُسْقِوَهَا إِعْلَاءً ، وَنُؤَلِّيَهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةَ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةَ الْأَنْسَابِ ،  
لِيَكُونَ أَذْعَى لِمَصَالِحِهَا ، وَأَرْغَى لِمَنَاجِحِهَا ، وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ سَمْعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،  
وَأَسْعَى فِي حِمَايَةِ مَمَاسِيهَا وَمَصَالِحِهَا ، وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ أَصْلَبَ مَنْ فِي كَنَائِنَا الشَّرِيفَةِ  
عُودًا ، وَأَنْجَزُ وَعُودًا ، وَأَصْدَقُ رُعُودًا ، وَأَيْمَنُ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقِ سَعُودًا .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تَفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه  
وَقَاعِدَتِهِ [فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ] مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهُ وَالْعَمَلَ بِمَا شَرَعَ ، وَاتَّبَاعَ مَرَّاسِمَنَا الشَّرِيفَةِ  
فِيئَلَهُ مَنْ أَتْبَعَ ، وَحِمَايَةَ أَطْرَافِهَا ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِحَيْرٍ ، وَصِيَانَةَ أَكْثَافِهَا ،  
مِنْ كُلِّ عَصَابَةٍ مُخَلِّقَةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ ، وَحِفْظَهَا مِنْ عَادِيَةٍ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَفَّاكٍ ، وَبَادِيَةٍ  
أَعْرَابٍ وَأَثْرَاكٍ ، وَكُلِّ فَارِسٍ فَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَعِيرٍ ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقْقَةٍ مُغِيرٍ ،

وَجَانِبِيَّ بَرُّو بَحْرِيَّ : فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعْمَى وَالْآخَرُ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِيَّ سَرٌّ وَجَهْرٌ : هَذَا تَخْشَى لَهُ عَاقِبَةُ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلِيَتَخَفَّطَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَعَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَقْوَالِ ثَمَرَاتِهَا وَلَا يَدْعُ كُلَّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَائِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي أَتِّهَابِ الْأَخْبَارِ أَبُو الْغَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أُلْجِمَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي لَمْعِ الْبُرُوقِ إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذْ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنِ الْخَيَالَةِ مَنْ لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاحِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنِ الْقَصَادِ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنِ الدِّيَادِبِ مَنْ يُعِيرُهُ وَقَلَّ أَنْ تُعَارَ الْعَيُونُ نَظْرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارُ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوًّا وَرَوَاحًا ، وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أَرْدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى أَمْتِلَائِهَا أَنْشِرَاحًا ، وَلِيَأْخُذْ مِنْهُمْ مَا لِبَيْتِ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْطَانَهُ أَرْبَاحًا ؛ وَلِيُوصِّلَ إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَهُمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَذْمُومٌ ؛ وَلِيُعَمِّرَ الْبِلَادَ بِتَوَطُّينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا بِالْعَدْلِ مَلَانَةً الْجُفُونِ مِنَ الْكُرَى ؛ وَلِيَكُنْ لِلْفُرَاتِ مَتِيقَطًا لئَلَّا يَطْفِئُ بِهَا التِّيَّارُ ، وَيَغْلِبَ بِمَدِّهَا الْمُخَمَّرُ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخَمَّارُ ؛ وَيَقْوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدَرَ عَلَى مُقَاوَاةِ الْبَحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدَ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَتَفَقَّدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيُغْلِقَ زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : ﴿ كَمَثَلِ زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ وَلِيَعِفَّ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُؤْمِنَ مَنْ يَلِيهِ فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُتَى ؛ وَلِيَقِرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صُلْحٍ أَكْثَرُ أَوْ أَخِيهِ ، وَأُصْبَحَ كُلُّ مَنْ أَهْلُ الْجَانِبَيْنِ لَا يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ لَا فِي عَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ نِطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ اعْتِمَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهِفًا غِرَارَهُ ، وَجَوِسَ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَآخِطَافَ كُلِّ قَمَرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ  
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَشْبَّ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِيَارَةَ فِيهِ الرِّلَازِلُ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْهَا  
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعَثٍ يَتَكَفَّلُ بِشَتَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلُ  
بِكُلِّ مَا تَرِدُ بِهِ مَرَامُنَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمُوَاصَلَةُ بِكُتْبِهِ الَّتِي نَرْفُضُ مَا سِوَى أَخْبَارِهَا  
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالُ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ تُحَلِّقُ بِهِمَا : إِمَّا رِيحَ ظَاهِرَةٍ وَإِمَّا رِيحَ عَادِيَةٍ ،  
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرُبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةِ ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ ! .

النيابة الثالثة — نيابة مضاف .

وهذه نسخة مرسوم نيابتها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَّفَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بَنَاهُ كُلَّ حَضَنٍ  
لَا تَعْرِضُ لَهُ الْحَجَرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَرْتِيبَةِ فِي خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى أَيْنَ  
يُنْتَهَى السَّالِكُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغَبُ أَنْ نَلْقَى اللَّهَ عَلَى آدَاءِ الْأَمَانَةِ  
فِيهَا كَذَلِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا هُوَ مَالِكٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُنْجَى بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،  
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَى وَهَى كَالْعِقْدِ الْمُتَمَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
صَلَاةً يَجِدُّ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلُّ هَنَاءٍ هُنَالِكَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النِّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلَى مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ  
مَنْ سَلَكَ ، وَمَمْلَكَةُ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجَلِّ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةِ ،  
وَامْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَّاكِنِ الْمُخِيفَةِ ، وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مَنْ يَقْتَلِعُ الْعِدَا بُرُثُوهُ ،  
وَيُسَابِقُ السَّنَمَ إِلَى مَطْلُوبِهِ ، وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلَفِهِ فِي طَاعَةِ أُمَمَتِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُلُويَّةَ مَا انْقَضَتْ حَتَّى آتَتْكَ لَنَا الْوِلَايَةُ عَلَى شِيعَتِهِمْ ؛  
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ فِينَا قَدْ انْخَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ  
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُ ؛ فَهَمْ بِهَذَا يَبْذُلُونَ نَفُسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا  
فَرَضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَبْلُغُونَ بِنَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَزَالُوهُ  
بِيَدَيْهِمْ ؛ كَمَا هَجَمُوا عَلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ هَجْمَةً طَيْفًا ؛ ، وَكَمَا اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ  
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مُبَارَاتِهَا سَيْفٌ ؛ ، وَكَمَا أَوْقَدُوا لَهُمْ بَارِقَةً عَزِيمَ قَبِيلٍ : هَذِهِ سَحَابَةُ  
صَيْفٍ ؛ ، وَلَمْ وَرَدُوا بِالْدمَاءِ خَدًّا يَنَادِي : يَا كَرَامَ الْوَرْدِ ضَيْفٌ ؛ . وَكَانَتْ  
مُضَيَّافٌ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيٌّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ ، وَقَلْعَتُهَا هِيَ الَّتِي بِذَوَائِبِ  
الْجُوزَاءِ مُتَمَسِّكَةٌ ؛ وَانْقَضَتْ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةُ نَقَلَ النَّائِبُ بِهَا إِلَى مَا رَسَمْنَا بِهِ الْآنَ ،  
نَخْلُفُ مَنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَنْ تَعْنَى بِهِ عَمَّا يُقَالُ : مَنْ  
أَعْتَقَلَ رُحْمًا وَتَجَرَّدَ سِنَانٌ .

فَحَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ تُقَلِّدُهُ هَذِهِ النِّيَابَةُ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛  
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرِدُ بِهِ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا :  
لَأَنَّهُ دَاعِيَنَا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ أَحَقَّ [النَّاسِ بِهَا] مَنْ قَدَّمَهُ وَلَاؤُهُ ، وَعَظَّمَهُ  
أَنْتَمَاءُؤُهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْتَامُ هِمَمِهِ الَّتِي لَا تُشَاهِبُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سِيرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي  
طَالَمَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ «يَطْلُ بِمَوَاقِفٍ وَيُمِيسِي بِغَيْرِهَا» ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ  
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَزِيدِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ  
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ لِحَامِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَصْفِهِ ،  
وَدَلٌّ عَلَيْهِ شَأْنُؤُهُ بِعَرَفِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَقْوُصَ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ بِمُضَيَّافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .  
فَلْيَقْدِّمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَلِيَّهُ ، وَلْيَنْشُرْ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلْيَعْمَلْ

بِالأحكامِ الشَّرعيةِ في كلِّ ما يَقْضيه ؛ وَلَيْسُ لَكَ في أَهْلِها أَوْضَحُ المَرِاشِدِ ، وَلَيِّينُ  
لَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إلى سَبِيلِ الرِّشادِ إِلا ما آدَعاهُ رَاشِدٌ ؛ وَلْيُوصَلْ إلى المَجاهِدينِ  
أَرْزاقَهُم التي هِيَ أَثَمَانُ نَفوسِهِمْ ، وَثِمَارُ مَادِنِي القِطَافِ مِنْ رُءُوسِهِمْ . وَأَهْلُ  
مَنْ مات أَوْ يَمُوتُ مِنْهُمْ على طاعتِنَا الشَّرِيفةِ فَكُنْ عَلَيْهِمْ مَتَعَطِّفاً ، وَمَنْ طَلَبَ  
مَنْكَ الإِنْصَافَ فَكُنْ لَهُ مُنْصِفاً ؛ وَأَفْعَلْ مَعَهُمْ أَحْسَنَ الأُسُوءِ ، وَقُلْ لَهُمْ عَنَّا : إِنَّ  
الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفةِ قَدْ اسْتَجَابَتْ لَكُمْ يا أَهْلَ الدَّعْوَةِ ؛ وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ ، لِتَزَادَ مِنْ  
حُبِّهِمْ ، وَقُلْ لِلْمُجاهِدينِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . وَالْأَمْوالُ فَضْئُها مِنَ الضَّيَّاعِ ؛ وَعِمارةُ البِلادِ عَلَيْكَ بِها فَإِنَّ القَلْعَةَ  
لَا تَكُونُ إِلا بِالْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةَ لَا تَكُونُ إِلا بِالضَّيَّاعِ ؛ وَأَمثالُ مَراسِمِنَا الشَّرِيفةِ وَكُلُّ  
ما يَرَسَمُ بِهِ سارِعٌ إلى اعْتِمادِهِ ، وَطائِفَةُ المُجاهِدينِ لَا تَدْعُ مِنْهُمْ إِلا مَنْ هُوَ مَعْتَدٌ  
لِجِهادِهِ ؛ وَالكِتْمَانُ الْكِتْمَانُ ! فِيهِ تُسألُ المَطالِبُ ، وَتُدْرِكُ المَآرِبُ ؛ وَعَلَيْكَ بِقَمْعِ  
المُفسِدينِ ، وَرَدْعِ المُعتَدينِ ، وَإِقامةِ الحُدُودِ : فَإِنَّ بِها أَقامَ اللَّهُ هَذا الدِّينَ ؛ وَنَحْنُ  
نَغْتَنِي بِما فيكَ مِنَ المَعْرِفَةِ ، وَبِما انتَ عَلَيْهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى - مِنْ كِلالِ كُلِّ  
صَفَةٍ ، عَنْ اسْتِيعابِ الوَصايا التي لَمْ تَبْرُحْ سِجَّياتِكَ بِها مُتَّصِفَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُكَ  
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَشْرَفَهُ ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفَ أَعلاهُ ... .. .



وَأما الصَّفَقَةُ الشَّمالِيَّةُ ، فَالذِي يُولَّى بِهَذِهِ الصَّفَقَةِ عَنِ الأبْوابِ السُّلْطانيَّةِ ،  
نِيايَةُ بَعْلَبَكْ فَقَطْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ في الكلامِ على تَرْتِيبِ المَمْلَكَةِ الشَّامِيَّةِ أَنَّها كانتْ  
أَوَّلًا إمْرَةً عَشْرَةَ ، ثُمَّ صارتْ طَبْخاناهُ ، وَأَنْ نائِبَ الشَّامِ يُولَّى بِها ، وَربْما وَلَّيْتُ  
مِنْ الأبْوابِ الشَّرِيفةِ السُّلْطانيَّةِ . وَحينئِذٍ فيكونُ مَرَسُومُ نائِبِها في قِطْعِ الثُّلُثِ  
بِ«المَجْلِسِ السَّامِيِّ» بِالْيَلاءِ .

وهذه نسخة مرسوم نبياية بعلبك :

أما بعد حمد الله على أَمَلٍ حَقَّقَ مِنْهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سُحْبَ آخِتَائِهِ  
أُورَقَ بِهِ عُودَهُ وَطَابَ جَنَاهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَلَّلَ بِنَاهُ ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا شِيدَ مَعْقِلُ نَخَارِ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَذْنِ الشَّامِ الْقَدِيمِ ، وَدُورِ  
الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحُلُّهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةَ بَعْلَبَكْ وَهِيَ الَّتِي  
تَحْصُنُ الْإِسْلَامُ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصِلُ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] <sup>(١)</sup> بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ  
سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَتَقَنَ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ  
الْحَيِّ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءُ عَمْدُهَا ، فَطَالَتْ شَرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُخْضِخُضُ فِي سَجَلِ  
السَّحَابِ يَدُهَا ، وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرُ بِمُلْكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :  
تَارَةً سَعِيدًا وَتَارَةً أَمُجَدٌ ؛ وَمَا خَلَتْ مِنْ عُلَمَاءَ عَظِيمِي الشَّانِ ، وَصُلَحَاءَ يَأْمُهُمْ  
الْجَبَلَانِ : سَيْسُ وَلُبْنَانِ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَبَحَابُ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ  
بِالسَّفُوحِ ؛ وَبَابُ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَأْبُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَعْدُو  
مُحْمَلَةً أَوْقَارَ رُكَّابِهَا وَتُرُوحُ ؛ وَلَهَا الْعَيْنُ الْمُسَبَّلَةُ الرَّوَاتِبُ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ  
لِمَفْرِقِهَا الشَّائِبِ ، الْعَالِيَةِ الدَّرَى ... ... مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ لَا تَسْتَغْنِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَنْتِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفِهِ  
الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفٍّ لَعْرُوسَهَا ، وَمِمَّا نِلَ لِمَرْكَزِ تَأَوُّدِ غُرُوسَهَا ،  
فَلَمْ يَجِدْ أَذْرَى بِأَحْوَالِهَا ، وَأَذْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رَجَالِهَا ، كَمَنْ أَسْتَقْرَبَهُ  
فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطَنِ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطَر] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

(٢) » » ولعله : التي كانتا متعلقة من الخ .



سنون وأيام هتف بها دأعى قصر ؛ ولا غنى [ عنه ] مع ماله من ولايات صحب فيها الناس وفارقهم على وجه جميل ، ورأفهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما دمه في النازلين نزيل ؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب ، المتوقل في تلك الهضاب ؛ المشكور قولاً وديناً ، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدة ولينا .

فلذلك رسم ... - لا زال إحسانه أحمد واختياره مقدماً - أن يرتب في نيابة بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته ، مبتدئاً حسن النظر في الأمور العامة ، لا يدع ظلامه ، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه ، ولا يعد سمعاً إلا لسمع شكر لا ملامه ؛ ولينظر في المظالم نظراً ينجلي به سدفها ، وليشكر العشير توطياً يوطأ به هدفها ؛ وليلاحظ الأمور الديوانية بما ينمى به أموالها ، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها . والأوقاف فليشارك واقفيها في إحسانهم ، وليجر حسناتها على ما كانت عليه في زمانهم ؛ وليكن لها نعم الكفيل في دوام المحافظة ولينفق ما فيها من الحواصل والزرذخاته مما يذخر لوقته ، ويؤخر لفرط الشغف به لالمقته . ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال ، وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال ، وعليها تنصب المجانيق وتخطف الأجال . وأما الشريعة المطهرة : فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يغرق ، وأتباع أوامرها : وإلا فقيم يعذب من يعذب ويحرق من يحرق ؛ وتقوى الله تعالى هي الوصية الجامعة ، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعه ؛ وليفهم هذه الوصايا ولا يخرج شيئاً منها من قلبه ، ولتين معانيها ليكون بها على بينة من ربه ؛ والله تعالى يكشف عنه غطاء مجبته ، ويزعه عما يأخذه ويؤاخذه من بينه ؛ إن شاء الله تعالى .

## الصف الثاني<sup>(١)</sup>

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -  
أمرأء العربان ، وهم على طبقتين : )

### الطبقة الأولى

( من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وهو أمير آل  
فضل خاصة : سواء كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها )

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب المملكة الشامية نقلاً عن "مسالك الأبصار"  
أن ديارهم من حمص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرّجبة ، آخذين على شقّ الفرات وأطراف  
العراق .



وهذه نسخة تقليدٍ بإمرة آل فضل : كُتِبَ به لأمير شجاع الدين « فضل بن  
عيسى » عوضاً عن أخيه مُهنّا ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا سنقر الأفرم  
ومن معهما من المتسجبين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يُفارق الخدمة ، فى شهر  
سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ ، وهو :

الحمد لله الذى منّح آل فضل فى أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلاً ، وقَدّم عليهم  
بقديم الإخلاص فى الولاء من أنفُسهم شُجاعاً يجمع لهم على الخدمة ألفةً وينظّم لهم  
على المخالصة شملاً ، وحَفِظَ عليهم من إعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقُصُ  
لها الأيام حُكماً ولا تنقُصُ لها الحوادث ظلاً .

(١) لم يتقدم تقسيمه الى اصناف ولعل مراده أن ما تقدّم من التولية فى الصفقات صنف أول وهذا  
صنف ثان . فليتبّه .

نحمده على نعمه التي شملت بئرنّا، الحضر والبدو، وألهمت بشكرنا، ألسنة العجم  
في الشدو والعرب في الحدو، وأعمت في الجهاد بين يدينا من اليعملات ما يبارى  
بالنص والعنق الصافات في الحب والعدو، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة ندرأها الأمور العظام، ونقلد بينها ما هم من مصالح الإسلام لمن  
يجرى بتدبيره على أحسن نظام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى  
ذوائب العرب وأشرفها، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الأئم وهول  
موقفها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرم بالوفاء أنسابهم، وأضاءت  
بتقوى الله وجوههم وأحسابهم؛ صلاة لا تزال الألسن تقيم نداءها، والأقلام ترقم  
رداءها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجبته الطاعة ثمة إخلاصه، ورفعته المخالصة إلى أسنى  
رتب تقرّبه وأختصاصه؛ وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع  
شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى :  
﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ - من ارتقى إلى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه، ودلّ  
تمسكه بأيمانه على صحّة إيمانه وقوة يقينه؛ ولا حظته عيون السعادة فكان في حزب  
الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرتته أن المغبون من فاتبه تقرّيبنا  
وقربنا؛ ورأى إحساننا إليه بعين لم يطرفها الجحود، ولم يطرفها إعراض السعود؛  
فسلّك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقا، وأقتدى في الطاعة والولاء بمن قال  
فيهم بمثل قوله : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَقِيقًا ﴾ .

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة  
ما حاز، وفاز من برنا وشكرنا بجمل المبادرة إلى الخدمة بما فاز؛ وعلم مواقع إحساننا

إليه فَعَمِلَ على استدامة وِلَّيْها ، واستِرَادَة فَضْلِها ؛ والارتِواء من مَعْرِفِها الذى بَاءَ بالحِرْمَانِ [منه] من نَحْرَجَ عن ظِلِّها ؛ مع ما أضاف إلى ذلك : من شِجَاعَةِ تَبَيَّتْ منها أعداءُ الدِّينِ على وَجَلٍ ، ومَهَابَةِ تَسِيرِى إلى قلوب من بَعْدَ من أَهْلُ الكُفْرِ سُرِىَ ما قُرِبَ من الأَجَلِ - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أن نَمُدَّ على أَطْرَافِ المَمَالِكِ المحْرُوسَةِ منه سُوْرًا مَصْفَحًا بِصَفَاحِهِ ، مَشْرَفًا بِأَسَنَةِ رِمَاحِهِ .

فُرِسم بالأمر الشريف العالى - لا زال يقلد وِلَّيَّه فَضْلاً ، ويمَلَأُ مَمَالِكَهُ إِحْسَانًا وَعَدْلًا - أن يفَوْضَ إليه كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا تَقَدَّمَ من أسباب تَقْدِيمِهِ ، وأَوْجَى إليه من عِنَايَتِنَا بهذا البيت الذى هو سِرُّ حَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ ؛ وَلِعِلْمِنَا بأَوْلَوِيَّتِهِ التى قُطِبَها الشِّجَاعَةُ ، وَقَلَكُها الطَّاعَةُ ؛ وَمَادَتُها الدِّيَانَةُ وَالتَّقْوَى ، وَجَادَتُها الأَمَانَةُ التى لا تَسْتَرِهَا الأهْواءُ ولا تَسْتَفْرِها الرُّقَى .

وَلِيَكُنْ لَأَخْبَارِ العَدُوِّ مَطَالِعًا ، وَلِنَجْوَى حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ على البُعْدِ سَامِعًا ، وَلِدِيَارِهِمْ كُلِّ وَفْتٍ مُصَبَّحًا حَتَّى يَظْنُوهُ من كل ثَنِيَّةٍ عَلَيْهِمْ طَالِعًا ؛ وَلِيُذِمَّ النَّاهِبَ حَتَّى لَا تَقُوَّهُ من العَدُوِّ غَارَةٌ وَلَا غِرَّةٌ ، وَلِيُزِمَ أَصْحَابَهُ بِالتَّيَقُّظِ لِإِدَامَةِ الجِهَادِ الذى جَرَّبَ الأَعْدَاءُ [منه] مَوَاقِعَ سِیُوفِهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ وَقَدْ خَبَرْنَا من شِجَاعَتِهِ وإِقْدَامِهِ ، وَسِیَاسَتِهِ فى تَقْضِ كُلِّ أَمْرٍ وإِبْرَامِهِ ؛ مَا يُغْنِى عن الوصايا التى مَلَأَها تقوى الله تعالى وهى من سَبْجَايَاهُ التى وُصِفَتْ ، وَخَصَائِصِهِ التى أُلْفِتْ وَعُرِفَتْ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا مِرْآةً ذِكْرُهُ ، وَفَاتِحَةً فِكْرُهُ ، والله تعالى يُؤَيِّدُهُ فى سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! : إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كُتِبَ بها للأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ «مُهَنَّأُ بنِ عِيسَى» من إنشاء الشيخ شهاب الدِّينِ محمود الحلبي ، وهى :

الحمد لله الذى أرهف حُسام الدين فى طاعتنا بيد من يُمضى مَضَارِبَهُ بِيَدَيْهِ ،  
وأعاد أمر القبائل وإمرتهم إلى من لا يصُح أمرُ العرب إلا عليه ؛ وحفظ رُتَبَهُ  
آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة فى سائر الأحوال منسوبات  
إليه ، وجعل حُسن العقبي بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة  
إلا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقيبه .

نحمده على نِعمه التى ما زالت مُستحقة لمن لم يزل المقدم فى ضميرنا ، المعول عليه  
فى أمور الإسلام وأُمُورنا ، المعين فيما تنطوى عليه أثناء سرائرنا ومطاولى صدُورنا ؛  
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُوجب على قائلها حُسن التمسك  
بأسبابها ، وتقتضى للإخلاص فيها بذل النفوس والنفائس فى المحافظة على مصالح أربابها ،  
وتكون للمحافظة عليها ذخيرة يوم نتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها ؛ ونشهد  
أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلاً وفرعاً ، المفروضة  
طاعته على سائر الأمم ديناً وشرعاً ، المخصوص بالأئمة الذين بشوا دعوته فى الآفاق  
على سَعَتها ولم يضيّقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعاً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
الذين حازوا بضحبتِه الرُتب الفاخرة ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا  
والآخرة ، وعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف فلم يُزحِزْهم عن ظلّها الركون إلى  
الدنيا السّاحرة ؛ صلاة تقطعُ الفلوات ركائبها ، وتسرى بسالكى طرق النّجاة نجائبها ،  
وتنصر بإقامتها كتاب الإسلام ومواكبها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من تلقته رُتبته ، التى توهم إعراضها بأيمن وجه الرضا ،  
وأستقبلته مكانته ، التى تحيل صدودها بأحسن مواقع القبول التى تضمّت الاعتداد  
من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت إليه إمرته

التي خَافَتِ الْعَطْلَ مِنْهُ وَهِيَ بِهِ حَالِيهِ ، وَعَادَتْ مُنْزِلَتَهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ لَدَيْنَا : مِنْ  
مَكَانَةٍ مَكِينَةٍ وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ - مِنْ أُمْنٍ شَمْسُ سَعَادَتِهِ فِي أَيَّامِنَا مِنْ  
الْغُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَقَّتْ أَسْبَابُ نِعَمِهِ بَأَنْ لَا يُرَوِّعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِنْتِقَاضِ  
وَلَا ظِلَالُهَا بِالْإِنْتِقَالِ ؛ وَأَغْنَتْهُ سَوَاقُ طَاعَتِهِ الْمُحْفُوظَةُ لَدَيْنَا عَنْ تَوَسُّطِ الْوَسَائِلِ ،  
وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمِهِ الَّتِي لَا تُجْعَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شُهُرُهَا  
فِي الْقَبَائِلِ ؛ وَكَفَلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحْمَدَ عَوَاقِبَهُ ، وَحَفِظَ  
لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَمَا تَوَهَّمُ الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرْقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ  
وَدْقَهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَخَيَّلُوا أَنَّ حُسَامَهُ نَبَأَ ، حَتَّى أَرْهَفَتْهُ عَنَانُهَا فُخِيمًا  
حَلَّ مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطْعَ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ  
الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَقِي الْأَطْمَاعُ مُتُونَهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ <sup>(١)</sup> (؟) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَاجْتِهَادِهَا  
فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالی ... هو الذي لا يَحُولُ اعْتِقَادُنَا فِي وِلَايَتِهِ ، وَلَا يَزُولُ اعْتِمَادُنَا  
عَلَى نَفَادِهِ فِي مَصَالِحِنَا وَمَضَائِهِ ؛ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَثُوقُنَا بِهِ عَمَّا فِي خَوَاطِرِنَا مِنْ كَمَالِ دِينِهِ  
وَصِحَّةِ بَيِّنَتِهِ ، وَأَنَّهُ مَا رُفِعَتْ بَيْنَ يَدَيْنَا رَايَةُ جِهَادٍ إِلَّا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ عَزَمَ بِبَيِّنَتِهِ ؛ فَهُوَ  
الْوَلِيُّ الَّذِي حُسِنَتْ عَلَيْهِ آثَارُ نِعْمَتِنَا ، وَالصَّغِيُّ الَّذِي نَسَا فِي خِدْمَةِ أَسْلَافِنَا وَنَسَا  
بَنُوهُ فِي خِدْمَتِنَا ، وَالتَّقِيُّ الَّذِي يَأْبَى دِينَهُ إِلَّا حَفِظَ جَانِبَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْ  
عِزِّهِمِنَا وَأَمَامِ هِمَمِنَا - أَقْتَضَتْ آرَافُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُصَرِّحَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ بِمَا هُوَ  
فِي مَكُونِ سَرَائِرِنَا ، وَمَضْمُونِ ضَمَائِرِنَا ؛ وَنُعْلِنَ بَأَنَّ رُتْبَتَهُ عِنْدَنَا بِمَكَانٍ لَا تَتَطَاوَلُ  
إِلَيْهِ يَدُ الْحَوَادِثِ ، وَنُبَيِّنَ أَنَّ أَكْثَرَ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَنَانِنَا وَأَمْتَانِنَا  
أَكْرَمُ بَوَاعِثِ .

(١) لعله "ولا تستقل".

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدمهم ،  
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجبر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا محيد عن مبدئها في مصالح  
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهبتَه من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة  
وإعدادها ، وتضافر الهمم التي ما زال الظفر من مآذها والنصر من أمدادها ،  
وإلزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم ، وحفظ مراكرهم التي لا تُسد أبوابها إلا بهم ؛  
والتيقظ لمكايد عدوهم ، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وعُدوهم ؛ وحفظ  
الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكاييد العدا ، وتخطف من يتطرق إلى  
الثغور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفًا أو يمدد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ؛  
وليثبت في الأعداء من مكاييد مهايتهم ما يمنعهم الفرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول  
بينهم وبين الكرى لأشترك اسم النوم وحد سيفه في مسمى الفرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،  
فهو ابن بجدتها ، وفارس تجديتها ، وجهيئة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضمارها ، فيفعل  
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من إعلانه وسريته ؛ وقد جعلنا في ذلك وغيره  
من مصالح إمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويبلغ  
به من جهاد الأعداء أمله وسؤله ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد ... ..

## الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسوم شريف)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل عليّ ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق و غوطتها ، بين إخوانهم آي فضل و بني عمهم آل مراء ، ومنتاهم إلى الحوف والجبابنة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم إنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل عليّ ، كتبت به للأمرير عز الدين « حماز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيلة ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلي ولده رسيه ، وأمسك به دمة السيوف في حدودها الأميله ، وأمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضار به بحيله ، وأرضى بتقليده كل عتي وجمل كل جميله .

نحمده على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترشد من اتخذ فيها نجوم الأئمة دليله ، وتجعل أعداء الله بعز الذين ذليله ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأحمد من نارهم كل قبيله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خير كقبيله ، وسلم تسليما كثيرا .



وبعد، فإنَّ دولتنا الشريفة لما خَفَقَ على المَشْرِقِ والمَغْرِبِ جَنَاحُهَا، وشَمِلَ  
الْبَدْوَ والحَضَرَ سَمَاحُهَا، ودَخَلَ في طَاعَتِهَا الشَّريفة كُلُّ رَاحِلٍ ومُقيمٍ في الأَفْطَارِ،  
وَكُلُّ سَاكِنٍ خِيَمَةٍ وَجِدَارٍ - تَرَعَى النِّعَمَ بِإِبْقَائِهَا في أَهْلِهَا، وإِقَائِهَا في مَحَلِّهَا، مع  
ما تَقَدَّمَ من رِعايةٍ تُوجِبُ التَّقْدِيمَ، وتودَعُ بِهَا الصَّنَائِعُ في بَيْتِ قَدِيمٍ، وتُزَيِّنُ بِهَا  
المَوَازِيبُ إِذَا تَعَارَضَتْ بِحَافِلِهَا، وتَعَارَفَتْ شُعُوبُهَا وَقَبَائِلُهَا، وَأَسْتَوَلَتْ حِيَادُهَا على  
الْأَمَدِ وقد سَبَقَتْ أَصَابِلُهَا، وتَدَاعَتْ فُرْسَانُهَا وقد أَشْتَبَتْ مَنَاصِبُهَا وَمَنَاصِبُهَا  
وَمَنَاصِلُهَا، وَكَانَتْ قِبَائِلُ الْعُرَبِ أَيْنَ تَعْمَهُمُ دَعْوَتُنَا الشَّريفة، وَتَضُمُّهُمْ طَاعَتُنَا  
التي هِيَ لَهُمُ أَكْمَلُ وَظِيفَةٍ، وَلَهُمُ النُّجْدَةُ في كُلِّ بَادِيَةٍ وَحَضَرٍ، وإِقَامَةُ وَسَفَرٍ، وَشَامِ  
وَحِجَازٍ، وَإِنْجَادٍ وَإِنْجَازٍ، وَلَمْ يَزَلْ (لَا عَلَى) فِيهِمْ أَعْلَى مَكَانَةٍ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَوَسَّدَ  
سَيْفَهُ وَأَقْرَشَ حِصَانَهُ، وَهُمُ مِنْ دِمَشْقِ المحرُوسَةِ رَدِيفُ أُسُورِهَا، وَفَرِيدُ سُورِهَا،  
وَالنَّازِلُونَ مِنْ أَرْضِهَا في أَقْرَبِ مَكَانٍ، وَالنَّازِحُونَ وَلَهُمُ إِلَى الدَّارِ بِهَا أَفْطَارٌ وَأَوْطَانٌ،  
قَدْ أَحْسَنُوا حَوْلَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ مَقَامَهُمْ، وَأَسْتَغْنَوْا عَنِ الْمُقَارَعَةِ عَلَى الضِّيفَانِ لِمَا  
نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ، وَبَاهَوْا كُلَّ قَبِيلَةٍ بِقَوْمٍ كَأَثَرِ النُّجُومِ عَيْدُهُمْ،  
وَأَوْقَدُوا لَهُمُ فِي الْيَفَاعِ نَارًا إِذَا هَمَّى الْقَطَرُ شَبْتَهَا عَيْدُهُمْ، وَهُمْ مِنْ آلِ فَضْلِ حَيْثُ  
كَانَ عَلَيْهَا، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَسَامِعِ حُلِيِّهَا، فَلَمَّا آتَتْهُمُ الْإِمْرَةُ إِلَى الْأَمِيرِ المَرْحُومِ  
شَمْسِ الدِّينِ، مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - جَمَعَهُمْ عَلَى دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ، وَأَقَامَ فِيهِمْ  
يَتَنَبَّيْ بِطَاعَتِنَا الشَّريفة رِضَا اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخَرَةَ، ثُمَّ أَمَدَّهُ اللَّهُ مِنْ وَلَدِهِ بِنِ الْتِي إِلَيْهِ  
هَمَّهُ، وَأَمَضَى بِهِ عَزَمَهُ، وَنَفَّذَ بِهِ حُكْمَهُ، وَنَقَلَ قَسَمَهُ.

وكان الذي يتحمل دُونَهُ مَشَقَّاتِ أُمُورِهِمْ، وَيَتَلَقَّى شَكَاوَى أَمْرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ،  
وَيُرَدُّ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مُسْتَمْطَرًا لَهُمْ سَحَابٌ نَعْمًا الَّتِي أَخْصَبَ بِهَا مَرَادُهُمْ،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ؛ وتفرّد بما جمعه من أبوته وإبائه ،  
وركز في كلّ أرض منّاخ مطيّة ومرسى خبائه ؛ وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنا  
الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب  
إلا إلى نار القري ؛ وورد عليه مرّسومنا الشريف فكان أسرع من السهم  
في مضائه . كم له من مناقب لا يُعطى عليها ذهب الأصيل تمويهاً ! ، وكم تنقل من  
كوير إلى سرج ومن سرج إلى كوير فتنبئ الهلال أن يكون لهما شيئا ؛ كم أجمل  
في قومه سيره ! ، وكم جمل سيره ! ؛ كم أنمر لها أملا ؛ كم أحسن عملا ؛ كم سدّد  
خللا ؛ كم جمع في مهماتنا الشريفة كلّ من امتطى فرسا وركب جملا ؛ كم صفوف  
به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وخُوف حائم الحام بها على الأعداء ترمت !! .

وكان المجلس السامي الأميرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ،  
العضدى ، النصيرى ، الأوحدى ، المقدّمى ، الذخرى ، الظهيرى ، الأصيلى :  
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ؛ همّام الدولة ، حسام الملّة ؛  
ركن القبائل ، دُخر العشائر ؛ نصرة الأمراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلطين  
« جاز بن محمد » أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدّم ، والأحقّ بأن يتقدّم ،  
والذى لو أنّ الصباح صوارم والظلام بحافل لتقدّم ؛ فلما مات والده رحمه الله نحّا  
إلى أبوابنا العالية ، ونور ولائه يسعى بين يديه ، ووقف بها : وصدقاتنا الشريفة  
تُرفق عليه ؛ فرأينا أنّه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف آبائه الذين عن زجر  
الخليل ما عزّفوا ؛ وكبيرهم الذى يعترف له والدّهم ووليدهم ، وأميرهم الذى به تُرعى  
عهودهم ؛ وشجرتهم التى تلتف عليه من أسابهم فروعها ، وفريدهم الذى تجتمع عليه  
من بحافلهم مجموعها .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل علي : تامة عامة ؛ كاملة شاملة ؛ يتصرف في أمورهم ، وأمرهم ومأمورهم ؛ قريبا وبعدا ، وغورا ونجدا ، وظمنا وإقامه ، وعراقا وتهامة ؛ وفي كل حقير وجليل ، وفي كل صاحب رغاء وثغاء وصريروصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كل قبيله ، وفي كل أموره الكثيرة والقليلة .

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كل فريق ، وإصلاح كل رقيق ، ونجاح كل سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف . والحقوق : فخلصها على وجه الحق من القوى والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجمل الفقير ، والجمل الكبير ؛ وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرزها مراسمتنا المطاعة إليك وإليهم ؛ وحفظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم إلا بخير ، والمصارعة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراج لعريك لا تسمح به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ؛ ومنعهم : فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقل نفعهم ؛ والمهابة : فأنشرها كسمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تسام بالشام وديمها تراق بالعراق ؛ وخيول التقدّم : فارتد منها كل سابق وسابقة تقف دونهما الرياح ، ويحسدهما الطير إذا طارا بغير جناح ؛ ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجه ، وليعرف قومه له حقه ، ويوفوه من التعظيم مستحقه ؛ فإنه أميرهم وأمره من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يوفقه ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف . . . . .

(١)  
[ الثاني - أمير آل فضل ] .

وهذه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عربى آل فضل وآل على ، كتب به  
للأمير نحر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذى خص من وآلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها  
بالمذلة والقهر ، ومد فى عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها -  
وإن قصرت - بالمسار : كل شهر يتر منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظفر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإخصاء  
فلا تدخل فوائدها تحت الحصر ، وأن محمدا عبده ورسوله الذى جعل الله به الهداية  
فى المبدأ والشفاعة فى المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد  
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا فى الأرض ، وجعل بيدنا البسط  
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل  
فى أيامنا جبره بعد الصنع ، وكيف تصبح أنجم ذوى الأقدار فى سماء مملكتنا  
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير فى عراصها من رامه إذا كان على الخير فى غير أيامنا  
مانع ، وكيف نحل التقدمة فىمن إذا عقل فى حلها قيل : هذا هو أحق بها ممن  
كان ، وهذا الذى ما برحت التقدمة فى بئته فى صدر الزمان ، وهذا الذى إذا ذكر  
آل فضل وآل على كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

لُعْثَان، وَأَتْنَا لَا تُنْطَى صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَلَا تَنْسَخُ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقْدِيمَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا، وَلَا تُسَلَّمُ رَأَيْتُهَا، إِلَّا لِمَنْ تُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ، وَلَا يَتَسَمَّ ذُرْوَتُهَا، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.

ولما كان المجلس السَّامِيُّ، الْأَمِيرِيُّ، فخر الدين، عثمان بن مانع بن هبة :  
هو المراد بهذا القول الحسن، والممدوح بحشد هذا المدح الذي يَسُرُّ السَّرَّ وَالْعَلَنَ،  
وَالْحَقِيقَ مِنَ الْإِحْسَانِ بِكُلِّهَا وَالْخَيْرِ بِأَنْ؛ وَالْخَصِيصَ مِنْ سَوَالِفِ الْخِدْمِ بِمَا  
وَالْمُفْضَّلَ عَلَى سَائِرِ النَّظَرَاءِ وَلَوْ قِيسَ بَيْنَ - آقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ، أَنْ رُسِمَ  
بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ ذُو الْقَدْرِ فِي أَيَّامِهِ يَرْتَفِعُ، وَذُو الْفَضْلِ فِي دَوَائِمِهِ لَا يَعْزُزُ عَلَيْهِ  
مَطْلَبٌ وَلَا يَمْتَنِعُ، وَذُو الْأَصَالَةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ لَهَا فِيهَا مِنَ النِّعَاءِ مَا لَا يَلْتَمِمْ لَهَا فِي غَيْرِهَا  
وَلَا يَجْتَمِعُ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ التَّقْدِيمَةُ عَلَى الْعُرْبَانِ بِالسَّامِ الْمَحْرُوسِ، وَهُمْ مِنْ يَأْتِي  
ذَكَرَهُ، عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ فِي تَرْتِيبِهِمْ؛ وَأَنْ مَنَازِلَهُ الدَّارُومُ: بَعْدًا وَقُرْبًا، حَضْرًا  
وَبَدْوًا، عَامِرًا وَغَامِرًا، رَأْحًا وَغَادِيًا، مِنَ الرِّسْتَنِ إِلَى الْمَلُوحَةِ. وَالْعَرَبُ: آلُ فَضْلٍ  
وَأُلُ عَلَى حَيْثُ سَارُوا نَزَلُوا مَنَزِلَةَ الْمَذْكُورِ، أَوْ بِمَنَزِلَةِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ  
أَبِي بَكْرٍ، وَالْخِدْمَةُ وَاحِدَةً، وَالْكَلِمَةُ عَلَى اتِّفَاقِ الْمَصَالِحِ مُتَعَاضِدَةً.

فليكن للقوى جسد روحها لا بَلَّ رُوحَ جَسَدِهَا، ومجموع القبائل أَوْحَدَ عُدَدِهَا  
إِذَا صَحَّ الْأَوَّلُ مِنْ عُدَدِهَا؛ وَقُطِبَ فَلِكِهَا الَّذِي عَلَى تَدْيِيرِهِ مَدَارُهَا، وَعَلَى تَقْرِيرِهِ  
أَقْصَارُهَا؛ وَعَلَى تَقْدِيمَتِهِ تَعْوِيلُهَا، وَإِلَى نِسْبَةِ إِمَارَتِهِ جُمْلَتُهَا وَتَفْصِيلُهَا؛ وَلِيَجْمَعَهُمْ  
عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّ الطَّاعَةَ مِلَاكُ الْأَمْرِ لِلْأَمْرِ، وَأُسُّ الْخَيْرِ لِلْبَادِي وَالْحَاضِرِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ  
لِكُلِّ مِنْهُمْ نِقَابَةً تُعْرَفُ، وَعَلَمِيَّةٌ أَصَالَةٌ بِهَا يُعْرَفُ؛ وَمَنَزِلَةٌ يَرْتَبُهَا الْوَلَدُ عَنِ الْوَالِدِ،  
وَمَشِخَّةٌ تَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى ذَلِكَ الْوَاحِدِ، فَلِيَحْفَظْ لَهُمُ الْأَنْسَابَ، وَلِيَرَّعَ لَهُمُ

الأسباب، وإذا أُمِرُوا بأمرٍ من مَهَامِ الدَّوْلَةِ يَتَلَوْا عَلَيْهِمْ : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ ﴾ .  
والإلزام له ولهم مَخَاضٌ تحفظ ، ومَفَاوِزٌ تُلَحَظُ ، ومَطَارِحٌ لَا تُتَلَفَظُ ، ومَشَاتٍ  
ومَصَافٍ ، ونفائض ومَصَارِفُ ، ومَرَابِيعُ ، ومَرَاتِعُ ؛ ودُنُوقٌ وأَقْتِرَابُ ، وتَوَطُّنٌ  
وَأَقْتِرَابُ ؛ وإِغَارَةٌ ونَهِيضُ ، وبرَقٌ ووميضُ .

فلْيُرْتَّبْ ذلك أَجْمَلُ تَرْتِيبُ ، وَلْيَسْلُكْ فِيهِ خَيْرُ مَذْهَبٍ وَتَهْذِيبُ ؛ وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،  
وَلْيَلَحِظِ الرَّائِغُ وَالْعَادِي ، وَلْيُؤَمِّنْ ذلك الْجَانِبَ فَاثْمُنَا تُطْرِبُ أَبْيَانُهُ الْمُحَدِّثُ  
وَالْحَادِي ؛ وَعَلَيْهِمْ عِدَادٌ مَقَرَّرٌ ، وَقَانُونٌ مُحْتَرَبٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَاذِهِ شَادَاً ، وَلَسَبِيبِ  
تَأْيِيدِهِمْ مَادَاً ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فِيمَا مَضَى ، وَأَعْرَضَ  
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَتَقَضَى ؛ وَقُدِّمَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ  
الْأَمْرِ وَعُودَهُ ؛ فَلَا يَجْعَلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقاً ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرٍ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :  
كَانَ غَيْرُهُ بِهِ حَقِيقاً ؛ بَلْ يَفُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،  
وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ ... .. :

الثالث — أمير آل مرءاء ، ورتبته «السامي» بالياء .

وقد تقدّم أَنَّ منازلهم حَوْرَانُ . وعن «مسالك الأبصار» أَنَّ دِيَارَهُمْ بَيْنَ بِلَادِ  
الْجَبْدُورِ وَالْجَوْلَانِ ، إِلَى الزَّرْقَاءِ ، إِلَى آخِرِ بُصْرَى . ومَشْرِقاً إِلَى حَرَّةِ كَشْتِ ، عَلَى  
الْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ ، زَادَهَا اللَّهُ شَرَفَا .

وهذه نسخةُ مَرْسُومٍ شَرِيفٍ بِإِمْرَةِ آلِ مِرَاءِ ، كَتَبَ بِهَا لِلْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ  
« شَطِي بنِ عَمْرٍ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ آفَاقَ الْمَعَالِي بِالْبَدْرِ ، وَرَفَعَ بَايَامِنَا الشَّرِيفَةِ حَيْرَوَلِيٍّ أَضْحَى  
بَيْنَ الْقَبَائِلِ جَلِيلِ الْقَسْدَرِ ، وَمَنْحَ مِنْ أَخْلَصَ فِي خِدْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَزِيدَ الْكَرَمِ

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل برّه لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،  
وأسبغ ظلال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ الدمام .

نحمده على نعيم هطل سحابها ، ومنن تفتحت بالمسار أبوابها ؛ ونشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرب صاحبها يوم الفزع الأكبر، من المحل  
الآمن ، وتورده نهر الكوثر، الذى مأؤه غير آسن ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله  
الذى بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فأنقذ الله به  
هذه الأمة من ضلالها ، وبوأها من قُصور الجنان أعلى عُرفها وأشرف ظلالها ؛  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناهج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين  
إلى أن علت كلمته فى كل مكان، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ؛  
وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإن أولى من أدبنا من إساطر الأصفاء محله ، وأرتشف من سحاب  
معروفنا طله فوبله ؛ ونال من عواطفنا منزلة القرب على بُعد الدار، وحكم له حسن  
نظرنا الشريف بتوالى غزير كرمنا المدرار<sup>(١)</sup> .

ولما كان المجلس الفلانى : هو المشار إليه بهذا النعت الحسن ، والموصوف  
بالشجاعة فى السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بدؤه ، ساطع الأنوار ،  
وبره ، هامع القطار، وخيره يشمل الأولياء بجزيل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر  
المشار إليه فى كَيْت وكَيْت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنديد ؛ وليت  
الحرب المذكور، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خبرا لأن ولعله سقط من قلم الناسخ والأصل « من كرم أصلا ومحتدا ، وسل سيف عزيزته  
حتى خضعت له رقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلَيْتَنِي مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعْهَدُ ، وَلَيَتَحَقَّقَ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا  
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلَيَتَلَقَّ هَذَا الْإِحْسَانُ بَقَابٍ مُنْشَرَحٍ ، وَأَمَلٌ مُتَفَسِّحٌ ؛  
وَلَيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْإِعْتِيَادَ ،  
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءٍ ؛ فَلْيُسَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا  
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءٍ ؛ وَلْيَقْمَعْ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلْهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحَ  
الْخَيْرُ مِنْهُمْ يُجْزَلُ لَهُ النَّوَالُ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلِئْثَالٌ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ  
حُجَّةٌ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف ينصف إمرة آل مراء، كتب به لقناة بن نجاد،  
في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . من إنشاء المقر  
الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله الذي استخدم لنصرنا كل سيف وقناه، وكل سرعة وأناه، وكل متقف<sup>(١)</sup>  
تسلي جنائاته ويعذب جناته، وكل ماض لا يعوقه عن مقاصده الصالحة يعوق<sup>(٢)</sup>  
وهو عبد مناه .

نحمده حمد من أغناه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستمد  
من قبلها فلق الصباح سنائه، ويقفك منها من قبضة السيوف عناه؛ ونشهد أن محمداً  
عبد ورسوله الذي [بوأه منازل الشرف] وبنائه، وأحله من العرب في مكان يخضع  
له رأس كل جبار وينحشع بصره وتستمع لما يوحى أذناه، صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه صلاة تحضهم من كل شرف بأسماء وأسماؤه، وسلم تسليماً .

(١) سئل جنائاته - ترك فلا يقتصر منه .



وبعد، فإنَّ لكلَّ ناكلةٍ قَرَارًا، ولكلِّ هاجرةٍ مَرَارًا، ولكلِّ معصِمٍ سوارًا لا يَلِيْقُ  
إلا بزَنده، ولكلِّ عُنقٍ دُرًّا لا يَصْلُحُ إلا لِعِقْدِهِ، ولكلِّ سَيْفٍ طال هُجُوعُهُ في غِمْدِهِ  
أنْسَلَا، ولكلِّ قَنَاصَةٍ لم تُعْتَقَلْ مُدَّةً أَعْتَقَلَا، وكانت إمْرَةُ آلِ مِرَاءٍ قد ثُبَّتْ من  
البَيْتِ الأَحْمَدِيِّ بأوثقِ أوتَادِهَا، ووصلت منه في الرَّفْعَةِ إلى نِجَادِهَا، ولم تزل تنقلُ  
في آفاقِهَا بُدُورَهُم الطَّالِعَةَ، وتُضِيءُ عليها من صِفَاحِهِم بُرُوقُهُم اللَّامِعَةَ، وتَجُولُ فيها  
من سوابِقِهِم الشَّجْبُ المَآعَةَ، وتُعْنِي في حروبِهَا عزائمَهُم إذا وَقَعَتِ الوَاقِعَةَ،  
وتَقَدَّمَتِ للجلِيسِ السَّامِي، الأَمِيرِي، الفُلَانِي، بركابنا الشَّرِيفِ صُحْبَةً حَمْدَ فِيهَا  
السُّرَى، وخدمته أوقَدَتْ له نَارَ القِرَى، وهاجر إلينا في وَقْتٍ دَلَّ على وَقَائِهِ، وسَهَرَ  
إلى قِصْدِنَا اللَّيْلَ وله النجم محيط المَقْلِ بِإِغْفَائِهِ، وَأَنْقَطَعَ إلينا بِأَمْلِهِ، ولازم من  
عهدنا الشَّرِيفِ صَاحِجَ عَمَلِهِ، وَأَسْتَحَقَّ تَعْجِيلَ نِعْمِنَا الشَّرِيفَةِ وإن تأخرت لأجل  
مَوَقُوتٍ، وأمل نَجَاحَهُ لَا يَفُوتُ .

فلما آن أن تُفَاضَ عليه ثِيَابُهَا، ويُضَافَ إليه ثَوَابُهَا، وَيُصَرَّفَ في قَوْمِهِ أَمْرُهُ،  
ويُشَرَّفَ بينهم قَدْرُهُ، وَيَعْرِفَ من لم يَعْرِفِ المِسْكَ أَنَّهُ عِنْدَنَا ذِكْرُهُ، وَمَنْ جَهِلَ  
الْبِرَّ: أَنَّهُ على مَا يُحْمَدُ عليه شُكْرُهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّ شَيْئًا أَضْعَبُ من المَوْتِ: أَنَّهُ في مَجَالِ  
المَوْتِ صَبْرُهُ، وَمَنْ خَالَفَ فيما هو أَمْضَى من الْقَضَاءِ: أَنَّهُ في البَيْعَةِ صَدْرُهُ، وَمَنْ  
أَدْعَى أَنَّهُ لَا تَصِيْبُهُ اليَبُسُ والسُّمُرُ: أَنَّهَا مُثَقَّفَتُهُ وَبُتْرُهُ، وَزَالَ من هَذَا البَيْتِ العَرِيقُ  
الطَّوْدُ وهو ثَابِتٌ، وَنَزَعَ مِنْهُ السَّنَانُ لَوْلَا أَنَّهُ في قَنَاتِهِ نَابِتٌ، و[لَوْلَاهُ] لَهَا جَتِ  
هَذِهِ القَبِيلَةُ إلى مَنْ يُقْبَلُ على نَبَاتِهَا، وَيَقْبَلُ بِهَا: تَارَةً يُنْجِدُ في نَجْدِهَا وَأُخْرَى يُجُولُ  
في جَوَلَاتِهَا - رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُقَلَّدَ من إمْرَةِ آلِ مِرَاءٍ مَا كَانَ الأَمِيرُ «ثَابِتُ  
ابن عَسَافٍ» رَحِمَهُ اللهُ يَتَقَلَّدُهُ إلى آخِرِ وَقْتٍ، وَيُرْفَعُ فِيهَا إلى كُلِّ مُسَامَنَةٍ وَسَمْتٍ،  
لِيُكَلَّلَ مَا نَقَصَ مِنَ التَّكَامُ وَصْفُهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ حَلَقٌ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى دُونَ نِصْفِ البَدْرِ

فاختطف النصفَ وذلك النصفُ هو نصفُه ؛ ليكون لهم إحدى الدين، وأخرى  
تقع لسيف بحدّين .

وتقوى الله أترك ما أشملت عليه عودها، وأنحيت له زيدها ؛ فليتحذها له ذروة  
يهتدي بها أتى سلك من الفجاج ، وأقتحم من حلك العجاج . وعليه بحسن الصعبة  
لرفيقه، ويؤمن القبول على رفيقه، وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم،  
وإدامة التيقظ [للثائر] المنيه ؛ وإنزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم  
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع، ويقابل ما ترد به مراسمتنا المطاعة  
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع ؛ وليأخذ للجهاد أهبتة ، ويعجل إليه  
هبتة ؛ وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسة دريعة لأسوارها المنيعه، ونطاقا على  
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعة، وخندقا يحوط بلادها  
الوسيعه ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاص الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد  
حتى يعبس في وجوها السحاب، ولا يعود حتى تؤذن زروعها المخيمة بذهاب ؛  
والكرم هو فيه سجايا، والعزم ما يرح لوشان (؟) أسنته بكل قناة<sup>(١)</sup> لحايا، والحزم بيده  
المراوية من آل مرأ يظهر له الخفايا، والشجاعة هو في رباها المنيرة «ابن جلا وطلاع  
الثنيا» ؛ وما رضع المرميل كأفويق الوفاق، ولا وضع شيئا في موضعه كمدارة الرفاق ؛  
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه ، وأكبر معاوضة من المصراع لقسميه  
والحفن لحفته والشئ لما يؤاخيه . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعة،  
ولا يلزمهما شيء واحد أستطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا أعتراؤهما ومنا  
إعزازهما، وهما قرعان معتقان : لدينا إجنأؤهما وبيدنا إهزازهما .

(١) يريد لحاء بالهمز فاضطر للقلب مراعاة للسجع .

ولِيَحْصُلَ من الخليل كُلِّ سَابِقَةٍ تَلِيْقُ أَنْ تَقْدَمَ إِلَيْنَا، وَنَاجِحَةٍ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ حِينَ يَقْدَمُ عَلَيْنَا . وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ إِلَيْهِ مَأْبُكُ، وَعَلَيْهِ عَفْوُكَ وَعِقَابُكَ؛ وَبِمَقْتَضَاهُ عَقْدُ كُلِّ نِكَاحٍ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ الْمَرْضَى وَإِلَّا فَهُوَ سِفَاحٌ، وَالْمِيرَاثُ عَلَى حُكْمِهِ لِمَنْ جَرَّهَ إِلَيْهِ وَإِلَّا فَهُوَ ظُلْمٌ صُرَاحٌ، وَبَقِيَّةُ مَا نَوْصِيهِ بِهِ إِذَا أَتَمَّيْ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ النُّبْدَةِ فَمَا عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا جُنَاحٌ . وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى تَقْلِيدِنَا هَذَا أَنْ يُنِيبَ إِلَى نَصُوصِهِ، وَيُؤَوِّبَ إِلَى عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ؛ وَالْحَدَرَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهُ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، فَالْسَّيْفُ أَسْبَقُ مِنَ الْعَدَلِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُهُ بِمَا وَهَبَهُ مِنَ الْعِزِّ فِي النَّقْلِ، وَالْحَاسِنُ الَّتِي هِيَ يَدُ الْمَسَامَعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ... .. .

### المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِي»  
بغيرياء، مفتتحاً بِـ«أَمَّا بَعْدُ» وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا)

الأول - أَمْرَاءُ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ . وَرَتَبَةٌ كُلِّ مِنْهُمْ «مَجْلِسُ الْأَمِيرِ» .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَنَازِلَهُمُ الْبَلَقَاءُ، إِلَى مَائِرٍ، إِلَى الصَّوَانِ، إِلَى عِلْمٍ أَعْفَرٍ .

وهذه نسخة مرسوم شريف برُبعِ إمْرَةِ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي حَقَّقَتْ فِي كَرَمِنَا الْمَأْرَبَ، وَأَجْرَلَتْ مِنْ آلَانِنَا الْمَوَاهِبَ، وَقَرَّبَتْ لِمَنْ رَجَانَا بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَطَالِبِ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُبْعُوثِ مِنْ أَشْرَفِ ذَوَائِبِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ، الْمَخْصُوصِ بِاللَّوَاءِ الَّذِي لَا يَضْحَى مِنْ أَوَى إِلَى ظِلِّهِ وَالْحَوْضِ الَّذِي لَا ظَمَأَ بَعْدَ رُودِهِ

لشَارِب ، وعلى آلِه وصَحْبِه الذين فَازُوا من صُحْبَتِه وطَاعَتِه بأسمى المَرَاتِبِ وأُسْنَى الْمَنَاقِبِ - فَإِنَّ أَوْلَى من رَفَعَتْ رِعَايَتُنَا قَدْرَه ، وأُظْلَعَتْ عِنَايَتُنَا فِي أَفْقِ السَّعَادَةِ بَدْرَه ، وَحَقَّقَتْ آلَاؤُنَا سُؤْلَه ، وَبَلَّغَتْهُ صَدَقَاتُنَا مَرَامَه وَمَأْمُولَه - من أَحْكَم في طَاعَتِنَا أَسْبَابَ وَلَايَتِه ، وَأَتَقَن في خِدْمَتِنَا أَنْتَسَابَ بَعِيدِه وَأَتَمَّأَنَاهُ ؛ وَتَقَرَّبَ إِلَيْنَا بِإِخْلَاصِه فِي أَجْتِمَاعِه ، وَمَتَّ بِمَا يُرْضِينَا مِنْ أَحْتِفَالِه بِأُمُورِ جِهَادِه ؛ مَعَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ نَقَاصِي كَرَمِنَا فِي تَقْدِيمِه ، وَتَقْتَضِي إِجْرَاءِه عَلَى مَا أَلْفَ أَوْلِيَاءُ الطَّاعَةِ مِنْ حَدِيثِ إِحْسَانِنَا وَقَدِيمِه .

ولما كان فلان هو الذي آخِصَّ بهذه المقاصد ، وَغْنَى بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ - رُسِمَ أَنْ يُرَتَّبَ فِي رُبْعِ إِمْرَةٍ بَنَى مَهْدَى .

فَلْيُرَتَّبَ فِيهَا رُسْمٌ لَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ قَائِمًا مِنْ وَظَائِفِهَا بِمَا يَجِبُ ، عَالِمًا مِنْ مَصَالِحِهَا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَحْتَنِبُ ، وَاقِفًا لِاعْتِمَادِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَامِسِ وَقُوفَ الْمُنْتَظَرِ الْمُتَرَقِّبِ ، مُلْزَمًا عَرَبِيَه مِنْ الْخِدْمِ بِمَا يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَمِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُضَاعَفُ أَسْتِطَاعَتُهُمْ ، وَمِنْ الْحَافِظَةِ عَلَى أَسْبَابِ الْجِهَادِ بِمَا يَجْعَلُ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا قُوَّتَهُمْ وَشَجَاعَتَهُمْ ؛ وَلِيُقَدِّمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلَ تَوْفِيقَه الْعُمْدَةَ فِيمَا أَعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف برُبعِ إِمْرَةٍ بَنَى مَهْدَى أَيْضًا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ لِمَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ رُتَبَ السُّعُودِ ، وَرَفَعَتْ مَنْ نَهَضَ فِي الْخِدْمِ الشَّرِيفَةِ حَقَّ النَّهْوضِ إِلَى مَنَاصِبِ الْجُدُودِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَخْصُوصِ بِإِلَوَاءِ الْحَمْدِ الْمَعْقُودِ ، وَظُلِّ الشَّفَاعَةِ الْمَمْدُودِ ،

والخَوْضُ الذى لا يَنْضُبُّ على كَثْرَةِ الْوُرُودِ ، وعلى آله وصَحْبِهِ الذين وَقَّوْا بِالْعَهودِ ،  
وَبَدَتْ سِيَمَاهُمْ فى وجوههم من أثرِ السُّجُودِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ آجَلَى وَجْوهَ النَّعِيمِ ،  
وَأَجْتَنَى ثَمَرَةَ مَا عَمَسَ مِنَ الْخِدْمِ ، وَارْتَقَى إِلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَدُّمِ الذى أَقَامَهُ  
السَّعْدُ لِمُسْتَحَقِّهِ عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ - من نشأ فى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ يَدَيْنِ بَوْلَامِهَا ،  
وَيَتَقَلَّبُ فى خَيْرِ نَعْمِهَا وَآلِهَا ، وَيَتَعَبَّدُ بِمَا يُؤَهِّلُ لَهُ مِنْ خِدْمِهَا ، وَيَبَادِرُ إِلَى  
مَا يُنْدَبُ لَهُ مِنَ الْمَهَامِّ الشَّرِيفَةِ بَيْنَ يَدَيِ مَرَّاسِنَا أَوْ تَحْتَ عَالِمِهَا .

ولمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِى ذُكِرَتْ طَاعَتُهُ ، وَشُكِرَتْ خِدْمَتُهُ وَشَجَاعَتُهُ - رُسم ...  
أَنْ يَرْتَبَ فى رُبْعِ إِمْرَةٍ بَنَى مَهْدَى ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَرْتَبْ فى ذَلِكَ ، قَائِمًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ وَظَائِفِهَا الْمَعْرُوفَةِ الْمَأْلُوفَةِ ، وَخِدْمِهَا  
الَّتِى هِىَ عَلَى مَا تَبَرَّزُ بِهِ أَوَامِرُنَا الْجَارِيَةُ مَوْقُوفَةٌ ؛ وَلِيَكُنْ هُوَ وَعَرَبُهُ بِصَدَدٍ مَا يُؤَمَّرُونَ  
بِهِ : مِنْ خِدْمَةٍ يَبَادِرُونَ إِلَيْهَا ، وَطَاعَةٍ يَتَأَيَّرُونَ عَلَيْهَا ، وَتَاهِبٍ لِلْجِهَادِ ، حَيْثُ سَرَتْ  
الْجِيُوشُ الْمَنْصُورَةُ لَمْ يَتَّقِ لَهَا عَائِقٌ عَنِ التَّوَجُّهِ بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ وَسِيَاسَةٍ تَأْخُذُهُمْ مِنَ  
الطَّرَائِقِ الْحَمِيدَةِ بِسُلُوكِ مَا يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ بِهَا سُلُوكَ مَا يَسْلُكُ وَاجْتِنَابَ مَا يَحْتَنِبُ ؛  
وَالْخَيْرِ يَكُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثانى - مَقْدَمُ رُبَيْدٍ . وَمَنَازِلُ بَعْضِهِم بِالْمَرْجِ وَغُوطَةِ دِمَشْقَ ، وَبَعْضُهُمْ  
بَصَرَخَدَ ، وَحَوْرَانَ .



وهذه نسخة مرسوم شريف بتقدمة عرب رُبَيْدٍ ، وهى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِى أَنْبَأَ بِنَا لِلنَّعْمِ تَأْيِيدًا ، وَأَحْسَنَ الْعَاقِبَةِ لِأَحْسَنِ عَاقِبَةٍ أَدَامَ  
لَهُمْ فِيهَا تَحْلِيدًا ، وَأَخْبَأَ بِهِ مِنْهُمْ حَيًّا نَكْتُبُ لِأَمِيرِهِمْ وَإِمْرَتِهِمْ فى كُلِّ حِينٍ تَقْلِيدًا ؛

وَنَقَلَ مِنْهُمْ نَوْفَلًا فَلَا تَزَالُ نَجِدُهُ فِيهِمْ وَلَا يَسُ الْفَخَّارُ بِذِكْرِ اسْمِهِ تَجْدِيدًا ، وَرَعَى بَنَاءُ أَبْنَاءِ  
بَيْتٍ تَنَاسَقُوا أَبْنَاءَ وَجُدُوا ، وَتَبَاشَرُوا بِوَلَدٍ لَمَّا خَلَفَ وَالِدَهُ بَأْتُ بْنُ سَعِيدٍ  
لَا يَكُونُ إِلَّا سَعِيدًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَهْلَكَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَاشِمٍ ،  
وَأَنْجَلَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَمَامٍ لَوْجَةِ الرِّيَاضِ وَاشْمَ ، وَأَسْعَدَ بِسَيْفِهِ نَوْفَلًا وَعَبْدَ شَمْسٍ  
بَأُخْتِهِمَا لَهَا شَمٌ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خُلَاصَةِ الْعَرَبِ ، صَلَاةً لَا يُعَدُّ ضَرْبًا  
لَهَا الضَّرْبُ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ : مِنْهُمْ حَاضِرَةٌ أَهْلُ جِدَارٍ ، وَبَادِيَةٌ  
فِي قَفَارٍ ، وَقَوْمٌ هُمُ الْمُدُنُ الْمُسَدَّنَةُ وَقَوْمٌ عَلَيْهَا أَسْوَارٌ ، وَهَمُ صِنْفَانِ : صِنْفٌ لَا تَمَلُّ  
السُّيُوفَ عَوَاتِقُهُمْ ، وَصِنْفٌ سَيُوفُهُمْ تُحْبَسُ بِهَا مَنَاطِقُهُمْ ، وَالْعَرَبُ أَكْرَمُ [ أَهْلُ ]  
الْبَوَادِي ، وَأَعْظَمُ قَبَائِلَهُمْ تَضَرُّعًا كَالْبَرْقِ مُبَارَاةً لِلشَّحْبِ الْغَوَادِي ، قَدْ نَصَبُوا بِقَارَعَةِ  
الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ ، وَسَرَّحُوا مَعَ أَسْرَابِ الظُّبَاءِ سَوَامَهُمْ ، وَوَقَفُوا دُونَ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ  
كَكَاثِبٍ مَضْفُوفَةٍ ، وَمَوَاكِيبَ بِمَا تُعْرِفُ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَوْصُوفَةٍ ، وَزُبَيْدٍ  
مِنْ أَنْفَرِهَا قَبِيلَةٍ ، وَأَكْثَرِهَا فَوَارِسَ : [ فَأَمَّا أَحْسَابُهَا ] فَكَرِيمَةٌ وَأَمَّا وَجُوهُهَا فَخَمِيلَةٌ ،  
شَامِيَّةٌ أَعْرَقَتْ أَنْسَابًا فِي يَمِينِهَا ، وَأَتَهَمَتْ بِشَطْءِ أَسْتَبْهَا مَا تَفْتَحُ فِي الْمَجَرَّةِ مِنْ سَوْسِنِهَا ،  
فَمَا يَبْتَ بَطْلٌ مِنْهُمْ عَلَى دِمْنٍ ، وَلَا يُعْرِفُ فَارِسٌ إِلَّا إِذَا تَمَلَّى فِي الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ  
وَمِنْ يَمْنٍ ، كَمْ فِيهِمْ بِمَوَاقِعِ الطَّعَانِ فَطْنٌ ذُو كَيْسٍ ، وَكَمْ صَبَغَ مِنْهُمْ بِالْدمَاءِ رَايَةً حَمْرَاءَ  
يَمِينِيٍّ لَا يُنْسَبُ إِلَى قَيْسٍ ، كَمْ كَرَّبَ عَلَى مَعْدِيكَرَبٍ مِنْهُمْ فَارِسٌ ، وَنُسِبَ إِلَى زُبَيْدٍ  
وَهُوَ خَشِنُ الْمَلَابِسِ ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الصَّمْصَمَةِ يَقِي مِثْلَهَا السَّيْفَ فَرْدًا ، وَكَمْ قَتَلَ مِنْ  
أَقْرَانِهِ الشَّجْعَانَ مِنْ أُخٍ صَالِحٍ وَبَوَّاهٍ فِي الْعَجَاجِ بِيَدَيْهِ لَحْدًا ، وَمِنْ نَجْمِهِمُ الزَّوَاهِرُ  
السُّرَاهُ ، وَغِيومِهِمُ الْأَكَابِرُ السُّرَاهُ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ حَوْلَ دِمَشْقَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ حَوْرَانَ ،  
مَنَارَةَ مَنَازِلَ وَأَوْطَانَ ، حَامُوا عَنْ جَنَابِهَا الْمُصُونِ ، وَحَامُوا حَوْلَ غُوطَتِهَا تَشْبَهًُا بِجَاهِئِهَا

على الغُصُون ؛ وما ثَلَوْا بسيوفهم أنهارها ، ورماحهم حَوْلَ دَوَاحِ الأيْكِ أشجارها ؛  
وَأَسْتَلَمُوا بِمِثْلِ عُذْرَانِهَا دُرُوعًا ، وَحَكَّوْا بِمَا أَطْلُؤْا مِنْ دِمَاءِ الأَعْدَاءِ شَقَائِقَ رَوْضِهَا ،  
وبما جَرَّوْا مِنْ حُلَلِهِم المَسْمُومَةَ سِيْلًا ؛ ولم يَزَلْ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ النَّوْفَلِيّ مَنْ يَجْعُجُ جَمَاعَتَهُمْ ،  
وَيُضْمُ نَحْتَ رَايَةِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ طَاعَتَهُمْ ؛ يُخْلِفُ ابْنُ مِنْهُمْ لِأَبِيهِ أَوْ أَخٌ لِأَخِيهِ ،  
وَيَنْظِمُ كُلُّ فَرَقْدٍ مَعَ مَنْ يَنَاسِبُهُ وَيَنْصَافُ كُلُّ كَوَكِبٍ إِلَى مَنْ يُؤَاحِيهِ .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الرُّيْدِيّ - أدام الله عزه - هَوَيْقَةً  
من سلف من آبائه ، وعرف مثل الأسد القَسُورَةَ بِإِبَائِهِ ، وَأَخْصَرَ فِيهِ مَنْ أَسْتَحْقَاقِ  
هَذِهِ الرِّتَبَةِ مِيرَاثُ أَبِيهِ ، وَاسْتَغْرَقَ جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قَوْمِهِ وَإِمْرَتِهِمْ بِلَيْهِ .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفًا ، وَذَخَرَهُ لِكُلِّ سَالِفٍ خَلْفًا -  
أَنْ يَرْتَبَ فِي إِمْرَةِ قَوْمِهِ مِنْ زُبَيْدِ النَّازِلِينَ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ وَبِلَادِ حَوْرَانَ المَحْرُوسِ ،  
على عادة أبيه المستقره ، وَقَاعِدَتِهِ المَسْتَمْرَه ؛ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، مِنْ غَيْرِ تَنْقِصٍ لَهُ عَنْ  
نَجْمِ سَعْدِهِ فِي سِمَةِ وَلَا سَمْتٍ ؛ تَقْدِيمَةً تَشْمُلُ جَمِيعَهُمْ مِمَّنْ أَعْرَقَ وَأَشَامَ ، وَأُنْجِدَ  
وَأَتَمَّ ؛ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ حُكْمِهِ ، وَلَا يَنْفَرِدُ عَنْ قِسْمِهِ ؛ لَا مَنُّ هُوَ فِي جِدَارٍ ،  
وَلَا مَنُّ هُوَ مُضْجَرٌّ فِي قِفَارٍ ؛ يَمْشِي عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَيَقُومُ فِيهِمْ مَقَامَهُ الَّذِي  
كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَوَّلُوهُ .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِاتِّبَاعِ حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ مَا أَقْبَتَ عَلَى  
بَلَدٍ أَوْ أَزْمَعَتْ أَرْتَحَالًا ، وَجَمْعِ قَوْمِكَ عَلَى الطَّاعَةِ قُرْسَانًا وَرُكْبَانًا وَرِجَالًا ، وَاتِّبَاعِ  
أَوَامِرِهَا الشَّرِيفَةِ وَأَمْرِ تَوَابِنَا الَّذِينَ هُمْ بِإِزَائِهِمْ ، وَمَا أَعْتَرَاكَ مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا مَا لَمَّا لَوَا  
إِلَيْهِ فِي أَعْتَرَائِهِمْ ؛ وَالتَّأَهُبِ أَنْتَ وَقَوْمُكَ لِمَا رَسَمَ بِهِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، وَحِمَايَةِ حِمِّيَّ  
أَتَمَّ حَوْلَهُ فِي صَحْرَاءِ مُضْجَرَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ ؛ وَالمُطَالَعَةِ بَيْنَ يَنْتَقِلُ مِنْ أَصْحَابِكَ

بِالْوَفَاءِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِثْلُكَ أَيْسَرُ مَا قَالُ لَهُ أَمْرٌ وَكَفَاهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُكَ لِمَا يَرْضَاهُ ، وَيُؤْثِرُكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ لِلْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهُ ، وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ شَرَفُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها  
من الأبواب السلطانية على نوعين)

#### النوع الأول

(من بحاضرة حلب ، وهم على أصناف)

#### الصنف الأول

(منهم أرباب السُّيُوف ، وهم على طبقتين)

#### الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد ، وهو نائب السلطنة بها ،  
وتقليده في قطع الثلثين بـ «بالجناب الكريم» )

وهذه نسخة تقليد شريف بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ اسْتَدَمِرَ ،  
مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَافِظِ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ ، بِمَنْ يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ النَّصْرِ سَيْفُهُ ،  
وَنَاطِظِ نِطَاقِ الْحُصُونِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ ، عَلَى هِمَمٍ مِنْ لَمْ يَزَلْ يَغْزُو عَدُوَّ الدِّينِ قَبْلَ  
طُلُوعِ طَلَائِعِهِ طَيْفُهُ ، وَنَاشِرِ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي أَسْنَى مَمَالِكِنَا بِيَدٍ مِنْ لَا يُؤْمَنُ فِي الْحَقِّ قُوَّتُهُ



وَلَا يُرْهَبُ فِي الْحُكْمِ حَيْفُهُ ، وَمَدْنَحِرٍ [أَجْر] الرِّبَاطِ فِي سَيْدِلِهِ لِمَنْ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا وَالتَّائِيدِ  
نَزِيلُهُ وَالنَّصْرَ سَمِيرُهُ وَالظَّفَرَ صَيْفُهُ ؛ الَّذِي جَعَلَ الْجِهَادَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ  
سُورًا لِعَوَاصِمِهَا ، وَالصُّعَادَ فِي مَقَاتِلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ شَجْنًا فِي صُدُورِهَا وَشَجَى فِي غَلَاصِمِهَا ؛  
وَالسُّيُوفَ الْحِدَادَ تُرْهَى بِمِشَارِكَتِهَا لِأَسْمٍ مِنْ بُلَيْتٍ مِنْهُ أَجْسَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِقَاسِمِهَا ،  
وَرُمِيَتْ مِنْهُ أَعْمَارُهُمْ بِقَاصِمِهَا ؛ وَأَرْهَفَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا سَيْفًا نَتَحَلَّى الشَّهْبَاءُ  
بِجَوَاهِرِ فِرْنِيدِهِ ، وَتَتَوَقَّعُ الْأَعْدَاءُ مَوَاقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأَلُّقِ بَرْقِهِ مِنْ سُحُبِ غَمَمِهِ ؛  
وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْكُفْرِ مَضَارِبَهُ الَّتِي لَا تُطِيقُ مَقَاتِلُهُمْ جَحْدَهَا ، وَتَتَفَرَّقُ عُصَبُ الضَّلَالِ  
فَرَقًا مِنْ مَهَابَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَغَارَتْ عَلَى جِيوشِهِمُ الْمُتَعَدَّةَ وَحْدَهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَمَالِكِنَا عُقُودًا ، وَالْكَفْرَ لِلْهَبِ صَوَامِرِنَا  
وَقُودًا ، وَالتَّائِيدَ مِنْ نَتَائِجِ سُلُوفِنَا الَّتِي تَأْتِي أَنْ تُرَى فِي مَضَاجِعِ الْعُقُودِ رُقُودًا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُعَلِّي مَنَارَ الْهُدَى ، وَتُطْفِئُ أَنْوَارَ  
الْعِدَا ، وَتُخْلِي أَجْسَادَ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قُوَى أَرْوَاحِهِمْ فَتَغْدُو كِدْيَارِهِمُ الَّتِي لَا يُحِبُّ  
فِيهَا إِلَّا الصَّدَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهِ بِنَاءُ الْإِيمَانِ بِتَأْيِيدِهِ ،  
وَأَيَّدَنَا فِي الدَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ ، بِكُلِّ وَلِيٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بَيْمِينِهِ ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَصَالِحِ  
أَمَّتِهِ ، بِكُلِّ سَيْفٍ نَتَأَلَّقِي نَارَ الْأَجَلِ مِنْ زَنْدِهِ وَيَتَرَقُّقُ مَاءَ الْحَيَاةِ مِنْ مَعِينِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَصَّيْتَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ أَغْفَالًا ، وَكَانَتْ سُلُوفُهُمْ  
لِمَعَاوِلِ أَهْلِ الشَّرْكِ مَفَاتِحَ فَلَمَّا فُتِحَتْ غَدَّتْ لَهَا أَقْفَالًا ؛ فَهُمْ مَنْ فَازَ بِمِزْيَةِ السَّبْقِ  
إِلَى تَصْدِيقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُنْكَبُّ عَنْ طَرِيقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْثَادِ  
سَيْفِ الْإِتِّصَارِ لَدَمِهِ عَنْ مُرِيْقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَازَ رُتْبَةَ أَخْتَانِهِ وَصِرْهَ دُونِ أَسْرَتِهِ  
الْكَرَامِ وَفَرِيقِهِ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الْخُلُودِ ، مُسْتَمِرَّةً الْإِقَامَةَ فِي التَّهَانِمِ وَالنُّجُودِ ؛ وَسَلَامٌ  
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من حُلِيَّتِ التقاليدُ بِلَالِيٍّ أَوْصَافِهِ، ومُلِيَّتِ الأقاليمُ بمواقِعِ مَهَاتِهِ وإنصَافِهِ؛ ورِيَعَتْ قُلُوبُ العِدا بِطُرُوقِ خَيَالِهِ قَبْلَ خَيْلِهِ، وخَافَ الكُفْرُ كُلَّ شَيْءٍ أَشْبَهَ ظُبَاهُ مِنْ تَوَقُّدِ شَمُوسِ نَهَارِهِ أَوْ حَكَايَ أَسْنَتِهِ مِنْ تَأَلُّقِ نَجُومِ لَيْلِهِ؛ ومَدَّ عَلَى المَمَالِكِ مِنْ عَزَمَاتِهِ سُورَ مُصَفِّحٍ بِصَفَاحِهِ، مُشَرِّفٍ بِأَسْنَتِهِ رِمَاحِهِ، سَامِيَةً عَلَى مِنتَقَةِ الجَوَازِاءِ مِنتَقَةً بِرُوحِهِ، نَائِيَةً عَلَى أُمَانِيِ العِدا مَسَافَةً رِفْعَتِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَمْلٌ بَاقٍ عَلَى ارْتِقَائِهِ وَلَا رَجَاءُ طَائِعٍ عَلَى وَلُوجِهِ. مِنْ تَمَهَّدَتْ بِسَدَادٍ تَذِيرُهُ الدُّوَلُ، وَشَهِدَتْ بِسِيرِ حَاسِنِهِ السَّيْرِ الأوَّلِ؛ وَتَوَطَّدَتْ المَمَالِكُ عَلَى أَسْنَتِهِ خَفَقَتْ أَنَّ أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ، وَسَارَتْ فِي الآفَاقِ سُمُوعُهُ فَكَانَتْ أُسْرَى مِنَ الأَحْلَامِ وَأُسْبَقَ مِنَ الأَوْهَامِ وَأَسِيرَ مِنَ المِثْلِ؛ وَصَانَتْ الثُّغُورَ صَوَارِمُهُ فَلَمْ يَشِمَّ بَرْقَهَا إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا بَصَرَهُ أَتَقَلَّبَ إِلَيْهِ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ؛ وَزَانَتْ الأَقَالِيمُ مَعْدِلَتَهُ فَلَا ظُلْمَ يَغْشَى ظِلَامُهُ، وَلَا جَوْرَ يُخْشَى إِمْسَامُهُ، وَلَا حَقَّ تُدَحُّصُ حِجَّتُهُ وَلَا بَاطِلٌ يَعْلُو كَلَامُهُ؛ فَالْبِلَادُ حَيْثُ حَلَّ بَعْدَلِهِ مَعْمُورُهُ، وَبِلَايَاتُهُ مَعْمُورُهُ، وَسُيُوفُ ذَوِي الأَقْلَامِ وَأَقْلَامُهُمْ بِأَوَامِرِهِ فِي مَصَالِحِ البِلَادِ وَالْعِبَادِ مَنِيَّةً وَمَأْمُورُهُ.

ولما كَانَ الجَنَابُ العَالِيُّ هُوَ الَّذِي عَاتَقَ الْمَلِكَ الأَعَزَّ نِجَادُهُ، وَاللَّيْتُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِغَارَتُهُ وَإِنْجَادُهُ؛ وَالْكَيِّ الَّذِي كَمَّ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ مَوْقِفِ صِدْقٍ يَضِلُّ فِيهِ الْوَهْمُ وَتَزِلُّ فِيهِ الْقَدَمُ، وَالْهَامَ الَّذِي إِنْ أَنْكَرْتَ أَعْنَاقُ الْعِدا مَوَاقِعَ سَيُوفِهِ «فَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ»؛ وَالْمُقْدَامَ الَّذِي لَا تُتَكَرَّرُ مَشَاهِدُهُ فِي إِرْغَامِ الكُفْرِ وَلَا تُكْفَرُ، وَالزَّرْعِيمَ الَّذِي حَمَتْ مَهَابَتُهُ السَّوَاوِحِلَ خِفَافَ الْبَحْرِ؛ وَهُوَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ، مِنْ بَأْسِهِ الْأَحْمَرُ، عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ؛ وَالْمُقَدَّمَ الَّذِي كَمَّ ضَاقَتْ بِسَرَايَا شِيعَتِهِ الْفِجَاجُ؛ وَكَمْ أَشْرَقَتْ نَجُومُ أَسْنَتِهِ مِنْ أَفُقِ النَّصْرِ فِي ظُلْمِ الْعَجَاجِ؛ وَكَمْ حَمَى الْمَذَبَ الْفِرَاتِ عَلَى الْبُعْدِ بِسُيُوفِهِ وَهِيَ مَجَاوِرَةٌ لِلْمَلْحِ الْأَجَاجِ!!؛ مَعَ سَطْوَةٍ أَنْامَتْ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ أَمْنِهَا،

ورَافَةٌ عَمَرَتِ الْبَرَايا بِعَاطِفَةٍ إِقْبَالِهَا وَمِنْهَا ، وَرَفِيقٌ تَكْفَلُ لِسَهْلِ الْبِلَادِ وَحَرَّتِهَا بِإِعَانَةِ  
مُزْنِهَا ، وَشَجَاعَةٌ أَعَدَّتْ الْجِيُوشَ الَّتِي قَبْلَهُ فَغَدَّتْ أَحَادُهَا أُلُوفًا ، وَفَتَكَاتٍ عَوَدَتِ  
الطَّيْرُ الشَّيْبَ مِنْ وَقَائِعِهِ فَبَاتَتْ عَلَى رَايَاتِهِ عُكُوفًا ، وَمَعْدَلَةٌ عَمَّتْ مَنْ فِي إِيَالَتِهِ فَأَصْحَى  
الضَّعِيفُ فِي الْحَقِّ قَوِيًّا عِنْدَهُ وَالْقَوِيُّ فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا .

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تُجَارَى شَهَابُوهَا فِي حَلْبَةِ نَخَارِ ،  
وَالرُّتْبَةِ الَّتِي لَا يُؤْهَلُ لَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ الْأَعِزَّةِ إِلَّا مَنْ أَسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى  
فِي تَقْلِيدِ جَيْدِ مَفَاحِرِهِ بَلَا لِي كِفَالَتِهَا نَخَارُ ؛ فَهِيَ سُورُ الْمَمَالِكِ الَّتِي لَا تَنْسَوْرُهُ  
الْخُطُوبُ ، وَأُمُّ الثُّغُورِ الَّتِي مَا بَرِحَ يُسْفِرُ بِإِتْسَامِهَا عَنْ شَنْبِ النَّصْرِ وَجْهَ الزَّمَنِ  
الْقَطُوبُ ؛ وَمَوْطِنُ الرِّبَاطِ الَّتِي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ [ فِيهِ ] خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ،  
وَعَقِيلَةُ الْأَقَالِمِ الَّتِي لَمْ أَتُجِبْ قُلُوبَ الْمُلُوكِ الْأَكْبَرِ صُدُودُهَا وَأَسْهَرُ عِيُونَ الْعِظَمَاءِ  
الْأَكْاسِرَةِ تَجَافِيهَا ؛ بَلْ هِيَ عَقْدُ دُرَّةٍ حُصُونُهُ ، وَرَوْضُ سَيُوفِ الْكُفَاةِ جَدَاوِلُهُ  
وَرِمَاحُ الْحِمَاةِ غُصُونُهُ ؛ وَحِمَى لَمْ تَزَلْ عِيُونَُ عَنَانَيْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ تَحْفَهُ وَأَيْدِي تَأْيِيدِنَا  
بِقُوَّةِ اللَّهِ تَصُونُهُ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَرْهَفَ بِجَمَاعَتِهَا هَذَا السَّيْفَ الَّتِي  
تُسَابِقُ الْأَجَلَ مَضَارِبُهُ ، وَتَبْطُلُ الْحَيْلَ تَجَارِبُهُ ، وَيَتَقَدَّمُ خَبَرُ عَزَائِمِهِ خَبَرَهَا فَلَا  
يَذَرَى : هَلْ رِيحُ الْجَنُوبِ أَسْرَى وَأَسْرَعَ أَمْ جَنَائِبُهُ ؛ وَتَبْتُ مَهَابَتَهُ أَمَامَ سَرَايَاهُ إِلَى  
الْعِدَا سَرَايَا رُغْبٍ تَقُلُّ جَمْعَهُمْ ، وَتَسْبِقُ إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْ بَأْسِهِ بَصَرَهُمْ وَسَمْعَهُمْ ؛  
وَتَسْفِرُ بِكُلِّ أَفَقٍ عَنْ تَعَتُّهَا مَغِيرَهُ ، أَوْ كَتِيبَةٍ تَجْعَلُهَا لِمَعَالَى النُّصْرِ الْكَامِنَةِ مُثِيرَهُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ مَبْسُوطَةً فِي الْبَسِيطَةِ ،  
وَمَمَالِكُهُ مُحَوَّطَةً بِمَهَابَتِهِ الشَّامِلَةِ وَمَعْدِلَتِهِ الْمُحِيطَةِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ  
الشَّرِيفَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيَّةِ : تَفْوِيضًا يَعُودُّهَا مِنْ عِيُونَ الْعِدَا بَايَاتِ عَزَائِمِهِ ، وَيَعُودُّهَا

أَجْتَنَاءَ ثَمَرِ الْمُنَى وَالْأَمْنِ مِنْ وَدَقِ صَوَارِمِهِ ؛ وَيَنْظِمُ دَرَارِيَّ الْأَيْسِنَةِ مِنْ أَجْيَادِ حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كُجَاةَ أَعْدَائِهَا لَخَوْفِهِ أَوْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَجْبَنَ مِنَ الْوَلَائِدِ ؛ وَيُجَرِّدُ إِلَى مُجَاوِرِيهَا مِنْ هِمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحْصُرُهُمْ فِي الْفَضَاءِ الْمَتَّسِعِ ، وَتُسَدُّ عَلَيْهِمْ بَحَالُ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَغْدُو لَهُمْ حَرْبُهَا الْحَزَنَ الشَّامِلَ وَسَهْلُهَا السَّهْلَ الْمُتَمَتِّعَ .

فَلْيَقْلَدْ هَذِهِ الرِّبَّةَ الَّتِي بِمِثْلِهَا تُرْهَى الْأَجْيَادُ ، وَبَتَقْلَدُهَا يَظْهَرُ حَسَنُ الْإِتِّقَاءِ لِحَوَاهِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِتِّقَادِ ، وَبِتَقْوِيَتِهَا إِلَى مِثْلِهِ يُعْلَمُ حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ؛ وَلِيَزِدَّ جِيوشَهَا الْمَنْصُورَةَ إِرْهَابًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَإِرْهَاقًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاحِهِمْ وَغُدُوِّهِمْ ، وَإِدَامَةً لِلنَّفِيرِ الَّذِي حَبَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مُجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقِ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ فُرْسَانُ الْحِلَالِ الَّذِينَ أَلْفُوا الْوَقَائِعَ ، وَأَسْوَارُ الْقُرَاتِ الَّذِينَ عَرَفُوا فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةُ الْكُرْبِ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا سِرَايَا وَعَلَى جَمِيعِ مَطَالِعِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعُ ؛ وَهُمْ بِتَقَدُّمَتِهِ تَضَاعَفَ شَجَاعَتُهُمْ ، وَتَزِيدَ أَسْتِطَاعَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ؛ وَلِيَأْخُذْهُمْ بِمَضَاعِفَةِ الْأَهَبِ وَإِدَامَةِ السَّغَى فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذَّبِّ ، وَالتَّشَبُّهُ بِأَسْوَدِ الْغَابَاتِ الَّتِي هُمُّهَا فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبَ ؛ وَلِيَهْتَمَّ بِكَشْفِ أَحْوَالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيُبْرِجَ أَمْنًا عَلَى الْأَطْرَافِ مِنْ حَيْفِهِمْ ، مَتَّقَظًا لِمَكَايِدِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ بِسَيْرٍ يَرَوُّعُ سِرِّيهِمْ ، وَيَكْدُرُ شَرِيهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُومِهِ نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بِتَوَقُّعِ مُفَاجَأَتِهِ الْقَرَارَ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ » ، وَلَا تَزَالُ قُصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُنَاجِيهِه [ وَلَا تَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ بَيْنَ الْعِدَا فِرْقَةً نَاجِيهِه ] وَلِيَحْتَفِلَ بِتَذْرِيجِ الْحِمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْيَتِهِ ،

(١) مراده ليبقى على الدوام أمانا إلخ إلا أن هذه المادة لا تؤدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قريبا ليستقيم الكلام .

وإقامة الديارب الذين إذا دعوا هممة بالنسبة النيران لبثهم ألسنة أسنته ؛ وليمت قلوب أعدائه بوجل لقائه قبل الأجل ، وليزد في الحزم على ابن مزيد<sup>(١)</sup> الذي لم ير في الأمن إلا في درع مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل » ؛ وليجعل أحوال القلاع المحروسة دائما برأى منه ومسمع ، ويُسَيِّدُهَا من ملاحظته باختفال لا يدع لشائم برقها وحول أموالها [ مطمعا ] فقد استكمل حسن النظر في مصالحها أجمع ؛ وليقيم منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والالتقياد إلى أحكامه ، والوقوف مع تقضيه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن اقتاده الشرع إلى حكمه بخاذب زمامه ؛ وليعظم حملة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على الأمة أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن لأقدارهم رافعا ، ولمضارهم دافعا ؛ ولأوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم بتخيلة الأحوال آمرا ؛ ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشفعه بالإحسان الذي هو مألوف من سجاياه ومعروف من طلاقة بشره ؛ ويمد على الرعايا ظل رافته الذي يضيئ في النعم لباسهم ، ويديم إلفهم بالرفاهية وأستئناسهم ؛ ويقيم حكم سياسته على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر : فإذا رحم الله فليرحم وإذا انتقم فليغير الله لا ينتقم ؛ وليعتن بعارة البلاد ببسط العدل الذي ما أحتى به ملك إلا صانه ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتوحي الحق الذي من جعله نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعادته ، ومادة الجيش الذي إذا صرقت إلى مصالحهم هممه لم يحش عليه أقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لسلطان الوليد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني وهو :

تراه في الامن في درع مضاعفة \* لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

نَقَّادُهُ ، وَجَمِيعُ الْوَصَايَا قَدْ أَلْفَنَّا مِنْ سِيرَتِهِ فِيهَا فَوْقَ مَا نَقْتَرِحُ ، وَخَبَرْنَا مِنْ مَقَاصِدِهِ فِيهَا مَا يَقُولُ لِّلْسَانِ قَلَمِهَا : قَدْ عَرَفْتُ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاصِدِكَ فَاسْتَرَحَ ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدَيِّمُهَا بِتَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ جَعَلَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالْإِعْتِمَادُ ... .. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليدٍ شريفٍ بِنِيَابَةِ حَلَبَ أَيْضًا ، كُتِبَ بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ» لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ «قِرَاسْتَقَر» بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَوَاصِمَ بِإِقَامَةِ فَرَضِ الْجِهَادِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مُعْتَصِمَةً ، وَالتُّغُورَ بِمَا تَفْتَرَعُنَّ عَنْهُ مِنْ شَنْبِ النَّصْرِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مُبْتَسِمَةً ، وَالصَّوَارِمَ الْمُرْهَفَةَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ بِأَيْدِي أَوْلِيَانِنَا لِأَرْوَاحِ مَنْ قَرُبَ أَوْ بَعُدَ عَنْهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْتَسِمَةً ، وَالْحُصُونِ الْمُصَفَّحَةَ بِصَفَاحِنَا بِأَعْلَامِ النَّصْرِ مُعَلِّمَةً وَبَسِيًّا الظَّفَرِ مَسِّمَةً ، مُعْلِي قَدْرِ مَنْ أَحْسَنَ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا ، وَرَافِعِ ذِكْرٍ مَنْ يَسْطُ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِنَا أَمَلًا ، وَجُدِّ سَعْدٍ مَنْ تَلَبَّسَ الْأَقْلَامُ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنْفَرِ الْحُلِّ إِذَا خَلَعْتَ مِنَ الْحَمَامِدِ عَلَى أَوْصَافِهِ حُلًّا ، وَمُقَوِّضِ زَعَامَةِ الْجِيُوشِ بِمَوَاطِنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَنْ إِذَا قَلَّتْ مَقَاتِلُ الْعَدَا سَيُوفُ الْحِلَادِ كَانَتْ عِزَّائِمُهُ مِنَ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ بَدَلًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ طَاعَتَنَا مِنْ آ كَدِ أَسْبَابِ الْعُلُوِّ ، وَخِدْمَتَنَا مِنْ أَنْجَحِ أَبْوَابِ الرَّفْعَةِ بِحَسَبِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعُلُوِّ ، وَنِعْمَتَنَا شَامِلَةً لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُرَبِّي عَلَى

طَوَامِجِ الْآمَالِ فِي الْبُعْدِ وَالْدُّنُوْءِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً  
تُسْتَنْزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَتُسْتَجْزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرُ عَنْهَا وَجْهُ  
سَفَرٍ ، وَتُرْهَفُ بِهَا سِيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفَرٍ ؛ وَنَشْهَدُ  
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَزَوَّيْتُ لَهُ الْأَرْضَ فَرَأَى مِنْهَا  
مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا  
بِيَدَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَنَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ  
مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالِ ، آمَنَةً  
شَمْسُ دَوَامِهَا مِنَ الزَّوَالِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ طُوقَتْ أَجْيَادُ الْمَالِكِ بِفِرَائِدِ أَوْصَافِهِ ، وَفُوقَتْ إِلَى مَقَاتِلِ  
الْعِدَا سِهَامُ مَهَابَتِهِ الَّتِي تَحُولُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِغَاغِهِ ؛ وَخُصِّصَتْ بِهِ أُمُّ الثُّغُورِ الَّتِي  
دَرَّ لَهَا حَلَبُهَا ، وَمَدَّتْ عَلَيْهَا أَفْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةِ ذَوَابِلُهَا وَقُضْبُهَا ، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبَلُّجِ  
افْتِرَاؤها وَشَنَبَهَا - مَنْ تَقُومُ مَهَابَتُهُ مَقَامَ الْأُلُوفِ ، وَتَجْتَنِّي سُمُعَتُهُ مِنْ ذَوَابِلِ الْعَزَائِمِ ثُمَّ  
النَّصْرِ الْمَأْلُوفِ ؛ وَيُسْبِقُ خَيَالُهُ سَرَايَا خَيْلِهِ الَّتِي هِيَ أَسْرَى مِنْ هُوجِ الرِّيَّاحِ إِلَى هَزَمِ  
الْجُمُوعِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ ، وَتَنْظِمُ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعْيِ قُلُوبَ الْعِدَا نَظْمَ السُّطُورِ  
وَتَشْرِيفَاحَهُ رُءُوسَهُمْ تَثْرَا الْحُرُوفِ ؛ وَتُحِيطُ بِنِطَاقِ الْمَالِكِ الْمُتَطَرِّفَةِ صَوَارِمِهِ إِحَاطَةً  
الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ ، وَالتَّخَامِلِ بِالْغُصُونِ ، وَالْهَالَاتِ بِالْأَقْفَارِ ، وَالْجَوَانِحِ بِالْأَشْرَارِ ؛  
وَلَا تَبَيَّتْ مُلُوكُ الْعِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ ، وَلَا يُرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ  
«لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ» ؛ وَلَا يَخْفَى عَنْ الْمُعَيَّتَةِ مَا يُضْمَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ  
الْحَرَكَاتِ قَبْلَ إِظْهَارِهَا ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بِدَارِهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ

بَدَارِهَا ؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدَلَةِ تَبَرَّأَ الظُّلَمَ مِنْ فِكْرِ <sup>(١)</sup> [البغى والجور على إنسان ،  
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّى لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

ولما كان الجناب العالى القلانى هو الذى مُلِئَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ ، وَأَنْطَوَتْ  
قُلُوبُ الرعايا على حُبِّهِ ، وَتَهَلَّتْ وَجْوهُ الْمُتَى فِي سِلْمِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ سُحُبُ الْمَنَايَا فِي حَرِّهِ ،  
وَجَمَعَ بَيْنَ حِدَّةِ الْبَاسِ وَلُطْفِ التَّقَى إِنْ كَانَ هُوَ الْكَيِّ الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ  
لِرَبِّهِ ؛ وَحَاطَ مَا وَلِيَهُ مِنَ الْأَقَالِمِ بِسُورَى بَاسِهِ وَعَدَلِهِ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِعًا فِي مِهَادِهِ  
أَمْنًا فِي سِرِّهِ ؛ وَأَغَارَتْ سَرَايَا مَهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَائِعِهِ فَأُضْهِجَ كُلُّ مَنْ الْعِدَا أُسِيرَ  
الدُّعْرِ قَبْلَ إِمْسَاكِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ؛ مَعَ آخِثَالِ بَعَارَةِ الْبِلَادِ ، أَعَانَ  
السُّحُبَ عَلَى رِيَّهَا ، وَاشْتَمَلَ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَسْمَى الْغَنَائِمِ  
وَوَلَّيَهَا ؛ وَتَقَيَّظَ لِمَصَالِحِ الثُّغُورِ أَنَامَ عَنْهَا عَيُونَ الْخُطُوبِ ، وَإِشْرَاقُ فِي أَفْقِ الْمَوَازِبِ  
كَسَا وَجْهَ الدِّينِ نُورَ الْبَشَرِ وَوَجْهَ الْكُفْرِ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وكانت المملكة الحليّة عقيلة المعاقيل ، وعِصْمَةُ الْعَوَاصِمِ ، وَوَاسِطَةُ عُقُودِ  
الْمَمَالِكِ ، وَسِلْكُ فَرَائِدِ النَّصْرِ الَّتِي كَمْ أَضَاعَتْ بِهَا إِلَى الْكُفْرِ وَجْوهُ الْمَسَالِكِ ، لَا تُدْرِكُ  
فِي مِضْمَارِ الْفَخَّارِ شَهَابُوهَا ، وَلَا تُرَى إِلَّا كَمَا تُرَى النُّجُومُ فِي عَيُونِ الْعِدَا حَصْبَاؤُهَا ؛  
وَلَهَا مِنَ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ كُلِّ قَلْعَةٍ يَتَهَيَّبُ الطَّيْفُ سُلُوكَ عِقَابِهَا ، وَيَتَقَاصِرُ لَوْحُ  
الْجُوعِ عَنْ مَنَالِ عِقَابِهَا ؛ فَهِيَ عَزِيزَةُ الْمَنَالِ ، إِلَّا عَلَى كَرِيمِ كَفَاعَتِهِ ، بَعِيدَةُ مَجَالِ الْآمَالِ ،  
إِلَّا عَلَى مَا أَلْقَتْ مِنْ إِيَالَةِ كِفَايَتِهِ ؛ سَامِيَةُ الْأَفْقِ إِلَّا عَلَى شَمْسِهِ ، نَابِيَةُ الطَّرْفِ  
إِلَّا عَلَى مَا عَرَفَتْ مِنْ سُلُوكِهِ فِي أُنْسِهِ ، ظَامِيَةُ الْغُرُوسِ الَّتِي أَنْشَأَهَا فِي مَصَالِحِهَا  
إِلَى مَا أَعْتَادَتْهُ مِنْ سُقْيَا غَرَسِهِ - أَقْتَضَتْ آرَافُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تَزِيدَهَا إِشْرَاقًا بِشَمْسِ



جَلَالِهِ ، وَأَعْتَلَاءَ بَسِيفِهِ الذِّى رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ نَعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ  
طَالَمَا حَسَنَ عَدْلُهُ بَقَعْتَهَا ، وَحَصَّنَ بَأْسُهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَا بَتُّهُ سُمْعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ  
سِرِّيَّتُهُ سُكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجَعَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وَجُودُهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا  
إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفُهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقُهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ  
مِنْ قَدَمٍ .

فَلَذَلِكَ رُسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغِيثُ  
فَضْلِهِ ، مُسْتَهْلٌ الْجُودِ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ ... ... تَقْوِيضًا  
يُجَدِّدُ آرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَهَادَهَا وَيَقَاعَهَا ، وَيُوَيِّدُ أَدْفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ؛ وَيُعِيدُ  
الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْيِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ  
إِلَى جُبُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشَّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَلْيَطْلُعْ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُخْرِجْ فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَقْتَهُ مِنْ مَوَارِدِ  
عَدْلِهِ الذِّى فَارَقَهَا عَمَامُهُ وَأَثْرُسَيْلُهُ مُقِيمٌ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ  
أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ،  
وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّعْبَ الذِّى نَعَى إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا  
فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُثَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَايَا الْعِدَا بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَايَا ،  
وَيَنْشُرُ فِي الرَعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَثْرَلَةً عِنْدَهُمْ  
وَلَا جَاهًا ؛ وَلَتَكُنْ أَحْوَالُ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمَعٍ ، وَيَكُفُّ  
أَطْمَاعَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعَدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْءٍ بَرَقَ الثُّغُورُ مَطْمَعٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ  
بَشْنِهَا مَطْمَعٌ ؛ وَلَيْكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ  
وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَبْرَحُ يَسْتَيْتِمُ خَيَالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقة ناجية ، وطائفة بأسرار قلوب القوم مناجية ، لتكون له مقاتلهم على طول الأبد بادية ، وتغدو منازلهم خاوية بين سراياه الرائحة والغاية . ولتعاهد أحوال الجيوش بإدامة عرضها ، وإقامة واجبات القوة وفرضها ، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكلماتها في طول بلاد العدا وعرضها ، وإزاحة أعدائها للركوب ، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب ، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [ في ] مقاتل أعدائهم غروب . ولتفق أحوال الحصون المصونة بسداد ثورها ، وسداد أمورها ، وإزاحة أعدار رجالها ، وإرهاق همم حمتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها ، وتوفير ذخائرها ، وتعمير بواطنها وظواهرها ، وتحصين مسالكها التي يرهب الخيال المتولى إلى العيون سلوك محارها .

وليعل منار الشرع الشريف بتشييد مناره وإحكامه ، وتنفيذه لقضايا قضاته وأحكام حكمائه ، والوقوف في كل أمر مع تقضيه في ذلك وإبرامه ، ورفع أقدار حملة العلم على ما ألقوه من الرفعة والسمو في أيامه . ولتكن وطأة بأسه على أهل الفساد مشتته ، وأوامره متقدمة بوضع الأشياء في مواضعها : فلا توضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة . وليراع عهود الموادعين مهما استقاموا ، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا ؛ ولتخبر السنة النيران بسبها على اليفاع [ والآكام ] من قدم لمكيدة أو طعن بمطار الحمام - وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد فإلى سالف تديره ينسب ، ومن سوابق تقريره وتحريره يحسب ؛ فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ، ومؤئل قواعدها ، ومؤثر ما حشد من امتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها ؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه ، ويثبت الحجة عند الله تعالى في إنقاء المقاليد إليه ؛ وملاك

الوصايا تقوى الله وهى سَجِيَّة نَفْسِهِ ، وَثَمَرَةُ مَا أَجْتَنَى فِي أَيَّامِ الْحَيَاةِ مِنْ غَرَسِهِ ، وَثَرُّ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِيهِمَا تَظْهَرُ مَرْيَّةٌ يَوْمَهُ الْجَمِيلِ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ نِعَمَهُ دَائِمَةً الْاِسْتِقْبَالَ ، وَتَسْمَهُ أَمْنَةً مِنَ الْغُرُوبِ وَالزَّوَالِ ؛ وَالْاِعْتِمَادُ ... .. :

### الطبقة الثانية

(من يكتب له فى قَطْعِ الثَّلَثِ بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

### الوظيفة الأولى

( نيابة القلعة بها )

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَآبٍ :

الحمد لله مُعَلِّى قَدْرِى مِنْ تَحْلِيٍّ بِالْأَمَانَةِ وَالصَّوْنِ ، وَرَافِعِ مَكَانَةِى مِنْ كَانَ فِيمَا عَرَضَ مِنَ الْعَوَارِضِ نِعْمَ الْعَوْنُ ؛ وَمُوَهِّلِى مِنْ أَرْشَدَنَا إِلَيْهِ لِلْاِجْتِنَاءِ حَسَنُ الْاِخْتِبَارِ ، وَمُبَلِّغِ الْاِثَارِ مِنْ شِكْرَتِى عَنْهُ مُحَمَّدُ الْاَثَارِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ ، وَنُشْكِرُهُ شُكْرَ الْحَامِدِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُخْلِصٍ فِي اِعْتِقَادِهِ ، مُبَرِّأً مِنْ اِفْتِرَاءِ كُلِّ جَاوِدٍ وَاحِدٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِى أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَأَيْدَهُ بِسُلْطَانٍ مِنْهُ وَطَهَّرَ [بِهِ] الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ الضَّلَالِ اِتْطَهَّرَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا يَزَالُ عِلْمُ الْعِلْمِ بِهَا مَنشُورًا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَنَايَةَ بِالْحُصُونِ تُوجِبُ أَنْ لَا يُخْتَارَ لَهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مَلِيٌّ بِحِفْظِهَا ؛ مُؤَفَّرٌ [لَهَا] مِنْ حُسْنِ الذَّبِّ غَايَةً حَظَّهَا ؛ حَسَنُ الْمُرَابَّطَةِ ، مُبَرِّأً مِنْ دَنَسِ الْأَفْعَالِ

السَّاقِطَةُ ؛ ذَوْ قَلْبٍ [قَوِيٍّ] وَقَالِبٌ ، وَعَزِيمٌ مَازَالٍ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ أَشْجَعٌ مُغَالِبٌ ؛ إِذْ هُوَ  
لِلرُّابِطِينَ بِهَا أَوْثَقُ حَرِيزٍ ، وَأَصُونٌ حِجَابٍ لِمُبَارَاةِ ذَوِي التَّبَرِيزِ ؛ [فَنَصْبِحُ بِهِ] مُسْتَوْرًا  
عَوَارُهَا ، كَاتِمَةً لِأَسْرَارِهَا أَسْوَارُهَا ؛ تَخَاطَبُ مُنَازِلِهَا مِنْ بَحَائِنِ قِيَمِهَا بِأَبْلَغِ لِسَانٍ ، وَتُسَافُهُ  
مُلَاجِيهَا مِنْ أَتَقَةِ أَنْفِهَا إِلَّا أَنَّهُ بِأَعْلَى مَكَانٍ .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المتزلة الرفيعة ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة  
والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضعية - اخترنا لها وأبتغيها ، وأستوعبنا بالتأهيل  
لنيابتها ولم تترك في أستياعينا ولا أبقينا ؛ فلم نجد لولايتها كفاً إلا من نظمت عقود  
هذا التقليد لتقليده ، ورثت سور هذه المحامد بمبدئ لسان تقرظله ومعيده ؛ إذ هو  
أوثق من يلقى إليه إقليدها ، وأكفاً من يُجْزُبه موعودها ؛ إذ كان المكيين ،  
والثقة المتحلي إذ كان التحلي مما يزين العاطل المشين ؛ إن ذكر الرأي فهو المتصف  
بسدیده ، أو العزم فهو الموسوم بسدیده ؛ أو التثبت فهو من صفة شجاعته ، أو حسن  
المظافرة فهو البازل فيها جهد استطاعته .

ولما كانت هذه المناقب مناقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رسم بالأمر الشريف  
العالی - زاده الله مضاءً ونفاذاً ، وأستحواءً وأستحواداً - أن تفوض نيابة السلطنة  
بالقلعة الفلانية وما هو منسوب إليها من رُيُضٍ ونواحٍ ، وقرى وضواحٍ ، للجلس  
السامي فلان .

فليرق إلى رتبته المنيب قدرها ، المهم سرها وجهرها ؛ وليكن من أمر مصالحها  
على بصيره ، ومن تفقد أحوالها على فطنة مازالت منه محبوره ؛ وليأخذ محرزها  
من الجند وغيرهم بالملازمة لما عُدق به من الوظائف ، ويتقدم إلى واليها مع  
طوائفها أول طائف ؛ وليتفق حواصلها من الذخائر ، وواصلها من التبذير بمن

يَرْتَّبُهُ عَلَى حِفْظِهَا مِنَ الْأَخَايِرِ، وَمَهْمَا عَرَضَ يُسْرِعُ بِالْمُطَالَعَةِ بِأَمْرِهِ، وَالْإِعْلَامِ  
بِنَفْعِهِ وَضَرِّهِ .

هَذِهِ نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ لِلْوُثُوقِ بِكَفَايَتِهِ، وَالْعِلْمِ بِسَدِيدِ كِفَايَتِهِ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَحْسُنُ لَهُ  
الْإِعَانَةُ، وَيَجْزِلُ لَهُ الصِّيَانَةُ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ... :

## الوظيفة الثانية

(شُدُّ الدَّوَاوِينِ بِحَلَبِ)

وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ شُدِّ الدَّوَاوِينِ بِحَلَبِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْهَفَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا كُلِّ سَيْفٍ يُزْهِى النَّصْرُ بِتَقْلِيدِهِ، وَيُرْوَى  
نَبَأُ الْفَتْحِ عَنْ تَجَرُّبَتِهِ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَتَجَرُّيدِهِ، وَيُرْوَى حَدُّهُ إِذَا قَابَلَهُ عَدُوُّ الدِّينِ  
مِنْ قُلُوبِ قَلْبِهِ وَمَوَارِدِ وَرِيدِهِ .

نُحَمِّدُهُ عَلَى نِعَمِهِ السَّابِغَةِ حَمْدَ مُتَعَرِّضٍ لِمَزِيدِهِ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنَنِهِ السَّائِغَةِ شُكْرَ مُسْتَتَرِلٍ  
مَوَادَّ تَأْبِيدِهِ، وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُقَرَّةً بِتَوْحِيدِهِ، مُسَرَّةً  
مِثْلَ مَا يُظْهِرُ مِنَ الْخُضُوعِ لِكِبْرِيَاءِ تَقْدِيسِهِ وَتَمْجِيدِهِ، مُصَرَّةً عَلَى جِهَادِهِ مِنْ أَلْحَدٍ  
فِي آيَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَجُنُودِهِ، وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ دَعَتْ دَعْوَتُهُ  
الْأُمَمَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِخَالِقِهَا بَعْدَ جُحُودِهِ، وَأُنْجِزَ لَأَمَّتِهِ مِنَ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْكُفْرِ سَابِقُ  
وَعُودِهِ، وَأُمَالَ بِهِ عُمُودَ الشَّرِكِ فَأَهْوَى إِلَى الصَّعِيدِ بَعْدَ صُعُودِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ بَنَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ نِهَايَةَ مَجْهُودِهِ، وَأُطْفِئَ نَارَ  
الْكُفْرِ بَعْدَ وَقُودِهَا بِإِقْيَادِ لَهَبِ الْجِهَادِ بَعْدَ نُحُودِهِ، صَلَاةً تَقَرَّنَ بِرُكُوعِ الْقَرَضِ  
وَمُجُودِهِ، وَتُقَامُ أَرْكَانُهَا فِي أَغْوَارِ الْوُجُودِ وَجُودِهِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فإن أولى ما أجملنا في مصالحه النظر ، وأعملنا في آرتياد الأكفاء له بوادر الفكر ، وأخترنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محبوا بمزيد تقربنا ومزية اختصاصنا ، أمر الأموال الديوانية بالملكة الحليية وتقويض شد دواوينها المعمورة إلى من تضاعفها رتبته المكيه ، وزاخرته المتينه ، ويده التي هي بكمال العفة مبسوطه ، وخبرته التي يمثلها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة منوطه ، ومترئسه التي تكف عن الأموال الأطماع العادية ، ومهابته التي تكفي الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصادية ، لأنها مواد الثغور التي ما برحت عن شنب النصر مفتحة ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبدا على أعدائه الكره ، ورياض الجهاد التي تجتني منها ثمرات الظفر الغضه ، وكُنوز الملك التي ينفق منها في سبيل الله القناطير المقتطرة من الذهب والفضه .

ولما كان فلان هو الذي اخترناه لذلك على علم ، وربحناه لما اجتمع فيه من سرعة بقطه وأناة حلم ، وندينه في مهماتنا الشريفة فكان في كل موطن منها سيفا مرهفا ، وأخترناه فكان في كل ما عدقناه به بين القوى والضعيف منصف ، وعلمنا من معرفته ما يستثير الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظهر أشتات (؟) المصالح من معادنها ، ومن معدلتسه ما يمتع الرعايا بأجتناء ثمر المنى من إحسان دولتنا القاهرة وأجتلاء محاسنها - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلى جيد تلك الرتبة بعقود صفاته الحسنة ، وأن نذبه على حسن هممه التي ما برحت تسرى إلى مصالح الدولة القاهرة والعيون وسنه .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه ذلك تقويعا يبسط في مصالح الأموال لسانه ويده ، ويقصر على مضاعفة ارتفاع الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسد الخلل

وَتَبَعَ الإِهْمَالُ مُصَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمَوْرَدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [لَهُ] فِي مَصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،  
وَالْتَصَرَّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَقٍّ مِنَ الْأُمُوالِ الدِّيوانِيَةِ وَجَلَّ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ بِهِمَّةٍ عَلِمْنَا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَيِّفِهَا ، وَأَمِنَّا عَلَى الرِّعَايَا بِمَا أَتَّصَفَتْ بِهِ  
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَتْفِهَا ، وَأَيَقُظَتِ الْعَيُونُ الطَّامِحَةَ لِسُلُوكِ مَا [لَا] يَحِبُّ بِمَا لَمْ  
تَزَلْ تَخْتَلِّهِ مِنْ رَوَائِعِ طَيْفِهَا ؛ وَلِيُثْمَرَ الْأُمُوالُ بِالْجَمْعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،  
وَيَجْعَلَ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بِبِرْكَةِ الْعِقَّةِ وَالرَّقِّقِ : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ  
سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ . وَلِيُعَفَّ أَثَرُ الْحَايَاتِ وَرَسْمِهَا ، وَيُزِيلَ بِالْكَلِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْمَالِكِ الْحَسَنَةِ  
وَسَمِهَا الْقَبِيحِ وَأَسْمِهَا ؛ وَلِيَكُنَّ مُهِمُّ الشُّغُورِ هُوَ الْمُهِمُّ الْمَقْدَمَ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّ  
الْقِلَاجِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْفَرَضُ الْمُتَعَيَّنُ أَدَاؤُهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأُمُوالِ وَالْغِلَالِ  
مَا يَعْمُ حَوَاصِلُهَا الْمَصُونَةِ ، وَيَكْفِي رِجَالَهَا الْفِكْرَ فِي الْمُتُونَةِ ؛ وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا  
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُصْبِحُ بِهِ حَمْلُ عَامِهَا الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مَعَ  
مَوَالَاةِ الْحُمُولِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَاعِدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عَلَيْهِ]  
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَاهُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَبْدُّ وَإِلَيْهِ يَسْتَنْدُ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ :

### الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

### الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء ، ويشتمل على وظائف)

منها - قَضَاءُ الْقُضَاةِ . وبها أربعة قُضاةٍ : من كل مذهب قاضٍ ، كما في الديار  
المصرية والشَّام . والشافعيُّ منهم هو الذي يولَّى بالبلاد كما في مِصر والشَّام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريفة وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ؛ الذي جعل القضاة أعلاماً ، بهم يُهتدى ، ونصّبهم حُكّاماً ، بمرشدهم يقتاد ويُقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يُعتل في قضيّة ولا يُعتدى ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضح الله به الطريق ، وأبدى به بين الحلال والحرام التفریق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قائلها بالتحقيق .

(١)

وبعد ، فإنّ أحق ما وجهت إليه تصريفه وجهاً مُسَهِراً ، وقربت إلى يد الاقتطاف من شجرته المباركة غصناً مُثمراً ، وسهّدت في الاختيار له والأصطفاء لخطا ما زال للفكر في مصالح الأمة مُسهِراً - الشرع الشريف الذي حرس الله به حومة الدين وحى جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المُبتدعين وأطرافه من المُجاذبه ؛ وكانت حراسته معدومة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ؛ ومُصرّفة إلى كل مُنصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلان هو مداول هذه العبارة ، ومُرْتَمَى هذه المشاره ، ومُرْتَمَق هذه الإشاره ؛ وقد حلّ من المصادح في محل صعب المرتقى على مُتوقّله ، وطلع من منازل سعودها في بُروج بعيدة الأوج إلا على سير بدّره وتنقله ؛ وطالب حكم فأحكم ؛ وفصل ففصل ؛ وروّج فراجع وعدل فعدل ؛ وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تنوّلتها ميراثاً وأسحقاقاً ، وأجلّ من كادت ترهبه مطالع النجوم إشراقاً وإشراقاً ؛ وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذي

(١) في الأصل « وصلت » ولم يفهم له معنى يناسب .



طلبا تقلدت أحسنَ العقود بنظامه ؛ وقد آفخرت به أفتخار السماءَ بِسْمِها ،  
والرؤضة بِغَرَسِها ؛ والأفهام بِإدراكِ حَسِّها ، والأَيَّام بِأَعْمَلَتِه من خَيْرٍ في يومها  
وأَسْلَفَتِه في أمْسِها ؛ وقد أَشتاقتُ إلى قربه شَوْقَ النَّفْسِ إلى تَرَدُّدِ النَّفْسِ ، وَاللَّيْلَةِ  
إلى طُلُوعِ النَّجْمِ أَوَّلًا فإلى إِضَاءَةِ الْقَبَسِ .

فلذلك خرج الأمرُ الشَّرِيفُ بأن يُجَدِّدَ له هذا التوقيعُ بِالْحُكْمِ والقضاءِ ، بِالْمُلْكَةِ  
الْحَلِيَّةِ وَأَعْمَالِها وبلادِها ، على عادته .

فَلْيَسْتَخِرِ اللَّهَ تَعَالَى وَلْيَسْتَضِحْ مِنْ الْأَحْكَامِ مَا هَمَّتْهُ مَلِيَّةٌ بِاسْتِضْحَائِهِ ،  
وَيَسْتَوْعِبْ مِنْ أُمُورِها مَا تَوَضَّعَ الْمَصَالِحُ بِاسْتِيعَائِهِ ؛ وَيُقِمَّ بِهَا مَنَارَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ،  
وَيَنْهَضْ بِتَدْيِيرِ مَا أَقْعَدَهُ مِنْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ . وَعِنْدَهُ مِنَ الْوَصَايَا الْمُبَارَكَةِ ، مَا يَسْتَغْنِي بِهِ  
عَنِ الْمُسَاهَمَةِ فِيهَا وَالْمُشَارَكَةِ ؛ لَكِنِ الذِّكْرَى النَّافِعَةُ عِنْدَ مِثْلِهِ نَافِقَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
شُعَاعُ هَلَالِ قِبَارِقِهِ ؛ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيُحْسِنَ عَنِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى الدَّفَاعَ ،  
وَيَحْرُسَ مَوْجُودَ مَنْ غَابَ غَيْبَةً يَجِبُ حِفْظُ مَالِهِ فِيهَا شَرْعًا ، وَيَقْطَعَ سَبَبَ مَنْ رَامَ  
لَأَسْبَابِ الْحَقِّ قَطْعًا ، وَلَا يَرَاعَ لِحَائِفِ حُرْمَةٍ فَإِنَّ حُرْمَاتِ الْحَائِفِينَ لَا تُرْعَى ؛ وَيَنْظُرُ  
فِي الْأَوْقَافِ نَظْرًا يَحْرُسُها وَيَصُونُها ، وَيَحْتَرِمْ عَنْهَا بَحْثًا يَظْهَرُ بِهِ كَيْفُها ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَسُدُّهُ فِي أَحْكَامِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : وَعَلَى ذَلِكَ تُكْتَبُ تَوَاقِيعُ بَقِيَةِ الْقُضَاةِ بِهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ الثَّلَاثَةِ الْبَاقِيَةِ .

ومنها - وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ .

وهذه نسخة تَوَاقِيعِ مَنْ ذَلِكَ ، كُتِبَ بِهَا لِمَنْ لَقِبَهُ « كِمَالُ الدِّينِ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِمَالَ الدِّينِ مَوْجُودًا ، فِي آفِرَانِ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ ، وَصَلَاحِ بَيْتِ  
الْمَالِ مَعْهُودًا ، فِي اسْتِنَادِهِ إِلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ غَيْرَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ أَمَلًا ،

وَأَرْتِقَاءُ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارْتِقَاءُ مِنْهُ مِنْ أُمَمَةِ الْأُمَّةِ تُزْهِىُ مَنَاصِبُ الدُّوَلِ ، وَالْأَكْتِفَاءُ بِالْعُلَمَاءِ مَحْضُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مَصَالِحَ الْإِسْلَامِ ، مُقَدِّمًا لَدِينَنَا ، وَآخِثًا بِمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ بِالْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، مُحِبًّا إِلَيْنَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَ الْجِهَادُ عَالَمَهَا ، وَأَمْضَى الْأَجْتِهَادُ كَلِمَهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّتِهِ ، مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلَةِ ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامُ شَرْعِيَّتِهِ ، عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ ، بِأَوْضَاعِ الْأَدِلَّةِ ، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَائِمِ الْوُجُودِ وَتُجُودِهِ فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلُمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا اللَّهَ وَلِرَسُولِهِ ، وَآمَنُوا بِرِضَا عَلَى نَفُوسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سُؤْلٌ غَيْرُ سُؤْلِهِ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَلَقَّاهُ كَرْمُنَا بِوَجْهِ إِقْبَالِهِ ، وَآخِرَتُهُ لَهْ آلاؤُنَا مِنَ الرُّتَبِ مَا صَدَّه الْإِبْجَالُ فِي الطَّلَبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِبَالِهِ ، وَرَأَى إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَعَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرَكْهُ أَوْلَا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةً عَنْ خِيَالِهِ ، وَرَعَى رِثْنَا وَقَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأُفُقِ بِكَمَالِ طَلْعَتِهِ وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَامِعُ فَوَائِدِهِ ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ ، وَتَدَفَّقَتْ بِحَارِ فُضَائِلِهِ ، وَتَأَلَّفَتْ أَشْعَةُ دَلَائِلِهِ ، وَتَنَوَّعَتْ فُنُونُهُ : فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَبْنُ بِيَجْدَتِهِ ، وَفَارِسُ تَجْدَتِهِ ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ ، وَجَوَادُ مَضَارِهِ الَّذِي تَقِفُ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَفُّقِهِ ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُومِيَ إِلَى كَمَالِ مَا تَأَلَّقَى بِهِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَتْ وَكَالَةً يَبْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي لَا يَتَمَعَّنُ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقِّدُ الْخَنَاصِرُ عَلَيْهِ ، وَيُسَارُ بِنَانُ الْإِخْتِصَاصِ إِلَيْهِ ، وَيُقَطَّعُ

بحيل نهوضه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ؛ وله في مباشرتها سوابق ،  
وَأَثَارُ [إن] لم تصفها ألسنة الأقلام أوحث بها تلك الأحوال الحالية وهي نوايط -  
اقتضت آراءنا الشريفة إنعام النظر في الإنعام عليه بمكان ألفه ، ومنصب رفع  
ما أسلفه فيه من حيل السيرة قدره عندنا وأزلفه .

فرسم بالأمر الشريف - لازال بآبه ثمال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر  
لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عينته ، وقضائل  
ترتبت به كما زينتته ، ووفادة تقاضت له نزل الكرامه ، واقتضت له مواد الإحسان  
وموارد في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة مدار أمرها ، وبمثل قوته في مصالحها  
يتضاعف در احتلاها ، ويترادف احتلاب درها ، مراعيًا حقوق الأمة فيما جره  
الإرث الشرعى إليهم ، مناقشا عن المسلمين فيما قصره مذهبه المذهب من الحقوق  
المالية عليهم ؛ وأقفاً بالحق فيما يثبت بطريقه المعتبر ، تابعاً لحكم الله فيما يختلف  
سبيله [و] فيما يحتر بالعيان أو يحقق بالخبر ، محافظاً على ما يؤول إلى بيت المال بلطف  
تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ؛ ولا يمنع الحق  
إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يدفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يتقاضاها  
الشرع الشريف ويقتضيها ؛ وهو الوكيل عن الأمة فيما لهم وعليهم ، ومتولى  
المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في أيديهم ؛ فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويحتد لهم فيما  
وضعناه من أمر هذه الوكالة الشريفة بيمينه ؛ وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق  
الحلى ، والتمسك بالتقوى التي تظهر بها قوة الأمين وأمانة القوى ؛ والله تعالى يوفقه  
ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدّم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف  
الجبّار، وخطابة الجوامع الجليلة ، وِجَارُ التّدَاريس ، وما يجري مجرى ذلك : إذا  
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالبُ كتابةُ ذلك جميعه عن نائب  
السّلطنة بها .

### الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامي» بغيرياء ، أو «بمجلس القاضي»)

قال في "التثقيف" : وهم من عدا القضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية :  
فيدخل في ذلك قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، وما يجري مجرى ذلك ، حيث  
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

### الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية ،

وهم على طبقتين )

### الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ «السامي» بالياء . وتشتمل على وظائف )

منها - كتابة السرّ . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب  
ديوان المكاتبات ، ورُبّما قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في "التثقيف" :  
ورُبّما كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهى :

الحمد لله الذى زان الدولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته فى قرار  
مكين، وحلّى أيامنا الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته فى عقد ثمين، ومجمل  
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته ويراعته قيل : هذا هو السحر البياني إن لم  
يكن سحر مبین .

نحمده على نعمه التى خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرشها عن كلاله، ونصت  
فى ترقى مناصب التنفيد على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان  
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى  
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب فى قلوبهم الإيمان، وكتب  
بهم أهل الطغيان، صلاة يسفعها التسليم، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تعقد على أولوياته الخناصر، ويعتمد على  
أصاليه التى ما برحت فى الاتصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتقد فى أمانته  
التي تأوى بها الأسرار إلى «صخرة أعيان الرجال أنصداعها» ويعتضد بفضائله التى يقل  
فى كثير من الأكفاء اجتماعها، ويعول فيها على بلاغته، التى أعطت كل مقام حقه  
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى بديته، التى جرت بها سوابق المعالى إلى غاية  
الحقيقة فى مضمار المجاز - رتبة هى خزانة سرنا، وكثانة نهينا وأمرنا، فلا يتعين  
لبلوغها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم فى زمن،  
ولا يحسن أن تكون إلا فى بيت عريق فى أنسابها، وثيق فى تمكن عرا أسبابها،  
علم بقواعدها التى إذا أشتهت طرق آدابها كان أدرى بها .

ولما كان فلان هو الذى ذُكرت أسباب تَعِينِهِ لهذه الرتبةِ وتَعِينِهِ ، وَفُتِحَتْ  
أبواب أوليَّيَتِهِ بَتَلَقَّى رايةَ هذا المنصبِ بِمَعْنَى ؛ مع أدواتِ كَلَمَتْ مَفَاتِحَهُ ، وَصِفَاتِ  
جَمَلَتْ مآثره ؛ وَكَلَامِهِ ؛ إِذَا جَادَتْ أَنْوَاؤُهَا أَرْضَ طَرِيسٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا ، وَإِذَا حَادَتْ  
أَنْوَارُهَا وَجَهَ سَمَاءٍ وَدَّتِ الدَّرَارِيُّ لَوْ حَكَتْ أَحْرَفُهَا ؛ وَبِلَاغَةٍ ؛ إِنْ أَطْرَبَتْ بَوْصِفِ  
أَغَارَتِ الْفَرَايِدُ ، وَأَعَارَتِ دُرَرَهَا الْقَلَائِدُ ، وَأَتَتْ مِنْ رِقَّةِ الْمَعَانِي بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ  
دُمُوعِ التَّصَايِي فِي حُدُودِ الْخَرَائِدِ ؛ وَإِنْ أَغْرَتِ بَعْدُوْ أَعَانَتْ عَلَى مَقَاتِلِهِ السُّيُوفُ ،  
وَدَلَّتْ عَلَى مَكَامِنِهِ الْحُتُوفُ ؛ وَدِيَانَةٍ ، رَفَعَتْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَنَا إِلَى الْمَكَانِ الْأَسْنَى ،  
وَصِيَانَةٍ ، جَمَعَتْ لَهُ مِنْ آلائِنَا وَأَعْتِنَاثِنَا بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالْحُسْنَى ؛ وَأَمَانَةٍ ، أَغْنَتْهُ بِمَجْوْهِرِ  
وَصِفِهَا الْأَعْلَى عَنْ التَّعَرُّضِ إِلَى الْعَرِضِ الْأَذْنَى ، وَبِرَاعَةٍ ، أَعْتَصَدَ بِهَا يَرَاعُهُ فِي بُلُوغِ  
الْمَقَاصِدِ أَعْتَصَادَ الرِّقْصِ بِالْمَغْنَى .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُشَرِّبَتَلَقَّى هذا الإحسان ،  
بِسَدِّ الْأَسْتِحْقَاقِ ، وَلِتَتَلَقَّ عَقُودَ هَذَا الْأَمْتِنَانِ ، الَّذِي طَالَمَا قَلَّدَ نَخْرَهُ الْأَعْتِنَاقَ ؛  
وَلِتُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً يَسُرُّ خَبْرُهَا وَيَسِرُّ خَبْرُهَا ، وَيَشْنِفُ الْأَسْمَاعَ تَأْثِيرُهَا وَأَثَرُهَا ؛  
وَلِتَسْلُكُ فِيهَا مِنَ السَّدَادِ ، مَا يُؤَكِّدُ حَمْدَهُ ، وَمِنْ حَسَنِ الْأَعْتِمَادِ ، مَا يُؤَيِّدُ سَعْدَهُ ؛  
وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ خَيْرٌ عَلِيمٌ ، حَازَتْ مِنْهَا أَوْفَرَ الْأَجْزَاءِ وَأَوْفَى التَّقْسِيمِ<sup>(١)</sup> ؛ وَمِلَاكُهَا  
تَقْوَى اللَّهِ فليَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلِتَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ  
مِنْ لَدُنَّا إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ؛ وَالْأَعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ  
أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

ومنها - نظر الملكة الحليَّة القائم مقام الوزير .

(١) فى الاصل : وأوفى التقصير ، ولا معنى له .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعبد الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه أعتادا ، ومجدد سعد من غدا في كل ما يُعَدُّ به من قواعد النظر الحسن عمادا ، ومُسْنَى حمد من تكفل له جميل التصرف أن لا تُبَعَدَ الأيام عليه مرادا ، ومُجْزِل موائد النعم لمن إذا استمطر قلبه في المصالح همى فافتن أفنانا وأنبغ تميها وأتمر سدادا ، وإذا أيقظ نظره في ملاحظة الأعمال استجلى وجوه المصالح آتقاء لما خفى منها وانتقادا .

نحمده على نعمه التي لا تزال النعم بها مُجَدَّدة ، والقواعد موطدة ، والكرم مُعَادا ، والآله التي جعل لها الشكر أزدiana على الأبد وأزديادا ، ومنينه التي لا يقوم بها ولا باداء قرضها الحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أفلام أو كان البحر مدادا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تألو هممنا أجهادا في إعلاء منارها وجهادا ، ولا تكبو جياذ عزائمنا ، دون أن تُسَكِّننا من الجاحدين قلوبا وتُجَرِّى بها من المنكرين ألسنة وتقلدها من المشركين أجيادا ، ولا تدبو صوارمنا ، حتى نتخذ لها من ورديد كل معانيد موريدا ومن قيم كل ناكث أعمادا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسرى الله به إليه فبلغ في الارتقاء سبعا شدادا ، وأنزل عليه أشرف كُتِبَه بيانا وأعجزها آية وأوضحها إرشادا ، وبعثه إلى الأحمر والأسود فسعيد من سعادته إيمانا وشقي من شقى به عنادا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لم يالفوا في طاعة الله وطاعته مهادا ، صلاة لا تستطيع لها الدهور نقادا ، ولا تملها الأسماع تعدادا وتردادا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من سَمَّا به مَنْصِبُهُ الذي عُرف به قَدِيمًا، وَزُهَيْتَ به رُتْبَتُهُ، التي لم يَزَلْ فيها لَأَقْتِنَاءُ الشُّكْرِ مُسْتَدِيمًا، وَتَحَلَّتْ به وَظِيفَتُهُ، التي لم يَبْرَحْ يَلْبَسُ بها ثَوْبُ الثَّنَاءِ قَشِيْبًا وَيَجْتَزُّهَا رِداءُ السَّعْدِ رَقِيًّا، وَتَقاضَتْ له عَوَارِفُنَا مَعَارِفُهُ التي لم يَزَلْ عَقْدُهَا في جِدِّ المَرَاتِبِ السَّيِّئَةِ نَظْمًا، وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ مَكَانُهُ فَكَانَتْهُ بِقَدَمِ هِجْرَتِهِ لم يَبْرَحْ فِيهِ وَإِنْ بَعْدَ عَنْهُ مُقِيًّا - مَنْ لم يَزَلْ قَلْبُهُ بِصَرْفِهِ فِي أَسْنَى مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ كَأَسْمِهِ سَعِيدًا، وَطَرَفَ نَظَرِهِ فِيمَا يَلِيهِ مِنَ الْمَنَاصِبِ السَّيِّئَةِ يُرِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ مَا كَانَ غَائِبًا وَيُذِنِي إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ التَّدِيرِ مَا كَانَ بَعِيدًا؛ فَا أَعْمَلُ فِي مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ قَلَمًا إِلَّا وَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَجْهَهُ الْأُمُوالِ سَافِرَهُ، وَلَا لَحَظْتُ فِي مُهِمَّاتِ وَظَائِفِهَا أَمْرًا إِلَّا وَعَاوَدْتُهُ أَسْبَابُ التَّشْمِيرِ النَّافِرَهُ، وَلَا أَعْتَرَضَ قَلْبُهُ بِنُطْقِهِ وَفِكَرِهِ إِلَّا وَغَدَتِ الثَّلَاثَةُ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ عِمَارَةٌ مَا يُفَوِّضُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ مُتَضَافِرَةً؛ وَذَلِكَ لِمَا أَجْتَمَعَ فِيهِ مِنْ عَقَّةِ نَفْسِهِ وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ وَطَهَارَةِ يَرَاعِهِ، وَأَتَّصَفَ بِهِ مِنْ حَسَنِ اضْطِلَاعِهِ وَجَمِيلِ أَطْلَاعِهِ، وَجَبِلْتُ عَلَيْهِ طَبَاعَهُ مِنْ نَزَاهَةِ زَانَتِ خَبْرَتِهِ وَمَنْ يُنْقَلُ مَشْكُورًا عَنْ طَبَاعِهِ .

ولَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي حَنَّتْ إِلَيْهِ رُتْبَتُهُ وَتَلَقَّتْ إِلَيْهِ مَنْصِبُهُ وَدَعَتْهُ وَظِيفَتُهُ النَّفِيسَةُ إِلَى نَفْسِهَا، وَأَعْتَدَتْ بِإِقْبَالِهَا إِلَيْهِ فِي يَوْمِهَا عَنْ نُشُوزِهَا عَنْهُ فِي أَمْسِهَا، وَأَشْتَاقَتْ إِلَى التَّحَلِّيِ بِفَضَائِلِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تُزْهِى بِمَا أَلْفَتْهُ مِنْهَا عَلَى نُظَرَائِهَا مِنْ جَنْسِهَا - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نُجَمِّلَ لَهَا عَادَتَهَا وَنُجَدِّدَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ بِمَبَاشَرَتِهَا السَّعِيدَةِ إِعَادَتَهُ، وَنُعِيدَ إِلَيْهِ بِمَبَاشَرَةِ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ مَسَرَّتَهُ الَّتِي أَلْفَهَا وَسَعَادَتَهُ .

فلذلك رسم ... - لا زال بره لعماد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر المملكة الحليّة على عادة من تقدمه .



فليأشِرْ هذه المملَكَة التي هي من أشهر ممالككُم سَمْعَه ، وأَيْمِنِهَا بِقَعَه ؛ وأَحْسَنِهَا  
 بِلَادَا ، وَأَخْصِيهَا رَبًّا وَوَهَادَا ، وَأَكْثَرِهَا حُصُونًا شَوَاهِقَ ، وَقِلَاعًا [سَوَامِي] <sup>(١)</sup> سَوَامِقَ ،  
 وَتُغَوَّرًا لَا تَتَشَيَّمُ مَا أَفْتَرَّ مِنْهَا الْبُرُوقُ الْخَوَافِقَ ؛ مَبَاشِرَةً تَزِيدُ مَصَالِحَهَا عَلَى مَا عَرَفْتَهُ ،  
 وَتُرِيهَا مِنْ خَبْرَتِهِ فَوْقَ مَا أَلْفَتْهُ ؛ وَتَدُلُّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كِفَاءَةِ هَدْيَتِهَا التَّجَارِبَ ، وَهَدْيَتِهَا  
 الْأَنْوَارَ الثَّوَابِقَ ، وَصَرَفَتِهَا الْأَفْكَارَ الْمُطَّلَعَةَ عَلَى الطَّوَالِغِ مِنَ الْمَغَارِبِ ، وَسَدَّدَهَا  
 إِلَى الْأَغْرَاضِ الْجَمِيلَةِ الْخُلُوعِ مِنَ الْأَغْرَاضِ ، وَوَقَّفَهَا عَلَى جَوَاهِرِ الصَّوَابِ عَدَمَ  
 اعْتِرَاضِ النَّظَرِ إِلَى الْأَغْرَاضِ ؛ وَأَرَاهَا التَّوْفِيقُ مَا تَأْتِي مِنْ وَجْهِ التَّيْدِيرِ وَمَا تَدَّرُ ،  
 وَعَرَفَتْهَا الْمَعْرِفَةُ الْآحْتِرَاسَ مِنْ مَخَالِفَةِ الصَّوَابِ فَمَا تَزَالُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَذَرٍ ، وَفَتَحَتْ  
 لَهَا الدَّرَبَةَ أَبْوَابَ التَّشْمِيرِ فَمَا لَحِظْتَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَةِ إِلَّا وَبَدَتْ الْبِدَرُ ؛  
 وَلَتَكُنِ النِّعَمُ الْمَصُونَةُ الْمُقَدَّمُ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَصَالِحِ الْقِلَاعِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْغَرَضُ  
 الْمُنْصَوِّصُ عَلَيْهِ ؛ فَلْيُضَاعَفْ ذَخَائِرُهَا ، وَتَتَقَدَّدُ مَوَارِدُ أُمُورِهَا وَمَصَادِيرُهَا ؛ وَفِي مَعْرِفَتِهِ  
 بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الْوُظُفَةِ مَا يُغْنِي عَنْ الْوَصَايَا ، لَكِنْ مَلَكَهَا تَقْوَى اللَّهِ ، فَلْيُجْعَلْهَا نَجَى  
 نَفْسِهِ ، وَسَمِيرَ أُنْسِهِ ؛ وَانْخُطِ الشَّرِيفَ ... ..



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِنَظَرِ الْجَيْشِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيبِيَّةِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَفْقَ السَّعَادَةِ بِطُلُوعِ شَمْسِهِ مُنِيرًا ، وَأَقَرَّ فِي رُتَبِ الْعِلْيَاءِ مَنْ  
 يَغْدُو نَاطِرُهَا بِحُسْنِ نَظَرِهِ قَرِيرًا ، وَحَلَّى مَفَارِقَ الْمَنَاصِبِ السَّنِيَّةِ بِصَدْرِ إِذَا تَغَالَى

اللسان في وصفه كان بَنَانُ البَيَانِ إِلَيْهِ مُشِيرًا ، وَآخِثَارُ لَأْمَصَارٍ مِمَّا لَكَ الشَّرِيفَةُ مِنْ إِذَا قُوَّضَ إِلَيْهِ نَظَرُهَا كَانَ بِنِسْبَتِهِ إِلَى الْإِبْصَارِ حَقِيقًا بِهِ وَجَدِيرًا .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمُحْمَدُ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا مُشْرِقَ السُّعُودِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَذْبَةً الْوُرُودِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَصْحَبَتْ بِهِ شَيْوُخُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَنْشُورَةُ الْبُنُودِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْرَقَ عُودُ ، وَأَوْجَلَّ نَهَارُ السِّيُوفِ فِي لَيْلِ الْغُمُودِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَصَّ كُلَّ مَمْلَكَةٍ مِنْ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ بِكَثْرَةِ الْجُيُوشِ وَالْأَنْصَارِ ، وَجَعَلَ جُيُوشَنَا وَعَسَاكِرَنَا تُكَاثِرُ عِدَّةَ النُّجُومِ فِي كُلِّ مِصْرِ مِنَ الْأَمْصَارِ ؛ وَكَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الشَّرِيفَةُ الْحَلِيبِيَّةُ هِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ شَدِيدٍ ، وَذُنُرٌ مَادَعَاهُمْ دَاجٍ إِلَّا وَلِبَّاهُ مِنْهُمْ عَدَدٌ عَدِيدٌ - وَجِبَ أَنْ يُخْتَارَ لِلنَّظَرِ عَلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ مِنْ سَمَاءِ فِي الرَّأْسَةِ أَصْلُهُ وَزَكَافَرُوعُهُ ، فَاسْتَحَقَّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ تَمْيِيزَ قَدْرِهِ وَرَفْعَهُ ؛ وَفَاقَ فِي فَضْلِ السِّيَادَةِ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَأَشْرَقَتْ أَفْلَاكُ الْمَعَالِي بِطُلُوعِ شَمْسِهِ ؛ وَأَقْرَبَ [بِنَظَرِهِ] نَظَرَ الْجُيُوشِ الْمَنْصُورَةِ ، وَسَارَتْ الْأَمْثَلَةُ بِمَا أَتَّفَقَ عَلَيْهِ [فِيهِ] مِنْ حُسْنِ خَبْرَةٍ وَخَيْرَةٍ ؛ وَكَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي طَلَعَ فِي أَفْقِ هَذَا الثَّنَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَآخَتَبَرُ بِالْكَفَايَةِ وَالْدَّرَايَةِ وَآخَتِيرُ لِهَذَا الْمَنْصِبِ عَلَى بَصِيرَةٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَهُ مِنْ جَمِيلِ الْمُبَاشَرَةِ فِي الْمَنَاصِبِ السَّنِيَةِ مَا هُوَ كَالشَّمْسِ لَا يُخْفَى ، وَالَّذِي أَحْسَنَ النَّظَرَ فِي الْأَوْقَافِ الْمُبَرُورَةِ حَتَّى تَمْنَى كُلُّ مَنْصِبٍ جَلِيلٍ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَفَقَا ؛ وَهُوَ الَّذِي حَوَى مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ ، وَالَّذِي سَمَّا إِلَى رَتَبَةٍ مِنَ الْمَعَالِي رَيعَةً وَكَانَ ذَا الْجَدِّ النَّبِيِّ وَالْأَبِ النَّبِيِّ .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقرُّ الناظر بِجُوده ، ويَحْسِنُ النظر في أمر جُوشه  
وجُوده - أن يفوض إليه كذا: علماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى، وأنَّ كفايته لا يُستثنى  
فيها بئلاً ولا بلولاً ؛ وأنَّ السَّدادَ مقترنٌ بحسن تصرُّفه ، وعلمه قد أغنى عن تعليمه  
بمواقع التَّسديد وتوقيفه .

فليباشِرْ ذلك بصدرٍ مُنشرح ، وأملٍ مُتفَسِّح ، عاملاً بالسَّنة من تقوى الله تعالى  
والقرض ، علماً بأنَّا عند وُصولنا إلى البلاد نأمرُ بعرض الجيوش : فليعمل على  
ما يُبَيِّضُ وجهه يوم العرض ؛ وليُزِمَّ عدَّة من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التفرُّع  
والتَّأصيل ، والتَّجريد والتَّزِيل ؛ وتحرير الأمثلة والمقابلة عليها ، وسؤالك الطريق  
المُسْتقيم التي لا يتطرَّق الذمُّ إليها ؛ والملاحظة لأُمُور الجيوش المنصورة في قَلِيل  
الإقطاعات وكثيرها ، وجليلها وحفيرها ؛ بحيث يكون علمه محيطاً بذلك إحاطة  
الليل ، ويشترط على من يتعين تنزيله ما أَسْتَطاع من قُوَّة ومن رِباط الخيل ؛  
ويقابل الأمور المضطربة بالإضراب ، ويسلك أحسن المسالك في سيره وسيرته :  
فإنَّنا فوضنا إليه الجيوش المنصورة من جُنْد المملكة الحليَّة ومن أهل المدينة ومن  
حوْلهم من الأعراب . والوصايا كثيرة وإن كُثرت فعلمها عنده ، وقد ضُرب له منها  
مثلٌ فليكن على سياقته فيما لم يُذكر في العِدَّة ؛ وأهمُّ الأمور أن يتمسك من خَشية الله  
بالسَّبب الأقوى ، ويعمل تقوى الله عماده في كلِّ الأمور : فإنَّ خير الزَّاد التَّقوى ؛  
والخطُّ الشريف أعلاه حجة فيه .

### الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحليَّة في قطع العادة مفتتحاً بـ «رسم» إمَّا مع  
«مجلس القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككتاب الدَّرج ومن في رُتبتهم ، إن كُتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب استبدادُ نائب السُّلْطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتِبَ شَيْءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فليُمش فيه على نحو ما تقدّم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

## النوع الثاني

( من أرباب الوظائف بالمملكة الحلبية - من هو خارج  
عن حاضرتها ، وهم على أصناف )

### الصنف الأول

( أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السُّلْطانية )  
وقد تقدّم أنّ العادةَ جاريةٌ بِتَسْمِيَةِ ما يُكْتَبُ لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ، وصَفَد ، وغَزّة ، والكَرْك - مراسيم . وأنّ التقاليدَ مختصةٌ بالنواب العظام المقدم ذكرهم . ولا يخفى أنّ النيابات الدّاخلة في المملكة الحليّة : مما هو تحت أمر نائب السُّلْطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجُمْلَةِ فأمّهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقَدِّم ألف ، كاتب البيرة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقلعة المسلمين ، ونائب ملطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البُلسْتَيْن ، ونائب البهسنى ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإمّا طبلخاناه ، كاتب جعبر ، ونائب درندة ونحوهما . وإمّا أمير عشرة ، كاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كركر ، ونائب بغراس ، ونائب الشُغْر وبكاس ، ونائب الدربَساك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معنائهم .

وقد تقدّم في الكلام على المكاتبات نقلًا عن "التثقيف" : أن هؤلاء النواب تختلف أحوالهم في الارتفاع والانحطاط : فتارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه ، ثم يوتى فيها عشرة وبالعكس . وقد تكون عادتها طبلخاناه فيستقر بها مقدّم ألف وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدّم ألف ، كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه ، كتب له مرسومه في قطع النصف أيضًا بـ «السامى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب مرسومه في قطع الثلث . فأما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله» سواء كان صاحبه مقدّم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية آياس ، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ، يستضاء بها في ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضاربته ، وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من تجمد آراؤه وتجاربته ، وألمننا حسن الاختيار لمن تؤمن في المحافظة مآربه ، وتعذب في المخالطة مآربه ، وحقق آمالنا في مضاعفة الفتح التى أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربه .

نحمده حمدا يضاعف لنا فى التأييد تمكيننا ، ونشكره شكرًا يستدعى أن يزيدنا من فضله نصرًا عزيزًا وفتحًا مبینًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخلص فيها يقينًا من المخاوف يقينًا ، وزيد من نهالها معينًا ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى أیده الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها وزجوا أن يكون ما زواؤه له مدخرًا لنا من الفتوح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلإِسْلَامِ ، والذين ما زال الإيمانُ بهم مرفوعَ الأُلوِيَّةِ والأعلامِ ، والذين لم يبرحْ دَا عِي الضَّلالةِ تَحْتَ قَهْرِ سِيوفِهِمْ : فإذا أَغْنَى «جَرَّتْ عَلَيْهِ سِيوفُهَا الْأَحْلَامُ» ؛ صلاةً يَطِيبُ اللِّسَانُ مِنْهَا فَيُطْرِبُ ، وَيُعْرِبُ عَنْ صِدْقِ الْإِخْلَاصِ فِي تَكَرُّارِهَا فَيُغْرِبُ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً .

أما بعدُ ، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ تَسْتَنْدُ أُمُورُ الْمَمَالِكِ لِعَزَمَتِهِ ، وَيُلْقَى أَمْرُ بَوَادِرِ الْفَتْوحَاتِ السَّعِيدَةِ لِهِمَّتِهِ ، وَيُعْتَمَدُ فِي تَدْيِيرِ أَحْوَالِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ عَلَى يَمِينِ تَصَرُّفِهِ وَمُتَمَتِّدِ نَهْضَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا سَدَادَ رَأْيِهِ ، مُشْكُورًا فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ حُسْنُ سَعْيِهِ ؛ مُؤَيَّدًا [فِي] عَزَمِهِ ، مَظْفَرًا فِي حَزْمِهِ ؛ مَأْمُونًا النَّائِبِ ، مَيُّونَ التَّدْيِيرِ ، كَافِيًا فِي الْمَهْمَاتِ ، كَافِلًا بَعْلُو الْهِمَّاتِ ، إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ [صَادِقَ] عَزْمِهِ ، وَإِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي مُهِمٍّ تَقَاهُ بِهِمَّتُهُ وَحَزْمُهُ ؛ وَإِذَا جُرِّدَ كَانَ هُوَ السَّيْفَ اسْمًا وَفِعْلًا ، وَإِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّيُونُ فَهُوَ الشَّهْمُ الَّذِي لَا يَخَافُ سَهْمًا وَلَا يَرْهَبُ نَصْلًا .

ولما كان <sup>(١)</sup> هو بَدْرُ هَذَا الْأَفْقِ ، وَمُقَلَّدُ هَذَا الْعَقْدِ وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الطَّلُوقُ إِلَّا لِهَذَا الْعُنُقِ ؛ وَهُوَ الَّذِي فَاقَ الْأَوْلِيَاءَ أَهْتَامًا ، وَرَاقَ الْعُيُونَ تَقْدَمًا وَإِقْدَامًا ؛ وَأَرْضَى الْقُلُوبَ نَضْحًا وَوَفَاءً ، وَأَنْضَى الْهِمَمَ احْتِفَالًا لِلْمَصَالِحِ وَاحْتِفَاءً ؛ طَلَبًا جُرْبَ حُفْمٍ عِنْدَ التَّجَارِبِ ، وَجُرْدَ فَاغْنَى عَنْ الْقَوَاضِبِ ؛ وَاخْتِيارَ فَاخْتِيارِ ، وَنَظَرَ فِي خَصَائِصِهِ فَلَمْ يُوجِدْ لَهُ نَظِيرَ - اقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نَقَلَدَهُ فَتُوحَاتٍ أَنْقَذَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ ، وَأَخْرَجَهَا إِلَى النُّورِ بَعْدَ ظِلَامِ الْإِفْكَ ؛ وَبَشَّرَهَا أَنَّ هَذِهِ سَحَابَةُ نُصْرٍ يَأْتِي وَابِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ رَدَّازِهِ ، وَأَنَّهَا مُقَدِّمَةُ سَعْدٍ نَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

(١) بياض بالأصل والمراد المولى باسمه ولقبه .

فلذلك رُسم ... - لا زال الفتح في دولته يزهو بانتظام سلكه، وأيامه الشريفة تسترد مقتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه يحيى الحصون بسيف يروع العدا ببأسه وفتيكه - أن يفوض ... اعتماداً على مضائه الذى لا ينكر مثله للسيف، ورؤونا إلى همته التى تسرى برعها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيابة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحوالها، وتقدير أمورها التى راق الأولياء وراع الأعداء ما كان من مألها ؛ مجتهداً في حفظ ما بها من القلاع والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما ينجي حماها ويصون قائماً حق القيام في مصالح تقريرها، وأحوال تحريرها ؛ وأمور تمهدها، ومنافع تُسيدها ؛ وحواصل تكفيها، وأسباب مصلحة توافيها بمزيد الاهتمام وتوفيتها ؛ وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً، وبأنور العدل والإحسان مهتدياً ؛ وبتقوى الله عز وجل متمسكاً ، وبخشية الله متمسكاً، وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدى] في حدقة العدو المخدول ونجبا في خلوقهم، وعلة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذى ليس معه قرار، والتحرز الذى يحلها أو ينجيها فيكون عليها بمنزلة سور أو سوار ؛ ويصفحها من عزمه بالصفاح، ويجعل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح ؛ ثم لا يزال احتياطه محيطاً بها من كل جانب، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذى بمنزلة يضان رداؤها من كل جاذب ؛ ثم لا تزال قصاده وكشافه وطلائعه لا يقرّبهم السرى، ولا يعرفون طعم الكرى ؛ يطلعون من أخبار العدا على حقائقها، وتحيل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها واتساع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

فِي مِرَاةٍ نَظَرَهُ، وَسِرُّ أُمُورِ الْعِدَا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبَرِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ إِلَى تَبَصُّرِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَعَ حَسَنِ بَصِيرَتِهِ إِلَى تَذَكُّرِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا وَلَّاهُ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وَأَمَّا مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بـ «مَجْلِسُ الْأَمِيرِ» وَهُمْ الْعَشْرَاتُ [فَقَدْ ذَكَرَ فِي «التَّعْرِيفِ» : أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الطَّبَقَةِ السَّابِعَةِ أَنَّ الْكَحْنَأَ، وَكَرَكَرَ، وَالذَّرْبَسَاكَ، قَدْ تَكُونُ عَشْرَةً أَيْضًا . وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ نِيَابَةُ عَيْنِ تَابَ، وَالرَّوَانْدَانَ، وَالْقُصَيْرَ، وَالشُّغْرُوبَكَاسَ، إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ . وَنِيَابَةُ دَبْرَكِي إِذَا كَانَتْ عَشْرَةٌ <sup>(١)</sup> [فَيَفْتَحُ فِيهَا] «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» عَلَى عَادَةِ مَا يُكْتُبُ لِلْعَشْرَاتِ .



وَهَذِهِ نَسْخَةُ مَرْسُومٍ شَرِيفٍ مِنْ هَذِهِ الرُّتَبَةِ، كُتِبَ بِهِ لِنَائِبِ حَجَرِ شَعْلَانَ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبَ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي شَدَّ الْمَعَاقِلَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَكْفَائِهَا، وَصَانَ الْحُصُونَ الْمَحْرُوسَةَ بِمِنْ شُكْرَتِ هِمَّتِهِ فِي إِعَادَتِهَا وَإِبْدَائِهَا، وَحَمَى سَرَحَهَا بِمِنْ أَيْقَظَ [فِي] الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عِيُونَ عَزَمِهِ فَمَا أَلَمْتُ بَعْدَ إِيقَازِهِ بِإِغْفَائِهَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي آتَنَصَّى سَيْوَفَ التَّائِيدِ فَأَعَزَّتِ الْهَدْيُ وَأَذَلَّتِ الْعِدَا حِينَ انْتِصَافِهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا بَدَّتِ النُّجُومُ فِي ظُلُمَائِهَا، وَسَرَّتِ الْغُيُومُ فِي فَضَائِهَا - فَإِنَّ مِنْ شُكْرَتِ هِمَمِهِ، وَثَبَّتَتْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَمَهُ؛ وَأَشْبَهَ عَزَمُهُ فِي مَضَائِهِ صَارَمَهُ، وَأَضَحَّتْ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ الْمَرْبَعَيْنِ [ ] وَجَدَ مُلَحَقًا بِهَا مَشْ نَسْخَةٌ وَمَوْشَرًا عَلَيَّهَا بِالتَّصْحِيحِ فَأُثْبِتَاهُ فِي الصَّلْبِ



تُعَوِّدُ تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوَّلَى أَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ مَحَلَّةٍ ، وَتُنْشَرَ عَلَيْهِ [ مِنْ ] تَكْرِيمِهَا وَارْفَ ظِلِّهَا ؛ وَتَرْتَضِيَهُ لِقَلاَعِ الْإِسْلَامِ وَتُسَيِّدِيهَا ، وَتَجْتَنِيَهُ لَصُونِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْعَلُهُ قُرَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةً جَيِّدِهَا ؛ وَتَمْنِيَ كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعَدِّقَ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَلَقْدَرِهِ مَنَّا إِعْلَاءً وَإِعْلَانًا ، وَيُمَسِّيَ وَلَهُ شُغْلُ بَطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلُ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُحَوِّزُ بَعْزِمَهُ وَيُصَانُ ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا وَلَهُ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [ فُلَانٌ ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِبِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حُظُوظِهَا سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأُسْمِتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ إِمْرَةً وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْدُودٍ مِنْ قَلاَعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاqِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَحَلًّا فَالْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مَمْنَعًا فِي مَغْنَاهُ ؛ مُحَصَّنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزْمِ فِي أَحْتِفَالِهِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوقِّلَهُ رَتَبَةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنُنْشِرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا سَحَابَهُ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ ... .. أَنْ يَسْتَقَرَّ ... ..

فَلِيُحَلَّ هَذِهِ النِّيَابَةُ الْمُبَارَكَةُ مُظْهِرًا مِنْ عَزَمِهِ مَا تُنْجِدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَائِبُهُ ، وَتَتَوَسَّحُ سُبُلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحَصَّنًا لِسَرَحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادَّ نُجُوحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حِمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَغْدُوا يَقِظِينَ فِيمَا يَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْهَضُهُمْ فِيهِ ، مُبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيَحْمِيهِ ؛ وَمَنْ يَهَذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرَفُقْ بِضِعْفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلْهُمْ بِمَا يَسْتَجِلِبُ لَنَا بِهِ صَالِحَ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

قول يُبْدِيهِ ، وَفِعْلٌ يَرْتَضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَذَوُّى . وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَصُونُهُ مِنَ الْخَطَا وَالْخَطَلِ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قلتُ : وقد تقدّم أنّه لا يكتب عن السلطان مرسومٌ بِنِيبَةِ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْجُنْدِيِّ وَهُوَ دُونَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُكْتَبُ عَنْ نَوَابِ الْمَمَالِكِ .

### الصنف الثاني

(مما هو خارجٌ عن حاضرة حلب - الوظائف الدينية بمعاملتها :

من القلاع وغيرها)

وهي في الغالب إنما تصدر الكتابة فيها عن نائب حلب أيضا أوقاضها، إن كان مرجع ذلك إليه . فإن صدر شيء منها عن الأبواب السلطانية، كان في قطع العادة مفتتحاً بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من هذا النمط ينسج على منواله ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي قَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال عدله مؤيداً للحكام ، ورأيه مسدداً في النقض والإبرام ، وسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لِمَا أَشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَدِينٍ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ أَقْتَضَتْ لَهُ التَّعْيِينَ .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة بالحقِّ حاكما ، وللرفق مُلازما ، وللتقوى مداوما ؛  
وهو غنى عن الإسهاب فى الوصايا ، ملىُّ بسُلوِك تقوى الله فى القضايا ؛ والله تعالى  
يزيده تأييدا ، ويضاعف له بمواد السعادة تجديدا ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ،  
حجة بمقتضاه .

### الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الديوانية)

وهى إما تصدر فى الغالب أيضا عن نائب حلب . فإن كُتب شئ منها عن  
الأبواب السلطانية ، كان فى قطع العادة مفتتحا بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، يستضاء به فيما يُكتب من هذا النوع ، كُتب بها  
بنظر جعبر ، من مُعاملة حلب ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زال مُنهل الندى ، مُستهلّ الجدى ، مُعيدا للإحسان  
كما بدا - أن يُعاد فلان إلى وظيفته : لما ألفت من سيرة له لم تزل تُحمد ، وسيما  
خير منه على مثل الشمس تشهد ، ولأمانته التى لم تزل تفتربها الثغور ، وتَحضرُ بها  
المعاهد : تارة فى طوق النحر وتارة فى نحور البحور ؛ وأصالة أمتدّ ظلها الظليل ،  
وعُرف منها فى العصر حسن الأصيل ، وأينعت أكرم فرج زكا منبته<sup>(١)</sup> فى الأرض  
المقدسة وجوار الخليل ؛ ولما أسلف فى هذه المباشرة من عمل صالح ، وسداد  
اعتماد لم يخرج عن تحرير تقرير وتقدير مصالح ؛ وكتابة رآها الرأى ونقلها الناقل ،  
وكفاية حقت عليه مثل العروس المجلوة من عقائل المعامل .

(١) فى الأصل « منبها » بالتأنيث .

فليأشِر هذه العُرُوسَ فقد أنقدها سالف الخدم وأمهرها ، وليُثَارِ سُقَيَا العُرُوسِ  
التي أنشأها في هذه الجهة وتمرها ، وليُسَلِّمْكَ مَسْلَكَه الذي لم يزل مُحِيًّا على رُؤُوسِ  
القُنَن ، ومهوِّما به طَرْفُ الأَمْنِ للبقظة الذي لا يُلِمُّ به الوَسَن ؛ مُحَوَّلًا في وظيفته  
المَبْرَات ، مُسْتَقْبَلًا لِلسَّرَات ، مُفْتَخِرًا بِمبَاشَرَاتِهِ التي تَجْرِي بِجَارِيِ البحار : تَارَةً لِلْمِلْحِ  
الأَجَاجِ وتَارَةً الْعَذَبِ الْفُرَات ؛ وهو أعرف بما يقدِّمه من أمانةٍ بها يتقدَّم ، وديانةٍ  
يُرَجَّبُ بها أَسْتِكْفَاؤُهُ وَيُحْكَمُ ؛ وتقوى الله جماعها فليكن بها مُتَمَسِّكًا ، وبمشاغلها  
مُتَنَسِّكًا ؛ والله تعالى يجعل عطاءه مُوقِّرًا ، وعمله مُتَدَفِّقًا ليرُدَّ جَعْبَرًا جَعْفَرًا .

### النيابة الثالثة

( نيابة طَرَابُلُوسَ ، ووظائفها التي جرت العادةُ بالكتابة فيها )

من الأبواب السلطانية على نوعين )

### النوع الأول

( ما هو بمحاضرة طَرَابُلُوسَ ، وهو على ثلاثة أصناف )

### الصنف الأول

( أرباب السيوف ، وهم على طبقتين )

### الطبقة الأولى

( من يكتب له تقليد )

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قَطْعِ الثُلُثَيْنِ ، ولقبه « الجتاب العالي »  
مع الدعاء بِمُضَاعَفَةِ النعمة .

(١) الذي ورد في القاموس وغيره أن النقد بمعنى الاعطاء من باب الثلاثي قلل الهز من زيادة  
الناسخ فنه .

وهذه نسخة تقليد شريف بيايتها :

الحمد لله الذى جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا نفقد مع وجوده من الأولياء أحدا ، والعز وزرا تَصْمُ شُهْبَهُ مَسَامِعِ الْعِدَا : ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ . والفتح ذخرا فحِثْ ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه بمعاونته عضدا .

نحمده على نعيمه التى جعلت مراتب دولتنا فلكا تُشْرِقُ فيه رُتَبُ الْأَوْلِيَاءِ إِشْرَاقَ الْبُذُورِ ، وَتُغَوِّرُ مَالِكًا أَفْقًا حَيْثُمَا شَامَتَهُ الْعِدَا ضَرْبَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ مِنْ سَيْفٍ مَهَابَتِنَا بُسُورِ ، وَقَوَاتِحِ الْفُتُوحِ النَّائِيَةِ دَانِيَةً مِنْ هِمَمِ أَصْفِيَانَا إِذَا يَمَّمُوا غَرَضًا طَارَتْ إِلَيْهِ سَهَامُهُمْ بِأَجْنَحَةِ النُّسُورِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَرْفَعُ الْجِهَادَ عِلْمَهَا ، وَيَنْصُرُ الْإِيمَانَ كَلِمَهَا ؛ وَيُزِجِي الْإِيقَانَ إِلَى رِيَاضِ التَّائِيدِ دِيمَهَا ، وَيَسْتَنْطِقُ التَّوْحِيدَ بِإِعْلَانِهَا وَإِعْلَانِهَا سَيْفَ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ وَقَلَمَهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ، وَنَبِيَّهُ الْمَخْصُوصُ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَرُوا اللَّهَ فَنَصَرَهُمْ ، وَأَظْهَرُوا دِينَهُ فَأَعَزَّهُمْ وَأَظْهَرَهُمْ ، وَيَسَّرُوا لِأُمَّتِهِ سَبِيلَ الْهُدَى فَهَدَاهُمْ وَلِلْسَّبِيلِ يَسَّرَهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ الْيَقِينُ يُقِيمُ دَعْوَتَهَا ، وَالتَّوْحِيدُ يُعْصِمُ مِنَ الْأَنْفِصَامِ عُرْوَتَهَا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى مَنْ تَقَرَّرَ الثُّغُورُ بِإِيَالَتِهِ ، عَنْ شَنْبِ النَّصْرِ ، وَتَرْمَى الْحَصُونُ بِكِفَالَتِهِ ، مَنْ شَامَ مِنَ الْعِدَا بَرْقَهَا بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ، وَتَقَسَّمُ السَّوَاكِلُ بِمَهَابَتِهِ ، مَنْ جَاوَرَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بَحْرَهَا بَيْنَ الْحَصَدِ وَالْحَضَرِ ؛ وَتَمْنَعُ عِزَّمَاةُ شَوَانِي الْعِدَا أَنْ تَدَبَّ عِقَارِهَا ، أَوْ تَرْكَبَ الْجَبَجَ بِغَيْرِ أَيْامِهِ مَرَاكِبُهَا ، أَوْ يَتَّقِلَ عَنْ ظَهْرِ الْبَحْرِ إِلَى غَيْرِ

(١) لعله « بغير أمانه » تأمل .

سيوفه أوقيوده مُحَارِبَهَا - من لم يزل في نُصْرَةِ الدِّينِ لَامِعًا كَالْبَرْقِ شِهَابُهُ ، زَانِحًا  
كَالْبَحْرِ عِبَابُهُ ، وَاصِبًا عَلَى الشَّرْكِ عَذَابُهُ ، ظَامِيًا إِلَى مَوَارِدِ الْوَرِيدِ سَيْفُهُ ، سَارِيًا  
إِلَى قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ قَبْلَ جُنُوفِهِمْ طَيْفُهُ ، قَائِمَةٌ مَقَامَ شُرَفِ الْحُصُونِ أَسِنَّةُ رِمَاحِهِ ،  
غَنِيَّةُ بُرُوجِ الثَّنَوِيرِ عَنْ تَصْفِيحِهَا بِالْخَلْدِ بَصْفَا صِفَاحِهِ ، مَعَ خَبْرَةٍ بِتَقْدِيمَةِ الْجِيُوشِ  
تَضَاعُفُ إِقْدَامَهَا ، وَتُثَبَّتُ فِي مَوَاطِنِ اللَّقَاءِ أَقْدَامَهَا ، وَتُسَدَّدُ إِلَى مَقَاتِلِ أَهْلِ الْكُفْرِ  
سَهَامَهَا ، وَتُقَرَّبُ عَلَيْهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَنَاجِلُهَا وَتُبْعَدُ مَرَامِيهَا عَلَى مَنْ رَامَهَا ، وَمَعْدِلَةٌ  
لِلرَّعَايَا السُّكُونُ فِي مَهَادِ أَمْنِهَا ، وَالرُّكُونُ إِلَى رَبِّهَا إِقْبَالُهَا وَوَهَادِ يُنْمَتُهَا ، فَيَسْرُبُ الرِّعَايَا  
مَصُونٌ بَعْدَلِهِ ، وَالْعَدْلُ مَكْنُونٌ بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْثُ الَّذِي يُجْحَى بِهِ غَايُهُ ، وَالنَّيِّرُ الَّذِي يُزْهِى أَفْقُهُ تَأَلَّقَ فِيهِ  
شِهَابُهُ ، وَالْهَامُّ الَّذِي تُعْدَى هِمَمُهُ فُرْسَانُ الْوَعْيِ فُتِعِدُّ أَحَادُهَا بِالْأَلُوفِ ، وَالشُّجَاعُ  
الَّذِي إِذَا اسْتَعَانَتْ سَوَاعِدُ الشُّجْعَانِ بِسُيُوفِهَا اسْتَعَانَتْ بِقُوَّةِ سَوَاعِدِهِ السُّيُوفُ -  
اقتضت آراؤنا الشريفة أن نُحْلِيَ بِهِ جِدَ مَمْلَكَةِ ائْتَنَظَمَتْ عَلَى وِشَامِ الْبَحْرِ ، وَأَحَاطَتْ  
بِمَا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ بِلَادِ الْعِدَا إِحَاطَةً الْقَلَائِدِ بِالنَّخْرِ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال ... .. أن يفوض إليه كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا أَشِيرَ  
إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ تَعَيُّنِهِ لِهَذِهِ الرِّثْيَةِ الْمَكِينَةِ ، وَتَحْلِيهِ بِمَا وَصِفَ مِنَ الْمَحَاسِنِ الَّتِي تُزْهِى  
بِهَا عَقَائِلُ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ .

فَلَيْلُ هَذِهِ النِّيَابَةِ الْجَلِيلَةِ بِعَزْمَةِ مُجَلِّدِ مَوَاقِبِهَا ، وَهِمَّةِ تَكْمُلِ مَرَاتِبِهَا ، وَمَهَابَةِ تَحُوطِ  
مَمَالِكِهَا ، وَصَرَامَةِ ثَوَمَنْ مَسَالِكِهَا ، وَمَعْدِلَةِ تَعَمُّرِ رُبُوعِهَا وَرِبَاعِهَا ، وَيَقْظَةِ تَصُونِ  
حُصُونِهَا وَقِلَاعِهَا ، وَشَجَاعَةِ تَسِيرِهَا إِلَى الْعِدَا سَرَايَا رُءُوسِهَا ، وَسَطْوَةِ تَعْدِي السُّيُوفِ  
فَلَا تَسْتَطِيعُ الْكُمَاةُ الدُّنُوَّ مِنْ قُرْبِهَا ، وَتُسْمَعُ تَرْهَبُ مُجَاوِرِيهِ حَتَّى يُنْخَلَّ الْبَحْرُ [أَنَّهُ] مِنْ  
أَعْوَانِهِ عَلَى حَرِّهَا .

وليؤتِ تَقْدِمةَ الجيوش الإسلامية حقَّها من تَدْيِيرِ يَجْمَعُ على الطاعة أمرها وأمرائها، ويرفَعُ في مراتبِ الخِدمةِ الشَّريفةِ على ما يوجب أعيانها وكُبراءَها، ويرهبُ بإدامة الاستعداد قلوبَ أعدائها، ويربطُ بأيزا كها شِوَائِي البحر حتى تَعَدَّ الرِّباطُ في ذلك من الفُروضِ التي يُتَعَبَّدُ بأدائها، فلا يَلُوحُ قَلْعُ في البحر للعِدا إلا وهو يرهبُ الوقوعَ في حَبَالِها، ولا تَلَحُظُ عَيْنٌ عَدُوًّا سَنا البر إلا وهي تُتَوَقَّعُ أن تُكْحَلَ بِنِصَابِها، وليُقِمَ مَنَارُ العَدْلِ بِنَشْرِ لَوَائِهْ ، ويعضدُ حكمَ الشَّرعِ الشَّريفِ بِرجوعه إلى أوامره وأتمائه، وليُكْفَ يَدَ الظُّلَمِ [عنها] فلا تَمْتَدَّ إِلَيْها بَنانٌ، وليشْفَعْ العَدْلُ بِالإِحْسَانِ إلى الرعية فإن الله يأمرُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ، وفي سِيرَتِهِ التي جعلته صَفْوَةَ الاختيار، وَنُحْبَةً ما أَوْصَحَّتْهُ الحَقِيقَةُ مِنَ الاختبار، ما يُغْنِي عن الوَصِيَّةِ إلا على سَبِيلِ الذِّكْرِ التي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وترْفَعُ قَدْرَ الْمُؤَقِنِينَ ، وَمِلَاكُهَا تَقْوَى الله تعالى : فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ أَعْيَانِهِ، وإمامَ إِصْدَارِهِ وإِيرَادِهِ ، والله تعالى يُدِيمُ مَوَادَّ تَأْيِيدِهِ وإِسْعَادِهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

### الطبقة الثانية

( من يُكْتَبَ له مرسومٌ شريفٌ في قَطْعِ الثُلُثِ بـ «المجلس

السَّامِي» بغيرياء ، وتشتمل على وظائف )

منها — شُدُّ الدَّوَائِنِ بِطَرَابُلسَ .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُها :

الحمدُ لله مُجَدِّدِ الرِّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا إِخْلَاصَهُ بِمَا يَجِبُ ، وَمُؤَيِّدِ الْمَنِّ لِمَنْ إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي أَمْرِ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِيهِ وَمَا يَحْتَجِّبُ ؛

وَمَوْكِدِ النَّعَمِ لَمَنْ إِذَا أَرْتَيْدَتِ الْإِكْفَاءُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَ مَنْ يُخْتَارُ وَنُحْبَةُ  
مَنْ يُنْتَخَبُ .

نَحْمَدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي سَرَتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشْتَقِلُ عَلَى الْأَضْفِيَاءِ وَافِرُ  
ظِلَالِهَا وَوَارِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلَّفُ لَهُ ،  
وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ هَدًى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ  
مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ وُلُّوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سُنَنَ سُنَّتِهِ فَمَا لَوْا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ؛ وَسَلَّمْ  
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعَزَمَةٍ بِمَصَالِحِ  
مَا يُعَدُّ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَلِيَّةٍ ؛ وَخَبْرَةٍ بِكُلِّ مَا يُرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْفُظَةُ  
تَلَحُّظُ فِي كُلِّ مَا قَرُبَ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ؛ وَصَرَامَةِ  
تَوَيْسٍ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَنَزَاهَةِ تَوْمَنٍ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنْ سُلُوكِ  
وَاجِبِهِ ؛ وَمَعْرِفَةِ مُطْلِعِهِ ، وَنَهْضِهِ بِكُلِّ مَا إِنْ حُمِّلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ الْمُهُمَّاتِ الشَّرِيفَةِ  
مَضْطَلِعَهُ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ  
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،  
وَذَخَائِرُ النُّغُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعُ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى  
فِي الْأَحْدَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْحَاجِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي سَمَّتْ بِهِ هِمَّمُهُ ، وَرَسَّخَتْ فِي خِدَمِ الدَّوْلَةِ  
الْقَاهِرَةِ قَدَمُهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الْمُهُمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ؛  
وَكَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الطَّرَابُلُسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مَمَالِكِهَا تُبْعَثُ ، وَأَيْمُنُهَا بُقْعَةٌ ؛ وَأَغْمَرَهَا بِلَادًا ،



وأخصبها رباً وهداداً، وأكثرها حصونا شواهِق، وقلاماً سوامي سوامق، وثغورا لا تسمي ما أفتّر من ثغورها البروق الخوافق، ولها الخواص الكثره، والجهات الغزيرة، والأموال الوافرة، والغلات المتكاثفة المتكاثرة - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نرتاد لها من يسد خلل عطيلها، ويسد عضد ميدها وميلها، وينهض من مصالحها بما يراد من مثله، ويعيد لها بحسن المباشرة بهجة من فقدته من الأكفاء من قبله .

فلذلك رسم ... .. أن يفوض إليه شدّ الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليباشر ذلك بمعرفة تستخرج الأموال من معادنها، وتشتير كوامن المصالح من مكائنها، وتثمر أموال كل معاملة بحسن الاطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء إليها، وتفقد أحوال مباشريها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها، وضبط ارتفاعها بعمل تقديره، وحفظ متحصّل ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره، وليجتهّد في عمارة السداد بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، والعنل الذي ما اتّصف به ملك إلا صانه، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى في مقاصده وأعانه، وليقدّم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شدّ مراكر البريد ونحوها .

## الصنف الثاني

( من الوظائف بطرأئلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين )

### المرتبة الأولى

( من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف )

منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُنسج على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعزَّ الدينَ بعلمائِهِ ، وعصَّدَ الحكمَ بالمتقين من أوليائِهِ ؛ وأوضح  
الرشدَ للمتقين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سماءِهِ ، وجعل لكل من الأئمة من  
مطالع الظهور أفقاً يهتدي فيه بأنواره ويُقتدى بأنوائِهِ .

نحمده على أن جعل سَهْمَ اجتهادنا في الارتداد للأحكام مُصيباً ، وقَسَمَ لكل من  
أُفقي ممالكنا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيباً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتفصم العرا من جاهر فيها  
بعناده ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت أنوار ملته ، فاستشرف العلماء  
لوامعها ، ووصحت آثار سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنته فأصابوا ؛ صلاة لا تزال  
الألسن تقيمها ، والإخلاص يُديمها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما أَدَّى فيه الاجتهادُ جهده ، وبلغ فيه الارتدادُ حدّه ؛ واستُضيء  
فيه بنور التوفيق ، وأستُصحب فيه من استخارة الله خير رفيق - أمرُ الحكم العزيز

وَتَقْوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى جَمَالَ عِلْمِهِ ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ ؛ وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِمَا عَلَى يَبْنَةِ مَنْ رَبَّهُ ؛ فَأَجْرَى الْحَقَّ فِي الْبَحْثِ وَالْفَتْيَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ ، وَزَوَّجَهُ عَنِ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لَغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَبَّهَهُ عَلَى ابْتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وَلَمَّا خَلَا مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقُضَاةِ بِطَرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يُضَيُّ بِالْأَيُّمَةِ الْأَعْلَامِ أَفْقُهُ ، وَتَلْتَقَى بِالْفُضَّلَاءِ الْكِرَامِ طُرُقُهُ ؛ وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِجَالِسِهِ ، وَتَزُكُو بِالْفَوَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ مَغَارِسِهِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَائِصِ فَضْلِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْاجْتِهَادَ لِلْأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى إِسْنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَأَنَّهُ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَعَلَّامَةُ أَوَانِهِ ؛ وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَقَامِعُ الْبِدْعِ عَلَى افْتِرَاقِ شُبُهَاهَا مِنْهُ وَأُتْلَافِهَا ؛ وَحَاوِيُ الْفُرُوعِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَالْمُرَبِّي عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْلَفُ سِوَاهَا - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ بِهَذَا الرَّأْيِ [ السَّيِّدِ ] ، وَأَنْ تَقَرَّبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرِّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ كَالْبَدْرِ ، يَمْلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَبِرُّهُ كَالْبَحْرِ ، يَقْدِيفُ الْقَرِيبَ الْجَوَاهِرَ وَيُبْعَثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلِيَطْلُعَ بِذَلِكَ الْأَفَقِ الَّذِي يَتَرَقَّبُ طُلُوعَهُ رَقَبَةُ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْرِغَ إِلَى تِلْكَ الرِّتَبَةِ الَّتِي تَكَادُ تَسْتَطْلِعُ أَنْبَاءَهُ مِنَ الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ ؛ وَيُنْشُرُ بِهَا فَرَائِدَهُ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، وَيَقْدُمُ بها على الأسماع الظَّامِيَة لَعَذْبِ فَوَائِدِهِ قُدُومَ الْغَامِ  
على الرُّوضِ السَّاحِلِ ؛ وَيَلِ هذا الْمَنْصِبَ الَّذِي هُوَ فِيهِ بَيْنَ عَدْلٍ يَنْشُرُهُ ، وَحَقٍّ  
يُظْهِرُهُ ، وَبَاطِلٍ يُوْهِقُهُ ، وَغَالِبٍ يُرْهِقُهُ ، وَمَظْلُومٍ يُنْصُرُهُ .

وَلِيَكُنْ أَمْرُ أَمْوَالِ الْإِيْتَامِ الْمُهِمِّ الْمَقْدَمِ لَدَيْهِ ، وَحَدِيثُ أَوْقَافِ الْبِرِّ مِنْ أَوَّلٍ وَأَوَّلَى  
مَا يَصْرِفُ فِكْرَهُ الْجَمِيلَ إِلَيْهِ ؛ وَيَتَعَاهَدُ كَشْفَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَكْتَفِي فِي عَلَيْهِ  
فِعْلِ الْيَوْمِ بِاطْلَاعِهِ عَلَيْهِ بِأَمْرِهِ فِي أَمْسِهِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ بِذَلِكَ مُشَارِكًا  
لِلْوَاقِفِينَ فِي الْأَجْرِ الْمُخْتَصِّ بِهِمْ وَالشُّكْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِمْ ، خَارِجًا مِنَ الْعُهُدَةِ فِي أَمْرِ  
الْيَتَامَى بِاسْتِعْمَالِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَلِيُقِمَّ  
مَنَارُ الْحَقِّ عَلَى مَا يَجِبُ وَإِنْ سَرَّ قَوْمًا وَسَاءَ قَوْمًا ، وَيُقَمَّ بِالْعَدْلِ عَلَى مَا شَرَعَ : فَإِنَّ  
« عَدْلَ يَوْمٍ خَيْرٌ لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » .

وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْحُكْمِ وَعَوَائِدِهِ ، وَآدَابِ الْقَضَاءِ وَقَوَائِدِهِ ، فَكُلُّ  
ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ يُسْتَفَادُ ، وَمِنْ مَعَارِفِهِ يُسْتَرَادُ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ تَقْوَى اللَّهِ  
وَهِيَ مِنْ أَطْهَرِ حِلَالِ الْحَسَنَةِ ، وَأَشْرَفِ صِفَاتِهِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهَا الْأَلْسَنَةُ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا  
وَسِيلَةً تَسْدِيدِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَذَخِيرَةً آخِرَتِهِ الَّتِي لَيْسَ لَهُ فِي غَيْرِهَا أَمَلٌ ، وَيَقْلُدْ  
الْعُلَى فِيهَا حَدَّثَتْهُ مِنْ أَسْبَابِ نُقْلَتِهِ فَإِنَّ كَمَالَ الْعِزِّ فِي الثَّقَلِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْدَهُ بِمَوَادِّ  
تَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ، إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وَعَلَى ذَلِكَ تَكْتُبُ تَوَاقِعَ الْقُضَاةِ الثَّلَاثَةِ الْبَاقِينَ .

ومنها - وكالة بَيْتِ الْمَالِ .



وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى عمر بيت مال المسلمين بسداد وِكاه ، ونمو تحصيله ومزيد تمويله ، وتمسكه بالصدق من قبله ، وسلوكه ماتين [من] سبيله ، واعتماده الحق فى دليله ؛ ودفعه المضار وجلبه المسار بتخويله .

نحمده على بره وتفضيله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن نده ومثيله ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لتسام هذا الدين وتكميله ؛ وأنزل عليه المعجزات فى تنزيله ، وحفظ به الذكر الحكيم من تبديله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وقبيله ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام ، وذخر الأمان ، وفيه محصول المسلمين تحت نظر الإمام ، وفيه مادة المجاهدين فى سبيل الله على تطاول الأيام ؛ وإليه تُجنى القناطير المُنظرة من الأموال ، وعنه تصدر المبيعات من الأملاك ما بين أراض وأبنية ومحال . والوكيل على ذلك عنا بالملكة الطرابلسية المحروسة هو الذاب عن حوزته ، القائم بتأمين روعته ، المجتهد فى تمييز رجعته ؛ وينبغى أن يكون من العلماء الأعلام الأئمة ، المعول عليهم فى الأمور المهمة ، البصير بما يترجح به جانب بيت المال المعمور ويكشف كل غممه ، العريق فى السيادة التى أتقادت إليها السجايا الجميلة بالأزمنة .

ولما كان فلان هو الرأقى هَضْبَة [ هذه ] المائر ، الطالع كوكب مجده السافر ، المستحق لكل ارتقاء على المنابر ، ويُعد سلفاً كريماً نصيراً فى المفاخر ، ويمت بيت

بحره زاهر؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحث فاق به الأنشباة  
والنظائر، وعنده علم بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم ..... .

فليأشُر هذه الوظيفة مُحْتَزًّا في كُلِّ مَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ، وَيَقْصِدُهُ وَيُحَرِّرُهُ، وَيُورِدُهُ  
وَيُصْدِرُهُ، وَيَبِينُهُ وَيَقْدَرُهُ، وَيُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ، وَيُنْذِرُهُ وَيَسْتُرُهُ، وَيَذِنُهُ وَيُحْضِرُهُ،  
وَيَقَرِّرُ جَانِبَ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ، بِمَا فِيهِ الْحِطُّ الْمَوْفُورُ؛ وَالنَّبْطَةُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ،  
وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا فِيهِ صِلَاحُ الْجُمْهُورِ؛ وَمَنْ رَغِبَ فِي آتِبَاعِ أَرْضِ وَقَرَّاحٍ، وَأَيْنَةِ  
وَأَمْسَاكٍ وَرِحَابِ فِسَاحٍ؛ مِمَّا هُوَ جَارٍ فِي مَلِكٍ بَيْتِ الْمَالِ فَلْيُوقِرْ جَانِبَ الْقِيَمَةِ  
عَلَى مَا فِيهِ الصَّلَاحُ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ بَيْتِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَهُوَ يُقَوِّ  
بِإِسْنَادِهِ الْأَحَادِيثَ الصَّحَاحَ؛ وَمَنْ لَهُ حَقٌّ فِي بَيْتِ الْمَالِ فَلْيَسْمَعْ دَعْوَى مُدْعِيهِ،  
وَلَا يَصْرِفْ دِرْهَمًا وَلَا شَيْئًا إِلَّا بِحَقٍّ وَاضِحٍ فِيمَا يَثْبِتُهُ فِيهِ، وَهُوَ وَكِيلٌ مَأْمُونٌ فِي تَأْتِيهِ،  
وَمَعْنَى الْوَكِيلِ الَّذِي يُوَكَّلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ الَّذِي يَلِيهِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَجْلُهَا تَقْوَى اللَّهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا مِنْ  
إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ يَفُوزُ بِالْإِحْسَانِ؛ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْوَصَايَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ، وَاللَّهُ  
يَجْعَلُهُ فِي كَلَاءَةِ الرَّحْمَنِ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ! . وَالْحِطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ... ، إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وَقَدْ يُكْتَبُ لَوْ كَالَتِ بَيْتَ الْمَالِ وَنَحَوَهَا بِالْاِفْتِسَاحِ بِ«أَمَّا بَعْدُ» عَلَى  
قَاعِدَةِ أَصْلِ الْكِتَابَةِ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ . وَالكَاتِبُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَرَاهُ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ  
الْحَالُ .

## المرتبة الثانية

( من توقع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له  
في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «رسم» )

وهذه نسخة توقع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله  
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال رميم الفضل بأرواح عنايته يحيا ، وأحاديث منته  
الحسان تعيها أذن وأعية من طيب السماع لا تعيا ، ولا برحت أولياء خدمه تُدنى  
على صدقاته بالنسبة الأقالام ، وتدير على الأسماع من رحيقها كُثوساً مسكية  
الختام - أن يستقر في كذا استقراً ترشيف الأسماع ، كُثوس روايتها فلا تروى ،  
ورتب كماله يقصر عن طلوعها كل باع ، فُناواته لا تنوى ، ورُبوع معروفه لا تبيد ،  
وآيات صلاته ينطق بتلاوتها كل بليغ فيبدى ويُعيد ، لأنه العالم الذي أحيا من  
مدارس العلوم مدارس ، والفاضل الذي أضاء ببصر علومه ليل الجهل ولا غرو :  
« فطرة الصبح تمحي آية الغلس » ، والكامل الذي لا يشوب كماله نقيصه ، والأمثل  
الذي أثنى الممالى رخصه ، والإمام الذي تأتم وراءه الأفاضل ، وتأخر عصره ففاق  
الاولئ ، مدارس إلا وجمع من فوائد « أبي حنيفة » و « ابن إدريس » ، ولا عرس  
بأبل الطلب إلا حمد عند إدراك طلبه ذلك التعريس ، ولا أناد الدروس للطلبة  
إلا وترشحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصله العلماء إلا وأتى بالجمع الذي لا نظير له  
في الفرائد .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً أنوارَ هداها لا تَحْمَدُ<sup>(١)</sup> ، وليُلازِمِها ملازمةً تشكره عليها الألسنة وتَحْمَدُ ؛ وأنت - أدام الله تعالى فوائده - لا تحتاج إلى الوصايا إذ أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسكٌ وبالقيام بها يَقِطُّ غيرُ نائمٍ ؛ لكن التقوى [ أولى ] بمن عرف الأمور ، وليأسُ سوايَها يُعِدُّ كلَّ محذورٍ ؛ والاعتماد على الخطِّ الشريف أعلاه .

### الصنف الثالث

( من الوظائف بطرابطُلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -  
الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين )

#### المرتبة الأولى

( ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ،  
وتشتمل على وظائف )

منها - كتابة السرِّ ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب ديوان المكاتبات» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرارَ عند الأحرار ، وطوى الصُّحفَ على حَسَنَاتِ الأبرار ، وأجرى الأقلامَ ترجماناً للأفكار ، وجعل الحَفَظَةَ يكتبون الأعمالَ مع تطاولِ الأعمار ، آناءَ الليلِ وأطرافِ النهار ، وبسطَ المعاني أرواحاً ، والألفاظَ لها أشباحاً ، مع التَّكرار ، وأبَّهج الصدورَ بصدورِ الكتبِ والإيرادِ والإصدار .

(١) في القاموس نحدت النار كنصرو سمع .



نحمده على فضله المندار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
إقرار ، وعمل بالجوارح بلا إنكار ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى  
من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، الثاوي بأشرف بقعة تزار ،  
المشرف ككتاب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقي على قلبه  
الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسبب الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
ما نفع روض معطار ، وسخ صوب أقطار ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والاحتفال بكتبه الشريفة  
ولفظها ودره ، وخطابها ونثره ، وخطها ونشره ، وختمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمان  
الثقات الذين تؤمن غائلة أحدهم في كل أمره ، وما ألقى السر الشريف إلا لأئمة  
الأعيان ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحبان ، وفصبح كقس في هذا الزمان ، وأصيل  
في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وقاضل يعنوله فاضل بلسان ، وينشئ  
لفظه الدر والمرجان ، وكتب السر فلا يفوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ  
السر في السويداء من قلبه ، وناظم الدر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا  
الشريفة من عبارته ألقاظا عذبا ، القائل صوابا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهما  
شريفًا راعاه بعينه عودا وذهابا ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء  
أحبابا ، وإذا أردد وأبرق على مازق أغنى عن الجيوش وأبدى عجبًا عجبا ، وإذا  
كتب أنبت في القرطاس رياضًا خصابا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف  
حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية ، وليعرب عن أصول ثابته ،

وفُروِج في منابت الخير نَاتَتْه ؛ ولينفَذِ المهماتِ الشَّريفةَ أَوَّلًا فأولًا من غير أن يَعْدِقَ مُهِمًّا بغيره أَوْ يَسِيَّتَهُ إِلَى غَدِهِ ، وَلِيَحَرِّرَ الْبَرِيدَ الْمَنْصُورَ بِيَدِهِ غير معتمد فيه على غير رَشِيدِهِ ، وَلَا يَغْبُ عن وظيفته طَرْفَةَ عَيْنٍ بل يَكُونُ كَالنَّجْمِ فِي رَصَدِهِ لِمُرَاصِيدِهِ ؛ وَلِيُوصِلَ كُتَابَ الْإِنْشَاءِ لَدَيْهِ ، وَالْمَتَصَرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، بِكُتْمِ السَّرِّ فَإِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا أَفْشَى أَحَدٌ مِنَ السَّرِّ كَلِمَةً ، فَلْيُزَجِرْهُ وَلْيَأْمُرْهُ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ ، وَلْيُعْطِ كُلَّ قَضِيَّةٍ مَا تَسْتَحِقُّهَا مِنْ تَفْهِيدِ كَلِمَةٍ ؛ وَالْإِبْتِدَاءَاتُ وَالْأَجُوبَةُ فَلْتَكُنْ ثَعُورُهَا بِالْفَاظَةِ مَتَشَبِّهَةً وَعُقُودُهَا بِإِمْلَانِهِ مُنْتَظِمَةً ؛ فَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَهُوَ عَلَى اقْتِرَاحِهِ ، وَأَمَّا الْجَوَابُ فَهُوَ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْكُتَابُ الْوَاردُ بِاصْطِلَاحِهِ ، وَلَا يَمْلِي إِلَّا إِلَى ثِقَاتِهِ وَنُصَاحِهِ ؛ وَالْكِتَابُ الْمُلُوكِيَةُ فَلْيَوْفُها مَقَاصِدَها ، وَلْيَرِاجِعْ عَوَائِدَها ؛ وَالتَّقْوَى فَهِيَ الْهَلَامُ [مِنْ] أَمْرِهِ ، وَخِتَامُ عِطْرِهِ ، وَتِمَامُ بَذَرِهِ ؛ وَالْوَصَايَا فَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِ وَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْمُلُ بِهِ أَوْقَاتَ عَصْرِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ... .. .

ومنها - نظر الملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفِيضِ حَلِّ لِنِعَامِنَا عَلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ، وَمَوْلَى فَضْلِ آلَيْنَا الْعَمِيمَةِ عَلَى مَنْ أَرْهَفَ فِي مَصَالِحِهَا آلَةَ عَزْمِهِ وَبَنَانَهُ ؛ وَمُحَلِّي رُتَبِ عَلَيْنَا الشَّرِيفَةِ بَيْنَ أَشْرَقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالَى بَذَرِهِ وَإِنْسَانَهُ ، وَأَيْنَعَتْ فِي غُصُونِ الْأَمَانِ قُطُوفُهُ وَأَفْنَانَهُ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْلُغُ [بِهِ] أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ مَنْ تَبَسَّمَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ الثُّغُورَ ، وَتَعَتَّصَمُ بِجَمِيدِ خَبَرِهِ وَخَبَرَتِهِ الْأُمُورَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُشْرِقُ بِهَا

البُذور، ويُعتمدُ عليها في الأيام والُدهور؛ ونشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله  
المهادى إلى الحقِّ وإلى طريق مُستقيم، والنَّاشِرُ لواءِ العَدلِ بسنِّهِ الواضِحِ وشرِّهِ  
القويمِ؛ وعلى آله وصحبه الذين آهتدي بهديهم ذُوءُ البصائر والأبصار، وأرتدى  
بأرديتهم المُعلِّمةِ مقتضى الآثار من النَّظَر؛ وسَلِّمَ تسليماً .

وبعد، فإنَّ أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رُتَبَةَ عزٍّ ما زالت بُنُو الآمالِ عليها  
تَحُومُ، وعدَقنا بتدبيره الجميل مَنْصِبَ سيادة ما برحتُ الأمانيُّ له تروم؛ واعتَمَدنا  
على هِمَمِهِ العَلِيَّةِ فَصَدَّقَ الخُبْرُ الخُبْرَ، وَرَكَّأَ إلى حِمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ له وأدَّى  
النَّظَرُ .

ولما كان فلانٌ هو الذى رَقِيَ في ذِرْوَةِ هَذِهِ المَعَالَى، وانتَظَمَ به عِقْدُ هَذِهِ اللَّالَى،  
وَحَوَى بِفَضِيلَةِ البَيَانِ واللِّسَانِ ما لم تدركه المُرْهَفَاتُ والعَوَالَى؛ فما حَلَّ ذِرْوَةَ عِزٍّ  
إِلَّا حَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الجَمِيلِ، ولا رَقِيَ رُتَبَةَ سِيَادَةِ إِلَّا وَأَسْفَرَ في ذِرْوَتِهَا وَجْهَ صُبْحِهِ  
الْجَمِيلِ، ولا عَدَقَ بِنَظَرِهِ كِفَالَةَ رُتَبَةَ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرَ كَفِيلِ .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشَّرِيفِ - لا زال يَنْتَصِي للرتبِ العَلِيَّةِ خَيْرَ مُنْجِدٍ وَمُعِيرٍ،  
وَيَحْتَارُ لِلنَّاصِبِ السَّنِيَّةِ نِعَمَ المَوْلِ ونِعَمَ النِّصِيرِ - أَنْ يَقَوِّضَ إِلَيْهِ كَذَا فَإِنَّهُ القَوِيُّ  
الْأَمِينُ، والمُتَمَسِّكُ من تَقْوَى الله تَعَالَى وَكِفَايَتِهِ بِالسَّبَبِ المَتِينِ، والمُسْتَنْدُ بِجَمِيلِ  
كَفَالَتِهِ وَحِمِيدِ دِيَانَتِهِ إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ، والمُسْتَدْرِ بِأَصَالَتِهِ الطَّاهِرَةِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى  
الْحَنَّةِ الوَاقِيَةِ والحَرَمِ الأَمِينِ .

فليَقْدَمْ خَيْرَةَ الله تَعَالَى وَيُباشِرْ الجِهَةَ المَذْكُورَةَ بِعِزِّمْ لا يَنْبُو، وَهِمَّةٍ لا تَحْبُو، وَتَدْيِيرٍ  
يَتَضَاعَفُ عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ وَيَرْبُو؛ وَنَظَرٍ لا يَعُزُّبُ عَنْ مَبَاشِرَتِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهَى  
مِنْ خَاطِرِهِ فِي قَرَارِ مَكِينٍ، وَضَبْطٍ لا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُ مُلْتَمِسٍ إِلَّا وَيَجِدُ مِنْ مُرْهَفِهِ

مَا يَكْفُ كَفَّهَا بِالْحَدِّ الْمَتِينِ . وَلِيُضَاعِفَ هِمَّتَهُ ، فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا  
بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ ، وَلِيُوقِّرَ عِزَّمَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْوَصَايَا  
كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا ، وَالتَّنْبِيهَاتُ وَاضِحَةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ  
يُرْسَدَ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ يُوقِّفُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصْلِحُ بِجَمِيلِ تَدْيِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْمِيلِهِ كُلَّ  
خَلَلٍ ، وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجَيْشِ بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه « شَمْسُ الدِّينِ » وهى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَأَتَمَّ غُرُوسَ أُولَى الصَّدَارَةِ  
بِعِهَادِ سُحُبِ عَوَارِفِهِ الْعَزِيزَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِخْتِيَارُ  
عَلَى بَصِيرَةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلُّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلَّفُ لَدَيْهِ ، وَتُسَلِّفُ مَا يَجِدُهُ الْمُتَمَسِّكُ  
بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَمِ  
كَافَّةً ، وَأَكْرَمُ مَنْ غَدَتْ أَمْلَاكُ النَّصْرَبَايَةِ حَافَّةً ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرَفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْجَنَانِ بِغُرْفٍ مِنْ  
فَوْقِهَا غُرْفٌ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا عِدَقَ بِالْإِكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِنَاءِ ،  
وَأَجْدَرُ مَا أَوْقِظَ لَهُ طَرَفُ كَافٍ لَا يُلِمُّ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجَيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُلُسَ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحها إلا من عُرِف بالسداد في قلبه وكمه ، وألف منه حُسن التصرف فيما يُبديه من نزاهته ويظهره من هممه ؛ بخبرة مؤكّده ، وآراء مسدّده ؛ ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها ، وقواعد مقدماتها وأبطالها ، وكفاية تفتح رحاب حالمها .

ولما كان فلان هو الصدر الملىّ بوافي الضبط ووافر الأهتمام ، والكافي الذي نطقت بكفائته ألسنة الخرصان وأفواه الأقلام ، والضابط الذي لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم للراتب ، كافياً مشكوراً ، ويرثع للناصب ، صدرًا أضحى بالأمانة مشهوراً - أن يفوض إليه كذا : لأنه الصدر الذي تراحمت ألسنة الثناء عليه ، وترادفت بين أيدينا محامدُه فقرّنا العوارف لديه ؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره ، ودكرت لدينا بالخير سيرته وسرائره .

فليباشر هذه الوظيفة الجليلة متحلّيًا بين الأنام بعقودها ، مُطلعا شمس نزاهته في فلك سُمودها ؛ ناهضا بأعباء منصبه السعيد ، ضابطا قواعده بكل تحرير تليد ؛ متقنا ديوان الجيوش المنصورة ، مُعملا في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة ؛ مُحَرِّرا أوراق العدة والعُدّة ، باذلا في ضبط الحلّي أهتمامه وجهده ؛ والله تعالى يُسعدُ جدّه ، ويُجددُ سعده ؛ والخط الشريف أعلاه ... .. إن شاء الله تعالى .

قلت : ورُبّما كُتب مفتتحا في هذه الرتبة بـ «أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثلث .

## المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - مَنْ يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ  
العادة بـ «مجلس القاضى» )

وهو قليل الوقوع . والغالب فى ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .  
وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بكتابة الدّست بطرابلس ، يقاس عليه ما عده  
من ذلك ، وهى :

رُسم بالأمر الشّريف - لا زال أمره الشّريف ، يزيد من يصطفيه شرفاً ، ويره  
المُنيّف ، يُفيد من يَحْتَيِيهِ تُحفاً ، وخيره المُطيف ، يُجيد لمن يختاره جوداً ، ويسرّ قلب  
مَنْ رفعه إلى صدر الدّست صُعوداً ، فيسوّئه من جنّات العلياء عُرفاً - أن يستقرّ  
فى كذا : استقراراً تُجتنى منه ثمار الخيرات ، وتُجلى عليه عروس المسرات ؛ لآله  
الرئيس الذى تفتح هذه الوظيفة بانتسابها إليه ، وتُجمل حلّها وألويتها إذا نُشرت  
عليه ؛ والقاضى الذى ألقى إليه البلاغة زمامها ، والكاظم الذى ملك بيانها ونظامها ؛  
والأديب الذى لا يُدرّك فى الآداب ، واللّبيب الذى يقصر عنه طولُ عامّة الطّلاب ؛  
كَمْ لَهُ مِنْ كِتابَةٍ حَسَنَةِ الاتّساق ، وبلاغة حصل على فضلها الاتّفاق ، وديانة أطلق  
فيها لسانه ويده فشكرها الناس على الإطلاق ؛ فهو مُستند الرأسه ، وأبن من حاز  
كلّ نخار ورأسه ؛ والعلم المشهور علمه ، وصاحب القلم المشكور رقمه ؛ فالمناصب  
بارتفاعه إليها مُفخرة ، والمراتب بعلاؤه مُستبشرة ؛ والأسماع بفضائله مُشغفة ،  
والأنبياء بكلمه مُشرفة .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلّك فيها طريق نفسه العفيفة ؛ وليدبّج القصص  
بأقلامه ، وليبجج التّواقيع بما يُوقّع مُبرمّ فصيح كلامه ؛ وليزيّن الطّروس ، بكتابه ،

وَلْيُنْعِشِ النَّفْسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ، وَلْيَجْمَلْ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالَعُ شَرْفِهِ  
مُنِيرِهِ ، وَتُحْسِي بِهِ عَيْنُ حُبِّهِ قَرِيرَهُ ، وَالْوَصَايَا فَهُوَ خَطِيبُ مَنَبَرِهَا ، وَلَيِّبُ مَوْرِدِهَا  
وَمَصْدَرِهَا ، وَالتَّقْوَى فُلْيَا لَزِمَ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلْيَدَاوِمْ بِهَا عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ أَوْطَارَهُ ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى يَجْعَلُ سُعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي آزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنَّةٍ  
وَكَرَمِهِ ! . وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## النوع الثاني

( من الوظائف بطرأ بلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،  
وهم على ثلاثة أصناف أيضا )

## الصنف الأول

( أرباب السيوف )

وقد تقدّم أنّه ليس بها مقدّم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنبايات  
بمعاملتها على طبقتين :

## الطبقة الأولى

( الطَّبَنَخَانَاهُ )

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِيَّ» بِالْيَاءِ ، مَفْتُوحَةً بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بِنْيَابَةِ قَلْعَةٍ ، تَصْلَحُ لِنَائِبِ اللَّادِيقَةِ ،  
يُنْسَجُ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى جعل الحصون الإسلامية فى أيماننا الزاهرة ، مصفحةً بالصفاح ،  
والثغور المصونة فى دولتنا القاهرة ، مشرفةً بأسنة الرماح ، والمعقل المحروسة مخصصةً  
من أوليائنا بمن يعدُّ بأسه لها أوقى الجُنن وذبه عنها أقوى السَّلاح .

نحمده على نعمه التى عوارفها غميمة ، وطوارفها كالتالدة للزَّيد مُستديمة ؛ ونشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضمائر قبل الألسنة بإخلاصها ،  
وتُشرق القلوبُ بعموم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى  
أشرق بنور ملته الظلم ، وأرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه الذين أمتطوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب الهمم ، صلاةً ساريةً  
كالرياح هاميةً كالديم ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى ما عُقد عليه فى صيانة الحصون الخناصر ، وأُعتمد على مثله  
فى كفاية المعاقل إذا لم يكن غير تأييد الله وحدَّ السَّيفِ ناصر - من هو فى حفظ  
ما يليه كالصدور التى تصون الأسرار ، والكائم التى تحوط الثَّمار ، مع اليقظة التى تدود  
الطَّيف أن يلمَّ بجُحاة حماه ، والفطنة التى تصدُّ الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه  
وحواه ، والأمانة التى ينوى فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا  
الشريفة ولكلِّ أمرئ ما نواه .

ولما كان فلانٌ هو السيف الذى تروق تجرِبته ويروع تجريدُه ، وإذا ورد  
فى الوغى منهل حرب فشرعه من كلِّ كَيٍّْ ورِيْدُه - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تُرهف  
حدّه بحفظ أسنى الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعاقل رفعةً وعِزَّةً وصيانةً .

فُرم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقلعة كذا .



فليباشر هذه النيابة السامي قدرها ، الكامل في أفق الرتب بذرها ، مباشرة تصد  
الأفكار ، عن توهمها ، والأبصار ، عن توشمها ، والحواطر ، عن تحيل مغناها ،  
والسرائر ، عن تمثّل صورتها ومعناها .

وليكن لمصالحها متممها ، ولنجوى رجالها متصفّحها ، ولأعداء حمايتها مزيحها ،  
وللحواطر من أسباب كفايتها مزيحها ، ولمواطنها عامرها ، وبما قلّ وجلّ من  
مصالحها أمرا ، ولوظائفها مقيمها ، ولتنظر في الكبير والصغير من أمورها مديها ،  
ولخدمتها مضاعفها ، ولكل ما يتعين الاحتفال به من مهمّاتها واقفا ، وملاك الوصايا  
تقوى الله : وهى أوّل ما يقدمه بين يديه ، وأوّل ما ينبغي أن يصرّف نظره إليه ،  
فليجعل ذلك خلق نفسه ، ومزيّة يومه على أمسه ، والخير يكون . والخط الشريف  
أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

## الطبقة الثانية

### ( العشرات )

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية فنى قطع الثلث بـ «السامى» بغير  
ياء ، مفتوحة بـ «أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفدّها ، ووجب شكرها وحمدها ، وعذب لذوى  
الآمال ورُدّها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى رفع به لقريش مجدها ،  
فعلا جدّها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يَحْصَى عددها ولا يحصرُ حدّها - فإنه لما كان  
فلان من قدّمت تقادّم خدمه ، وتعالى به إلى العلياء سامى هممه ، وترفع به حسنُ

ولايته حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من عالمه ؛ وأستكفته لمصون الحصون ، وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأصحت نضرة الغصون ؛ وكانت قلعة فلانة هى القلعة التى شمخت بأنفها على القلاع علوا ، وسامت الجوزاء سموا ؛ فوجب أن لا يستحفظ عليها وفيها ، إلا من عرف بحسن المحافظة وتوفيقها ؛ وكان المشار إليه هو عين هذه الأوصاف ، والوارد من حسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى حسن الرأي الشريف أن نتوه بذكره ، ونرفع من قدره .

ولذلك رسم ... - لا زال ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة ، وأن تكون بأوانس صفاته مأثوسه .

فليكن فيما استحفظ كفوا ، وليورد الرعية من حسن السيرة صفوا ، وإذا تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفوا . وعليه بالعدل ، فإنه زمام الفصل ؛ والقلعة ورجالها ، وذخايرها وأموالها ، فليمنع النظر فى ذلك بكرة وأصيلا ، وإجمالا وتفصيلا ، وتخصيلا وتخصيلا . وعليه بالتسك بالشريعة المطهرة ، وأحكامها المحررة ؛ وليردع أهل الفساد ، ويقابل من ظهر منه العناد ، بما يؤمن المناهج ، ويحدد المباحج ؛ والوصايا كثيرة ، فليكن مما ذكر على بصيره ؛ أعانه الله على ما أولاه ، ورعاه فيما استرعاه ؛ وانخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثانى

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - الوظائف الدينية ،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابلس . فإن كتب شئ منها عن الأبواب

السلطانية ، كان فى قطع العادة «مجلس القاضى» مفتحا بـ«رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهى :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لا زال كَرِيمُ نَظَرِهِ يَسْتَنِيْبُ عَنْهُ بِمُصَالِحِ بَيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَزْدَادُ بِنَظَرِهِ شَرَفًا وَزَيْنًا ، وَيَعِيْنُ لَهَا مِنَ الْأَعْيَانِ مَنْ تُسَرُّ بِهِ خَاطِرًا وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنًا ، وَيَمْنَحُهَا مَنْ إِذَا بَارَاهُ مُبَارٍ وَجِدَ بَيْنَهُمَا بَوْنًا وَبَيْنًا ، وَيَقْتَرِ لَهَا كُلَّ كَافٍ إِذَا فَاهَ رَأْيٌ بِوَضْفِ آرَائِهِ الْمَمُوحَةِ عَيْنَ صَوَابِهَا وَلَا يَجِدُ عَلَيْهَا عَيْنًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ بِالنَّظَرِ عَلَى كَذَا : أَسْتَقْرَارًا يَرَى الْوَقْفُ بِنَظَرِهِ عَلَى رَبْعِهِ طِلَاوَهُ ، وَيَجِدُ بِمُبَاشَرَتِهِ فِي صَحْنِهِ حَلَاوَهُ ، وَيُعْرِبُ عَنْ أَسْتِمْرَارِهِ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَيَجِدُ مِنْ نَيْلِ رَيْعِهِ أَكْمَلَ وَفَاءً ؛ لِأَنَّهُ النَّاطِرُ الَّذِي لَا يَمْلَأُ إِنْسَانُهُ ، مِنْ حُسْنِ النَّظَرِ ، وَلَا يَكِلُّ لِسَانُهُ ، عَنْ الْأَمْرِ بِالْمُصَالِحِ وَلِنَظْمِهِ عَنْ إِقْلَاءِ الدَّرَرِ ، وَالتَّشْرِيفِ الَّذِي وَجَدَتْ نَحَائِلُ شَرَفِهِ مِنْ فَضْلِ خِلَالِهِ ، وَالْجَوَادُ الْحَائِزُ بِجُودِهِ قَصَبَ السَّبْقِ عَلَى أَمْثَالِهِ ؛ وَالْكَامِلُ الَّذِي لَا تُوجَدُ فِي صِفَاتِهِ نَقِصَةٌ ، وَالْفَاضِلُ الَّذِي أَنْتَهُ الْفَضَائِلُ عَلَى رَغْمِهَا رَخِصَةٌ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذَا النَّظَرَ مُبَاشَرَةً مَا تَكْجَلُ نَاطِرُهُ فِيهَا بِالْوَسْنِ ، وَلْيُقَابِلْهَا مِنْ جَمِيلِ سُلُوكِهِ بِكُلِّ وَجْهِ حَسَنٍ ، وَلْيَبْدَأْ أَوْقَافَ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ بِالْعِمَارَةِ ، وَلْيَقْطَعْ بِمُدِيَةِ أَمَانَتِهِ يَدَ مَنْ يَشُنُّ عَلَى مَالِهِ الْغَارَةَ ؛ وَلْيَأْمُرْ أَرْبَابَ وَطَائِفِهِ بِاللِّزُومِ ، وَلْيَخْصُ كُلًّا مِنْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِالْعُمُومِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى أَنْ لَا يَتَخَلَّلَ مُبَاشَرَتُهُ الْخَلَلَ ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ... .. .

## الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابُلُس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يُكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأن الغالب كتابة ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابُلُس . فإن اتفق كتابة شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، مسمى الكاتب فيه على نهج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضى» مفتوحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلمه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال، وبالله المستعان .

## النيابة الرابعة

( نيابة حماة . ووظائفها التي تُكتب بها من الأبواب السلطانية،

ما يحضرها خاصة ، وهى على ثلاثة أصناف )

## الصنف الأول

( أرباب السيوف )

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد بناية حماة :

الحمد لله ذى التدبير اللطيف ، والعون المطيف ، والحيطة التى تستوعب كل تصرف وكل تكليف .

نَحْمَدُهُ بِحَمْدٍ جَمِيلَةٍ تَفْوِيفٍ ، حَسَنَةِ التَّأْلِيفِ ، مُكَمَّلَةِ التَّكْوِيفِ ، بَرِيَّةٍ مِنْ  
التَّطْفِيفِ ، حَرِيَّةٍ بِكُلِّ شُكْرِ مُنِيفٍ ، وَذِكْرِ شَرِيفٍ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً خَلَصَ تَحْرِيرُهَا عَنْ كُلِّ تَحْرِيفٍ ، وَتَرَهَّ مَقَالُهَا عَنْ تَسْوِيدِ  
تَفْنِيدٍ أَوْ تَسْوِيفٍ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الدِّينِ الْخَلِيفِ ،  
وَالْمَبْعُوثُ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّخْفِيفِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً مُتَنَاوِبَةً تَتَأَوَّبُ  
الصَّرِيرَ وَالصَّرِيفَ ، وَالشَّتَاءَ وَالْمَصِيفَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًّا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شِيمِ الدَّوْلَةِ وَسَجَايَاها ، وَأَحْكَامِهَا وَقَضَايَاها ، تَقْدِيمَ الْأَهَمِّ فَلَا أَهَمَّ ،  
وَتَحْتِمِ الْأَهَمِّ مِنَ الرَّأْيِ وَتَحْكِيمَ التَّدْبِيرِ الْأَعْمَ ، وَفِعْلَ كُلِّ مَا يَحُوطُ الْمَالِكُ وَيَحْفَظُهَا ،  
وَيُذَكِّي الْعِيُونَ لِمَلاحِظَتِهَا وَيُوقِظُهَا : لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنْ حُقُوقِهَا ، وَحَظَرَهُ مِنْ  
عُقُوقِهَا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِاخْتِيَارِ الْأَوْلِيَاءِ لَضَبْطِهَا ، وَالتَّغْوِيلِ عَلَى الْأُمْلِيَاءِ بِالْقِيَامِ  
بَشَرِطِهَا ، وَالْإِسْتِنَادِ مِنَ الرُّعَمَاءِ إِلَى مَنْ يُوفِّي مِنَ الْخَرَاجَةِ وَالْعُيُونِ وَافِيَ قِسْطِهَا .

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْحَمَوِيَّةُ جَدِيرَةً بِالْإِكْتِفَاتِ ، حَقِيقَةً بِالْحَيَاظَةِ مِنْ جَمِيعِ الْحِيَاثِ ،  
مُسْتَدْعِيَةً مِنْ جَمِيلِ النَّظَرِ كُلِّ مَا يَجْرُسُ رَبْعَهَا ، وَيُدِيمُ نَفْعَهَا ، وَيُحْفَلُ ضَرْعَهَا ،  
وَيَلْمُ شَعْنَهَا وَيَشْعَبُ صَدْعَهَا ، وَيَسْرُ سَمْعَهَا ، وَيُفْعَمُ شَرْعَهَا ، وَيُعْظَمُ شَرْعَهَا ،  
وَيَكْتَنِفُهَا اِكْتِنَافُ السُّورِ وَالسَّوَارِ ، وَالْمَالَةِ لِلْبَدْرِ وَالْأَنْكَمِ لِلثَّارِ ، وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ  
الْمُتَقَشِّعُ سَحَابُ هَذَا الْوَصْفِ عَنْ بَدْرِهِ الْمُنِيرِ ، وَالْمُتَقَلِّعُ ضِيَابُ هَذَا التَّفْوِيزِ عَنْ نُورِ  
شَمْسِهِ الْمُنْعِشَةِ قُوَى كُلِّ نَبْتٍ نَضِيرٍ ، وَالَّذِي بِأَهْلِيَّتِهِ لُرْتَبَةِ هَذَا التَّفْوِيزِ مَا خَابَ  
الْمُسْتَخِيرُ ، وَلَا نَدِمَ الْمُسْتَشِيرُ ، وَالَّذِي يُفَرِّدُهُ آسَتْحَقَاقُهُ بِهِذِهِ الرُّتْبَةِ فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ  
كَبِيرٍ وَلَا صَغِيرٍ أَمْتَنَالًا لِلرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ فِي حَقِّهِ : « مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » - أَقْتَضَى

(١) في القاموس "رجل خراج ولأج كثير الظرف والاحتيال" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي المُنيف ، أن خرج الأمر الشريف - لا برح يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، ويمْتَضِي مَضَاءَ الْقَضَاءِ الْمُتَزَلِّ والسيف الصَّقِيل - أن تقوِّضَ إليه نيابةُ السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فليَقْدَمْ خيرة الله قَائِلًا وفاعلا ، ومُقيما وراحلا ، ومُوجِّها ومواجهًا ومُسَجِّلا وساجلا ، وعالمًا وعاملا ؛ ومعتمداً على الله في أمره كله . وليُكُنْ من هذه المعرفة قريبا ، وعلى كلِّ شيءٍ حتَّى 'على' نفسه رَقِيبا ؛ وإذا اتَّقَى الله كفاه الله الناس ، وإن اتَّقَى الناس لم يَغْنُوا عنه من الله شيئا فليَقْسُ على هذا القياس ، ويَقْتَسِ هذا الاقتباس .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم مَخْلَبُ الظَّفَرِ وظُفْرُهُ ، وبهم يُكْشَفُ من كلِّ عَدُوٍّ سرُّه ، ويُنْجَى وطنه ووَكْرُهُ ، ويضْرَبُ زَيْدُهُ وعَمْرُهُ ، ويَبْدُدُ جَمْعُهُ ، ويُسَاءُ صُنْعُهُ ، ويعْمَى بَصَرُهُ ويَصْمُ سَمْعُهُ ؛ وهم أسوارُ نِجَاهِ الْأَسْوَارِ ، وأمواجُ تَنْدَفِيعٍ وتَنْدَفِيقٍ أعظم من آندفاق البحار ، وما منهم إلا مَنْ هو عندنا لمن الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ؛ فَأَحْسِنِ اسْتِجْلَابَ خَوَاطِرِهِمْ ، وَاسْتِخْلَابَ بَوَاطِنِهِمْ وسرائرهم ، وَاسْتِخْلَابَ الشَّائِعِ مِنْ طَاعَتِهِمْ في مَوَارِدِهِمْ ومَصَادِرِهِمْ ؛ وَكُنْ عَلَيْهِمْ شَفِيقًا ، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رَفُوقًا ، وَأَوْجِبْ لَهُمْ بِالْجِهَادِ وَالْأَجْتِهَادِ حُقُوقًا ، وَأَصْرِفْ لَهُمْ جَمَلًا لِأَعْيَاضِ الْمِهْمَاتِ وَالْمَلَمَّاتِ مُطِيقًا ؛ وَاسْتَشِرْ مِنْهُمْ ذَوِي الرَّأْيِ الْمُصِيبِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ التَّجَرُّيبِ ، وَمَنْ تَحَقَّقَ مِنْهُ النَّصِيحُ مِنَ الْكُفُولِ وَالشَّيْبِ ، مِنْ كُلِّ بَغِيْرَةٍ مِنْهُ مَا شَبَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرُ بَأْسِهِ ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ غُصُونٌ فِي يَدٍ أَيْدٍ عَسَتْ عَلَى قَصْفِهِ وَقَصَفٌ كُلٌّ وَاحِدَةٌ فَوَاحِدَةٌ لَا يُعِيْهِ .

(١) في الأصل "السامع مع من" انخل وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عنى القضيبي يس" . وهو مناسب للقام .

(١) والجهاد فهو ملاك كل استجواء واستجواز ، وبه يتميز أفعال الكفار بالنفاد وأفعال الدين الحنيف بالنفاذ ؛ وما جعل الله للدافعين عن دين الله سواه ، ولا مخرجي صوب صواب إلا إياه ؛ وعلى ذلك جعل الله أرزاقهم ، وهياً لهم به إرفاقهم ؛ فليكرمهم بأخذ الأهبة ، في الاعتلاء والأنصبا في كل هضبه ، والاستعداد برباط الخيل وكل قوه .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسم في جبهات الفكر [ دون توائن ] أو تكون أن لا يستخقر عدوا ، ولا يستهزئ بقلته لا رواحاً ولا غدواً ، وليكن للاستظهار مستوعبا ، ولا عمال المكاييد مستوثبا ، وللكشف بعد الكشف مستصحباً ؛ وغير ذلك من الأمور ، التي بها صلاح الجمهور .

والشرع الشريف وتنفيذ أحكامه ، وتقوية أيدي حكامه ؛ فهو ميزان الإسلام والسلامه ، وقوام الصلاح والاستقامه ، وأخوه المرتضع من ثدي الحق ، العدل الذي كم شاق وكثيرا ما على أهل الباطل شق ؛ وعم القريب والبعيد ، والسائق والشهيد ، والمريب والمريد ، وكل ذي ضعف مبيد ، وكل ذي بأس شديد ، وكل مستشير ومستريد ؛ فإن ذلك إذا شمل حاط ، وتم به الارتباد والارتباط ، وهدى إلى أقوم صراط .

والحدود فهي حياة النفوس ، وبها تزال البؤوس ؛ فأقنها ما لم تدراً بالشبهات الشرعيه ، والأمور المرعيه .

والأموال فهي مجلبة الرجال ، ومخلبة الآمال ؛ وبها يسد الأزر ، ويقوى الاستظهار [و] الظاهر ، فيشد من الذين أمرها بهم معدوق ، ويقوى أيديهم بكل طريق في كل طروق ، بحيث لا يؤخذ إلا الحق ولا يترك شيء من الحقوق .

(١) في الأصل "والاجتهاد" وهو غلط .

والرعية فهم عند والي الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظة ، وبعين الاعتناء ملحوظة ، فأحسن جوارهم ، وأزل نقارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم إلا بما لا تسأل عنه غداً بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواباً لذلك فكل راجع مسئول .

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره ، وستتوالى إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتبات الواردة والصادرة ، والله يوفقك في كل منهج تسلكه وتقتفيه ، ويسدّدك فيما من ذلك تنتجيه .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف بها : كشدّ الدواوين ، وشدّ مراكر البريد وغيرهما ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليتهما . فإن قدر كتابة شيء من ذلك لأحد بها ، كتب لمن يكون طبلخاناه في قطع النصف : « السامى » بغيراء ، ولن يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

## الصنف الثاني

( أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين )

المرتبة الاولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياء » . وهم قضاة القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتتحاً بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتتحاً بـ « رسم » . وعلى ذلك تكتب توابع قضاة العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحاسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف



التدريس والتصدير، ونظر<sup>(١)</sup> إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،  
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها<sup>(٢)</sup>.

### النيابة الخامسة

( نيابة صفد )

قد تقدم في الكلام على المكاتبات أنها في رتبة نيابة طرابلس وحماة في المكتبة،  
وأنها تذكر بعد حماة في المطلقات .

وظائفها التي تولى من الأبواب السلطانية على ثلاثة اصناف .

### الصنف الأول

( أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان )

### الوظيفة الأولى

( نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلثين )

وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بصفد ، كتب به لسيف الدين « قطلقتمش »  
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ  
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحروسة من أوليائنا بسيف لا تتبو مضاربهُ ، وخص  
أسنى الممالك المصونة من أصفينائنا بعضب لا يقل غربه محاربهُ ، وقدم على زعامة

(١) بياض بالأصل ولعله الأحباس .

(٢) ترك الكلام على الصنف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره السابقة واللاحقة .

الجيش من خواصنا لئلا يسكن إليه كل أسد من أسد ذائلة<sup>(١)</sup> تُعالِبه ، حافظ نطاق<sup>(٢)</sup> البحر من أبطال دولتنا بكل كمي تصد البحر مهابته أن يستقل براكبه أو تستقر على ظهره مراكبهُ ، وناسر لواء عدلنا في أقاليمنا بما يُغنى كل قطر [ عن ] أن تتدفق جداوله أو تستهل به صحائبه .

نحمده على نعمه التي جعلت سيف الجهاد رائد أوامرنا ، وقائد جيوشنا إلى مواقف النصر وعساكرنا ، وذائد أعداء الملة عن أطراف ممالكنا التي أسبق إليها من رجع النفس في الدجى تألق نجوم ذوابلنا ، وفي الضحى تبلج غرر صوارمنا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستظل الإيمان ، تحت لوائها ، وتعبق الأكوان ، بما تنطق به الألسنة من اروائها ، ويُشرق الوجود بما يدعو على الوجوه من روائها ، ويُجادل أعداءها في الآفاق لرفع كلمة ملتها على الملل وإعلائها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء ، وأشرف حملة الأنبياء ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المخصوصين بأسمى مراتب الاجتباء ، صلاة دائمة بدوام الأرض والسماء ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من فوضت إليه زعامة الجيش بأسمى الممالك ، وعُدق به من تقدم العساكر ما يرجف بمهابته هناك أرض العدو هنالك ؛ وعقد به للرعايا لواء عدل تجلأ بإشراق ليل الظلم الخالك ، وعول عليه من جميل السيرة فيما تعمُر به البلاد وتأمُن به الرعايا وتطمئن به الممالك - من لم يزل في خدمة الدولة القاهرة سيقا ترهب العدا حده ، ويخاف أهل الكفر فتكاته تحقّقا أن آجالهم عنده ، ويتوقع كل كمي من عطاء الشرك أن رأسه سيكون غمده ؛ مع سياسة تشتمل على الرعايا

(١) ذائلة طويلة الذيلة .

(٢) حق التركيب « وحفظ عطفًا على صان » ... ونشر لواء .

ظلالها الممتدة، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة؛ وتوفّر على عمارة البلاد عين على ربيها طلّ الأنواء والوابل، وبراءة تجعل ما يودع فيها بالبركة والتماء: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾.

ولما كان الجناح العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة نجاده، والليث الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يُخصب بمعدّته البلد الماحل، والأسد الذى تصدّ ساكنى البحر مهايته فيتحقّقون أن العطب لا السلامة فى الساحل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيد حدّ عزمه إرهابا، وأن نرهب العدا بآسه الذى يردّ أحاد ما تقدّم عليه من الجيوش آلافا، وأن نفوّض إليه من أمور رعايانا ما اذا أسند إليه يؤسّسهم عدّلا وإنصافا.

فلذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة: تفويضاً يعلى قدره، ويُمضى فى عموم مصالحها وخصوصها نهيّه وأمره، ويُرهِف فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وسُمره، ويُضلي مجاورها من ساكنى الماء من بأسه المتوقّد بجمره.

فلتلق هذه النعمة بباع شكره المديد، ويترقّ هذه المرتبة بمزية اعتزّامه التى ليس عليها فيما يعدق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشرها من عموم معدّته مالا يُحصّ دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «عدل يوم واحد خيرٌ للارض من أن تُمطر أربعين يوماً»؛ ويسطّ فيها من مهاتته ما يكفّ أكفّ البغاة أن تمتدّ، ويمنع رخاء أهوية أهلها أن تشتدّ؛ ويؤمّن المسالك أن تُخاف، والرايا أن يُجار عليهم أو يُخاف؛ وليكن من فى تقدّمته من الجيوش المنصورة مكملّى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند اليه ما" الخ وهو خلط من النسخ.

ظَاهِرِي اللَّامَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَعَوْنُ الْجَلَدِ؛ مُزَاحِي الْأَعْدَارِ فِيمَا يُرْسَمُ لَهُمْ بِهِ مِنَ  
الرُّكُوبِ، مُزَالِي الْعَوَاقِقِ فِي النَّهَابِ لِمَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ؛ حَافِظِي مَرَاكِزِهِمْ  
حِفْظَ الْعَيُونِ بِأَهْدَائِهَا، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَشْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا  
كَحَالِ اقْتِرَائِهَا؛ بِحَيْثُ لَا يَشْرَفُ عَلَى الْبَرِّ مَنْ قِطَعَ الْمَخْذُولِينَ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ،  
أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّوَاحِلِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ؛ وَلِيَكُنَّ  
أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ أَسْهَلَ فِي حُسْنِ اتِّقَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَيَصَدَّ عَنْهُمْ  
بَسْطُوتهِ مَجَالِ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعُ بِأَسْمِهِمْ  
وَشَجَاعَتِهِمْ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ : وَهِيَ مِنْ أَخْصِّ أَوْصَافِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ  
وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ؛ فَيُجْعَلُهُمَا عِمْدَتِي حُكْمِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَالْإِعْتِمَادُ ... .. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الوظيفة الثانية

( نِيَابَةُ قَلْعَةِ صَفَد )

وهذه نسخة مرسومة شريفة بنيابة قلعة صفد المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي  
أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِي» خَامِسَ الْحَرَمِ سَنَةِ  
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحَصُونَ بِرِفْعَةِ دُرَاهَا، وَشُمُعَةٍ مِنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ تَحْمِي  
أَهْلَهَا، وَتَحْطَفُ أَبْصَارَ السِّيُوفِ بِسَنَاهَا، وَتُصِيبُ بِرَمِيهَا حَتَّى قَوْسَ قُرَحَ إِذَا رَامَاهَا .  
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُهُ بِالْمَعَاوِلِ فِي حِلَالِهَا، وَتَفَخَّرُهُ بِعَقَائِلِ الْقِلَاعِ عَلَى سَوَاهَا؛  
وَتَشْرَفُ بِهِ شُرَفَاتُهَا حَتَّى تَجْرِيَ الْمَجْرَى فِي رُبَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا، وَيَطْنِبُ فِي السَّمَاءِ مَرْتَقَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

مجداً عبده ورسوله الذى كتب به للأمة هداها ، وكتب عداها ، وبوأها مقاعد  
للقاتل تقصردونها النجوم فى سراها ؛ صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع  
عنهم قرأها ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن صفد صفت ، ووقت ووقت ، وكفت وكفت ؛ وجاورت البحر  
فما غمضت عنه لدايديها عيون ، ولا خيطت لسيوفها بالكرى جفون ؛ ولا ونت  
لرماحها عزائم شابت لممها ، ولا آنتشت من السهام نبال تفيض ديمها ؛ ولا أطالت  
مجانيقها السكوت إلا لتهدر شقاشقها ، وتهد بها من الجبال شواهدقها ؛ وتهول العدا  
بما تريهم من التهويل ، وترى به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهى القلعة التى يضرب المثل بحصانتها ، ويطمئن [أهل] الإسلام فى إيداع  
أموالهم وأهلهم إلى أمانتها ؛ قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطقة  
بروجها من البروق نصولا ؛ وأتعبت الرياح لما خلقت إليها ، وأخافت الهلال حتى  
وقف رقيباً عليها ؛ وفيها من جنودنا المؤيدة من يزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم  
إذا خرجوا للجهاد أعداء الله وخلأوا لهم فيها مآلاً وولدا . وكانت النيابة بهذه القلعة  
المحروسة قد كادت تنطق بشكواها ، وتتظلم ممن أساء ضحبت لها تولأها ؛ واقتضت  
آراؤنا العالية أن نزعج ظلامه ، عن صباحها ، ونقوض خيامه ، عما فرش على الفلك  
الشاهقة من بطاحها ؛ وفكرنا فيمن له بالفلاع المحروسة دربة لا يخفى عليه بها سلوك ،  
ولا يخاف معه على هذه الدرّة الثينة فى سلوك ؛ ممن حشد فى دولتنا الشريفة مساء  
صباح ، ومن كان فى أبوابنا العالية هو الفتاح ؛ ومن له همه تناط بالثريا مطالبها ،  
وعزومة ما القضاء إلا قواضبها ، ومعرفة ما الرّيح المثقف إلا تجاربها ، وكفاية ما الغر  
الزواهر إذا عددت إلا مناقبها .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزّه - هو المحلق إلى هذه المرتبة ، والمحلق بالأصيل أريدتها المذهب ، والمحقق فى صفاته الورع ، والمنزّه عن تدنيس طباعه بالطمع ، وله فى الأمانة اليد المشكورة ، وفى الصيانة ما يمتنع به ذبول السحاب المجرورة ، ومن التقوى ما قرب عليه المطالب البطيّه ، ومن الفروسية ما اتخذ كلّ ذروة صهوة وكلّ جبل مطيّه ، ومن الاستحقاق ما يسهّل له من صدقاتنا الشريفة صفد : وفى اللغة أنّ الصفد هو العطيه .

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه ، وأحكمه وحكمه - أن يرتب فى النيابة بقلعة صفد المحروسة : على عادة من تقدّم وقاعدته فى التقرير ، وأما كيف يكون أعماده ، فسنبشده منه بصبح منير .

فقدّم تقوى الله فى سرك ونجواك ، وأقصر على القناعة رجواك ، وأحفظ هذه القلعة من طوارق الليل والنهار ، وأعد من قبلك للقتال فى قرى محصنة أو من وراء جدار ، وأملأ سماءك حرصاً شديداً ، وشهباً وكثراً جالها لتبارى بهم النجوم فى أمثالها من بروج السماء عديداً ، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك ولكنا نريد أن نزيدهم توكيداً ، ونألّفهم على مولاتنا حتى لا تتجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيداً ، وتفقد الذخائر والآلات ، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة فى أوسع الأوقات ، وحصن مبانيها ، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها ، ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها ، وأنفع فى أوقات الحاجة مما تكثره الخزائن من درهمها ودينارها ، : من مجانيق كالعقارب شائلة أذنانها ، دافعة فى صدر الخطب إذا نابها ، تربى بشرر كالقصر ، وتنزل من السماء بآيات النصر ، ومن قيسى : منها ما تدفع بالأرجل مرامي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السجع فاستعمل مصدرا للرجاء ليس فيما بأيدينا من

سهامه ، ومنها ما تدور بالأيدى كأس حمامه ، ومنها ما يسكت إذا أطلق حتى لا يسمع كلام كلامه ، ومنها ما يترنم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ، و [من] ستائر يستر بها وجهها المصون ، ومناير يشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ، ورجية تجلى بها فى كل ليلة عروسها المنعمه ، ودراجة تحاط بهم من جهاتها الست وحدودها الأربعة ؛ وأقرنوب الحمام الرسائل فيها تسقط علينا وعلى الأخبار ، ويطوى المدى البعيد فى أول ساعة من نهار ، وأفتح الباب وأغلقه بشمس ، وأحترز على ما أشتملت عليه من مال ونفس ، وبقية الوصايا أنت بها أمس ، والله تعالى يزيل عنك اللبس ، والاعتماد ... .. .

### الصنف الثانى

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، وناظر المال ، وناظر الجيش ، ووكيل بيت المال . وما عدا ذلك فإنه يكتب عن نائبها ، وربما كتب عن الأبواب السلطانية .

### الصنف الثالث

( [أرباب] الوظائف الدينية ، وهى على مرتبتين )

المرتبة الأولى : ما يكتب فى قطع الثالث بـ «السامى» بالياء ، وهم القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له فى قطع العادة ، وتشتمل على قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال .

### الصنف الرابع<sup>(١)</sup>

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذى يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكتب لكلّ منهم فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم : صحابة ديوان المكاتبات ، ونظرُ المال، ونظرُ الجيش . فإن كُتب لأحد غير هؤلاء ، كتب له فى قطع العادة .

### النيابة السادسة

( نيابة غزّة )

وقد تقدّم أنّها تارة تكون نيابةً، وتارة تكون تقدمةً عسكريّةً، ومُقدّمُ العسكريّ بها يراجع نائب السّام فى أموره . وبكلّ حال فالوظائف التى تُولى بها من الأبواب السلطانية على صنفين :

### الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلّا نائب السلطنة إن كانت نيابةً، أو مُقدّمُ العسكريّ إن كانت تقدمةً عسكريّةً . فكيفما كان فإنّه يُكتب له تقليدٌ فى قطع الثلثين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة .

وهذه نسخة تقليد بنياتها : كُتب به للأمير « علم الدين الجاولى » من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ، وهو :

(١) هذا الصنف زائد على ما فى التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثانى وغاية ما فى هذا أنّه بين فيه اللقب وقطع الورق فتنبه .



الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع  
رُتب التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفرّث الثغور بين ترقوق عدله وتألّق صرامته،  
وقاطع أطاع المعتدين بمن يتوقّد بأسه في ظلال رفقته توقّد البرق في ظلال غمامته،  
وقام أعدائه الكافرين بتفويض تقدمة الجيوش بأوامرنا إلى كلّ ولى يحتنى النصر  
ويحتلى من أفتان عزّماته ووجاهة زعامته .

نحمده على نعمة التي سدّدت ما يصدر من الأوامر عنا ، وقلّدت الرتب السنية  
بتقليدها أعزّ الأولياء منا منّا ، وربّحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا نعدق  
أمرها إلا بمن تُعقد عليه الخناصر نفاسة به وضنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها مبتدّية ، والألسنة بإعلانها متريّنة ،  
والأسنة والأعنة متباريين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة ،  
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم ، وأكرم منعوّ بالفضل  
والكرم ، وأعزّ منصور بالرعب الذي أغمّدت سيوفه قبل تجرّيدها في القم ،  
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم ،  
وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ العزائم ونجائب الهمم ، وبدّلوا نفائسهم  
ونفوسهم للذبّ عن دينه فلم تسترل أقدامهم حرّ النعم ، ولم يثن إقدامهم بيض  
النعم ، صلاة لا يمل السامع نداءها ، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداءها ، وسلّم  
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنّا من حين مكّن الله لنا في أرضه ، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفرضه ،  
وقلّنا سيف نصره الذي آتتضاه ، وأقامنا لنصرة دينه الذي آرتضاه ، لم يزل مهمّ  
كلّ نعر مقدّم لدينا ، وحفظ كلّ جانب جاور العدو براً وبحراً متعيناً على اعتنائنا

وَمُحِبِّاً إِلَيْنَا ؛ فَلَا تُرْهِفْ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَغْمَدَهُ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ  
 الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلَهُ بَثَّ فِي قُلُوبِ سَائِرِ كِنِيهِ سَرِياً مَهَابَةً لَا تَرْهَبُ  
 مَوْجاً وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رَتَبِ الْأُلُوفِ ،  
 وَجَعَلَ طَلَائِعَهُمْ رُسُلَ الْخُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بَأْسَهُ فَاسْتَقْلَوْا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،  
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النَّكَايَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرَّمَا حِ قَدْ نَظَمُوا وَتَمَّ مِنْ  
 هَامٍ بِالصَّفَاحِ قَدْ نَثَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَثْبُتَانِ  
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كُلُّوْمَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُضْمِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ  
 سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةً عَدُوَّ كَانَتْ مُرْتَفَعَةً ، وَأَبَاحَ عَزْمَهُ وَخَزْمَهُ مَعَاقِلَ  
 شَرْكَ كَانَتْ مُتَمَتِّعَةً ؛ وَتَمَّ زَلْزَلَ ثَبَاتُهُ قَدَمَ كُفْرٍ فَأَزَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جُيُوشَ بَاطِلِ  
 تَرْهَبُ الْآسَادُ زِلَازَهَا ؛ فَهُوَ الْعِلْمُ الْفَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَا وِلَايَتَهُ إِلَّا الْقِبَالُ وَالثَّبَاتُ  
 وَلَا أَعْدَائِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَالُنَا بِنِكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،  
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأُسْنَدٍ إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَالسَّاحِلِيَّةُ وَالْجَبَلِيَّةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ  
 بِالرَّمَا حِ ، الْمَصْفَحُ بِالصَّفَاحِ ؛ مُرُوجُهُ الْجُمَاهُ ، وَقُلْلُهُ الْكُمَاهُ ؛ لَا يَشِيمُ بَرْقَهُ مِنْ سَاكِنِي  
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَتَقَلَّبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا  
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمَّ لِسَيْوفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعَ ، وَلَسْمَعْتِهِ  
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرَكَّتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بَلَاغِ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ،  
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَايِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّقُ أُمُورُهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ  
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَدْرَبُ بِمَا

يَدْعُ - اقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَعْدِقَ بِهِ نِيَابَةَ مُلْكِهَا ، وَنَزِينَ بِلَايَ مَفَاخِرِهِ  
عُقُودَ سِلْكِهَا ؛ وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَقْدِمَةَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ  
بِأَزْحَمِ عُبَايِهِ وَالْأَرْضَ بِأَثْبَتِ مِنْجَالِهَا ؛ وَأَنْ نَرْمِيَ بِحَرْهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلِ  
مِنْ أَمْوَاجِهِ ، وَأَمْرٍ فِي لَهَوَاتِ سَاكِنِيهِ مِنْ أَجَاجِهِ ؛ لَتَغْدُو عَقَائِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سَيْفِهِ  
الْأَبْيَضِ وَذَائِلِهِ ، وَيَتَبَرَّ الْعُدُوُّ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَحْمَرِ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : تَفْوِضًا يَحَقِّقُ  
فِي مِثْلِهِ رَجَاءَهَا ، وَيَزِينُ بَعْدَهِ أَرْجَاءَهَا ؛ وَيَصُونُ بِبَأْسِهِ قَاطِنَهَا وَطَاعِنَهَا ، وَيَعْمُرُ  
وَيَعْمُرُ بِرِفْقِهِ وَإِنْصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فَلْيُبَايِسْ هَذِهِ الرُّتَبَةَ الَّتِي يُكَلِّ بِهَا سُعُودُهَا ، وَتُجَمَّلُ بِهَا عُقُودُهَا ؛ بِمُبَاشَرَةٍ يُخَفِّفُ  
بَأْسُهَا اللَّيْثُ فِي أَجْمَاتِهَا ، وَيُعِينُ عَدْلُهَا الْغِيُوثَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ؛ وَيَغْدُو بِهَا الْحَقُّ  
مَرْفُوعَ الْعِلْمِ ، مَسْمُوعَ الْحُكْمِ ، مَاضِيَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْ بَهَا  
مِنْ أَنْوَاعِ الْأُمَمِ . وَلْيَأْخُذِ الْجِيُوشَ الَّتِي بَهَا مِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْدَادَهُمْ  
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيلُ عَوَائِقَهُمْ عَنِ الْوُثُوبِ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ أَوَّلَ مُبِّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،  
وَأَسْرَعَ مُجِيبَ لِنْدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْظُمُ أَيْزَاكَهُمْ عَلَى الْبَحْرِ أَنْتِظَامِ  
النُّجُومِ فِي أَفْلَاكِهَا ، وَالشُّدُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،  
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصِّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَاخِ عِمَارَةٍ إِلَّا وَأُتِيحَ  
لَهُ مِنَ اللَّهِ هَادِمٌ هَادِمُهُ . وَلْيَعْلِلِ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِإِمْرَاضِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضِدَةِ  
حُكَّامِهِ ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَهْيِهِ وَمَصَادِرِهِ ؛ وَلْتَكُنْ وَطْأَتُهُ  
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مُشْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ  
اللَّيْنِ وَلَا اللَّيْنَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مِنَّا

بمزية قُربِه ، مختص بمنزلة إخلاصه التي أصبح فيها على يئنه من ربّه ، وجميع ما يذكر من الوصايا فهو مما يُحكى من صفاته الحسنه ، وأدواته التي ما برحت الأفلام في وصف كمالها فصيححة الألسنه ، وملاكها تقوى الله وهي في خصائصه كلمة إجماع ، وحلية أبصار وأسماع ، والله تعالى يعلي قدره وقد فعل ، ويؤيده في القول والعمل ، والاعتقاد ....



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة :

الحمد لله مبدئ النعم ومُعِدها ، ومؤكّد أسبابها بتجديدها ، ومُعلي أقدارها بمزايا مزيدها ، الذي زين أعناق الممالك من السيوف بتقليدها ، وبين من ميامنه ما ردت إليه بمقاليدها .

نحمده بحامده التي تفوت الدراري في تنزيدها ، وتفوق الدرّ فيتمني منه عقد فريدها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لشهيدها ، جامعة لتوحيدها ، نافعة لأهل الجحود مما يورد الأرض بالدماء من وريدها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كثر الأمم بأمتّه في عديدها ، وظاهر على أعداء الله بمن يقل بأس حديدها ، فيرسل من أسنته نجوما رجوما لمريدها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتظافر بتأييدها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن من عوائد دولتنا القاهرة أن تعود بإحسانها ، وتجد بثبوت كل قدم في مكانها ، وإذا ولت عرف صحاها عن جهة عادت إليها ، أو سلبت لها رونقا أعادت بهجته عليها ، وكانت البلاد الغزاوية وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك

(١) في الأصل «ممالك» وهو لا يناسب المقام .

بَيْتِنَا الشَّرِيفِ بِسَيْفٍ مَشْهُورٍ، وَبَطْلٍ تُشَامُ بَوَارِقُ عَزَمِهِ فِي الثُّغُورِ؛ وَهُوَ الَّذِي عَمَّ  
بَصِيَّتِهِ بِلَادَهَا سَهْلًا وَجَبَلًا، وَعَمَّرَ رَوْضَهَا بِعَدْلٍ أَغْنَاهَا أَنْ يَسْقَى طَلٌّ طَلًّا؛  
وَجَمَعَ أَعْمَالَهَا بَرًّا وَبَحْرًا، وَمَنَعَ جَانِبَيْهَا شَامًا وَمِصْرًا؛ وَأَلَفَ أَهْلُهَا مِنْهُ سِيرَةً لَوْ لَا  
مَا اسْتَأْثَرْنَا اللَّهَ بِهِ مِنْ سَرٍّ لَمَا أَفْقَدْنَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمَسَدَةِ حُلَاوَةَ مَذَاقِهَا، وَسِرِّيَّةَ  
لَا نَرْضَىٰ مَعَهَا بَكَفِّ الثَّرْيَا إِذَا بُسِطَتْ لِأَخْذِ مِيثَاقِهَا؛ وَلَمْ نَرْفَعْ يَدَهُ إِلَّا لِأَمْرِ قَضَىٰ  
اللَّهُ بِهِ لِأَجَلٍ مُّوَقُوتٍ، وَمَضَىٰ مِنْهُ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ بِمَرْجُوعِهِ الْقَرِيبِ لَا يَقُوتُ؛ لِأَنَّ  
الشَّمْسَ تَغِيبُ لِتَطْلُعَ بَضْوَىٰ جَدِيدٍ، وَالسَّيْفُ يَغْمُذُ ثُمَّ يَنْتَضِي فَيَقْدُ الْقَدَّ وَالْحِيدَ؛  
وَالْعُيُونُ تُسَهِّدُ ثُمَّ يُعَاوِدُهَا الرُّقَادُ، وَالْمَاءُ لَوْ لَمْ يَفْقُدْ فِي وَقْتٍ لَمَا وَجِدَ لِمَوْقِعِهِ بَرْدٌ  
عَلَى الْأَنْجَادِ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَخَذَ حَقَّهُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ؛ وَاتَّقَلَ مَنْ كَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِيهَا  
إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ عَلَى طَاعَتِنَا مُقِيمٌ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ  
أَنْ يُرَاجَعَ هَذِهِ الْعَقِيلَةُ كَفَوُّهَا الْقَدِيمِ، وَتَرْجَعَ هَذِهِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ إِلَى مَنْ فَارَقَهَا  
وَمَا عَهْدُهُ بِذَمِيمٍ؛ مَنْ لَمْ تَزَلْ بِهِ عَقَائِلُ الْمَعَاقِلِ تُصَانُ، وَخُصُورُ الْحُصُونِ بِمَحَائِلِ  
سُيُوفِهِ تُزَانُ، وَمِبَاسِمُ الثُّغُورِ تُنْحَىٰ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَسِنَّتِهِ بِلِسَانٍ؛ وَحَمَى الثَّغْرَيْنِ  
وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْفِجَاجِ، وَجَاوَرَ الْبَحْرَيْنِ فَمَنَعَ جَانِبَيْهِمَا: فَهَذَا عَذَبُ فُرَاتٍ وَهَذَا  
مَلَحُ أُجَاجٍ؛ وَلَهُ فِي الْعِدَا وَقَائِعُ زَلَزَلَاتٍ لِمَوَاقِعِهَا الْأُلُوفُ، وَمَوَاقِفُ لَوْلَا مَا نَعَقَتْ  
فِيهَا مِنْ غَرِيَابِ الْبَسِينِ لَطَالَ عَلَى الدِّيَارِ الْوُقُوفُ؛ وَهُوَ الَّذِي مِدَحَتْ لَهُ فِي بَيْتِنَا  
الْمَنْصُورِ الْمَنْصُورِيُّ مِنْ الْحِدْمَةِ سَوَاقٍ، وَحَمِدَتْ طَرَائِقُ؛ وَكَثُرَتْ مَحَاسِنُ،  
وَكَبُرَتْ مَيَامِنُ؛ وَلَمَعَتْ كَوَاكِبُ، وَهَمَعَتْ سَحَابٍ؛ وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ، وَفُتِحَتْ  
كَائِمُ؛ وَعَزَّتْ جِيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةُ لَهُ بِمِضَارِبِ، وَهَزَّتْ سَيُوفُنَا حَادِدًا وَهُوَ بِالسَّيْفِ  
ضَارِبٌ.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته - هو الذى حُذِثْ له آثار، وحُسِنَتْ أخبار، وعمَّتْ مدح، وتَمَّتْ منَحْ، فرسَمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف<sup>(١)</sup> فى محله، وإعادته إلى صيِّب وبِله، وإنامة أهلها مُطمئنين فى عدله، وإقرار عُيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيروته من فضله.

فرسَم بالأمر الشريف - لازالت ملائس نعمه، تُخلَع وتلبَس برودها، وعَرَائِس كرمه، تُفَارَق ثم تُراجَع غِيدُها - أن تفوِّض إليه أمور غَزاة المحروسة وأعمالها وبلادها، والتَّقديمَةُ على عساكرها وأجنادها، والحكم فى جميع ما هو مُضاف إليها من سَهْلٍ ووعر، وبرٍّ وبحر، وسواحل وموانى، وبحرى خيول وشوانى، ومن فيها من أهل عمد، ورعايا وتجار وأعيان فى بلد، ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعُدُّ فى صف كتيبة وكتاب، على عادة من تقدَّم فى ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وستختصر له الوصايا لأنَّه بها بصير، وقد تقدَّم لها على مسامعه تَكْرِير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأيدُ الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والأطلاع على الاحوال ولا يَنْبُتُكَ مثلُ خَيْر.

والعدلُ فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقاً، والعفافُ فإنَّ التطلع لما فى أيدي الناس لا يزيد رزقا، والاتصاف بالذكر الجميل هو الذى يبقى، وعرضُ العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عرابه وتُرُكَّانه وأكراده، وكلُّ مكبِّر فى بحافله ومكبِّر لسواده، وأخذهم بالتأهب فى كلِّ حركة وسكون، والتيقُّظ بهم لكلِّ سيف مشحود وفلَك مشحون، والاحتراز من قِبَل البرِّ والبحر، وإقامة كلِّ يرك فى موضعه كالفلادة فى النحر، ولا يعينُ إقطاعاً إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) فى الأصل «من إقراره فى» وهو تصحيف الا أن يكون الأصل فرسَمنا مارسَمنا من الخ.

وَيَقْمَعُ الْعِدَا بِمَا يَعْرِفُ فِي صَفَحَاتِ الصَّفَاحِ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَلَا يُحِلُّ الْمُبَاشَرِينَ  
 مِنْ عَنَاءٍ تَمُدُّ إِلَيْهِمْ سَاعِدَ الْمُسَاعَدَةِ ، فَلَا يُحِلُّوْا فِي الْبِلَادِ بِعَمَارَةٍ تَعْدُو فِي حُلَاهَا مَائِدَةً ،  
 وَلِيَحْفَظَ الطَّرِيقَاتِ حَفَظًا تَكُونُ بِهِ مَمْنُوعَةً ، وَيُمْسِكَ الْمَسَالِكَ فَإِنَّهُ فِي مَقَرِّ طَرَفَاتِهَا  
 الْمَجْمُوعَةِ ، وَلِيَقْدِّمَ مُهَمَّاتِ الْهَرِيدِ وَمَا يَنْطِقُ عَلَى جَنَاحِ الْخِمَامِ ، وَلِيَتَّخِذَهُمَا نُصَبَ  
 عَيْنِيهِ فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ ، فَوُبَّ غَفَلَةٍ لَا يَسْتَدْرِكُ فَائِتَهَا رَكْضُ ، وَرِسَالَةٍ لَا يَبْلُغُهَا  
 إِلَّا رَسُولٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَخْرُيسِيحٌ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْصُدُ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَاثِمُنَا الْعَالِيَةِ  
 لِيَسَارِعَ إِلَيْهِ مُنْتَمِلًا ، وَيَطَالَعُنَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْنَا مُمَثِّلًا ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ  
 وَقَفٌّ مِنْ بَابِنَا الشَّرِيفِ بِالْمَجَازِ ، وَقُدَّامَ عَيْنَيْنَا حَقِيقَةً وَإِنْ قِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ ،  
 فَلْيُؤَاخِذْ نَفْسَهُ مُؤَاخَذَةً مِنْ هَوَيْنِ يَدِينَا ، وَيَعْمَلْ بِمَا يُسْرُهُ أَنْ يَقْدَّمَ فِيمَا يُعْرَضُ  
 مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُظُورَةَ لَدَيْنَا ، وَيُوَيِّدُ بِهِ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَدَعَ  
 عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ لِلدِّينِ دَيْنًا ، وَالْأَعْتَادَ ... .. .

## الصف الثاني

### (الوظائف الديوانية بغزة)

وبها ثلاث وظائف : يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهَا فِي قِطْعِ الْعَادَةِ بِ«السَّامِي» بِغَيْرِ يَاءٍ .  
 وَهِيَ : كِتَابَةُ الدَّرَجِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَنَظَرُ الْمَالِ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ . قَالَ  
 فِي «التَّحْقِيفِ» : أَمَّا قَاضِيهَا وَمَحْتَسِبُهَا وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا ، فَلِإِنَّهُمْ نَوَابٌ عَنْ  
 أَرْبَابِ هَذِهِ الْوُظَائِفِ بِالسَّامِ ، فَلَا يَكْتُبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ عَنِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ .  
 قُلْتُ : وَمَا ذَكَرَهُ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا تَقْدِمَةُ عَسْكَرٍ . أَمَّا إِذَا كَانَتْ نِيَابَةً فَإِنَّ هَذِهِ  
 الْوُظَائِفَ يَكْتُبُ بِهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ . وَقَدْ يَكْتُبُ حِينَئِذٍ بِوَكَالَةِ بَيْتِ

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «أماً بعد» في المنصوري ، أو بـ «رُسم» في الصغير، على حسب ما يقتضيه الحال .  
على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حنفى يكتب له من الأبواب السلطانية .

### النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

### الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة، ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كتب به للأмир «سيف الدين ايتش»  
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصَّ بعزائنا معاقِلَ الإسلام وحُصُونَهُ ، وبَصْرنا باختيار من نُزِبَهُ  
في كُلِّ مَعْقِلٍ منها من أجداد الأُمراء ليحفظَه ويصُونَه ، وجعلها بعنايتنا رَوْضًا تجتلي  
أبصارُ الأولياء من بيض صفاحنَا نُورَه وتجتني من سُمرِ رماحنَا غُصُونَه ، وعَوْدَها  
من آيات الحرس بما لا تزال حُماهُم وكُتُبُها يروُون خبره عن سَيْفنا المُتَضَيِّ لحفظها  
ويقصُونَه .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي أعلَتْ بنا بِنَاءَ الممالك ، وحاطَتْها من نبلِ مهايَتنا ، بما لو تَسَلَّاتْ  
بينه الأوهام ضاقت بها المسالك ، وصفَحَتْنا من صفاح عنايتنا ، بما يحولُ برُوقه



بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حرم إخلاصها ، وتنجي غداً من غداً من أهل تقريرها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أضاءت ملته ، فلم تخف على ذى بصر ، وعلت شرعته ، فغدا باع كل ذى باع عن معارضتها ذا قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أوبقه الحضر أو جادلها مناو أوثقه الحضر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معافلتهم صموات جيادهم ، وحضونهم عرصات جلادهم ، وخيأهم ظلال سيوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ؛ صلاة لا يزال الإخلاص لها مقياً ، والإيمان لها مديماً ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها ، وتعاهد رعايتها مكانه ؛ وتلاحظ مهابتنا أحواله فتحليها ، وتشاهد أوامرها قواعد فتشيد بها بجمل النظر وتعليها ؛ وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمهم ، وتوجب مخافة بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما فى الضمير وتوهمه - حصن انعقد الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ؛ فهو فرد الدهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ؛ المستكنة فى ضمائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواحق نقعته ، السائر فى أقطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هى هذه العقيلة التى كم ردت آمال المملوك راعمها ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها فى الكرى الأجفان الحليمه ؛ وكان فلان ممن ينهض مثله بحفظ مثيلها ، ويعلم أن أمانتها التى لا تتحملها الجبال قد أودعت منه إلى كنفها ووضعت كفايتها فى أهلها ؛ فهو سيفنا الذى يحوطها ذبابه ، وولينا الذى من طمح بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ؛ ونشأ أيماننا التى تشئ كل لىث يقنص

الظفر ظفْرُهُ وَيَذُو بالسيف نَابُهُ ، وَغَذَى دَوْلَتِنَا الَّذِي مَا اعْتَمَدْنَا فِيهِ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا  
كَرَّم بِهِ نَهْضُهُ وَحَسَّن فِيهِ مَنَابُهُ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نَحْصَّهَا بِمَهَابَةِ سَيْفِهِ ،  
وَنَحْصَّنَهَا بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ تَكْفُّ كُلِّ بَاغٍ عَنْ حَيْفِهِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازالت الحصون المصونة تختال من ملكه في أبهى  
الحلل ، وتعلو معاقل الكفر بسُلْطَانِهِ عُلُومُ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمِلَلِ - أَنْ تَفَوْضَ إِلَيْهِ  
نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالكَرْكِ الْحُرُوسِ تَفْوِيضًا يُعْلِي قَدْرَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي أَفْئِهَا  
بَدْرَهُ ، وَيُطْلِقُ فِي مَصَالِحِهَا سَيْفَهُ بِالْحَقِّ وَقَلَمَهُ ، وَيُمِضِي فِي حِمَايَتِهَا أَعْمَالَهُ وَكَلِمَهُ ،  
وَيَسُدُّ فِي أُمُورِهَا آرَاءَهُ الْمُقَرَّوْنَ بِالصَّوَابِ وَهَمَمَهُ .

فليباشِرْ هذه الرتبة العلية صورةً ومعنى ، الملية إذا طاولت الكواكب بأن  
لا يعلم لها أسمى وأسنى ؛ وَلِيَجْتَهِدْ فِي مَصَالِحِهَا أَجْتِهَادًا يُؤَالِي لَهُ مِنْ سُكْرِنَا الْمِنَحِ ،  
وَيَأْتِي فِيهِ مِنْ مَوَاضِينَا بِالْغَرَضِ الْمُقْتَرَحِ ؛ وَيَزِيدُهَا إِلَى حَصَانَتِهَا حَصَانَةً وَقُوَّةً ،  
وَيَزِينُهَا بِسِيَاسَتِهِ الَّتِي تَغْدُو قُلُوبُ أَهْلِ الْعِنَادِ بِخَفَاتِهَا مَغْرُورَةً . وَلِيَنْظُرْ فِي مَصَالِحِ رَجَالِهَا  
فِيَكُونُ لِحِمَاتِهِمْ مُقَدِّمًا ، وَلِمُقَدِّمِيهِمْ مُكْرِمًا ؛ وَلِأَعْزَادِهِمْ مُزِيحًا ، وَلِخَوَاطِرِهِمْ بَتِّيْسِيرَ  
مَقَرَّرَاتِهِمْ مُزِيحًا . وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْظَمًا ، وَلِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ مُحْكَمًا ؛  
وَلِمَا قُرْبَ وَبَعْدَ مِنْ بِلَادِ نِيَابَتِهِ عَامِرًا ، وَلِأَكْثَفِ الْجَوْرِ عَنِ الرِّعْيَةِ كَافًا : فَلَا يَبْرَحُ  
عَنِ الظُّلْمِ نَاهِيًا وَبِالْعَدْلِ آمِرًا ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ فَلْيَجْعَلْهَا حِلْيَةً نَفْسِهِ ،  
وَنَجْوَى أَنْفْسِهِ ، وَوُضُفِيَّةَ أَجْتِهَادِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَزِيَّةُ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَسُدُّهُ فِي أَحْوَالِهِ ، وَيَعِصِّدُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ بِبِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

(١) لعله « بأن لا يعلم أسمى منها وأسنى » .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كُتب به للأُمير «تلكتمر الناصري»  
عند ما كان المقر الشهابي أحمد ولد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمد لله الذى جعل بنا الممالك مُحَصَّنَةً الحُصُون ، حَمِيَّةً بِكُلِّ سَيْفٍ يَقْطُرُ مِنْ  
حَدِّهِ الْمَنُون ، مُنْعَةً لَا تَنْخَطِئُ إِلَيْهَا الظُّنُون ، مُحَجَّبَةً لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ عُيُون ؛ رَافِلَةً  
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ ثَمِيمٍ ، مَنِعَةً أَشْبَهَتِ السَّمَاءَ وَأَشْتَبَهَتْ بِهَا فَأَصْبَحَتْ هَذِهِ  
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا تَبِين .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي رَفَعَتْ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتْ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ  
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مِعْصَمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِيُتْرَكَ بِغَيْرِ سِوَارٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتْبًا ، وَمُلِئَتْ بِهَا سَمَاوُهَا  
حَرَسًا وَشُهُبًا ، وَأَعْلَتْ مَكَانَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرْقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّحَابِ قُلُوبًا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَشْرَفُ مَنْ بَعَثَ وَلَاةً عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَكَفَاةً عَلَى  
الْأَفْطَارِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْحَمَائِمُ ، وَسَفَحَتْ الْغَنَائِمُ ؛  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُمِيَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُدِثَتْ - وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،  
وَأَرْتَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ  
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةٍ لَدَيْنَا ، وَأَفْضَلُ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ  
عَلَيْنَا : وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَقَارِقِهَا ، وَأَتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ؛  
وَتَحَدَّرَتْ الْغَنَائِمُ مِنْ دُيُولِهَا ، وَطَفَّتْ عَلَى السَّمَاءِ وَطَافَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفَرَسِ الْمَجَرَّةِ

من سُيولها . وكان الكرك المحروس هو المراد ، ومدينته التي لم يُحلق مثلها في البلاد ، وقلمته تشكى الرياح لها طلوع واد ونزول واد ؛ وهي أرض تمت بأنها لنا سكن ، ونمت مناقبها بما في قلوبنا من حب الوطن ؛ واستقرت للقمامات العالية أولادنا - أعزهم الله بنصره - فانتقلت من يمين إلى يسار ، وتقابلت بين شموش وأقار ، وجاد بها البحر على الأنهار .

فلما خلت نيابة السلطنة المعظمة بها عَرْضنا على آرائنا الشريفة من تَطْمِئِن به القلوب ، ويحصل المطلوب ، وتجرى الأمور به على الحسنى فيما ينوب ؛ وتبارى عزائم الرياح بمرمى كل مقلة وهزة جيد ، ولا يُشك في أنه كُفُو هذه العقيلة ، وكفى هذه الكفالة التي ما هي عند الله ولا عندنا قليلة ، وكافل هذه المملكة التي نتم بها بنية أحسن من بنية وخيلة أحسن من خيلة ؛ من كان من أبوانا العالية مطلعها ، وبين أيدينا الشريفة لا يُجهل موضعه ؛ طالما تكلمت به الصفوف ، وتجملت به الوقوف ، وحسن كل موصوف ، ولم تخف محاسنه التي هو بها معروف ؛ كم له شيمه عليه ، وهمة جليه ، وتقدّمات إقدام بكل نهاية غاية مليه ، وعزائم لها بنعته مضاء السيف وباسمه قوة الحديد وهي بالنسبة إليه ملكيه ؛ وكان المجلس العالى - أدام الله نعمته - هو لابس هذه البرود التي رُقّت ، والعقود التي نُظمت ، وجامع هذه الدرر التي قُسمت ، والدرارى التي سمت إلى السماء لما وُسمت ؛ وهو من الملائك في الوقار ، وله حكم كالماس وبأس يقطع الأحجار ، وهو ملك نصفه الآخر من حديد كما أن لله ملائكة نصفهم من النّاج ونصفهم من نار ؛ وهو الذى اقتضت آراؤنا الشريفة أن نجعله في خدمة ولدنا - أمتعته الله ببقائنا - نائباً بها ، وقائماً بحسن منابها ؛ والمتصرف فيها بين أيديه الكريمه ، والمتلقى دونه لأموورها التي قلّدا بها عنقه أمانة عظيمة .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلبه في كل تقليد راضيا - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تقدمه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العدوان ويكفيها ، وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ، وبه تُزال كل ظلامه ، وتُراح كل ملامه ، ويُؤيد الشرع الشريف ويُؤبد حكمه ، وينشر علمه ويُنشر علمه ، وتقام الحدود بحده ، والمهابة بحده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرايا يعمهم بالعدل والإحسان ويُسر ما عندنا مطلوبهم ، وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيتنا الذين هم لنا ولك ، فرفرف عليهم بجناحك ، وخذهم بساحك ، والمسارة إلى آمتال مراسمتنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويُستمد من أمداه ، فلا تقدم شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكره ما يمكن أن يستطاع ، وخدمة أولادنا فلا تدع فيها مُمكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ، وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنّاها بصيانتك ، فالله الله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الذريعة ، وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى والتقوى والوقوف عند الشريعة ، والله تعالى يزيدك علواً ، ويبلغك مرجواً ، والاعتماد ... .. .

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيرهم ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرّك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» لولده الملك الناصر «أحمد» قبل سَلْطَنَتِهِ ، وكتب له فيه بـ«الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدّین، وهی :

الحمد لله الذي أسعدنا بِوَرَاثَةِ الْمُلْكِ وَالْمَمَالِكِ ، وأرشدنا للرّأى الْمُصِيبِ فِي أَنْ تَسْتَنْبِيبَ مِنْ نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَأَيَّدَنَا بِالْعَوْنِ وَالصَّوْنِ فِي حَفِظِ مَا هُنَا وَلِحَظِ مَا هُنَاكَ ، وَعَوَّدَنَا الْإِمْدَادَ بِمِثْنِهِ الْمَتَدَاوِلَ وَالْإِنْجَادَ بِمِثْنِهِ الْمَتَدَارِكِ ؛ وَسَدَّدَنَا بِالْفَضْلِ وَالْإِسْعَافِ إِلَى أَنْ تَتَّبِعَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ أَنْجَحَ السَّبِيلِ وَأَوْضَحَ الْمَسَالِكِ ، وَعَضَّدَنَا مِنْ دُرَيْتِنَا بِكُلِّ نَجَلٍ مُعْرِقٍ ، وَنَجْمٍ مُشْرِقٍ ، يَرُشِّقُ شِهَابُهُ ، فِي الْكَرْبِ الْحَالِّ وَيَأْتِلِقُ صَوَابُهُ ، فِي الْخَطْبِ الْحَالِكِ ؛ وَأَفْرَدَنَا بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ ، وَالْفِكْرِ الْجَلِيلِ ، إِلَى أَسْعَدِ تَحْوِيلِ تَنْبِيْهِاتِهِ فِي الْأَفَاقِ الشُّهُبِ الطَّوَالِعِ وَتَسْيِيرِ بَشْرَاهُ فِي الْأَقْفَارِ النَّجْبِ الْوَوَائِكِ .<sup>(١)</sup>

نحمده ! وكيف لا يحمّد العبدُ المالك ! ، ونشكره على أن أهّلنا لإقامة الشّعاء وإدامة المناسك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته ، عن مُشَاهِدِهِ وَتَعَالَى فِي مَلَكُوتِهِ ، عَنْ مُشَارِكِهِ ؛ وَنشهد أن سيدنا محمّدا عبده ورسوله الذي أنجّد جنوده من المَلَا الْأَعْلَى بِالْمَلَائِكِ ، وَأَمَدَّ بُعْوثَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاقِفِ وَالْمَعَارِكِ ؛ وَأَيَّدَ أُمَمَهُ بِوَلَايَةِ مُلُوكٍ يَحْلِسُونَ فِي النِّعَمِ عَلَى الْأَرَائِكِ ، وَيَخْرُسُونَ حِمَى الدِّينِ بِجِهَادِهِمْ وَأَجْتِهَادِهِمْ مِنْ كُلِّ فَاتِنٍ وَفَاتِكٍ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ سُبْحَنَ النَّجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَوَافِ وَالْمُنْقِذِينَ مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَظَّمُوا شَمْلَ الْإِيمَانِ ، وَهَزَمُوا جَمْعَ الْبُهْتَانِ ، بِكُلِّ بَاتِرٍ وَفَاتِكٍ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُضِيحِي لِقَائِهِمَا

في اليوم العَبُوسِ الْوَجْهَ الطَّلُقِ وَالنَّغْرَ الضَّاحِكِ ، وَيُنْشَرُ فَيُحْشَرُ مَعَ النَّيِّينِ وَالصَّدِيقِينَ  
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنُ أَوْلِيكَ ، مَا أَتَهَلَّ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِجِ الْإِسْتِدْعَاءِ ،  
لَأَيَّامَنَا كُلِّ عَابِدٍ وَنَاسِكَ ، وَعَوَّلَ حُسْنُ آرَأَيْنَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لَجَلِيلُ آثَارِنَا سَالِكِ ،  
وَأَقْبَلَ بِالْإِقْبَالِ سَنَا شِهَابِهِ الْمُنِيرِ يَجْلُو مَا تُثِيرُ مِنْ لَيْلِ نَقْعِهَا السَّنَايَكِ ، فَخَصَلَ لِلذِّكْرِ  
وَالشُّوَبِكِ بِهَذَا الْقُدُومِ نَخَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آثَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَيَسِّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛  
وَوَهَبَنَا فِي الْمُلْكِ النَّسَبَ الْعَلَى الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٍ ؛  
وَقَلَّدَنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ مَا لَجَمَدِهِ فِي الْآفَاقِ تَطْرِيقٍ ، وَلِعَقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْوِيقٍ ؛  
فَفَيَّأْنَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمُنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرَيْقٍ ، وَهَيَّا  
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيمًا عَمِيمًا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُدُ يَلِيقُ ؛ وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ أُعْزَرَ  
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابَ عَلَا هُوَ لِلْبَدْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبُهُ وَشَقِيقُ ، وَأَطْعَمَنَا  
أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامِلَةِ الْوَلَدِ الْبَارِ مَعَامِلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعَنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْتَفَعَ مَحَلُّهُ وَيَتَسَّعَ أَمْلُهُ وَلَا يَضِيقَ ، وَجَمَعْنَا  
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، الشَّهَابِيُّ ، سَائِلُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلُ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُشِيرُ رُتَبُ الْكَفَالَةِ بِرَقِيهِ ، وَتَقَرُّ عِيُونُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيُّنِهِ لِإِنْقَاءِ  
أَمْرِنَا الْمُطَاعِ وَتَلَقِّيهِ ؛ وَتُلَهَّجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُدَ مُلْكَ بَيْتِهِ  
الشَّرِيفِ وَيُثَبِّتَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مَا يَتَّقِيهِ ؛  
وَنُغَمِّسُكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانِ الْمَقَامِ عَنْ مَدْحِهِ أَدْبًا ، وَنَتْرُكُ الْإِفْتِخَارَ بِالْمَالِ  
وَالْعَدِيدِ إِثَارًا لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلَبًا ؛ وَنُذَرِّكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْدًا وَآرَبًا :

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾<sup>(١)</sup> . وِبَرَكَةِ هَذَا الْقَصْدِ يَتِمُّ لَنَا فِيهِ الْمُرَادُ ، وَيَعْنِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ النَّفْعُ بِهَذَا الْإِفْرَادُ ؛ فَإِنَّهَا مَعَهُدُ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ ، وَمَشْهُدُ الْوَفْرِ وَالْمَنْحِ ؛ وَمُضْعَدُ الْعِزِّ الَّذِي لَمَّا وَطَّنَا صَرْحَهُ تَدَكَّدَكَ لِلْعِدَا كُلِّ صَرْحٍ ، وَتَمَلَّكَ لِلْهُدَى كُلِّ سَرْحٍ ؛ وَتَشَقَّقْنَا بِهَا لِقُرْبِ الْمَزَارِ مِنْ طِيبِ طَيِّبَةِ أَعْظَمِ نَفْعٍ ، وَقَدْ بَقِيَْنَا بِجَاهِ الْحَالِ بِهَا فِي تَيْسِيرِ التَّائِيدِ فَكَانَ كَالْمَلْحِ ؛ وَجَرَى خَلْقُنَا السَّمْحَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِ فِي الْحَكْمِ وَالصَّفْحِ ، وَسَرَى ذِكْرُنَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَلِلْهُدَا بِهَ أَطْرُبُ صَدْحٍ ، وَآتَى اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مُلْكًا نَعْمًا تَجِلُّ عَنْ الْعَدِّ وَالشَّرْحِ ؛ فِيهَا مَنَشَأُ دَوْلَةِ الدُّوَلِ وَمِنْهَا فَتَحَ الْفَتْوحِ ، وَبِإِضَافَتِهِ إِلَيْنَا تَفَاوُلُ خَيْرٍ مَشْهُورٍ مَلْمُوحٍ ؛ كَمَا قِيلَ قَبْلَهَا كَرَّكَ نُوحٍ ، فَبِتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنَ الْكُفَّارِ ، عَزَائِمُنَا تَغْدُو وَتَرْوَحُ ، وَبِالْأَسْتِنَادِ بِأَطْوَلِ الْأَعْمَارِ ، أَمَارَةٌ بَادِيَةُ الْوُضُوحِ ؛ وَأَنَارُ بَرَكَةِ الْأَسْمِ الشَّرِيفِ الْمُحَمَّدِيِّ تَظْهَرُ عَلَيْنَا فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ وَتُلُوحُ ، وَنَفْخَارُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْمُبَارَكَةِ : لِأَخْتِصَاصِهَا بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَلَيْهَا طَلَاوَةٌ وَسَعَادَةٌ وَفِيهَا رُوحٌ ، وَكَثَا قَدْ سَلَكْنَا بِهَذَا الْوَلَدِ النَّبِيلِ ، سَنَةً أَيْ الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، فِي وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ التَّامُّ فِي كُلِّ بَكْرَةٍ وَأَصِيلٍ ؛ حَيْثُ فَارَقَهُ وَأَفْرَدَهُ ، وَتَفَقَّدَهُ فِي كُلِّ حِينٍ وَتَعَهَّدَهُ ؛ حَتَّى شَدَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَضْدَهُ وَرَفَعَ هُوَ وَأَبُوهُ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ وَأَعَانَهُ لَمَّا شَيْدَهُ ، فَأَجْمَلَ اللَّهُ لَنَا هَذَا الْقَصْدَ وَأَحْمَدَهُ ، وَكَمَّلَ هَذَا الشُّرُوعَ وَأَسْعَدَهُ ؛ وَأَجْزَلَ [لَهُ] مِنْ فَوَائِدِهِ أَوْفَرِ هِبَةٍ وَأُنْجَزَ لَهُ مِنْ عَوَائِدِهِ أَصْدَقَ عَدَةٍ ؛ فَأَحْلَلْنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ بِمَمْلَكَةِ الْكَرَّكَ فَسَلَّكَ مِنْ حُسْنِ السَّجَايَا أَحْسَنَ مَسَلَّكَ ، وَمَلَّكَ قُلُوبَ الرِّعَايَا وَبِمَا وَهَبَ مِنَ الْمَنْحِ تَمَلَّكَ ؛ وَبَسُنَّتْنَا فِي التَّوَاضُّعِ لِلْحَقِّ مَعَ الْخَلْقِ تَمَسَّكَ ، وَبَشِيمِنَا وَخَلَقْنَا فِي الْجُودِ تَخَلَّقَ قَبْدَلٌ وَمَا أَمْسَكَ .

(١) التلاوة «وخير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .



ولما بلغ أشده وأستوى، وبرز شهاب علاه الذى هو وبدر الساء سوا، وحاز  
مكارم الأخلاق وحوى، وفاز سلطاننا فى نجابته بحسن النية: "وإنما لكل امرئ  
ما نوى" - حكمناه فى هذه النيابة التى ألفتها ودربها، وعرف أمورها وجرها،  
وآستمال خواطر أهلها وآستجلبها، وأدنى لهم لما دنا منهم الميامن ولما قربها  
منهم قربها، وآستحق كفالتها وآستوجبها، وأظهر الله تعالى فيه من الشئائل أنجبها،  
ومن الخلائق أرحبها، ومن الأعراق أطيبها، ومن العوارف أنسبها، ومن العواطف  
أقربها، ومن البسالة أرهفها وأرهبها، ومن الجلالة أحبها إلى القلوب وأعجبها، ومن  
السيادة ما أخذت نفسه لها أهبها، ومن الزيادة ما يتعين [له] شكر الله الواهب الذى  
وهبها، ومن السعادة ما رفعت الأقدار على مناكب الكواكب رتبها، وأطلعت  
لحماته سماء العلواء شهبها، ورقت على هامة الجوزاء منصبتها، وآستصحبنا من العناية  
لهذا البيت مزينة فرض الله بها له الطاعة وكتبها، فاستخرنا الله تعالى الذى يختار لنا  
ويخير، وسألناه التأييد والتيسير، وفوضنا إليه وهو الكفيل لنا بالتدبير، فى كل مبدئ  
ومصير، واستعنا به وهو نعم النصير، واقتضى حسن الرأي الشريف أن نُسرج  
شهابه المئير، وننتج لآولياء يمن التأثيل بحسن هذا التأثير، وننمى فى ربه سبلا  
تقدمنا إليها كل ذى منبر وسرير، ونثلج الصدور ونقر العيون بسعيد هذا الإصدار  
وحيد هذا التقرير.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا برح أمره يصيب السداد فيما إليه يصير،  
وخبره يحمل الموافاة فلائسنة عن مكافأة ربه تقصير - أن تفوض نيابة السلطنة  
الشريفة بالكرك المحروس والشوبك للجناب العالى، الولدى، الشهابى، وما ينضم  
إلى ذلك وينضاف، من جميع الأقطار والأكفاف، وجمعنا له من هذه المملكة  
الأطراف، وجعلنا له على سهلها وجبائها إشراف، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غير خاف ؛ نيابةً كامله ، كافلةً شامله ، عامه ، تامه ؛ وافرّه ، سافرّه ؛ يستلزم طاعته فيها الاقتراض ، ونحسم عنه فيها موادّ الاعتراض ، وتتقدّ مراسمه من غير توقّف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه من غير انخفاض .

فلتقدّر رعية هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزعهم لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم برّها ؛ وألقى إليهم جودها وخيرها ، وأبقى عندهم عزّها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليجمعوا على الطاعة التي تبتقى عليهم نعمة العافية وتديم ؛ وليسمعوا ويطيعوا لما يرد إليهم من المراسيم ، فن لم يستقيم كما أمر لا يستعزّ بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقِل لنفسه خصيم ، والجاهل من عدم النعمة وحرم النعم ؛ وفراستنا تلمح نتائج الخير من هذا التقديم ، وسياستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟ وهو الكريم بن الكريم ، المؤمل لتمام السؤدد قبل أن يُعقد عليه التميم ؛ المشتمل على الحلال الموجبة له الفضل العيم ، المتوصل بمن حركاته إلى أن يكون مثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته استبداعٌ وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدنا الإقبال فتتلو الرجال : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريم ﴾ .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا وبصّرنا ، ونبني لديك من بدائعها ما به خصاصنا وأوثرنا ؛ ونوصيك أتباعاً للكتاب والسنة ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه : فقد وعظ ووصى لقان - عليه السلام - أبنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن فحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون ممن تنفعه الذكرى، وتسير شهابك، إلى أفق السعد وتأمل أن تيسر لليسرى،  
وتؤمرك فتزيد علم عزك رفعا ولواء مجديك نشرا، وتأمرك ثقة بحسن أخلاقك،  
فيتلو لسان وفائك: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ . فمثلك  
من أيدته العصم، وأصعدته الهمم، وحمدته الأمم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته  
فكرته من الحكم، وسدته أعراقه وأخلاقه فلا يزداد على ما فيه من كرم، فلا تذكر  
منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف أمرا وعن  
المنكر ناهيا .

فأتق الله تعالى: فعلى التقوى مراك، وراقب الله تعالى: فالمرقبة للولوك من  
بنيتك ملاك، وجد في نصرة الحق ولا تأب: فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،  
وأعدل فبالعدل تعمم الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا  
كل فرع، وبجالة الرحب إذا ضاق الدرع، فأيد حاكمه، وشيّد معالمه، وأكد  
الإلزام بأحكامه الألازمه .

والأمرأء والجنود فهم جناح النجاج، وصفاح الصفاح، فاعتمد أحوالهم بالصلاح،  
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . والخيالة والرجالة الذين يُنحى بهم مصون الحصون  
أن يستباح، فالخط أمورهم بعين فكرك في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة  
تعين من النعمة أن يزداد ومن قصر في العزم قضى الحزم أن يزاح . والرايا فهم  
للإحسان ودائع، وللامتنان صنائع، فأعذب لهم من المعدلة المشاريع، وأنصب  
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع، وأخصب لهم من النعمة مربعا يرغب الجالح  
ويقرب الطائع . وأهل الذمة فأوهم إلى كنف العدل الواسع، وأحهم أن تمتد  
إلى أنفسهم يد جان وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القَوَاصِمَ وَالْقَوَارِعَ ، وَأَدِمَ لَهُمْ مَهَابَةَ تَسُدُّ مِنْ فساد الدَّرَائِعِ ، وَعَاوَدَ آراءَنَا الشَّرِيفَةَ  
وَرَاجِعَ ، وَوَصَلَ بِأَنْبَائِكَ السَّارَةَ وَأَفْعَالِكَ الْبَارَّةَ وَتَابِعَ ، وَبِمَا نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ خَوَاطِرُنَا  
العاطفة من مُتَجَدِّدَاتِكَ الْمُبَارَكَةِ أَتَحِيفُ وَطَالِعَ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَشْفَى بِحُسْنِ سِيرَتِكَ  
المسامعَ ، وَيَشْرَفُ بِمَجْلُولِ عَدْلِكَ الْحَافِلَ وَالْمَجَامِعَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكَ  
مِنْ عِصْمَتِهِ أَعْظَمَ وَازِعَ ، وَيَتَّعِكَ بِأَيَّامِنَا الَّتِي فِيهَا الْخَيْرُ الشَّامِلُ وَالْبِرُّ الْجَامِعُ ،  
وَيَصُونُ بِمَخْلَاكَ الْحُسْنَى مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ أَسْنَى الْوَدَائِعِ ، وَيُزَيِّنُ سَمَاءَ الْعُلَيَاءِ  
بِجَلَالِكَ فَمِنْهَا لَكَ قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ ، وَيُوفِّقُ بِجَمِيلِ قَصْدِكَ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ  
مِنْ الْقَسْلُوبِ بِالْمَجَامِعِ ، وَيَحَقِّقُ فِي إِسْعَادِ جَنَائِكَ الْمَطَالِبِ وَيُشْرِقُ بِإِصْعَادِ شَهَائِكَ  
الْمَطَالِعِ ؛ وَالْعَلَامَةُ ... ..

الصنف الثاني — أَرْبَابُ الْوُظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ . وَبِهَا قَاضٍ وَاحِدٌ شَافِعِي ،  
وَتَوْقِيعُهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بـ «السَّامِي» بِالْيَاءِ .

الصنف الثالث — الْوُظَائِفُ الدِّيْوانِيَّةُ . وَهِيَ ثَلَاثُ وَظَائِفَ ، يَكْتَبُ لِكُلِّ  
مِنْهَا تَوْقِيعٌ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . الْأَوَّلَى كِتَابَةُ الدَّرَجِ . الثَّانِيَّةُ نَظَرُ الْمَالِ . الثَّلَاثَةُ  
نَظَرُ الْحَيْشِ .

### القسم الثالث

(مما يَكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ -

مَا يَكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالْمَمْلَكَةِ الْمَحْزَايَةِ)

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَاعِدَ :

## القاعدة الأولى

( مكة المشرفة ، وبها وظيفتان )

## الوظيفة الأولى

( الإمارة )

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،  
وأنها كانت تؤلّى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين أنقراضها ، إلا ما تغلب عليه  
الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آنحاً من جهة ملوك مصر  
إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالى» بزيادة ألقاب  
تخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كتب بها عن الملك الناصر « محمد بن  
قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نُمى ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضاً عن أخيه  
« عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين  
أبن الباربارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من اتقى غضبه  
بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه فى الدنيا ليأمن  
فى الآخرة ؛ ومن أخاف عا كَفَ حَرَمِ الله وباديه فقد بَاءَ بالأفعال الخاسره ، ومن عَظَمَ  
شعائر الله فقد رَقَلَ فى حُللِ الإقبال الفاحره .

نحمده على ألطافه الباطنة والظاهرة ، ونشكره ونرجوه وما زال يُنَجِّحُ راجيه ويزيدُ  
شاكركه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اتخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها ضَمَائِرَهُ ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم  
فألف القلوب النافرة، وفتح مكة فطهرها من الزمرة الكافرة، وقال في ذلك اليوم :  
« من أغلق عليه بابه فقد أمن » فأمسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه  
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن الحكم [بالعدل] شعارنا ، وبالله اقتدأونا وأقتدأنا ؛ وفي الإحسان  
رغبنا ، وفي كل عنق متشاباً نصفع ونمنح ، وزعى من أمسى قديم الهجرة في ولايتنا  
وأصبح ؛ ونقيم من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصلح فالأصلح ، ونقدم من لم  
يزل مقدماً وإلى صوب الصواب يحنح فينحج ، وننجي من الهلكة من لاح له  
منهج الخير فسلكه فأفلح .

وكانت مكة المعظمة هي أم القرى ، والبلد الامين المجزل فيه القرى ؛ نشأ الإسلام  
في بطحاءها ، وحرّمها الله فلا ينقر صيدها ، ولا يعصد شجرها ، ولا يحل لقطتها  
إلا لمنشد تاكيداً لتشريفها وإعلائها ؛ وطلعت شمس النبوة من شعابها ، وغسلت  
الذنوب بوبل سحابها ؛ فيها زمزم وكرة جبريل ، وفيها بدأ الوحي والتزيل ، وإليها  
أعنت الركاب ففي كل أبطح للطى مسير ومسيل ؛ فكم أتى إليها من سائر الناس  
سائر ، وكم أتى إليها الناس رجالاً وعلى كل ضامر ؛ فالرحمة مستقرة بين نواحيها  
والعيون تملئ بأنوار تلك الأستار حتى تجتليها ، والشفاه تتشرف بتقيل ذلك الحجر  
الذي يشهد لما في غد ويقيها ؛ فطوبى للمتقيها ، وسحقاً لمن أخاف وفد الله فيها ؛ ونحن  
قد بصرنا الله بخدمة بيتها المحرم ، وحرّمها المعظم ، وكرّر إليها حجنا وكرّمه : فله الحمد  
أن كرّر حجنا وكرّمه ؛ وما برحنا نقيم في إمارتها من العترة النبوية كل شريف النسب ،

وَكُلٌّ مِنْ يَكْتَسِبُ فِيهَا رِضَا اللَّهِ تَعَالَى : وَكُلُّ أَمْرِيٍّ وَمَا آكْتَسَبَ ؛ فَمَنْ أَصْلَحَ مِنْهُمْ أَقْنَاهُ ، وَمَنْ حَادَّ عَنْ الطَّاعَةِ وَجَحَدَ النِّعْمَةَ أَزْلَاهُ ؛ وَمَنْ أَخَافَ فِيهِ السَّبِيلَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ إِلَى الْخَيْرِ سَبِيلًا ، وَمَنْ أَسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَوَلَّيْنَاهُ : وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَازَالَتْ خَوَاطِرُنَا الشَّرِيفَةُ تَقْدِّمُهُ عَلَى بَنِي أُنَيْهِ ، وَتَحْتَارُهُ أُمِيرًا وَتَجَنَّبِيهِ ؛ وَرُبَّمَا سَلَفَتْ مِنْ بَيْتِهِ هَنَاتٌ صَفَحْنَا عَنْهَا الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ، وَمَا قَابَلْنَاهُمْ إِلَّا بِمَا يَلِيقُ لِمَجْدِهِمُ الْحَسَنِيَّ الْحَسَنَ الْأَصِيلَ ؛ وَالْإِمْرَةُ وَإِنْ كَانَتْ بِيَدٍ غَيْرِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ فَمَا كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ أَمِيرٌ عِنْدَنَا سِوَاهُ ، لِأَنَّهُ كَبِيرُ بَيْتِهِ الْمَشْكُورُ مِنْ سَائِرِ الْأَقْوَاءِ .

وَالْآنَ قَدْ أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ نُقِيمَهُ فِي بَلَدِهِ أَمِيرًا مُفْرَدًا إِلَيْهِ يَشَارُ ، وَأَنْ نَصْطَفِيهِ : وَإِنَّهُ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمِصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارَ ، وَأَنْ نَجْعَلَ الْكَلِمَةَ وَاحِدَةً لِيَأْمَنَ التَّزِيلُ وَالْجَارُ ؛ وَمَتَى تَجَادَبَ الْأَمْرُ كَلِمَتَانِ فَسَدَ نِظَامُهُ ، وَمَتَى أَفْرَدَ الْحَكْمَ حُسْنَتُ أَحْكَامُهُ ؛ وَمَتَى تَوَحَّدَ الْأَمْرُ زَالَ الْأَخْتِلَافُ ، وَزَادَ الْأَثْلَافُ ، وَأَقْبَلَتْ أَيَّامُهُ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ إِمْرَةُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ . فَلْيَتَقَلَّدْ مَا فُوضْنَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِمْرَةِ وَالنِّيَابَةِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ : شَاكِرًا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاضِينَا الَّتِي لَا نَجَاةَ لِمَنْ لَمْ يَنْبَلْ مِنْهَا نَصِيبًا مَوْفُورًا ، وَلَا فَوْزَ لِمَنْ لَمْ يُدْرِكْ مِنْهَا حِظًّا كَبِيرًا ؛ وَلْيُشْرَعْ فِي تَهْيِيدِ الْبِلَادِ مِنْ إِزَالَةِ الْمَظَالِمِ ، وَلْيُطَهَّرْهَا مِنْ كُلِّ مُجْتَرِيٍّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبُقْعَةِ الْمُحَرَّمَةِ ؛ وَلَا يُقَرَّبْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فَيُعْدِيهِ ، وَلَا يَرْجِعْ لِمَنْ فِيهِ شِقَاقٌ ظَاهِرٌ فِي صَفَحَاتٍ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتٍ فِيهِ ؛ وَلْيُعَلِّمْ أَنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَصَيَّرَ جَنَّ بَيْتِهِ عَلَى مَسْتَطِيعِهِ مِنَ الْقَرَضِ ؛ وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ مَعَادًا وَمَعَاذًا ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ

عَرَفَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ حُرْمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعْ الدَّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ وَالظُّلْمَ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامٌ ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَتَقَى اللَّهَ لَتَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْرَبِ ، وَأَتَّبَعَ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَثٌّ وَأَمْرٌ ؛ وَأَتَقَى وَفَدَى اللَّهَ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى فَهُمْ أَضْيَافُهُ ، وَأَمَّنَ الْحَجَّ لَيْتَ تُسَكِّهُ وَطَوَّافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لَكَ أَيُّهَا الشَّرِيفُ : فِطْبُ نَفْسًا بِمَرْضَانَا ، وَصَفْحَنَا عَمَّا مَضَى وَمَنْحَنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمير مكة المشرفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ أَرْضَ الْحَرَمِ لَا تَيْدُ بَرَكَاتِهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لَشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَاشِيَّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَخْرَجَ غُصْنًا ، وَآتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فِرَادَى وَمَثْنَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَيَّدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَبْنَى ، وَأُصْحَبِ الضُّلُوعِ عَلَى مَحَبَّتِهِ تُحْنَى ، وَثَمَارُ الْخَيْرِ مَمَّا يَنْ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرُهُ تُجْنَى ، وَخَصَّه اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَاللِّدِينِ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا .



وبعد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خير البلاد بلا مِراً ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً وسرى ، وهجروا في قصديهم إليها لذيذ الكرى ، ونصب فيها بيتاً ميتين العرى ، وأنبع فيها بئراً ماؤها يشفي السقيم ويبرئ الورى ، وجعل فيها للشرف بيتاً على الدرى ؛ فأمرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يخيب ولا يضاع ، ذوهممة تخافها السباع ، ويرهبها البطل الشجاع ؛ يعد من الآباء أسلافاً كراماً ، كمصابيح السماء تجلو ظلاماً ، وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاوروا مقاماً .

ولما كان ... .. هو شريف العرب ، المعرق في السب ، الطيب الحسب ، المحي من آثار آبائه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأدنى من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته المروءة إذ طاب أصله ؛ قد أقتفى في الكرم أباه وجدّه ، وأمن سبيل الحاج من جهة البر ومن جهة البحر من جدّه .

فلذلك رسم أن يفوض إليه ... .. فليحل البلد الحرام حاكماً وأمراً ، وليستجلب له من العاكف والباد شاكراً ، وليحسن للطائفين والعاكفين والرغم السجود ، وليتبع آثار آبائه أهل الكرم والجود ، وليؤمن الخائف في تلك التهائم والتجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، وليعلم أنه بواد غير ذي زرع ولكن فيه للبركات ظل ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولد أشرف مولود ، وجدّه الحسن رضى الله عنه فليكن حسن الفعل فكاً ساد يسود ، وليعرب عن الثناء الأبيض عند ما يتمسك بتلك الستور السود ، وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالاحتفال والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقبلاً لحرماتهم بحيل الاحترام ؛ وليكف الأشرار من العبيد والموالي ، عن النهب والتخطف لو قد

الله الذي قَطَعَ السُّرَى بِالْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ؛ وَلِيُلَازِمَ خِدْمَةَ الْمُحْمِلِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا يَنْاسِبُ شَرَفَهُ ، حَتَّى يَقِفَ بَعْرَفَهُ ، ثُمَّ يَدْفَعُ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ ، إِلَى أَنْ يَقْضَى الْحَجَّ وَيَرْحَلَ مِنْ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ؛ وَلِيَكُنْ سِيَاجًا عَلَى الْمُحْجَّاجِ ، فِي تِلْكَ الْفِجَاجِ ، حَتَّى لَا يَفْقِدَ أَحَدُهُمْ عَقَالًا ، وَلَا يَحْدَ اخْتِرَالًا ، وَيَرْحَلُونَ عَنْ مَكَّةَ الْمُعْظَمَةِ مِنَ الذُّنُوبِ خِفَافًا وَبِمَنْتَه نِقَالًا . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ غَنَى عَنْ أَنْ نُطِيلَ لَهُ فِيهَا مَقَالًا ، وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ تَمَسُّكِهَا بِهَا حَسَنٌ حَالًا ، وَأَتَمُّ أَهْلِهَا كَرَمُكَمُ اللَّهُ أَهْلًا وَآلًا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِفْظِ جَانِبِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلْيَرْدَعِ عَنْ الْخَوْضِ فِيهِمْ جُهَالًا ، وَاللَّهُ يُجْعَلُهُ مَغْمُورًا مَسْرُورًا يَنْعَمُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لأُمير مَكَّةَ ، أوردتها في "التعريف" :

وَلْيَعْلَمْ أَنَّه قَدْ وُلِّيَ حَيْثُ وُلِدَ بِمَكَّةَ فِي سُرَّةِ بَطْحَائِهَا ، وَأُمِّرَ عَلَيْهَا مَا بَيْنَ بَطْنِ نَعْمَانِهَا إِلَى بَقْوَةِ رَوْحَائِهَا ؛ وَأَنَّهُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ وَلَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بِهِ تَمَّ شَرَفُهُ ، وَعَلَتْ غُرْفُهُ ، وَعَرَفَ حَقُّهُ لَهُ أَبْطَحُهُ وَمَعْرِفُهُ ، إِذَا كَانَ أَوَّلَى وَلَاةِ هَذَا الْحَرَمِ بِتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ ، وَسُرُورِ جَوَانِبِهِ بِمَا يُلُوحُ مِنَ الْبُشْرِ عَلَى قِيَمَاتِهِ ؛ وَلَأنَّهُ أَحَقُّ بَنِي الزَّهْرَاءِ بِمَا أَبْقَتْهُ لَهُ آبَاؤُهُ ، وَأَلْقَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ قُصَى جَدِّهِ الْأَقْصَى أَنْبَاؤُهُ ؛ وَهُوَ أَجْدَرُ مِنْ طَهَرِ هَذَا الْمَسْجِدِ مِنْ أَشْيَاءَ يُتَرَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِ فُحْشُ عَائِهَا ، وَشَنْعَاءُ هُوَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَّبَعُهَا « وَأَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشَعَائِهَا » .

فَلْيَتَلَقَّ رَايَةَ هَذِهِ الْوِلَايَةِ بِالْيَمِينِ ، وَلْيَتَوَقَّ مَا يَتَخَوَّفُ بِهِ ذَلِكَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّه قَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَهُوَ بَيْنَ رُكْنٍ وَمَقَامٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ بَايَعَ اللَّهُ : وَاللَّهُ عَزِيزٌ دُونَ أَنْتِقَامٍ ؛ وَلْيَعْمُرْ تِلْكَ الْمَوَاطِنَ ، وَيَغْمُرْ بَيْرَهُ الْمَارَّ وَالْقَاطِنَ ؛ وَلْيَعْمَلْ فِي ذَلِكَ

بِمَا يُجَبِّتُ عَنْهُ نِجَارَهُ <sup>(١)</sup> ، وَيَأْمُنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الذِّى لَا يُرَوِّعُ حَمَاهُ فَكَيْفَ جَارُهُ ؛ وَلْيُنِصِّصْ إِلَى أَسْمِهِ [عَزَّ وَجَلَّ] حَيْثُ يُعَلِّقُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْرَمٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَلْيَعْرِفْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَلْيَعَامِلْ مِنْ وُلَّى عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ أَنْ يَعَامَلَ بِهِ مَنْ وَقَفَ تَحْتَ مِيزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مَوْثِقَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَقْضِيهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلْيَتَبَصَّرْ أَيْنَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسَأَمَنَهُ عَلَى بَيْتِهِ الذِّى بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ بِمَشْعَرِهِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ خَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَشَوَّقَ حِمَى لَيْلٍ فَإِنَّمَا قَصَدَهُ أَوْ لَعَلَّعَ بَلَعَلَّعَ فَإِنَّمَا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَفِي لَيْلٍ مِّنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِمُحْصِيهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَقْتَرُّ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُ مِنْ قَبْلِ نَعْمَانَ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ مَحْطُ الرِّحَالِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُودٍ تُجَذِّبُ بِقَلْعٍ وَعُودٍ تُقَادُّ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تَضْرِبُ التُّجَارُ الْبَرَارِيَّ وَالْبِحَارُ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُحْدِثُ مِنَ الْأَقْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بَيْتِهِ الذِّى مَنَ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ ابْنِ بَنْتِ نَبِيَّهِ الذِّى يَلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ بَرِّ الضَّيْفِ مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِيطِ الْأَطَاعِ مِنَ الْعَصَى ، وَلْيَرْدَعْ كُلَّ مُفْسِدٍ وَلَا سِيَّاهُ الْغَيْدُ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمَفْسِدَ لَا يَزُجُّهُ إِلَّا الْعَصَا ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْحُجَّاجَ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، فَهَمُّ زُورَاهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْتِهِ وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَعَا ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْمُحْمِلَ الشَّرِيفَ وَالْعَصَائِبَ الْمَنْصُورَةَ ، وَلْيَخْدُمْ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورِهِ ؛ وَلْيَأْخُذْ بِخَوَاطِرِ التُّجَّارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرِّفْقِ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِيعَةِ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ . وَلَا تُخَيِّفْ أَمْوَالَهُمْ بِغَرَامَةٍ يَقِلُّ بِهَا الْغَنَمُ ، وَلَا بَطْلَامَةً فَإِنَّهُ بِإِزَاءِ هَذَا

الْبَيْتِ الَّذِي يُرَدُّ دُونَهُ مَنْ أَرَادَ فِيهِ الْخَادَا بَظُلْمٍ ؛ وَلَيَنْظُرَ كَيْفَ حُسِبَ دُونَهُ الْفِيلُ ، وَلَيَكْفُ عَادِيَّةً مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى لَا يَخَافَ ابْنُ سَبِيلٍ ؛ وَلَيُقِمَّ شَعَائِرَ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ، وَأَوَامِرَ أَحْكَامِهِ الَّتِي قَامَتْ بِأَبُويهِ : بِحُكْمِ جَدِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيْفِ أَبِيهِ حَيْدَرٍ . وَلَيَأْمُرْ طَوَائِفَ الْأَشْرَافِ وَأَشْيَاعَهُمْ وَسَائِرَ أَهْلِ مَوَالِيهِمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِلَزُومِ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَالِحُ السَّلَفِ وَمَا عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، وَتَجَنَّبِ مَا كَانَتْ الزَّيْدِيَّةُ زَادَتْ فِيهِ وَكَفَّ الْأَطْلَاعُ ، وَلَيَتَّقِ اللَّهُ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ لَدَيْهِ عَمَّا أَسْتَرَعَاهُ وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ لَرَّاعٍ ؛ وَلِيَأْيَاهُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى شَرَفِ بَلَدِهِ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْدَسُ أَحَدًا ، أَوْ شَرَفَ مَحْتَدِهِ ، فَإِنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ وَلَدٌ وَالِدًا وَلَا وَالِدٌ وَلَدًا .

### الوظيفة الثانية

(قضاء مكة، ويكتب به توقيع في قطع الثلث بـ«السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ، وأيد كلمة الشرع في بلده ومنشئه بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الجزيل ، حول حجر إسماعيل ؛ مُتَّسِقِ النَّظَامِ .

نحمده حمدا حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدٍ قائمٍ بحَقِّهَا أَحْسَنَ الْقِيَامِ ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله السامي من ولد سام ، والذي قام لله حتى ورمت منه الأقدام ؛ وأُسرَى به من مكة إلى السماء مرتين : فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَئِمَّةَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح ، ونورها في الجبين لأيج ؛ فإن الشرع نسا منها والوحي أنزل فيها فزهيته البطائح ، وظهرت النصائح ، وأطربت الصوادح ، وأسكتت النوائج ، وغمرت المنائح ، وانتشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ؛ وكيف لا؟ وماء زمزم شرابه ، وأستار البيت تسمها أثوابه ، وعلى الله أجره وتوابه ؛ وفي ذلك الجنب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع الدوحة المثمرة ، ومحصل من العلوم الشرعية المادة الموقرة ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن الفوائد وغرر الفرائد مسفرة ؛ ورضي أهل الحرم ، لما جيل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الاتقى فلا جرم .

فلذلك رسم ... - لا زال ...

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفق على الوري ؛ وليتمسك من التقوى بأوثق العرا ، وليخش رب هذا البيت إنه سميعٌ عليمٌ ويرى ، وفد الله قطعوا إليه المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضمخ عنبرا ؛ وليقض بين الخصوم بالحق فمثله من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت عالي الذرا ، وفي أرض شرف الله جبالها وقدس غيرانها فمنها غار ثور وغار حرا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في غار حرا ، وأوى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا ؛ والوصايا كثيرة وملاكمها تقوى الله فليتمسك بها من أيام وورا ، والله تعالى يجعل نهاره منورا ، وليله مقمرا ، بمنه وكرمه !

## القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

## الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على مامر في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالى» أيضا باللقاب مخصوصة ، وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كتب به للأمير بدر الدين <sup>(١)</sup> «ودى بن حجاز» من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذى صرّف أمرنا فى أشرف البقاع ، وشرف قدرنا بملك ما أتعقد على فضله الإجماع ، وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من نيات الوداع ؛ وأمدّها بؤدى صغر للتجيب وإلا فهو واد متدفق الأجراع .

نحمده على نعمه التى أغنت مهابط الوحي عن آرتقاب البرد اللّاع ، وأرتقاء النظر مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له فى كل أفق شعاع ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الامتناع ، وألفت

(١) سبق ضبطه مرارا فى ج ٤ بالتكمين تبعاً لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سنَّته أن ترعى لأهلها ولا تُزاع، وعصفت ريحها بمن يمالى دينه فمال إلى  
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحدٍ منهم نزاع،  
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة  
صَدَفها، والكمّامة بخرها، والغمامة بمطرها، والهالة بما يجلو الدجى من قمرها،  
والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها  
غُر السحاب، ولا وقفت بتأرجح شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى متيم  
دمن العقيق بمثله من دم ذائب، ولا هاج إليها البرق متألّقا، ولا هام صبّ فيها  
بطيّبات سلع والنقا، ولكنها مئوى النبوة تُرابها، ومهوى الرسل جنابها، ومأوى  
كتاب الله الفسيح رحابها، دار المعجزة التي تعالت شمس الشريعة بأفقيها، وتوالت  
سحب الهدى من بين أبيرقيها، وهى ثانية مكة المعظمة فى فضلها إلا ما ذهب إليه  
فى تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نؤارة كل نور وشُعاع  
كل قبس، وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبوق داريه، وأعلى سماء  
حوث ثلاثة أقمار منه ومن جاريه .

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحاملاً لا يجوز معه  
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنّه فى ماضى لما كثُر منهم على بعض  
الصاحبين - رضى الله عنهم - الإضرار، وأُشْرأوا فى التظاهر بسبهما إلى هنك  
الأستار، دب من النار فى هذا الحرم الشريف ما تعلّق بكلّ جدار، وأبّت لها حمية  
الغضب إلا أن يطهر ما سنَّته أيدي الروافض بالنار، فلما اتّصل بنا الآن أن منهم  
بقايا وجدوا آباءهم على أمّه، واقتدوا بهم فى مذهب الإمامية بما لا أَراده الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،  
الأصيل ، الكبيرى العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدمى ، الذخرى ،  
الكافى ، الشرفى ، الحسيبى ، النسيبى ، الأوحدي ، البدرى : عن الإسلام  
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العترة  
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الذرية الدررية ،  
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن  
جهاز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة  
الأربعة الحكام ، وتذم بأن مع طلوع بذر المنير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ، وتكفل  
لأهل السنة بما أشهدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم  
عليه : النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ؛ فما اختصهما الله بجواره إلا ليثبت  
لها على غيرهما إفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثالا ؛ لما  
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده  
إذ يقول : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها  
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليدا  
يحو بحده ما حدث من أحداث البدع ، ويحدد من عهد جده نبينا صلى الله  
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وثوقا بأنه من بيت كان  
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أثلته ومثلته فى سلفه  
الشريف بأقارب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،  
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يحقر ذمام ؛ المشرق من الأسرة  
العلوية بذرا تما ، المحدث به من الكواكب العلوية ما يظن به (٩) أبا تسمى وأبنا



تَسَامَى ؛ الْمُتَخَبُّ مِنْ آبَاءِ صَدَقَ أَحْسَنَ فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَ ، وَحَفَظَ مِنْ حَسَبِهِمُ  
الْكَرِيمَ مَا أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَ ؛ وَاسْتِضَاءَ بِلَامِعَةٍ مِنْ هُدًى سَلَفِهِ السَّابِقَ ، وَهَامِئَةٍ مِنْ  
نَدًى مَا يَرَوِيهِ السَّحَابُ عَنِ الْجُودِ وَالْبَرْقُ عَنِ الْمَهَارِقِ ؛ تَهْتَرُ بِمَقْدَمِهِ الْمَدِينَةُ سُرُورًا ،  
وَتَقْتَرُّ بِهَا مِنْهُ بِسَبَبِ كَأَنَّ عَلَى نَسَبِهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا ؛ وَيَتَبَاشَرُ مَا بَيْنَ  
لَا بَنَاتِهَا بَيْنَ يَحْيَى حِمَاهَا ، وَيُحْيِي حَيَّاهَا ؛ وَتَتَشَوَّفُ مِنْهُ رَبًّا كُلُّ نَبِيَّةٍ إِلَى ابْنِ جَلَاهَا ،  
وَطَّلَاعِ شَايَاهَا ؛ مَعَ مَا لَا يُجَحِّدُ مِنْ أَنَّ لَهُ فِيهَا مِنْ أَبِيهِ حَقَّ الْوِرَاثَةِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا  
كَانَ هَذَا ثَانِي الْمَسْجِدَيْنِ آخِذَا إِلَى ثَانِي أَثْنَيْنِ تَعْظِيًّا لِلوَاحِدِ وَفِرَارًا مِنَ الثَّلَاثَةِ ؛  
لِيَكُونَ هُوَ وَمَنْ فِيهَا الْآنَ بِمَنْزِلَةِ يَدَيْنِ كِلَاتِهِمَا تَقْبَلُ الْأُخْرَى ، وَأُذُنَيْنِ كِلَاتِهِمَا تُوعِي  
دُرًّا ؛ وَعَيْنَيْنِ مَامِنْهُمَا إِلَّا مَا يُدْرِكُ أَمْرًا بَعِيدًا ، وَفَرْقَدَيْنِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا  
فَرِيدًا ؛ وَقَرْنَيْنِ لَا يَغْلَبُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي التَّسْمِيَةِ بِالْقَمَرَيْنِ ، وَعُمْرَيْنِ وَكُفَى  
شَرَفًا أَنْ لَا يُوجَدَ فِي الْفَضْلِ ثَالِثٌ لِلْعُمَرَيْنِ .

فُرِسَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَى ، السُّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، الْفُلَانِي - زَادَ اللَّهُ  
بِهِ الْمَوَاطِنَ شَرَفًا ، وَزَادَ بِهِ الْبَوَاطِنَ الشَّرِيفَةَ حُبًّا وَشَفَقًا - أَنْ يَقُوضَ إِلَيْهِ نِصْفُ  
الْإِمْرَةِ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، شَرِيكًا لِلْأَمِيرِ سَيْفِ  
الدِّينِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَرَسِيلاً مَعَهُ فِيمَا يَلِيهِ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا حَقٌّ لَا يَكَادُ الْآخَرُ يُخْفِيهِ ،  
هَذَا لَهُ بَرُّ الْوَلَدِ وَهَذَا لَهُ حَرَمَةُ الْوَالِدِ لِأَنَّ ابْنَ الْأَخِ وَلَدٌ وَعَمَّ الرَّجُلُ صِنُّ أَبِيهِ ؛ فَتُقَسَّمُ  
الْإِمْرَةُ بَيْنَهُمَا نِصْفَيْنِ ، وَتَوْسَمُ جِبَاهُ الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْهُمَا لَهَا بِأَسْمَيْنِ .

وَالْوَصَايَا تَحَدُّ مِنْ عَنَانِهَا ، وَتَعَدُّ مِنْ أَعْيَانِهَا ؛ فَأَقُولُهَا تَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ شَعَائِرِ  
الْقُلُوبِ ، وَبَشَائِرِ الْغُيُوبِ ، وَأَمَّا نَرْجَاجُ كُلَّ مَطْلُوبٍ ؛ وَالْإِعْتَصَامُ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ :  
فَإِنَّهَا الْحَبْلُ الْمَمْدُودُ ، وَالْحَبْلُ الَّذِي تَمَّ دُونَهُ مِنْ عَقَبَةِ كَسُودٍ ؛ وَالْإِتِّهَاءُ إِلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مآل به الهوى إلى مجاذبة الأَطْعَام ؛ وَلَتَلْقَ  
وَفِدَ اللهُ الزَّائِرَ بِمَا أَلْفَهُ نَزِيلُ هَذَا الْحِمَى مِنْ كَرَامَةِ الْمُتَّقَى ، وَتَوَقَّى الْمَذْمَةَ فَإِنَّهَا دَنَسٌ  
لَا يَجِدُ مِثْلَهُ نَقَاءً هَذَا النِّقَا ؛ وَنَعْنَى بِالْمَذْمَةِ مَا تُسَبِّحُ إِلَى الرَّوَافِضِ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي  
لَا تُظَهِّرُهَا غُرُ السَّحَابِ ، وَلَا يَسْتَبِيحُ مَعَهَا لِدُخُولِ الْمَسْجِدِ الطَّاهِرِ مِنْ قَنَعٍ بِمَقَامِهِ  
حَوْلَهُ التَّيَمُّمَ بِالتَّرَابِ ؛ وَلَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ بَعْلَى وَلَا يَعِيرُهُ بِمَا  
يَكُونُ بِهِ مُثْلَهُ ، وَلَا يَشَبِّهُ قَلْبَهُ فِي حُبِّهِ أَهْلَ الْبَيْتِ - سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِمْ - بِإِنَاءٍ أَمْتَلًا  
مَاءً وَلَمْ تَبَقْ فِيهِ فَضْلُهُ .

وَلَا يَظُنُّ جَاهِلٌ مِنْهُمْ أَنَّ عَلَيْهِ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - كَانَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّاحِبَيْنِ  
مَعَاتِبًا أَوْ عَائِبًا ، أَوْ أَنَّهُ تَأَوَّلَ فِي خِلَافَتِهِمَا مَعْتَقِدًا أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ غَاصِبٌ ؛ فَمَا تَأَخَّرَ  
عَنِ السَّيِّئَةِ الْأُولَى قَلِيلًا إِلَّا لَاسْتِغَاثِهِ بِمَا دَهَمَهُ بَمَوْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
مِنَ الْمَصَائِبِ ، وَإِلَّا فَقَدْ أَخَذَ أُمُّ وَلَدٍ مِنْ سَبِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا كَمَا يَدَّعِيهِ  
كُلُّ كَاذِبٍ ، وَقَدْ تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابْنَتَهُ أُمُّ كَلْثُومٍ وَأَقَامَ بِأَمْرِهِ  
الْحُدُودَ وَنَابَ عَنْهُ وَهُوَ غَائِبٌ ؛ فَيَكُفُّ مِنْ عَادِيَةِ هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضِ الْأَشْرَارِ مَا سَيَصِلُونَ  
فِي الْمَوَاقِفِ بَنَارِهِ ، وَسَيَصِلُونَ إِلَى الْمَوَاقِفِ عَلَى مَا طَارَ مِنْ شَرَارِهِ ؛ وَلَا يَدْعُ لِلْإِمَامِيَّةِ  
إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ مِنْهُمْ قَوْمٌ شَرَارٌ ، وَلَا قَاضِيًا يَقْضِي بَيْنَهُمْ : فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَقْطَعُ لِمَنْ قَضَى  
لَهُ أَوْ عَلَيْهِ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ ؛ وَلَا عَالِمًا يَرْفَعُ لَهُ عِلْمٌ ، وَلَا يُفْتَحُ لَهُمْ بِفَتْوَى عَلَى مَذَاهِبِهِمْ  
فَمَنْ ، حَتَّى وَلَا مَا يَحْتَرِكُ بِهِ فِي قِيمِ الدَّوَاةِ الْقَلَمِ .

وَلِيُظَهِّرَ هَذَا الْمَسْجِدَ الشَّرِيفَ مِنْ دَنَسِهِمْ ، وَلِيُظَيِّرَ مَا يَحْمِلُهُ أَدِيمُ مَجْلَدَاتِ التَّصَانِيفِ  
مِنْ تَجَسُّسِهِمْ ؛ وَسُكَّانُ هَذَا الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَنْ أَقَامَ عَنْدهُمْ مِنَ الْمَجَاوِرِينَ ، أَوْ خَالَطَهُمْ  
مِنْ زُمْرِ الْمُقِيمِينَ وَالسَّائِرِينَ ؛ يُحَسِّنُ لَأُمُورِهِمُ الْكَفَالَهَ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ  
بِمَا يُؤْذِي نَفْسَهُ وَلَا بَيِّنَالَهُ ؛ فَهُمْ فِي جَوَارِئِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي شَفَاعَتِهِ ،

وكلّ منهم زَيْلُ حَرَمِهِ وَمَكْثَرُ سَوَادِ جَمَاعَتِهِ ؛ وَحَقُّهُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَكَيْفَ عَلَى حَامِي ذَلِكَ الْحِمَى ، بَلْ مِنْ لَهُ إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ مُتَمَيٍّ .

وَأَصْحَبُ رَفِيقِكَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكُمَا مُفْتَرِقَانِ وَالسَّعِيدُ مَنْ لَا يَذُمُّ بَعْدَ فِرَاقِهِ ، وَمُسْتَقْبَلَانِ إِلَى كُلِّ مَوْرِدٍ لَا يُدْرَى أَيُّكُمَا الْمُحْدَى فِي سَبَاقِهِ ؛ وَمُتَّفِقَانِ عَلَى فَرْدِ أَمْرٍ وَأَفْضَلُكُمَا مِنْ دَاوَمِ صَاحِبِهِ عَلَى إِرْفَاقِهِ ، وَصَحْبِهِ عَلَى وِفَاقِهِ .

وَأَمَّا مَا لِلْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ تَهَائِمٍ وَتُجُودٍ مُضَافَةٍ إِلَيْهَا ، وَمُسْتِظَلَّةٍ يُجْدِرُهَا أَوْ مُتَقَدِّمَةً فِي الصَّحَرَاءِ عَلَيْهَا ، فَهِيَ وَمَنْ فِيهَا : إِمَّا أَنْ تُوجَدَ بِقُلُوبِهِمْ فَهَمٌ أَعْوَانٌ ، وَإِمَّا أَنْ تَنْفَرُ فَهَمٌ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْإِبِلِ إِذَا نَفَرَتْ تَعْلُقُ بِذَنْبِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ؛ فَأَقْرَبُهُمَا إِلَى الْمَصْلَحَةِ تَقْرِيبُهُمْ ، وَتَأْلِيفُهُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ بَعِيدُهُمْ وَيَزْدَادُ قُرْبَى قَرِيبُهُمْ ؛ وَالرُّكْبَانُ الَّتِي تَتَّقِدُ بِهِمْ بَحْرَاتُ الْأَصْبَاحِ وَالْعَشَايَا ، وَيُعْتَقِدُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي مُعَاجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ تِمَامَ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهَا الْمَطَايَا ؛ فَهَمٌ هُجُودٌ سُرَى ، وَوُفُودٌ قِرَى ، وَرُكُودٌ فِي أَفْقِ الرِّحَالِ خَلَعَتْ مُقْلَهُمْ عَلَى النُّجُومِ الْكَرَى ؛ وَمَعَهُمُ الْحَامِلُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ مُتَنَفِّ شِعَابُهُمْ ، وَمُحْتَفٌّ رُكَايُهُمْ ؛ وَهِيَ مِنْ أَسْرَتِنَا الْمَرْفُوعَةِ ، وَمَبْرَتِنَا الْمَشْرُوعَةِ ؛ فَعَظُمَ شِعَائِرُ حُرْمَاتِهَا ، وَقَبَّلَ أَمَامَ مَنَابِرِهَا الْمُثَلَّةِ مَرَاكِزَ رَايَاتِهَا ؛ وَأَكْرَمَ مَنْ جَاءَ فِي خِفَارَتِهَا ، وَمَنْ جَالَ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَا يَسْتَضِيءُ إِلَّا بِمَا يَبْدُو مِنْ إِشَارَتِهَا ، وَقَدْ أَشْهَدْنَا عَلَيْكَ مَنْ هُوَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصِيمٌ ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ فِيمَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ .

وَبَاقِي الْوَصَايَا أَنْتَ لَهَا مُتَقَطِّنٌ ، وَعَلَيْهَا مُتَوَطِّنٌ ، وَمَا يَنْتَفِعُ الشَّرِيفُ بِحَسَنِيهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ بِحَسَبِهِ ؛ وَلَا يَرْتَفِعُ بِنَسَبِهِ ، إِنْ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَكَانَ نَسَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَعُ بِدَوَامِ شَرْفِهِ ، وَلَا يَضِيعُ لَهُ أَجْرُ حَالٍ عَمَلُهُ الصَّالِحَ وَسَلَفُهُ ؛ وَالْإِعْتِدَادُ ... .. .



وهذه نسخة تقليد شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضى التشريك ، المليك الذى يتناهى إليه تقليد كل مليك .

نحمده حمداً يكفل مواهب التملك ، ويحمد عواقب التسليك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك ، وتصد كل أفك ، وتسد خلل التدریک ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حى به عريك ، وحى عليه تريك ، وحمل حتى تأتى له التحرير فى التحريك ، وتأتى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالذهب السيک ، وترفع ما شيد وتمنع ماشيك ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يستباح ، وحى ليس إلا لمن انتهكه دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهيّط وحى لا يمسخ بأركانه لغير الملائكة جناح ؛ ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قدى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض مالا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ؛ ولا عذر لمن لقي الله مغضباً لما يئنه إليه ، لا مغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحو ظلامه الممتد ، وظلمه المشتد ، وبدعهم فسوءاً من آبتدعها ومن أرتد - فكأننا بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله موثقاً ، وجرّد عزائم لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرُّقْبَا ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعَ  
يَتِيمَهَا ، وَيُعَدِّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَطِيمَهَا : مَا تَضَمَّنَهُ نَصٌّ ماضٍ ذَلِكَ التَّقْلِيدُ ،  
وَمَا ضَمَّ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَبَهْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ  
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلُمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ <sup>(١)</sup> ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرَّاكِبُ  
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جَهِلْتَ فِي قِيَابِ قُبَاءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ؛ وَتَرَدُّ أَعْطَانَهَا  
وَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعِجِبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَّخِيلِ مَقِيلٌ  
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم  
الشريف من ألم كل قول يُفْتَرَى ، ولم كل باطل يُلمَّ يَقْطَعُ أو طيف كَرَى ، وإزالة  
كل شُع فيها على من أَمَل قِرَى أم القِرَى ؛ وإماتة كل بدعة تُسَكَّبُ على مثلها العَبَرَات ،  
وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعَةٍ تغلّ مرَاجِلُها من  
الزُّفَرَات ، وقطع كل نجوى يُسَادُون بها من وراء الحجرات ، وقلع طائفية لولا إقامة  
حدود الله لكفاهم ما يُقْطَعُ أَسْجَادُهُمْ مِنَ الْحَسَرَات ؛ وكان بها من أولاد أخيه ، بل  
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من آلتهى عما نتحلّى به شيمُ الشريف الشريفه ،  
وآتمى إلى ما لا يعنيه ولا يُغْنِيهِ فى تأخير خليفة وتقديم خليفه ، وأهمل حقوقاً  
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مُحْيِفَه ، وأوهم عقوقاً لأصحابه بل  
له لقوله : «دَعُوا لِي أَصْحَابِي فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مَا أَدْرِكُ مَدَى أَحَدِهِمْ  
وَلَا نَصِيفَه» . وبقي يتّصل بنا فى هذا المعنى ما لا يُقالُ ممّا يقالُ عنهم ، ويصل  
أزاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحبيّه وقد قال : «إن أهل الدرجات

(١) مراده إضاعة الحق كله أو نقص شيء منه إلا أنا لم نجد فيها بأيدىنا من كتب اللغة من هذه المادة

فعلا رباعيا ليكون هذا مصدرا له ولعله استعمل اللغة العامية ترويجا للسمع .

الْعُلَى لِبَرَاهِمٍ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا يَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup> يطلبون في التقديم على من قَدَّمَهُ اللهُ رَدَّ فَائِتٍ مَا جَرَى بِهِ الْقَدَرُ، وَيَضْرِبُونَ صَفْحًا عَمَّا لَا أَرَادَهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ : « لَا أُدْرِى مَا قَدْ بَقِيَ لِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » . مع ما أضيف إلى هذا من قَوَادِحِ نَوَابٍ، وَفَوَاتِحِ أَبْوَابٍ، وَحَوَادِثِ تُرْجِعُ مَقَرَّ النَّبُوءَةِ أَنْبَاءُهَا، وَتَمْتَدُّ عَلَى مَشَارِقِ الْأَنْوَاءِ ظُلُمَاتُهَا ؛ وَتُغَيِّرُ عَوَائِدَ الْوُفُودِ فِي كِرَامَةِ زَائِرِهِمْ ، وَإِدَامَةِ بَشَاشَةِ الْمُتَقَاتِلِ لِسَائِرِهِمْ ؛ وَأَمِنْ سِرِّهِمْ أَنْ يُرَاعَ ، وَشَرِّهِمْ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِهِ لَغَيْرِ بَرَقِ شُعَاعٍ ، وَضَمِّهِمْ إِلَى ذَلِكَ الْحِمَى الَّذِي لَا يُضَامُ زَيْلُهُ ، وَلَا يُرَامُ فِي طَرِيقِ الْحَجَّةِ سَبِيلُهُ ؛ وَلَا يَضِلُّ سَارٍ إِلَيْهِ وَوُجُوهُ سُكَّانِ الْحِمَى دَلِيلُهُ ، وَلَا يَضِيعُ وَقَدْ تَلَقَّاهُ مِنَ النَّسِيمِ بَلِيلُهُ ، وَلَا يَقِفُ وَقَفَّةَ الْمُرِيبِ وَضَوْءُ الصَّبَاحِ مِنْ أَيْمَنِ التَّقَا قِنْدِيلُهُ ، وَلَا يَخْشَى وَشَعْبُ ذَلِكَ الْحِمَى شَعْبُهُ وَقَبِيلُهُ قَبِيلُهُ ؛ وَإِرَاحَةُ رِكَابِهِمْ الَّتِي أَرْجَحَهَا حَادِي السَّرَى، وَإِمْتِنَاعُهُمْ بِقَرَبِ الْخَوَارِ عَوْضًا مِنْ دُمُوعِهِمْ عَمَّا جَرَى .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لِمَنْ أَشْرْنَا إِلَيْهِ - مِمَّنْ أَعْطَانَا عَهْدَ مَوْتِهِ ، وَسَارَ لَا يُرِيدُ إِلَّا نَقَاءَ نَقَاهُ وَبِرَاءَةَ أَرْقِهِ - إِلَّا أَنْ يُحِطَّ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ رِكَابَهُ ، وَيُبْعَدَ الشُّكُوى مِمَّا لَاعَهْدَ مِنْ مَعَاهِدِهَا أَقْرَابَهُ - أَصْرَ مَنْ فِيهَا مِنْ ذَوَى قَرَابَتِهِ عَلَى مَنَعِهِ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِقَتَالٍ يُحِلُّ مَقَاعِدَ الْحَرَمِ ، وَيُحِلُّ مَقَاعِدَ الْحَرَمِ<sup>(٢)</sup> ، وَيُشْعِلُ نَارًا يَصُلِّي بِهَا مَنْ لَمْ تَمْتَدَّ لَهُ يَدٌ إِلَيْهَا إِلَى وَقُودٍ ، وَيَرُوعُ مِنَ الْآلِفِ فِيهَا مَنْ يَمْتَدُّ لَهُ فِي غَيْرِ مَرَاتِعِ غَزْلَانِ النِّقَاحِ سِحَافُ قِيَامٍ مَعْقُودٍ ، وَقَدِمَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَنْ كَانَ فِيهَا مَقِيمًا ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِبْقَاءِ النَّصْفِ

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رد فائت ما أَرَادَهُ اللهُ من تأخيرهما ويتركون أيضا ما ورد في الحديث من الأمر بالاعتداء بعده بأبي بكر وعمر . الا أن العبارة سطت عليها يد النساخ فزادت فيها ما غير مبناهما وشوش معناها . تأمل .

(٢) في الأصل مقاعد وهو تصحيف .

ففاتة الكل لما لم يقنع أن يكون قسيما، فأبت حبيتنا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم  
(١) ولتلك المواطن المعظمة إلا أن نظهرها مما أسبلت على سريرها أذيالها، وما أطاق  
على مضاضة الأليم احتمالها .

فرسم بالأمر الشريف - لازال قدره عاليا، وبره لا يخل بؤدى ولا يخل مواليا -  
أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :  
مستقلا بأعبائها ، مستهلا سحابه على أرجائها ، إمرة تستوعب جميعها ، وتستوعى  
لمراسمه رباها وربوعها وعاصيها ومطيعها ، وتهايمها ونجودها ، وقريتها وبعيدها ، وكل  
ما يدخل لها في حد ، وينتظم لها في عذب وأهل حاضرتها وباديتها ، وما تقف عليه  
من السحب (؟) ركائب رواعيها وغاديتها ، ومن تتبسم بهم ثايلها ، وتتسم لهم أرواح  
بكرها وعشايلها ، ومن يضمهم جناحها المفضل ، ويلتهم وشاحها المفضل ،  
ويجمعهم جيشها السائر ، ويلفهم في شملة الدجى قمرها الزاهر - تفويضا يدخل فيه كل  
شريف ومشروف ، ومجهول ومعروف ، ومستوطن من أهلها ، وغريب آتت [به]  
إليها مطارح سبلها ، مافيه تأويل ، ولا تعليل ، ولا استثناء ، ولا أنثناء ، ولا تخرج منه  
الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء ، لأشبهه فيه لداحض ، ولا حجة لمعارض ، يستقل  
بها جميعها بدره التمام ، وبره الغمام ، وبحره الذى يأبى فريده أن يؤاخى فى نظام ،  
وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام ، وتقاليد ما يجرى  
به القلم ويمضى السيف الحسام ، أفرادا له فى التحكيم ، وأنفة لمنله من ضرر  
التقسيم ، وفارارا من الشركة المشتقة من الشرك : (إن الشرك لظلم عظيم) . ولاية  
تامه ، عامه ، كامله ، شامله ، لا يبقى من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها ، وينضاف

إلى قِسْمِهَا ؛ تَقَابُلُ السَّوَابِقِ فِي غَايَاتِهَا ، وَتُقَاتِلُ الْحَافِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا ؛ وَيَعُدُّ مَعَ أَهْلِ  
بَدْرِ فِيهَا ، وَيُعِدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُوقِفُهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غِنَى ، إِلَّا مَا لَا تَحِلُّ الْعَوَائِدُ بِهِ مِمَّا يُذَكِّرُهَا ؛ وَقَدْ  
حَوَيْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ طِبَاعِكَ ، وَجَمِيلِ أَنْطِبَاعِكَ ؛ مِنْ حَقِّ اعْتِرَاكَ ، وَصَدَقَ  
الْإِتْرَاكُ ؛ مَا هُوَ كَالسَّنَا لِلشَّمْسِ ، وَالْمُنَى لِلنَّفْسِ ؛ مِمَّا تَحْسُدُ عَلَى شَرْفِهِ النُّجُومُ ،  
وَتَتَنَافَسُ الْعِلْيَاءُ مَا تَعْلُقُ بِهِ الْغُيُومُ .

فَكَمَّلَ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَاتَّبَعَ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكَتَابَ اللَّهُ الْمَثَلَ ،  
أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ فِيكُمْ تَنْزَلُ ، وَسُنَّةُ جَدِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُهْمَلُ ،  
وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمَوْثَلُ ؛ وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكُمْ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَّا فَمَنْ  
تُؤْمَلُ ؛ وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ سِوَاكُمْ تُثْقَلُ ، وَ[لَمَّاذَا] رَمَاحُكُمْ تُعَدَّلُ ؛  
وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمُ الدَّنَسُ مِنْ انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانُهُ ، وَسَبَبُ  
وُقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمُّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا -  
وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِّينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى  
فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ؛ وَأَنْفَ مِنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ  
يَتَظَاهَرُوا بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأَتْهُمْ  
الْمَطَامِعُ ، وَصَحِيحُ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كَرِيذَةُ الشَّيْءِ أَوْ كَرِيذَةُ الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّمْ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ هُمْ وَمَنْ  
اتَّبَعَ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ؛ وَحَذَّرْهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ  
سِتْرٌ يُسَبِّلُ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلْسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ ذَمًّا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس : الشَّيْءُ السَّنُ الْمَخَالِفَةُ الْخَارِجَةُ عَنْ نَبْطَةِ الْأَسْنَانِ .



أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره ؛ وألزم أهل المدينة الشريفة -  
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن  
المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك الحجرة المكرمة أحكامها ؛ مع تعفية آثار ما ينشأ  
على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينقعد لها نفع مثار ، وتوطئة أكثاف الحمي لئلا  
يبقى به لمبطل في مدارج نطقه عثار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن ينزل  
به من نزيل ، ويحاور به مستقراً في مهاد إقامة أو مستوفراً على جناح رحيل ؛  
ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رقة مالت من نشوات الكرى بهم  
راقصات التجائب ؛ ومن يصل من ركن الأفاق ، وإخوان نوى يتشاكون إليهم  
مر الفراق ؛ ومن يتلاقى بهم من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ، وأمم  
شتى مجموعهم : من مضى وشام ويمن وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل وفودنا ،  
وسيل جودنا ؛ ومحامينا الشريفة التي ينصب لنا بها في كل أرض سرير ، وأعلامنا  
التي ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير ؛ فتى شعرت بمقدم ركابهم ،  
أوبرقت لك عوارض الأثمار من سماء قباهم ؛ فبادر إلى تلقّيمهم ، وقبل لنا الأرض  
في آثار مواطيمهم ، وقم بما يجب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم  
وطاعتنا [وأخرج عنهم كل يد ولا تخرجهم عن جماعتنا] <sup>(١)</sup> .

وأهل البادية هم حزبك الحيش اللهم ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛  
وهم قوم لم يؤدبهم الحضرة ، ولا يبيت أحد منهم لأفنته على حذر ؛ فاستجلب  
بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر بحبال إلههم النافرة قبل البتات ؛ وترقب مراسمتنا  
المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من  
الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية

(١) الزيادة من الوصية الآتية بعد ومن التعريف (ص ١٠٨) .

لأُطْلَنَا حَائِل مَا تُمْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصَحَّةِ نَسَبِهِ ، أَزْكَا مِنْ عَمَلِهِ  
بِحَسَبِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْوَى أَسْبَابُكَ الْمَتِينَةِ ، وَيُمْتَعُ الْعِيُونَ بِلَوَامِعِكَ الْمُبِينَةِ ، وَيُمْسِكُ  
بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَالْاعْتِمَادُ ... .. .



وهذه نسخةٌ تقليد بياطرة المدينة النبوية ، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ بالنُصْرَةِ ، دارَ الهِجْرَةِ ، وأُطْلَعَ لِلإِيمَانِ بِفَحْرِهِ ، بِتِلْكَ المُجْرَةِ ،  
وَطَيْبَ طَيِّبَةٍ وَأَوْدَعَ فِيهَا سَلِيلَ الْأُسْرَةِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا نَأْمَنُ بِهِ مَكْرَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً  
عَبْدٌ تَمَسَّكَ بِالْحَجِّ وَتَنَسَّكَ بِالْعُمْرَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى شَرَّفَ اللَّهُ  
قَدْرَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، وَأَيَّدَهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ ، وَأَسْتَحْيَى  
الْعَالَمِينَ إِذْ يَسْطُطُ بِالْجُودِ رَاحَتِيهِ فَمَا أَسْمَحُ عَشْرَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
صَلَاةً ثَبَّتَتْ شَجَرَتُهَا مِنَ الْأَرْضِ فَاتَّصَلَتْ فُرُوعُهَا بِالسَّدَرِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ مَعْدِنُ الْهُدَى وَالْوَقَارِ ، وَمَسْكَنُ الرِّضْوَانِ وَالْأَنْوَارِ ،  
وَمَهْطُ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَمَنْزِلُ الْوَحْيِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَدَارُ الْهِجْرَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ،  
وَتُرْبَةُ مَدْفِنِهِ الزَّاكِي الْمِعْطَارِ ؛ تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَيْهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَقْطَارِ ، وَيَأْتِي إِلَيْهَا  
الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ بِالْأَسْتِغْفَارِ ، فِيرْجِعُونَ وَقَدْ نُحِيتْ عَنْهُمْ الْأَوْزَارُ ، فَقُلُوبُ أَهْلِ  
الْإِسْتِثْقَاءِ مُقِيمَةٌ فِي فِنَاءِ تِلْكَ الدَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ أَجْسَامُهُمْ بَعِيدَةً مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ ،  
وَبِهَا مِنْ آلِ الْبَيْتِ سَادَةٌ أَطْهَارُ ، وَأُمَرَاءُ كِبَارُ ، يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمْ فِي الْإِعْلَانِ  
وَالْإِضْمَارِ ، وَيُتَوَسَّلُ بَوْلَايِهِمْ فِي دَعْوَةِ الْأَسْحَارِ ، قَدْ ضَمُّوا إِلَى كَرَمِ الرَّاحَةِ ، وَسَمَاحَةِ

الأنفُس المُرْتاحَة ؛ شِجَاعَةً وَبَسَالَةً ، وَعَلَوِيَّةً فَعَالَةً ، وَتَمَسُّكَ بِالْمُرُوءَةِ المَعْرُوفَةِ بِشَرَفِ  
الأَصَالَةِ ؛ وَهُمْ يَتَوَارَثُونَ إِمْرَتَهَا عَنْ آبَاءِ سَادَاتِ ، وَكِرَامِ لَهِمْ فِي الْفَضْلِ عَادَاتِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ بَقِيَّةُ الْأُسْرَةِ الْمُتَضَوِّعَةِ ، وَثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ الْمُتَفَرِّعَةِ ، وَالْخَصُوصَ  
بِالْوَصْفِ الَّذِي رَفَعَهُ ، وَالْقَوْلِ الَّذِي آتَبَهُ حِينَ سَمِعَهُ - مَا زَالَ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ  
عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَشْكُورَ الطَّرِيقَةِ ، مَحْفُوظَ الْوَثِيقَةِ ، مَعْرُوفَ  
الْحَقِيقَةِ ، مَوْصُوفَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ ، يَحْتَنِي لِكُلِّ صَالِحَةٍ مِنْ تِلْكَ الرُّوضَةِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُثْمَرَةِ الْوَرِيقَةِ ؛ وَيَحْيِي السَّرْحَ أَنْ يَنْتَهَبَ ، وَيُطْفِئُ نَارَ الْفِتَنِ فَمَا تَلْتَهَبُ ،  
وَيُعْظِمُ الْمَجَاوِرِينَ وَالْوَارِدِينَ وَالْقَادِمِينَ عَلَى حِمَى سَيِّدِ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ ... ..

فَلِيَحُلَّ هَذَا الرَّبْعَ الْمَعْمُورَ بِالتَّقَى ، وَلِيُبَايِسَ هَذِهِ الْإِمْرَةَ الشَّرِيفَةَ زَادَهَا اللَّهُ عُلوًّا  
وَأَرْثَقًا ؛ وَلِيَسْتَعْمِلَ السَّكِينَةَ فَإِنَّهَا جَمِيلَةُ اللَّقَاءِ ، وَلِيَسْلُكَ الْأَدَبَ مَعَ سَاكِنِ النَّقَا ،  
وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى حُسْنِ الْيَقِينِ فَإِنَّهُ لَهُ وَقَا ، وَقَدْ جَاوَرَ الْعَقِيقَ فَأَصْبَحَ بِقَلَائِدِهِ الْفَاحِرَةِ  
مُطَوَّقًا ، وَلِيَحْكُمَ بِالْعَدْلِ فِي بَلَدِهِ نَشَأَ مِنْهُ الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ فُنُذُّ أَجْتَمَعَا فِيهِ مَا أَفْتَرَقَا ؛  
وَلِيُصْنِ شَرْفَهُ مِنَ الْوُلُوجِ فِي فِتْنَتِهِ ، وَلِيَعْمِدَ سَيْفَهُ وَلَا يَشْهَرَهُ فِي وَقْتِ حِمْنِهِ ؛ وَيَحْقِنِ  
الدَّمَاءَ أَنْ تُرَاقَ ، وَيَتَلَقَّ الزُّوَارَ بِالْإِرْفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ أَقَاصِي الْآفَاقِ ، رِجَالًا وَعَلَى  
النِّيَاقِ ، تَحْتُمُّ الصَّبَابَةَ وَالْأَشْوَاقَ .

وَكَلِمَةُ الشَّرْعِ وَشِعَارُ السُّنَّةِ فَلْيَكُنْ مَعْظَمًا لَهَا بِاتِّفَاقٍ بَغِيرِ شِقَاقٍ ، وَشَيْخَ الْحَرَمِ  
الشَّرِيفِ وَخَدَامَهُ وَمُجَاوِرِيهِ فَلْيَكُرِّمْ مُحْسِنَهُمْ وَيَعَامِلْهُ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَتَجَاوَزْ  
عَنْ مُسِيئَتِهِمْ بِطَيِّبِ أَخْلَاقٍ ، وَحَوَاصِلِ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ الْخِزْوَنَةِ فِيهِ فَلْيَكُنْ حَمِيَّةً مِنْ  
التَّبْذِيرِ فِي وَقْتِ الْإِنْفَاقِ ، وَتِلْكَ دَارُهُمْ سُكَّانُهَا الطَّبِيبُ الْإِعْرَاقِ ؛ وَالتَّقْوَى مِنْ بَيْنِهِمْ

الشريف آثارها الإشراق ، وعليهم نزل الفرقان والتَّحريم والطلاق ، فإذا عسى أن نوصيه وهو أهل الفضل على الإطلاق ، والله تعالى يجعل نجاحه في الفخر مجليه في السباق ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمر المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فكَلِّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَاتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكَتَابُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ ، أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ فِيكُمْ تَنْزَلُ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُهْمَلُ ، وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمُؤْتَلُ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَنْكُمْ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُؤْمَلُ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَأَيَّ شَيْءٍ سَيُوفَكُمُ تُصَقَّلُ ، وَلِمَاذَا رِمَا حُكْمُ تُعَدَّلُ ؛ وَالرَّافِضَةُ وَغُلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ أَنْتُمْ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمُ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْثَرِينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ؛ وَأَنْفٍ مَنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طِمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأَتْهُمُ الْمَطَامِعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادَهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كَزِيَادَةِ [الشَّيْءِ أَوْ كَزِيَادَةِ] الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ؛ وَحَذَرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ يُسْبَلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغِيرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلْسَّلَفِ الصَّالِحِ دَمٌ أَغْرَقَ فِي تَيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زَنَادَ عِنَادٍ أُحْرِقَ بِنَارِهِ ؛ وَأُلْزِمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ النُّبُوَّةَ

(١) الزيادة من "التعريف" . (ص ١٠٧) ومن التقليد الذي سبق ، انظر (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنة فإنها أول ما رُفعت بتلك المواطن المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك  
 الحجرة المكرمة أحكامها ، مع تعفية [ آثار ] ما ينشأ على هذه البدعة من الفتن حتى  
 لا ينعقد لها نفع مثار ، وتوطئة أكناف [ ذلك ] الحى للثلاثى به لمبطل في مدارج نطقه  
 عثار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف على الحال به أفضل الصلاة والسلام  
 ومن ينزل به من نزيل ، ويجاوره بمستقراً في مهاد إقامة أو مستوفزاً على جناح  
 رحيل ؛ ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رفقّة مالت من نشوات الكرى  
 بهم راقصات النجائب ؛ ومن يصل من رُبان الآفاق ، وإخوان نوى ينشأ كون  
 إليهم مرّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بها من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ،  
 وأثم شتى جوعهم من مضير وشام [ ويمن ] وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل  
 وفودنا ، وسبيل جودنا ؛ وعاملنا الشريفة التى ينصب لنا بها فى كل أرض سرير ،  
 وأعلامنا التى ما سُميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير .

فتى شعرت بمقدم ركابهم ، أوبرقت [ لك ] عوارض الأنوار من سماء قباهم ؛  
 فبادر إلى تلقّيتهم ، وقبل لنا الأرض فى آثار مواطنهم ، وقم بما يجب فى طاعة الله  
 وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا ، وأخرج عنهم كل يد ولا تُخرجهم  
 عن جماعتنا .

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحزبك إذا كان وقودها جثث وهام ؛  
 وهم قوم لم يؤدّبهم الحضر ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب  
 بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إليهم النافرة قبل الأنيات ؛ ورتّب  
 مراسمتنا المطاعة إذا ذرت لك مشارفها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك

من الحروب بوارقها ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج  
إلى حلية لأطلقنا حمائل ما نمليه عليك ؛ فما شهد للشریف بصحة نسبهِ ، أزكى من  
عملهِ بحسبه ؛ والله تعالى يقوى أسبابك المنيّة ، ويمتّع العيون بلوابعك المنيّة ،  
ويمسك بك ما طال به إرجاف أهل المدينة .

## الوظيفة الثانية

( القضاء )

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقر بها قاضيان آخران :  
حنفي ومالكي ، يكتب لكلّ منهم توقيع في قطع الثلث بـ « السامي » بالياء .

وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذي جعل الشرع الشريف دافق السيول ، وفي طيبة له الأصول ؛  
ومنها نشأ وتفرّع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكلّ قطر به مشمول ، وكل ربّع به  
مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدّد به المجهول ، وزالت الشرائع كلّها وهو إلى آخر  
الدهور لا يزول .

نحمده وحده يطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمّرت  
[ بها ] أطول ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ،  
وأفضل مسئّل ، ومهنّد من سيوف الله مسئّل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
الطيبى الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معدّنه في أرض نوى خير الرسل فيها ، ومنشأه  
في بلاد ملائكة الله تحميها ؛ فلا يلي أفضية الناس إلا من طالت ذوائب علمه ،

وأشرقت تَوَاقِبُ فَهَمِهِ ؛ وَبُنِيَتْ عَلَى الْأُصُولِ قَوَاعِدُ حُكْمِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْوَرَعِ فَتَجَلَّى  
فِي سَمَاءِ النِّجَاجَةِ كَنَجْمِهِ .

ولما كان فلانٌ هو الذي جَذَبَتْهُ السَّعَادَةُ إِلَى مَقَرِّهَا ، وَخَطَبَتْهُ الْمَغْفِرَةُ إِلَى مَوْطِنِ  
بِرِّهَا ، وَأَهْلَتْهُ الْأَفْئَادُ إِلَى جِوَارِ نَبِيِّ هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَفَاتَحُ أَمْرِهَا ؛ وَأَصْبَحَ لِلْحُكْمِ  
فِي الْمَدِينَةِ ، مُسْتَحَقًّا لِمَا فِيهِ مِنْ سَكِينَةٍ ، وَتَخْصِيلٍ لِلْعِلْمِ وَمِنْ حَصَلِ الْعِلْمِ  
كَانَ اللَّهُ مُعِينَهُ .

فلذلك رسم أن يستقر ... ..

فَلْيَبَاشِرْ مَنْصِبًا جَلِيلًا فِي مَحَلٍّ جَلِيلٍ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ سَائِرَ الْأَمْصَارِ تَغِيظُهُ وَتَحْسُدُهُ  
وَمَا لِمَنْصِبِهِ مِنْ مِثْلٍ ؛ أَيْنَ يُوجَدُ سِوَاهُ فِي كُلِّ سَبِيلٍ ؟ مَنْ قَاضٍ هُوَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ  
تَزِيلٍ ، وَمَنْ يُضْبِحُ وَيُمْسِنُ جَارًا لِلْمُسْتَجِيرِ فِي الْمَحْشَرِ الطَّوِيلِ .

فاحْكُمْ بَيْنَ نَاسٍ طَيِّبَةٍ بَوْرَعٍ وَتَأْصِيلٍ ، وَتَحْرِيرٍ فِي تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ  
فِعْلٍ وَقِيلٍ ، وَاسْتَقِمْ عَلَى الْحَقِّ حَذَارًا أَنْ تَمِيلَ ، فَصَاحِبُ الشَّرْعِ أَنْتَ مِنْهُ قَرِيبٌ  
وَالنَّبِيُّ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ وَحَبِيبٌ وَخَلِيلٌ ، وَمَاذَا عَسَى أَنْ نُوصِيَهُ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى  
كَالْنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ .

وَأَمَّا الْخُطَابَةُ : فَارْقَ دَرَجَ مَنَبَرِهَا ، وَشَفِّ الْأَسْمَاعَ مِنْ أَلْفَاظِكَ بِدُرِّهَا ؛ وَحَرِّزْ  
مَا تَقُولُهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ فَإِنَّ صَاحِبَ الْعِظَاتِ يَسْمَعُكَ ، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ ؛  
وَهَذَا الْمَرْقِيُّ فَقَدْ قَامَ فِيهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ سَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ ، وَمِنْ بَعْدِهِ الْخَلِيفَتَانِ قُرَّتَا الْعَيْنِ ،  
وَمِنْ بَعْدِهِمَا عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ ؛ فَاخْشَعْ ، عِنْدَ  
الْمَطْلَعِ ، وَأَصْدَعْ ، بِمَا يَنْفَعُ ؛ وَأَنْظُرْ لِمَا تَقُولُهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هناك يسمع ، وقاضى المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يحوز له الخير ويجمع ، بمنه وكرمه ! .

### الوظيفة الثالثة

( مشيخة الحرم الشريف )

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخُصيانِ المعبر عنهم بالطواشيّة ، يُعين لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ فى قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء مفتتحاً بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذى شرف بخدمة سيّد الرُّسل الأقدار ، وفَضَّل بالتأهّل للدُّخول فى عداد كرمه بخِدمته مَنْ آخِثاره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بجواره حرمه أفضل غاية تُهجر بلوغها الأوطان والأوطار ، وعَجَلَ لمن حلَّ بمسجده الشريف تبوّأ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار .

نحمده على نعمه التى أكلها خدمة نبيّه الكريم ، وأفضلها التوفّر على مصالح مجاورى قبر رسوله الهادى إلى الحقّ وإلى طريق مُستقيم ، وأجملها الانتظام فى سلكِ خدمة حرمه [ لأنها ] بمنزلة واسطة العقد الكريم النّظيم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُزلفّة لديه ، مُقرّبة إليه ، مدّخرة ليوم العرّض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف نبيّ بُعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشّرك بالشرع الأقر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فخرت الحبشة بهجرتهم الأولى ، ونجا النجاشي بما آخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى ، وأولى



يَلَاَهُمْ مِنَ السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ  
أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ مُغِيرًا وَمُجِيدًا؛  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوَّلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ  
مَلَائِسِ كَرَمِهِ، وَشَرَفَ قَدَرِهِ بِأَنْ أَهْلَهُ لَخِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بِلِ مَشِيخَةِ حَرَمِهِ؛ وَخَصَّه  
بِرُتْبَةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَاخِرَةِ، وَأَجْمَعَ الْوُظَائِفَ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجَحِهِ  
لِذَلِكَ دِينِهِ الْمَتِينِ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ  
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ، وَزَكَتْ عِنْدَ  
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ  
أَحْسَنَ السُّلُوكِ، وَأَتَمَّتْ بِهِ السَّعَادَةُ<sup>(٢)</sup> إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لِيُعْرِضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ؛ وَفَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ  
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمِنَّةُ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ  
الْجَنَّةِ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِئِيلَ، وَمَهْطِ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ؛ يَتَفَقَّهُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ  
الْوَارِفَةِ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلِّي  
بِعُقُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ، وَالْمَتَوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمْ  
أُثْبِتُ قَدَمَ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال ... .. أن تفوض إليه المشيخة على خدام  
الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العادل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من أعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع ؛ والزاهد الذي آثر جوار نيته على ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تشبهت من خدمته الشريفة بأهدائها ؛ سالكاً في ذلك ما يجب ، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يَحْتَبِ ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُحِبُّ لِرَاجِ أملاً ، ولا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ مُكْرِمًا كُلًّا من طائفة الخُدام بما يُقَرِّبه عند الله زُلْفَى ، ويضاعفُ الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ؛ هادياً من ضلَّ في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مُبْدِئاً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هادٍ وأنور دليل ؛ وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتَجْدِيدِ الْقَضَايا ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ؛ بمنه وكرمه .

### القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة، وهي النيابة)

وقد تقدم أنَّ نيابتها في بني الحسن ، من بني قتادة أيضاً . وعدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتبُ لِنَائِبِهَا مرسومٌ شريفٌ في قطع الثلث «بالمجلس السامي» بغيرياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِيَابَةِ الْيَنْبَعِ ، كُتِبَ بِهِ «لِخِذْمِ بْنِ عَقِيلٍ» في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلثين وسبعائة ، من إنشاء المقرِّ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهُوَ :

الحمد لله الذى أتم لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن فى تقديم شريف كل قوم تقدما، وأمضى فى كف كف الأعداء رُحماً سَمَهِراً وسيقاً مَحْذَماً .

نحمده حمداً يكثر عدد القطر إذا همى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤمن بالإدمان عليها مُنجِداً ومُتَهِماً؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى شرف من إليه آتَمَى، وعلى نَسَبِهِ الشَّريفِ أَرْتَمَى، وبجوارِهِ المَنِيعِ أَحْتَمَى؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طَلَعُوا فى صباح كلِّ نهارٍ شُموساً وفى عَشِيَّة كلِّ ليلٍ أنجماً؛ وَسَلَّم تسليماً .

وبعد، فإنَّ أولى من أعدنا له سعادة جَدَّه، وعُدنا إلى عَوَائِدِهِ الحُسْنَى لأَيِّبِهِ وَجَدَّه؛ وَرَعَتْ صدَقَاتُنا الشَّريفةُ له قَصْدَهُ الجَمِيلَ، وَشَرَفَهُ الذى سَمَا بِهِ مِنْ أَصْلِهِ إلى النَّجْمِ فَرَع لا يُنَالُ طَوِيل؛ وَأَقْرَبَتْ عَيْنُهُ بَسْكَنِهِ، وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ مَرَامُنَا العَالِيَةِ فى مَسْكِنِهِ؛ وَأَغْتَنَتْ عِنَايَتُنَا الشَّريفةُ عَنْ أَنْتِظَارِ كُلِّ نَجْمٍ سَعَادَةَ يَطْلُعُ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ كُلَّ خَيْرٍ إِلَى وَطَنِهِ وَهُوَ «يَنْبُع»؛ مَنْزِلَةُ نَسَبِهِ الصَّمِيمِ، وَالْحَسَبِ الذى يَتَمَسَّكُ بِهِ فى قَوْمِهِ كُلِّ كَرِيم؛ وَالشَّرَفِ الذى أَنَارَتْ كَوَاكِبُهُ، وَالْوَصْفِ الذى يَنْظُمُ الدُّرَّ ثاقِبُهُ <sup>(١)</sup> .

ولمَّا كَانَ المَجْلِسُ السَّامِى، الأَمِيرُ، الأَجَلُّ، الكَبِيرُ، الشَّرِيفُ، الحَسِيبُ، النَّسِيبُ، الأَوْحَدُ، العَضُدُ، النَصِيرُ، الأَصِيلُ، فَلَانِ الدِّينِ، مَجْدُ الإِسْلَامِ، زَيْنُ الأَنَامِ، شَرَفُ الأُمَرَاءِ الأَشْرَافِ، نَفَرُ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، جَمَالُ الأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ، نَسِيبُ الخِلَافَةِ، عَضُدُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ «مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلٍ» أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى - هُوَ الذى تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ كُلُّ إِشَارَةٍ، وَحُسُنَتْ بِهِ كُلُّ شَارَةٍ، وَتَعَجَّلَتْ لَهُ بِمَرَاذِينَا الشَّريفةِ مِنْ مُخَلِّقِ الشَّفَقِ كُلِّ إِشَارَةٍ؛ وَحَصَلَ فى الْيَنْبُعِ مَا حَصَلَ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ، وَامْتَدَّتِ الأَيْدِىُّ بِهِ إِلَى مَا كَانَ مُجْتَاجَ بَيْتِ اللهِ مِنْ وَدِيعَةٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ لا يَشِيعُ خَبَرُهُ

(١) لم يذكر خبراً لأن وهو معلوم من نظائره وكثيراً ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البيداء ، نخالف الواجب وتعدى الشريعة ؛ فاقتضت آراؤنا الشريعة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويحتب ؛ العايل في طاعتنا الشريعة بما هو به وبمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريعة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فرُس بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن تُقوَص إليه النيابة بالنيب على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهيم المقدم ؛ وليستوص بالحجاج خيرا فإنهم وفد الله وهو عليه سيقدم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين : بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وليحفظ أمانة الله فيما يحل ويخلف عنده الحجاج كتب الله سلامتهم من وداعه ، وليأخذ بقلوب الجلابة فإنهم في توسيعهم على أهل الحرمين كالمُتصدقين وإن كانوا تجارا يضاعه ؛ ويوصل من تأخر من أبناء السبيل إلى مأمنهم ، وليخص بالعدل أهل بلده ليستقروا آمنين في موطنهم ، والرفق فهو الذي بحله يُزين ، وبحله يُستحسن ، والثاني في معرفة الحق من الباطل فإن به الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الباطل يُبين ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجها الله لنا على عبادته ونَدب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركاتها أن يد الله عليها ؛ وإقامة الخدمة فيما قبله من البلاد ، وكل حاضر وباد ، وكل من كاد أو كاد ، أو تعرض لعناد العباد ؛ فمن أقدم على محذور ، أو تقدم إلى محذور ، أو ارتكب في الخلاف أمرا من الأمور ؛ بحرّه بالبغي إلى مصرعه ، وحرك السيف لمضجعه ، ودع الرمح الذي اعتقله للشقاق يبكي للإشفاق عليه بأدمعه ؛ وقد رأيت كيف

(١) مراده «وديمة» ولكن اضطره السجع الى موافقة اللغة العامية . فتنبه .

طَرِيقَتُنَا الْمُشْتَرَاةُ، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْلُكْ هَذِهِ الْمَحَجَّةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُتَّخَذَ  
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةٌ، وَفِي هَذَا عَنْ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ  
فِي الْخَيْفِ وَيُيَلِّغُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْاعْتِمَادُ ... .. .

### القسم الرابع<sup>(١)</sup>

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ  
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينٍ  
مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ نَظِيرُ)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حُسن التوسل": ويحتاج الكاتب فيه  
إلى حُسن التصرف على ما يقتضيه الحال .

[فمن ذلك] ما يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّبَاةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمُلْكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيُهَا .

وهذه نسخةٌ تقلدُ شريف من ذلك، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ  
الْحَلَبِيُّ لِمَتَمَلِّكَ سَيِّسَ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا  
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أَرْضَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ  
مُلْكِكَ إِطْلَاقَ الْمَمَالِكِ وَإِعْطَاءَ الدُّوَلِ، وَالْمَنِّ بِالنَّفُوسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ  
الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءٍ مَنْ مَدَّ إِلَى عَوَارِفِنَا كَفَّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ  
بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنَابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَاتَّزَعَ بِلَايَتِنَا،

(١) تقدم له تقسيمه الى ثلاثة أقسام فقط كما ورد في الصفحة ١٣٤ من ج ١١ من هذه الطبعة فيكون

هذا زائدا على الأقسام .

لَمَن تَمَسَّكَ بَوْلَانِنَا ، أَرْوَاحَ رَعَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ  
بِالطَّاعَةِ نَتِيجَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِصْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْعُصَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ  
بِالْعِلَلِ» .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِّن رَّجَاهٍ قَرِيبًا ، وَكَرَّمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ  
الطَّاعَةِ مُجِيبًا ، وَبَرَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مِثْيَابًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُنِيبًا ، وَبَأَسَّنَا مُصِيبًا لِمَنْ لَمْ  
يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمِرَاحِمِنَا نَصِيبًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
شَهَادَةً تَعِصِمُ دَمَ مَنْ تَمَسَّكَ بِذِمَامِهَا ، وَتَحْصِمُ مَوَادَّ مَنْ عَانَدَهَا بِانْتِقَامِ حُسَامِهَا ،  
وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْعَمَهُ الْفُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِمُ  
مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْطَعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً  
حَمَلَتْهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَا حِدِيهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَائِهَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ  
عَهْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمَنْعُوتُ فِي الْكُتُبِ  
الْمَنْزِلَةِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عُمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِمَحْسَنٍ : مِنْهَا الرُّعْبُ الَّذِي كَانَ  
يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةُ شَهْرِ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ  
الْمُحْكَمَةُ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذِمَّتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ،  
وَجَلَّوْا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مِنْ كَفَرِ بَرَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ  
الْمَمَالِكِ ، وَوَقَّفُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهَ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ، صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا  
مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدًا ، مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ  
النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَةِ مَمَالِكِ الْأَقْطَارِ  
مُحِيطَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ،

وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ، وأظلتنا بواذر الفتوح ، وأطلت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛ وأيدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالأب والأبن والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأفطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلاذها رغبة في الالتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ؛ وتوسل من كان منهم يظهر الغلظة بالدلة والخضوع ، وتوصل من كان منهم يبيد القوة بالإخلاص الذي رآوه لهم أقوى الجن وأوفى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ، ولا نصد عن مشاريع كرمنا ناهلا ؛ ولا نحيب من إحساننا راجيا ، ولا نحل عن ظل ربنا لاجيا ؛ علمنا أن ذلك شكر للقُدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا متى نشاء نجع عليه الأنامل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللاجئ للغل مسرا ، وعلى عداوة الإسلام مصرا ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رمسه ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالتثار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في حبال إدبارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لديهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته السرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا نار ، ولها في عنقه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف : إما القتل أو الإسار .

وحين تهادى المذكور في غيه ، وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه ، أمرنا جيوشنا المنصورة بغاست خلال تلك الممالك ، وداست حوافر خيلها ما هنالك ، وسارت في غموم القتل والأسرين العبد والحر والملوك والمالك ؛ وألحقت رواسى

جِبَاهِهِم بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كَزُرُوعٍ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ؛ فَأَسْلَمَهُمُ الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَقَرًا ؛ وَمَا كَرَّمَهُمْ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرَّ ؛ وَأَخْلَفَهُمْ مَا ضَمِنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .

وَكَانَ الْمَلِكُ فَلَانٌ مِّنْ تَدَبُّرِ طُرُقِ النَّجَاةِ فَلَمْ يَرِ إِلَيْهَا سِوَى الطَّاعَةِ سَيِّلًا ، وَتَأَمَّلَ أَسْبَابَ النَّجَاحِ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا غَيْرَ صِدْقِ الْإِنْتِمَاءِ دَلِيلًا ؛ فَأَبْصَرَ بِالْخِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ، وَأَدْرَكَ بِسَعْيِهِ نَافِرَ سَعْدِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ قَدَمٌ مِنْ سَلَفٍ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِشْفَاقَ عَلَى رَعَايَاهُ مَصَارِعَ مِنْ أَوْرَدِهِ سُوءَ تَدْيِيرِ أَخِيهِ مَوَارِدَ التَّلَفِّ ؛ وَعَرَفَهُ التَّمَسُّكُ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ آخَتَوْتْ يَدَهُ عَلَى مَالِمٍ يُبْقِي غَضَبُنَا فِي يَدِ أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَسَى وَالْأَسَفَ ؛ وَحَسَّنَتْ لَهُ الثَّقَّةُ بِكُمَا كَيْفَ يُجْمَلُ الطَّلَبُ ، وَعَلَّمَتْهُ الطَّاعَةُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ عَوَارِفَنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سُيُوفُنَا : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَ ؛ وَأَنْتُمُ الْإِنْسَانُ فَصَارَ مِنْ خَدَمِ أَيْمَانِنَا ، وَصَنَائِعِ إِنْعَامِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ غَيْرِنَا ؛ فَلَجَأَ مِنَّا إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ ، وَظِلِّ مَدِيدٍ ، وَنَصْرِ عَتِيدٍ ؛ وَحَرَمِ تَأْوِي الْمَلَّةِ إِلَيْهِ ، وَكَرَمِ تَقَرُّ نَضَارَتِهِ نَاطِرِيهِ ، وَإِحْسَانِ يُنَمِّعُهُ بِمَا أَقْرَهُ عَطَاؤُنَا فِي يَدِيهِ ، وَامْتِنَانِ يَضَعُ عَنْهُ إِصْرَهُ وَالْأَذْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ - أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ تُنْفِضَ لَهُ عَنْ بَعْضِ مَا حَلَّتْ جُبُوشُنَا دُرَاهُ ، وَحَلَّتْ سَطَوَاتُ عَسَاكِرِنَا عُرَاهُ ، وَأَضْعَفَتْ عَزَمَاتُ سَرَايَانَا قُوَاهُ ، وَتَشَرَّتْ طَلَائِعُ جُنُودِنَا مَا كَانَ سِتْرَهُ صَفْحُنَا عَنْهُمْ مِنْ عَوَرَاتِ بِلَادِهِمْ وَطَوَادِهِمْ ؛ وَأَنْ تُخَوِّلَهُ بَعْضُ مَا وَرَدَتْ خُيُولُنَا مِنْ أَهْلِهِ ، وَوَطَّئَتْ جِيَادُنَا غَارِبَهُ وَكَأْهْلَهُ ، وَسَلَكْتَ كُنْجَاتِنَا فَلَمَكْتَ دَارِسَهُ وَأَهْلَهُ ؛ وَأَنْ يَبْقَى مُلْكُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي مَضَى سَلْفُهُ فِي الطَّاعَةِ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرَّ مَلِكُ الْأَرْضِ الَّذِي أَجْمَلَ السَّعْيَ فِي مَصَالِحِهِ



بيديه ؛ لِنَتَيْمَن رعاياه به ، ويعلموا أَنَّهُم أَمِنُوا على أرواحهم وأولادهم بِسَبِيهِ ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يدُ جائره ، ولا سرية في طلب الغرة سائره ؛ ولا تطرق كئاسه أسدُ جيوش مفترسه ، ولا سباع نهاب مُحْتَلِسَه ؛ بل تستمر بلادُه المذكورة في دِمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكَنَفِ إحساننا ، وودِعة برِّنا وأمتناننا ؛ لا تطمحُ إليها عينُ مُعاندٍ ، ولا يمتدُّ إليها إلَّا ساعدُ مُساعدٍ وعَضُدُ مُعاضدٍ .

فليقابل هذه النعمة بِشُكْرِ الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصانَ بإخلاص ولأئِه نَفْسَه ونفائِسَ بلاده من الإضاعة ؛ وليقرُن ذلك بإضفاء موارد المودة ، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزادُ بحسنِ الوفاء إلَّا جَدَه ؛ واستمرارِ المناصحة في السرِّ والعلَن ، واجتنابِ المخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداءِ الأمانة فيما استقرَّ معه الحلف عليه ، ومباينة ما يُخشى أن يتوجَّه بسببه وجهُ عتبٍ إليه ؛ واستدامةِ هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامةِ أحوالِ هذه المِنَّة بِرَفُوضِ موجبات الكدرِ واجتنابها ، وإخلاص النية التي لا تُعتبر ظواهرُ الأحوالِ الصالحة إلَّا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رُماة البندق

قد جرت العادة أَنَّهُ إذا كان للسلطان عنايةٌ برمِي البندق ، أقام لرُماته حاكماً من الأمراء الذين لهم عنايةٌ برمِي البندق .

وهذه نسخةُ توقيع من ذلك :

الحمد لله الذي خصَّ أياماً الزاهرة ، باستكمالِ المحاسنِ في كلِّ مَرَامٍ ، وجعل [من] أولياءِ دولتنا القاهرة ، من أصاب من كلِّ مَرْمَى بعيد شاكَّة الصوابِ حتَّى أصبح

حاشا فيه بين كل رَام ، وجمع لخواصنا من أشنات المفاسح ما إذا برزوا فيه  
للرياضة ليلاً [أغنت] قسيهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدد مقاصد  
أصفيائنا في كل أمرٍ فما شغلوا بمسرة سرّاً ولا كانت من أقوى أسباب التمرن  
على خوض الغمرات العظام ، واقتحام الحرب اللّهام ، واشتغال جلايب الدجى  
في مصالح الإسلام .

نحمده على نعمه الوسام ، وأياديه الحسام ، والآله التي ما برحت بها تُغور المسار  
دائمة الأيتسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل ،  
وتؤمن من الزنج والخلل ، وتُلّيس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الحلل ؛ ونشهد  
أن محمداً عبده ورسوله المنزه عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ،  
الدال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال  
بالنيات وإِنما ليكل أمرئ ما نوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق  
الإخلاص مساعيهم ، ووفر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة  
بالغدق والأصال ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنه لما كان رمي البندق من أحسن ما هت به الحكمة ، في حال سلمها ،  
ومن أبهج ما حفظت به الرامة ، حياة نفوسها وعزّة عزيمتها ؛ على ما فيه من  
أطراح الراحة وأجتنابها ، واستدعاء الرياضة وأجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ،  
وتونحي الإصابة في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السهام ، وأرتقاب  
ظفر ، يُسفر عنه وجه سفر ، ومهاجمة خطر ، تُفضى إلى بلوغ وطر - وله شرائط  
تقتضى التقدم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرّراً في أصحابه ؛ وأدوات<sup>(١)</sup>

(١) في الأصل « في مخالفتها » ولا معنى له . تأمل .

كمال، لأبد للتحلّي بهذه الرتبة منها، وحسن خلال، تهدر أعمال من بعد عليه مرأها وقصرت مساعيه عنها، وعوائد معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصد مفهومة، فيما يتميز به المصيب الحاذق على نظرائه .

ولما كان الجنب العالى الفلانى ممن يشار إليه في هذه الرتبة ببنان الترجيح، ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح؛ ويعمل فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعول فيها على قدم معرفته المميزة بين أقدار الرماة مع تساوى إصابه الأغراض؛ لأحتوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقها [الا] مثله ولا يؤقها - اقتضى رأينا الشريف أن نعدق به أحكامها، ونرد إلى أمره ونهيه كبراءها وحكامها .

فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق لما يتعين من اختصاصها بجنابه، ويتبين من أولويته بالحكم في هذا الفن على سائر أربابه .

فليل ذلك حاكما بشروطه اللازمة بين أهله، المعبرة بها خلال الكمال في قول كل أحد منهم وفعله؛ المميزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه، المرجحة في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه؛ المهذرة ما يجب بين أهل هذا الفن إهداره، المثبتة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره، ويعمل في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها، ويتقدم فيه بما تدله عليه خبرته التي ما برح وجه الاختيار مصروفا إليها؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويبلغه مراتب الرفعة في خلاله الجميلة وقد فعل؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدم من أمير عشرة أو من في معناه . فيفتح بـ «أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتوحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عن علمه ، ولا قنوط  
من رحمته وسعة حلمه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سلمه ،  
ومُنَجِّزُ وُعود السُّعود لمن كان النِّجم مَبْدَأَ هِمَّتِهِ ، والصَّدُوقُ حُلَّةَ سَبِيحَتِهِ ، والعِزُّ حُلَّةُ  
أَسْمِهِ ؛ والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بُنُورَ مَلِكِهِ الْعَادِلَةِ مِنْ تَرَدُّي  
فِي ظُلُمَاتِ ظُلْمِهِ ، وَرَفَعَ مَنَارَ النُّبُوَّةِ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ أَفْتَاتِحِ التَّقَدُّمِ فِي رَتَبَتِهَا  
وَحَتَمِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَرَى كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ عَلَى نَجَائِبِ هِمَّتِهِ  
وَجِيَادِ عَزَمِهِ - فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رُعِيَتْ لَهُ أَسْبَابُ قَدَمِهِ وَتَقَدَّمَ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ  
حُكْمِهِ فِي رُتَبَتِهِ وَتَحْكُمُهُ ؛ وَأُعِيدَ إِلَى مَكَانَتِهِ الَّتِي رَقَّاهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ قَدِيمًا ، وَرُفِعَ إِلَى  
مَنْزِلَتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِهَا خَيْرًا وَأَبْوَضَاعِهَا عَلِيًّا - مَنْ ارْتَقَى فِي رُتَبَتِهِ إِلَى نَجْمِ أَفْقِهَا ،  
وَأَقْتَدَى فِي مَنَاجِيهِ بِدَلِيلِ مَسَالِكِهَا وَطُرُقِهَا ؛ فَأَتَى فِي مَصَالِحِهَا بَيُوتَ الْإِصَابَةِ مِنْ  
أَبْوَابِهَا ، وَنَقَلَ فِيهَا أَوْضَاعَ الْإِجَادَةِ عَمَّنْ كَانَ أَذْرَى بِهَا ؛ وَتَقَدَّمَ فِيهَا تَقَدُّمَ هِجْرَتِهِ  
وَسَبَقَ قَدَمِهِ ، وَبَلَغَ فِي مَقَامَاتِهَا الْغَايَةَ بَيْنَ وَثَبَاتِ سَاعِدِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ ؛ وَجَمَعَ مِنْ  
أَشْتَاتِ الطَّيْرِ مَا أَفْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ ، وَحَوَى مِنْ السَّبْقِ إِلَى أَنْوَاعِهَا مَا حَكَمَ بِسَعْدِ نَجْمِهِ  
وَيُمْنِ طَيْرِهِ ؛ فَكَمَّ لَيْلَةَ أَسْفَرٍ فِيمَا أُبْرَزُوهُ عَنْ صَبَاحِ نَجَاحِهِ ، وَكَمَّ طَائِرٍ زَاكِمَ النَّسْرَيْنِ  
بِقَوَادِمِهِ أَصْبَحَ لَدَيْهِ مَحْمُولًا بِجَنَاحِهِ ؛ وَكَمَّ أَنْزَلَتْ أَهْلَةً قَيْسِيَّةَ الطَّيْرِ عَلَى حُكْمِهَا ، وَكَمَّ  
حَكَّتْ بِنَادِقِهِ فِي رُجُومِ الطَّيْرِ الْمُحَلَّقَةِ إِلَى السَّمَاءِ أَنْقِضَاصَ نَجْمِهَا ؛ وَكَمَّ أَبْصَرَ مَقَاتِلَ  
الطَّيْرِ وَهِيَ مِنَ اللَّيْلِ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَكَمَّ أَشْتَتَلَ مِنَ الطَّيْرِ الْوَاجِبِ  
بِتَدَبُّبِ رَمِيٍّ لَمْ يَسْغُلْهُ مِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْجِهَادِ عَنِ الْفَرَضِ ؛ حَتَّى كَادَ النَّسْرُ الطَّائِرُ  
إِذَا تَوَهَّمُ أَنَّ الْهِلَالَ قَوْسُهُ يَغْدُو كَأَخِيهِ وَاقِعًا ، وَالْمَرْزَمُ الْمُحَلَّقُ فِي الْأَفْقِ يُنْسِي لِإِشَارَةِ

بنادقه الصمّ متبعا ؛ حتى أصبح وهو الكبير في فنّه بآداب التعريف ، وأضحى وهو الخبير بنوعه بطريق النقل والتوقيف .

ولمّا كان فلانٌ هو كبير هذا الفنّ وخيره ، ومقدّم هذا النوع الذى لم يزل بجلائه عظيم كلّ عصر وأميره ؛ وقديم هذا المرمى الذى جُلّ المراد به الحدُّ لا اللّعب ، وأليف هذا المرام الذى ينشطُ إليه اللّاعِبُ ويستروحُ إليه التّعب - أقضى الرأى الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليّة بما علم أو علم منها ، فاصلا بين أهلها بمعرفته التى ما برحت يؤخذ بها في قواعدها ويتقلّد عنها - فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق .

فليستقرّ في هذه الرتبة التى تلقّاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتقرّده في نوعه وتقدّمه في فنّه ؛ وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها . وينافس المعروفين بها على التّحلّي بآدابها ، والتّمسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ وينصف بينهم فيما يُعتدُّ به من واجبها ، ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرقيها والمعروف من مراتبها ؛ ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يتحرّ الصدق في يومه أنّه قبل منه في أمسه ؛ فإنّ استدامة شروطها أمان من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها ؛ وليرع لذوى التقدّم فيها قدم هجرتهم ، وأشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرّتهم ؛ وقد خبر من أوصافه الحسنه ، وسابق رتبته التى لم تكن عين العناية عنها وسنه ؛ ما أقضى استقرار رتبته على مكاتها ومكانها ، وأكتفى له من مبسوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتق الله في قوله وعمله ، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله ؛ والخير يكون : إن شاء الله تعالى .

\* \* \*

ومن ذلك ما يكتَبُ به في إلباس الفتوة .

إعلم أنَّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، ويقيمون لذلك شروطاً وأداباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنَّه مأخوذٌ عن الإمام عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه .

والطريقُ الجارى عليه أمرهم الآن أنَّه إذا أراد أحدهم أخذَ الطريق عن كبيرٍ من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسر جمعه، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك <sup>(١)</sup> ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماءً ويخلطُ به بعض ملح، ويقوم كلُّ منهم فيشربُ من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتبَ له بذلك توقيعا .

وهذه نسخةٌ توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو :  
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمدّه منه بكلِّ حيل وقوة، وأسعد من سماء فكان علياً على كلِّ من سام طوّه .

نحمده حمداً تغدو الأفواه به مملوّه، ونشكره على مواهبه بآيات الشكر المتلوّه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رَوَاحه وغُدُوّه، ونشهد أن محمداً عبده وسوُّله الذي شدَّ الله أزره بنجر من أفتى وفتى فنال كلُّ فتوى من الفتيان به شرف الأبوّة والبُنوّة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرُوا وليّه وخذَلُوا عدُوّه، صلاةً موصلةً إلى نيل الأمانِ المرجوّه .

(١) بياض بالأصول، ولعله : المرید أو نحوه .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرآته كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا يكل جود وأمتطى ظهر خير جواد؛ وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى؛ وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحسد أمسه في يومه؛ وبالشهامة التي لها مال السهام من تفويق، ولزرق الأسيئة من تحذيق؛ ولبيض الصفاح من حدة متون، ولسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المنون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة الباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أنصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القابسون، ويرفل في حلل نعمائه اللابسون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنابوا، وإذا دُعوا إلى استنفار جهاد وأجتهد لبوا وأجابوا؛ والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب حزب الأعداء لا ينفذون إلا بسطان.

ولما كان فلان ذو المفانير، والمآثر؛ أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا التحفيل المعقود، والمدوح بهذا المقال المحمود، والمنوح بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سربله بما سربله أثواب العزة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في أصطفائه واختياره في ذلك فخار - أقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يُجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكريم العام بالإنعام،

والدعاء لِسُلْطَانٍ يُدْعَى لَهُ وَيَدْعُو كُلُّ الْأَنَامِ ، فقال : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، مَلِكَ الْبَسِيطَةِ إِمَامَ الْعَصْرِ ، رَافِعَ لَوَاءِ النَّصْرِ ، نَاصِرَ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، مُحْيِيَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، فَاتِحَ الْبِلَادِ وَالْقِلَاجِ وَالْأَمْصَارِ ، قَاهِرَ الْكُفَّارِ مُبِيدَ الْفَرِجِ وَالْأَزْمَنِ وَالتَّارِ ، سُلْطَانَ الزَّمَانِ ، حُسْرَوَانَ إِيرَانَ ، شَاهِنْشَاهَ الْقَانِ ؛ سُلْطَانَ الْعَالَمِ وَارِثَ الْمُلْكِ ، سُلْطَانَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ ؛ الَّذِي آتَيْتَنِي بِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ الْأَوْتَابِ ، الْمِغْوَارِ ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ذِي الْفَخَارِ ، شَرَفِ الْفُتُوَّةِ وَأَتْصَالِ الْأَنْسَابِ .

قلت : هذا ما وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ نُسْخَةِ هَذَا التَّوْقِيعِ . وقد ذكر الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلْبِيُّ فِي كِتَابِهِ "حَسَنُ التَّوَسُّلِ" نُسْخَةً تَقْلِيدَ أَنْشَاءِ فِي الْفُتُوَّةِ ، أَسْقَطَ مِنْهُ أَوَّلَ الْخُطْبَةِ وَهُوَ : - وَابْتَدَأَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ :

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ نِعَمٍ شَتَّى ، وَوَهَبَنَا مِنْ عِلْمٍ وَحِلْمٍ غَدَوْنَا بِهِمَا أَشْرَفَ مِنْ أَقْبَى ، وَأَتَانَا مَلِكَ خِلَالِ الشَّرَفِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لغيرِهِ مَا اخْتَصَنَّا بِهِ مِنَ الْكَمَالِ وَلَا يَتَأْتِي ، وَخَصَّنَا بِهِ مَنْ رَفَعَ أَهْلَ الطَّاعَةِ إِلَى سَمَاءِ النِّعَمِ يَتَبَوَّءُونَ مِنْ جَنَّاتِ الْكَرَمِ حَيْثُ شَاءُوا ؛ وَغَيْرُهُمْ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مِنْ أَنْتَنِي فِي نَخَارِ أُبُوءَةِ التَّقَى إِلَى حَسَبِ عَلِيٍّ ، وَاتَّهَيْتُ فِي بَاوَةِ الْبُنُوَّةِ إِلَى سَبَبِ قَوِيٍّ وَنَسَبِ زَكِيٍّ ، وَأَرْتَدِي حُلَلَ الْوَقَارِ بِوَاسِطَةِ الْفُتُوَّةِ عَنْ خَيْرِ وَصِيٍّ عَنْ أَشْرَفِ نَبِيٍّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نُورُ شَرِيعَتِهِ جَلِيٌّ ، وَجَاهُ شَفَاعَتِهِ مَلِيٌّ ، وَبَسِيفُهُ وَبِهِ حَازَ النَّصْرَ مِنْ أَنْتَنِي وَفَاءً إِلَيْهِ : فَلَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قِتِي إِلَّا عَلِيٌّ .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ لَبَّى إِحْسَانَتُنَا نِدَاءَ وَدَّهِ ، وَرَبِّي أَمْتِنَانُنَا نِتَاجَ وَلَائِهِ الْمَوْرُوثِ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، وَرَقَاهُ كَرَمُنَا إِلَى رُتْبَةِ عِلَاءٍ يَقِفُ جَوَادُ الْأَمَلِ عَنْ بُلُوغِهَا عِنْدَ حَدِّهِ ؛



وَتَلَقَّتْ كَرَامَتَنَا وَفَدَ قَصْدِهِ بِالترَّحُّيبِ ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مَصْرِ نَصْرِهَا بِالْحَرَمِ  
الْأَمِينِ وَالرُّبْعِ الْخَصِيبِ ، وَأَذْنَتْ لِأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِفَضْلِهَا سَهْمُ  
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلِيِّ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَجْمَعُ مِنْ رِذَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي  
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ جَدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ ، وَخَصَّصَتْهُ لِابْنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلِ بُنُوَّةٍ جَعَلَتْ لَهُ  
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوفَرَ حَظٍّ وَأَوْفَى نَصِيبٍ - مِنْ سَمَتِ مَنْابِرِ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ ،  
وَابْتَسَمَتْ أَسِرَّةُ الْحَمْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِفِ شُكْرِهِ ، وَأَخْتَالَتْ مَوَادُّ الثَّنَاءِ بِحَسَنِ  
خِلَالِهِ ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبُ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوَالِعِهِ بِطَوَالِعِ إِقْبَالِهِ ، وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا  
بِأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْهُدَى ، وَأَعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بُنُوَّةِ الْإِبْنَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوْتُّقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَاءِ ،  
وَأَتَّصَفَ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَاضْحَى قَبَى السَّنِّ كَهَلِّ الْحِلْمِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ، وَأَنْتَمَى  
إِلَيْنَا فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا مَلِكًا مَقْرَبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْسَى بِهِ لَدَيْنَا  
- مَعَ جَلَالَةِ الْإِبْنَاءِ - أَبْنَاءًا وَغَدَوْنَا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْآبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَاءُ ،  
وَنَشَأُ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَسَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعِلْمُ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَبِالْبَأْسِ وَالْكَرَمِ ، وَاعْتَرَى  
إِلَى أُبُوَّةٍ حُنُونًا بِبُنُوَّةِ رَجَائِهِ قَتْسَبَةً بَعْدَلُ أَيَّامِنَا : «وَمَنْ يُسِيْهِ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ» ، وَتَحَلَّى  
بِصَدْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ فِي سِرِّ هَذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ ، وَتَحَلَّى لِنَكَايَةِ عَدُوِّ  
الْإِسْلَامِ بِلُطْفِ مُكَايَدَةِ : السِّيُوفِ تُجَزُّ الرُّقَابُ «وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْر» .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمُؤَالَاتِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ  
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، وَزَانَ الْمُلُوكَ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ  
أَوْصِيَاءِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَيْفَتْ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لَغَيْرِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعَدَّةً ،  
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَّخِذَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ أَوْلِيَاءَ تُلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ ، وَسِيَّاهُ أَنْ تُسَدَّدَ  
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَاءِ ، وَأَسْتَتَّهُ أَنْ يُبَيَّلَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنْاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدَى ؛  
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لَشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَأَفْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَمَالِهِ ،

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ أَنْ يَمْدَّ إِلَيْهِ يَدًا ، وَأَنْتِاسِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعِمِيمِ أَجَلًا مَا نَحَلَّ وَالِدُ  
وَلَدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّابِتِ ، وَمَتَّ بِقَدَمِ غُرُوسِ الْوَلَاءِ الَّتِي أَصْلَهَا  
فِي رَوْضِ الْمَوَدَّةِ نَابِتٌ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، الْقَائِمَ لِجِهَادِ  
أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّنَةِ وَالْفَرَضِ ، فَاتَّخِ الْأَمْصَارَ ، الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَيُوفُهُ تَهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
عَنْ عُجُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ شَرَفَ الْقُوَّةِ  
بِأَنْتَاهِا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرُ بِنَوَةِ الْمُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِي أَوَّابٍ  
عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَأَوْرَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرَمِ  
وَالْبَاسِ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلٍ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَنْحَهُ بِحِفْظِ الْعَهْدِ مِنْ خَصَائِصِهِ مَاعِهَدَ بِهِ  
إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يُجِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ،  
وَأَوْطَأَ جِيَادَهُ مَعَاقِلَ الْكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَقْبَلَ قَصْدِي بِقَبُولِ حَسَنٍ ، وَيُقْبَلَ  
بِوَجْهِ كَرَمِهِ عَلَى أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَسَنٍ ؛ وَيَنْظِمَنِي  
فِي سَلَكِ عَقُودِ الْقُوَّةِ مُلْتَزِمًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْسَابِهَا ؛ مَتَّصِفًا  
بِمَوَالَاتِهَا الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خِدْمَتِهَا الَّتِي مِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى  
مَا يَجِبُ فَمَا أُنَى الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي عَقْدِ لِيَاءِ هَذَا الْفَخَّارِ لِحُجْدِهِ نَفَّارٍ ، وَنَظْمِنَاهُ لِعَقْدِ هَذَا الْمَقَامِ  
الْكَرِيمِ وَاسْطَةً لِمَثَلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الْأَدَّارُ .

فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ جُودَهُ يُعَلِّي الْجُودَ ، وَيُوطِدُ لِأَنْبَاءِ مُلُوكِ الزَّمَنِ  
مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطِدَتِ الْآبَاءُ وَالْجُدُودُ - أَنْ نِصَلَ سَبَبَهُ بِهَذَا السَّبَبِ  
الْكَرِيمِ ، وَنَعْقِدَ حَسَبَهُ فِي الْقُوَّةِ بِأَوَانِي هَذَا الْحَسَبِ الصَّمِيمِ ، وَنَعْدَقَ نَسَبَهُ بِأَصَالَةِ  
هَذِهِ الْأَبُوَّةِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ عَقِيمٍ ، وَيُفَاضَ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الْخُلُقِ الْمُتَّصِلِ عَنْ  
أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : ( إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) .

فليحلّ هذه الهضبة التي أخذت من مرافق العزّ بالمعاقيل ، ويحلّ هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقيد ألف راقِد ؛ ويحرّ رداء الفخر على أهداب الكواكب ، ويتراحم بها كعب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب ؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك ، وليُقيت في الفتوة بما علم من مذهبها الذي انتهى فيه منّا إلى مالك ؛ وليطلّ على ملوك الأقطار ، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبّها ، ويصلّ على صُروف الأقدار ، بهذه العناية التي جعلته - وهي حلية خرب الله - من خربها ؛ وليصل سرّ هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله ، وأترّعه ممن لم يره أهلاً لحمله .

قلت : وما تقدّم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التّقاليد ، والتّفاويض ، والتّواقيع ، والمراسيم : المُكَبَّرَة والمصَغَّرَة ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التّمثيل والتذكير ، ليُنسَجَ على منواله ، ويُنهَجَ على نهجه . فإنّ استيفاء ما يكتب في ذلك مما يشقّ ، ويقف القصدُ دونه . بل لا بدّ من حوادث تحدّث لم يسبق لها مثال يقتضى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حُسن التّصرّف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه . وكلّ كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادي إلى طريق الحقّ في الأمور كلّها ، بمنّه وكرمه .

## الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن نواب السلطنة ؛ وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد )

### المقصد الأول

( في بيان من تصدر عنه الولايات : من نواب السلطنة )

إعلم أن نواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حقير ، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان ، والكتابة في ذلك معدومة به ، سواء في ذلك النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجهين : القبلي والبحري ، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصص في صغائر الولايات : من نظر الأوقاف وغيرها ، ثم تعين ويكتب بها تواقع سلطانية .

أما نواب السلطنة بالممالك الشامية : وهم نائب السلطنة بالشام ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بجماعة ، ونائب السلطنة بصفد ، ونائب السلطنة بغزة ، إذا كانت نيابة لا مقدمة عسكر .<sup>(١)</sup>

(١) يظهر أن هنا سقطا ولعله « فتصدر عنهم الولاية » أخذنا مما تقدم .

## المقصود الثانى

( فى بيان الولايات التى تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية )

قد تقدّم فى الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أنّ نواب هذه الممالك يَسْتَبْدُون بتولية ولاية الأعمال ، وقد يَسْتَبْدُون أيضا بتولية صغار النّواب ، كالقلاع والبلدان التى تكون نيابتها إمرة عشرة . وربما استبدّوا بتولية بعض النيابات التى تكون نيابتها إمرة طبليخاناه ، إلّا أنّ تولية العشرات عن النّواب أكثر ، وتولية الطبليخاناه عن السلطان أكثر . أمّا النيابات التى تكون نيابتها تقدمة ألف ، فإنّها مختصة بالسلطان . والنيابات التى يكون متوليها جندياً أو مقدّم حلقة فإنّها مختصة بالنّواب . وأنّ تولية أكبر أرباب الأقاليم : ككاتب السّر ، والوزير بالشّام ، حيث جعلت وزارة ، وناظر النّظار ، حيث جعلت نظرا ، وأصحاب دواوين المكاتب ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيوش ، وقضاة القضاة بها - فإنّ التولية<sup>(١)</sup> فى ذلك تختص بالسلطان دون النّواب . وما عدا ذلك يولّى فيه السلطان تارة ، والنّواب أخرى . وربما حصلت الولاية فى بعض ذلك من بعض النّواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالحمّل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

## المقصود الثالث

[ في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات ]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براءة الاستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«الحمد لله» أعلى من الافتتاح بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«رسم بالأمر الشريف» وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال : «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، أقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها، ثم يؤتى بالاختتام : من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلة، والحسبة.

والأمر فيما يكتب عن النواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة :

منها - أن جميع ما يكتب عن النواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة.

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» فيقال : «توقيع كريم» أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم لفلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» فيقال : «تقليد شريف» و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره.

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاریا] في ذلك على من تصدر عنه الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في الخالف سهو فانه موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى. (٢) بياض بالأصل.

عن الملوك . وكأنهم راعوا في ذلك أن المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ، وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هزم الأمير الجيش ، وفتح السلطان المدينة ، والذي هزم وفتح إنما هم جنده لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشریف» بل بـ «العالی» على ما تقدم . فيقال : «رسم بالأمر العالی ، المولوی ، السلطانی ، المملکی ، الفلانی الفلانی» . وكذلك إذا أتى بذكر «رسم» بعد الافتتاح بـ «الحمد لله وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالی» دون «الشریف» .

قلت : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم كما أشار إليه المقر الشهابي ابن فضل الله في «التعريف» . ثم استقر الحال على وصف الأمر بـ «الشریف» فيقال : «رسم بالأمر الشریف العالی» إلى آخره ، كما يكتب عن السلطان .

ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتماد على الخط الكريم أعلاه» ولا يقال : «على الخط الشریف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في تواقيع التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب عن السلطان .

### المقصد الرابع

(في بيان الألقاب)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أن أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقر الكريم» ثم «الجناب الكريم» ثم «الجناب العالی» ثم «المجلس العالی» ثم «المجلس السامی» بالياء ، ثم «المجلس السامی» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجنب العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجنب العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطريرك » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن نواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وعلو وهبوط .



## الصنف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمي الألواف بالشام، وحلب، وطرابلس، إذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث ، فقد تقدم أنه ليس في شيء منها مقدمة ألف، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف، العالى، المولى، الأمير، الكبير، العالمى، العادى، العونى، الغياثى، الزعيمى، الظهيرى، الخدومى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، عون الأمة ، كهف الملّة ، ظهير الملوك والسلطين ، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمي الألواف، ويقال فيه : « المقر الكريم ، العالى ، المولى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمي الألواف، ويقال فيه : « المقر العالى ، المولى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً <sup>(١)</sup> [كذا] يكتب لنقيب الأشراف بحلب ، وهى : « المقر العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، النقيبى ، الحسبى ، النسبى ، العريقى ، الأصيلى ، الفاضلى ، العلماى ، العارفى ، الحجبى ، القدوى ، الناسكى ، الزاهدى ، العادى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، جمال الفضلاء البارعين ، نحر الأمراء الحاكمين ، زين العترة الطاهرة ، شرف الأسرة

الفائِزَه، حُجَّةُ العِصَابَةِ الهاشميَّة، قُدْوَةُ الطائِفَةِ العَلَوِيَّة، نُحْبَةُ الفِرْقَةِ الناجيةِ الحَسَنِيَّة، شَرَفُ أُولَى المَرَاتِب، نَقِيبُ ذَوِي المَنَاقِب، مَلَاذُ الطُّلَّابِ الدَّاعِينَ، بَرَكَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِين، فُلَان : أَسْبَغَ اللهُ عَلَيْهِ ظِلَالَهُ .

المرتبة الرابعة — الجَنَابُ الكَرِيم . وَبِهِ يُكْتَبُ لِأُمَرَاءِ الطَّبَاحَانَاه، وَيُقَالُ فِيهِ : « الجَنَابُ الكَرِيم، العَالِي، المَوْلَوِيُّ، الأَمِيرِيُّ، الكَبِيرِيُّ، العَضْدِيُّ، النَّصِيرِيُّ، المَجَاهِدِيُّ، المُوَيَّدِيُّ، الذُّخْرِيُّ، الظَّهِيرِيُّ، الفُلَانِيُّ، مَجْدُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الأُمَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، نُصْرَةُ الغَزَاةِ والمَجَاهِدِينَ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِين، فُلَان : أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَتَهُ .

المرتبة الخامسة — الجَنَابُ العَالِي . وَبِهِ يُكْتَبُ لِأُمَرَاءِ العِشْرِيَّاتِ، وَيُقَالُ فِيهِ : « الجَنَابُ العَالِي، الأَمِيرِيُّ، الكَبِيرِيُّ، الذُّخْرِيُّ، النَّصِيرِيُّ، المَجَاهِدِيُّ، المُوَيَّدِيُّ، الأَوْحَدِيُّ، الأَكْبَلِيُّ، الظَّهِيرِيُّ، الفُلَانِيُّ، مَجْدُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الأُمَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، نُصْرَةُ الغَزَاةِ والمَجَاهِدِينَ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِين، فُلَان أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة السادسة — المَجْلِسُ العَالِي . وَبِهِ يُكْتَبُ لِأُمَرَاءِ العِشْرَاتِ، وَيُقَالُ فِيهِ : « المَجْلِسُ العَالِي، الأَمِيرِيُّ، الكَبِيرِيُّ، الأَجَلِيُّ، المَجَاهِدِيُّ، العَضْدِيُّ، النَّصِيرِيُّ، المَهْمِيُّ، الأَوْحَدِيُّ، الذُّخْرِيُّ، الفُلَانِيُّ، مَجْدُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الأُمَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، نُصْرَةُ الغَزَاةِ والمَجَاهِدِينَ، عَضْدُ المُلُوكِ والسُّلَاطِين، فُلَان : أَدَامَ اللهُ تَعَالَى رِفْعَتَهُ .

المرتبة السابعة — المَجْلِسُ السَّامِيُّ بِالْبَاءِ . وَبِهِ يُكْتَبُ لِمَقَدِّمِي الحَلَقَةِ، وَأَعْيَانِ جُنْدِ الحَلَقَةِ، وَيُقَالُ فِيهِ : « المَجْلِسُ السَّامِيُّ، الأَمِيرِيُّ، الأَجَلِيُّ، الكَبِيرِيُّ،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحدى، الفلانى، جند الأمراء،  
زين الأكابر، ذخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغيرياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من  
جند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ،  
المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، جند الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الأمراء ،  
نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلطين ، فلان : أعزه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة ،  
ويقال فيه : « مجلس الأمير ، الكبير » . يتحو ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء ونحوهم ، ويقال فيه :  
« الأمير الأجل » .

## الصنف الثانى

( من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب )

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام ، وصاحب  
ديوان الرسائل بحلب ، ومن فى معناهما .

وهذه ألقاب كتب بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ ، وبولغ فيها  
جدا المبالغة ، إلا أنها ليست حسنة التأليف ، ولا رائقة الترتيب ، وهى : « المقر  
الشريف ، العالى ، المولى ، القاضى ، الكبير ، العالى ، العالى ، العللى ،  
الإمامى ، الفريدى ، المفيدى ، القدوى ، الحجى ، الأجل ، الحبرى ، المحققى ،

المُدَقِّقَ، الزَاهِدَ، العَارِفَ، الخَاشِعَ، النَّاسِكَ، المُسَلِّكَ، العَاذِيَ، المُرْشِدَ،  
 الرَّبَّانِيَّ، الْوَرَعَ، الْمُهْدِيَ، الْمُشِيدَ، الْمُشِيرَ، السَّفِيرَ، الْيَمِينِيَّ، الْمَلَّاذِيَّ،  
 الشَّيْخِيَّ، الْفَلَانِيَّ، جَلَّالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأَكْبَرِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،  
 عَوْنُ الْأُمَّةِ، صَلاَحُ الْمِلَّةِ، جَمَالُ الْمُلْكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ الْمُلْكِ، لِسَانُ الْمَمَالِكِ،  
 زَيْنُ الْأَوْلِيَاءِ، مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الْحَقِّ وَالْمُعِينُ عَلَى إِظْهَارِهِ،  
 قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخَفِّى أَهْلِهَا، رُحْلَةُ الْحِفَاطِ، عِلْمُ الْمُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ  
 الْمُنَظَرِينَ، قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ، مَلْجَأُ الصُّلَحَاءِ وَالْعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، قَرْدُ  
 الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الْأَوَانِ، شَيْخُ الْمَشَايِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،  
 مُرَبِّي الْأَتْقِيَاءِ وَالْمُرِيدِينَ، كَنْزُ السَّالِكِينَ وَالْمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ الْمَمَالِكِ،  
 مُجَمِّلُ الْأَمْصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُجْهِدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهُ،  
 مُعِينُ الْخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُنْذِلُ حَزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلِكُ الْبُلْغَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ،  
 خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْمِ الْمُبَارَكِينَ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَانُ  
 الْفَلَانِيَّ : أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أرباب الوظائف  
 الديوانية . ويقال فيه : «المقرُّ الكريمُ، العَالِي، الْمُؤَلَوِيُّ، الْقَاضِيُ» . بِتَحْوِ الْأَقْلَابِ  
 السَّابِقَةِ مَعَ «المَقَرِّ الشَّرِيفِ» .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم . وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أرباب الوظائف  
 الديوانية . وهذه ألقابُ كُتِبَ بِهَا لِبَعْضِ الْكُتَّابِ بِكُتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَالْحَيْشِ بِحَلَبَ ،  
 وَهِيَ : «الجناب الكريمُ، العَالِي، الْمُؤَلَوِيُّ، الْقَضَائِيُّ، الْكَبِيرِيُّ، الْعَالِمِيُّ، الْفَاضِلِيُّ،  
 الْبَارِعِيُّ، الْكَامِلِيُّ، الْمَاجِدِيُّ، الْأَوْحِدِيُّ، الْإِثْرِيُّ، الْإِثْلِيُّ، الْأَصِيلِيُّ، الْقَوَامِيُّ،

النَّظَامِيّ، الْفُلَانِيّ، ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، فَلَان : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الرابعة — الجَنَابُ الْعَالِي . وَبِهِ يُكْتَبُ لِكُتَّابِ الدَّسْتِ وَنَحْوِهِمْ . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «الجَنَابُ الْعَالِي، الْقَضَائِيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِمِيّ، الْفَاضِلِيّ، الْأَنْجَلِيّ، الْبَارِعِيّ، الْأَوْحَدِيّ، الْقَوَامِيّ، النَّظَامِيّ، الْمُفَوِّهِيّ، الرَّئِيسِيّ، الْمَاجِدِيّ، الْفُلَانِيّ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمَاجِدِينَ، قُدْوَةُ الْبُلَغَاءِ، جَمَالُ الْكُتَّابِ، زَيْنُ الْمُنْتَشِئِينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، فَلَان : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الخامسة — الْمَجْلِسُ الْعَالِي . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِكَاتِبِ دَرَجٍ بِالشَّامِ جَلِيلِ الْقَدْرِ، وَهِيَ : «الْمَجْلِسُ الْعَالِي، الْقَضَائِيّ، الْأَجَلِّيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِمِيّ، الْفَاضِلِيّ، الْبَارِعِيّ، الْكَامِلِيّ، الرَّئِيسِيّ، الْأَوْحَدِيّ، الْأَثِيرِيّ، الْأَصِيلِيّ، الْعَرِيقِيّ، الْفُلَانِيّ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْأَنَامِ، حُجَّةُ الْبُلَغَاءِ، قُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ، أَوْحَدُ الْأَمْنَاءِ، زَيْنُ الْكُتَّابِ، رِضَى الدَّوْلَةِ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، فَلَان : أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ .

المرتبة السادسة — الْمَجْلِسُ السَّامِي بِأَلْيَاءِ . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ دِمَشْقَ بَنَظَرِ الرَّبَاعِ وَهِيَ : «الْمَجْلِسُ السَّامِيّ، الْقَضَائِيّ، الْأَجَلِّيّ، الْكَبِيرِيّ، الرَّئِيسِيّ، الْأَوْحَدِيّ، الْأَنْجَلِيّ، الْمَاجِدِيّ، الْأَثِيرِيّ، الْأَثِيلِيّ، الْأَصِيلِيّ، الْفُلَانِيّ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عُلُوَّهُ .

المرتبة السابعة — الْمَجْلِسُ السَّامِي بِغَيْرِ يَاءِ . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِكُتَّابِ دَرَجٍ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «الْمَجْلِسُ السَّامِيّ، الْقَاضِيّ، الْأَجَلّ، الْكَبِيرُ، الْفَاضِلُ، الْأَوْحَدُ،

الأئمة، الرئيس، البليغ، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنعام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، نجل الأكابر، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعته .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير »  
وبالباقي من نسبة ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الأجل » . وربما زيد على ذلك قليلا ، كما تقدم فى السلطانيات .

### الصنف الثالث

( من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب )

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معناهم .  
وهذه ألقاب كتب بها لقاضى القضاة المالكي بدمشق بتصدير ، وهى : « المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، القضائى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلامى ، الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملاذى ، العابدى ، المحققى ، المدققى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء فى العالمين ، قدوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ، ملاذ الطالبين ، كنز المتفقهين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله ظلاله » .

المرتبة الثانية — المقرّ الكريم . وبه يُكتب لمن دُونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقابُ كُتِبَ بها لقاضى القضاة بحلب بوظيفة دِيْنِيَّة ، وهى : « المقرّ الكريم ، العالى ، المولوى ، القاضى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلمى ، القدوى ، المفيدى ، الشيعى ، الركنى ، الصاحبى ، الحاكمى ، المحسنى ، الفلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رحمة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارجين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعزّ الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجنب الكريم . وهذه ألقابُ كُتِبَ بها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجنب الكريم ، العالى ، المولوى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، المفيدى ، الفريدى ، المحققى ، المدققى ، الأوحدى ، الأكلى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظله » .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وهذه ألقابُ من ذلك كُتِبَ بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجنب العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلمى ، المفيدى ، المحققى ، الفريدى ، البارعى ، المدققى ، الأوحدى ، القدوى ، الحبرى ، الحافظى ، الأصيلى ، الأثيرى ، النَّاسِكى ، الورعى ، العلمى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحُكَّام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البلغاء ، مفتى المسلمين ، مفيد الطالبين ، قطب الزُّهاد ، ملاذُّ العبَّاد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالي . وهى : « المجلس العالى ، القضائى ، الأجل ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأئبلى ، الأصلى ، العريقى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، حجة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مُرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامى ، القضائى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحدى ، الأصلى ، العريقى ، المحققى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، أوجد الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوجد المفيدين ، مُرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وهى : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبيرى ، الأحد ، المرتضى ، الأكل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوجد العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .  
المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل » بخو الألقاب المذكورة فى « السامى » بغير ياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضى الأجل » على ما تقدم .

### الصنف الرابع

( من أرباب الولايات بالممالك الشامية - مشايخ الصوفية )

ولم أقف على شيء من ألقاب ما كتب من هذا الباب . سوى [ ما كتب ] فى مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السر ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الديوانية



هناك . وألقاب الجنب العالى فيما كُتِبَ به فى مشيخة الزاوية الأمينية بدمشق ، وهى :  
 « الجنب العالى ، الشيخى ، العالى ، العالمى العلامى ، الأوحدى ، القدوى ،  
 العايدى ، الزاهدى ، الورعى ، الناسكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المرقى ، الربانى ،  
 الأصيلى ، الفلانى ، مجدى الإسلام ، حسنة الأيام ، قُدوة الزهاد ، ملاذ العباد ، جمال  
 الورعين ، مربى المريدين ، أُوحد السالكين ، خلف الأولياء ، بركة السلاطين ،  
 فلان : أعاد الله تعالى من بركته » .

ومن هذا يؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أودونه .

### الصنف الخامس

( من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أمراء العُربان )

ولم أقف على شيء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامى » بغيرياء  
 لبعض أمراء بنى مهدي ، وهى : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ،  
 المجاهد ، الأصيل ، العريق ، الأوحد ، فلان الدين ، مجدى الإسلام ، بهاء الأنام ،  
 شرف العُربان ، زين القبائل ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزه الله  
 تعالى » . وعليه يقاس ما عساه يُكتب من هذا النمط .

### الصنف السادس

( من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أرباب الوظائف

العادية ، كرامة الطب ونحوها )

وألقاب رئيس الطب : « المجلس العالى ، القضائى » على نحو ما تقدم  
 فى الديوانيات .

## الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي رئاسة اليهود، وبطركية النصارى .

أما رئيس اليهود، فالذى رأيتُه لهم من ألقابه في عهد قديم، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه: «الرئيس، الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداووديين، فلان» .

وأما بطرك النصارى، فرأيتُ لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى: «البطرك المحتشم، المبجل، فلان، العالم بأمو دينه، المعلم أهل ملته، دُخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله عند الملوك والسلطين، وفقه الله تعالى» .

الطريقة الثانية: «مجلس التسييس، الجليل، الروحاني، الخطير، المتبتل، ابن المطران، النَّاصب، الخاشع، المبجل، قُدوة دين النصارية، فخر الملة العيسوية، عماد بنى المعمودية، جمال الطائفة القلانية، صفة الملوك والسلطين، فلان: أدام الله تعالى بهجته» .

## المقصود الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن نواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة، في الكلام على مقادير قطع الورق، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير: قطع الطلحية الشامية الكاملة، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ المَعْبَرِ عنها بِالْفَرْخَةِ وَطُولِهَا . وَقَطَعَ نِصْفَ الْحَمْوِيِّ ، وَهُوَ فِي نِصْفِ عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ الَّتِي فِي قَطْعِ الْحَمْوِيِّ وَطُولِهَا ، وَرُبَّمَا نَقَصَتْ فِي الطُّوْلِ . وَقَطَعَ الْعَادَةُ ، وَهُوَ عَلَى نَحْوٍ مِنْ قَطْعِ الْعَادَةِ الْبَلَدِيِّ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي طُولِ الشَّامِيِّ الْكَامِلِ كُتِبَ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الْحَمْوِيِّ كُتِبَ بِقَلَمِ التَّوْقِيعَاتِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ كُتِبَ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ . ثُمَّ مَا كَانَ فِي قَطْعِ الطَّلْحِيَّةِ ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الْحَمْوِيِّ ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ ، أَفْتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«رُسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» سِوَاءَ فِي ذَلِكَ عِلَاتِ الْأَلْقَابِ أَوْ انْحَطَّتْ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ بِ«الْمَقَرَّةِ» فِي قَطْعِ الْعَادَةِ ، أَعْتَابَرًا بِحَالِ الْوِظِيفَةِ .

### المقصود السادس

( في بيان ما يكتب في طُورَةِ التَّوْقِيعِ )

اعْلَمْ أَنَّ التَّوَابَ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ عَادَتُهُمْ فِي الْعِلَامَةِ كِتَابَةُ اسْمِ النَّائِبِ ، كَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ فِيمَا يُكْتُبُ عَنْهُ مِنَ الْوِلَايَةِ يَكْتُبُ فِي الْعِلَامَةِ اسْمَهُ . وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ فِي أَعْلَى الدَّرَجِ فِي الْوَسْطِ مَا صَوَّرَتْهُ : «الْأَسْمُ الْكَرِيمُ» ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ أَوَّلِ عَرْضِ الدَّرَجِ مَا صَوَّرَتْهُ : «تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِاسْتِقْرَارِ الْمَقَرَّةِ الشَّرِيفِ أَوْ الْكَرِيمِ ، أَوْ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ أَوْ الْعَالِي ، أَوْ الْمَجْلِسِ الْعَالِي أَوْ السَّامِيِّ ، أَوْ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ أَوْ الْقَاضِي ، أَوْ الشَّيْخِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فِي كَذَا وَكَذَا إِلَى آخِرِهِ» . فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعْلُومٌ كُتِبَ آخِرًا : «بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ ، أَوْ الشَّاهِدُ بِهِ كِتَابُ الْوَقْفِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ يَكْتُبُ : «حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ» . وَلَفْظُ :

«حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ» مما جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَابِهِمْ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وهذه طُرَّةُ تَوْقِيعِ بِنْقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِحَلَبِ الْحُرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ الدِّينِ أَحْمَدَ » بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمَدُوحِ ، وَهِيَ :

تَوْقِيعُ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الْحُسَيْنِيِّ ، الْأَصِيلِيِّ ، الْعِزِّيِّ ، بَرَكَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، أَحْمَدُ ابْنُ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أَحْمَدُ الْحُسَيْنِيِّ ، أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهَا ، فِي وَظِيفَةِ نَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرَ أَوْقَافَهَا ، وَالْحُكْمَ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عِوَضًا عَنْ وَالِدِهِ الْمَشَارِإِلِيهِ بِرِضَاهُ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيهِ الْمُسْتَمْرَةِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ بِمَقْتَضَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِكَشْفِ الصَّفْقَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعُ كَرِيمٌ بَأَنِ يَسْتَقَرُّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْغُرْسِيُّ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلُ النَّاصِرِيِّ ، آدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبْلِيَّةِ الْحُرُوسَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ الْجَنَابِ الْعَالِي، الْأَمِيرِيِّ، الْكَبِيرِيِّ، الْغَرَسِيِّ، عَضُدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ، أَدَامَ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَتَهُ، فِي وَظِيفَةِ الْمُهَنْدَرِيَّةِ الثَّانِيَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ، عِوَضًا عَنْ حُسَامِ الدِّينِ حَسَنِ بْنِ صَارُوجَا، بِحُكْمِ سُغُورِهَا عَنْهُ، لَمَّا اتَّفَقَ مِنَ الْغَضَبِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ، وَأَعْتَقَالِهِ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ، وَأَكْمَلِ قَاعِدَةٍ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طرّة توقيع بتّصدير الجامع الأمويّ بالشّام، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نَاصِرِ الدِّينِ» بْنِ أَبِي الطَّيِّبِ كَاتِبِ السَّرِّ بِالشَّامِ، وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بَأَن يَسْتَقَرَّ الْمُقَرَّرُ الشَّرِيفُ، النَّاصِرِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ الْعَمَرِيُّ، الْعُثْمَانِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ، عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ، فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمُوِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، عِوَضًا عَنْ الْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَفَرِيِّ الشَّافِعِيِّ، بِحُكْمِ وَقَاتِهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بِمَالِهِ مِنَ الْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيَوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طرّة توقيع بإعادة مَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ إِلَى الْقَاضِي «نَاصِرِ الدِّينِ» ابْنِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ، وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بَأَن تُفَوِّضَ إِلَى الْمُقَرَّرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي، الْمَوْلَوِيِّ، الْقَاضِي، النَّاصِرِيِّ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ الْعَمَرِيِّ، الْعُثْمَانِيُّ الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ، أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ، وَأَسْبَغَ

ظلاله ، مشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسوم الآن  
لإعادتها إليه ، عوضاً عما هي بيده ، بعلومه في النظر والمشيخة ، الشاهد بهما ديوان  
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم  
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع بالتحمل على النزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأيمينية ، بالقدس ،  
كتب به للشيخ «برهان الدين الموصلي» وهي :

توقيع كريم بأن يحمل الجناح العالي ، الشيخي ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا  
المرحوم الشيخ القطب ، تقى الدين أبي بكر الموصلي ، رضي الله عنه وأعاد من  
بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشيخة ، بالزاوية الأيمينية بالقدس الشريف ، على حكم  
النزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاها ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ،  
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة مرسوم برئع مقدمة إمرة بني مهدي ، كتب به لـ «عيسى بن  
حناس» وهي :

مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن  
حناس (؟) ، أعزّه الله تعالى ، في رُبع مقدمة بني مهدي ، على عادة من تقدمه ، حملاً  
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع ببطركية النصارى الملكية بالشام ، كتب به لـ «دأود  
الخورى» وهي :

تَوَقَّعُ كَرِيمٌ أَنَّ يَسْتَقَرَّ الْبَطْرِيْرُكُ ، الْمُحْتَشِمُ ، الْمَبْجَلُ ، دَاوُدُ الْخَوْرِي ، الْمَشْكُورُ  
بِعَقْلِهِ لَدَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِيْنِ ، وَفَقَهُ اللهُ تَعَالَى ، بِطَرِيْرِكِ الْمَلِكِيَّةِ بِالْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ  
الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَسَبَ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ مَلِيَّةِ الْمَقِيْمُوْنَ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَرَغِبُوا  
فِيهِ ، وَكَتَبُوا خُطُوْطَهُمْ بِهِ ، وَسَأَلُوْنَا تَقْرِيْرَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى  
مَا شَرَحَ فِيهِ .

### المقصد السابع

( في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع )

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ كُتَّابِ هَذِهِ النِّيَابَاتِ أَنَّ تُكْتُبَ الطَّرَةُ بِأَعْلَى الدَّرَجِ كَمَا تَقْدَمُ .  
ثُمَّ يَتْرُكُ وَصْلَانُ بَيَاضًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْلِ الطَّرَةِ ؛ ثُمَّ تُكْتُبُ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ  
الْوَصْلِ الثَّلَاثِ ، ثُمَّ يُكْتُبُ تَحْتَ الْبَسْمَلَةِ عَلَى سِمَتِ الْجَلَالَةِ : « الْمَلِكِيُّ الْفُلَانِيُّ »  
ثُمَّ يَخْلَى بَيْتُ الْعَلَامَةِ نَحْوَ سِتَّةِ أَصَابِعٍ مَعْرُضَةً ، ثُمَّ يُكْتُبُ السَّطْرَ الثَّانِي وَيُوَافِي كِتَابَةَ  
السَّطْرِ ، وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا بِقَدْرِ أَصْبَعَيْنِ ، وَالْبَاقِي عَلَى نَحْوِ مَا تَقْدَمُ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ .

### الطرف الثاني

( في نُسْخِ التَّوَاقيْعِ الْمَكْتُوبَةِ عَنْ نُوَابِ السُّلْطَانَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ )

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ سَبْعُ نِيَابَاتٍ : دِمَشْقُ ، وَحَلَبُ ،  
وَطَرَابُلُسُ ، وَحِمَاةُ ، وَصَفَدُ ، وَغَزَّةُ إِنْ كَانَتْ نِيَابَةً ، وَالْكَرْكُ . وَأَنَّ أَعْلَاهَا دِمَشْقُ ،  
ثُمَّ حَلَبُ ، ثُمَّ طَرَابُلُسُ . وَفِي مَعْنَى طَرَابُلُسٍ حِمَاةُ وَصَفَدُ .

وَقَدْ أَقْتَصَرْتُ فِي نُسْخِ التَّوَاقيْعِ عَلَى مَا يُكْتُبُ فِي ثَلَاثِ نِيَابَاتٍ [ تَقْدِيمًا لَهَا <sup>(١)</sup> ]  
عَلَى مَا عَدَّاهَا .

(١) بياض بالأصل .

## النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

## الصنف الأول

(ما يُكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين)

## الضرب الأول

(ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب)

## المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ«الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دمشق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء آلائه الشريفة إلى أعلى  
المراتب، ويُجزل لهم من مَنِّه الجمَّة المواب، وتضاعف لهم النعمة بكرمها الذي إذا  
انهمل كان كالغيث السَّاب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلتمح أهل الهمم ويراقب، ونشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادة يبلغ قائلها بركتها المُنَى والمآرب، وتهون عليه كلُّ  
المصاعب، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله بعثته الحقَّ  
في المشارق والمغارب، وأثار به ظلم الغياهب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين  
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب، وسلم تسليماً كثيراً .



وبعد ، فإنَّ المناصب بُتَوَّلتُها ، والمعالي بُعِلَّتْها ، والعُقودُ لَيْسَتْ بِمن مُخَلَّية بل  
بمن يُخَلَّىها ؛ وأطيبَ البِقاعِ جناباً ما طابَ أرجاءُ وُثمَارِها ، وبُحِرَ خِلالَه كلُّ نَهْرٍ « يروع  
حِصاه حَالِيَةَ العَذَارَى » وَرَبَّحتُ مَعَاطِفَ غُصُونِه سُلَافُ النِّسَمِ قَرَاهَا سُكَّارِي ،  
وَتَمْتَدُّ ظِلَالُ الغُصُونِ فيخال أنها على وَجَنَاتِ الأنهارِ عَدَارَا .

ولمَّا كانت دِمَشْقُ المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صَفَاتِهَا تَهَبُّ نَسَابُتُ  
[ هذه ] السَّيِّات ، لم يَتَصَفَّ غيرها بهذه الصفة ، [ ولا اتفق أولو الألباب إلا على  
محاسنها المختلفة <sup>(١)</sup> ] وكان الجَنَابُ الكريمُ هو من أعيان الدَّوْلَةِ وأُمَائِلِهِمْ ، وَوُجُوه  
رُؤَسَائِهِمْ وَأَفْاضِلِهِمْ ، وله في طاعتها آسَترسَالُ الأُمْنِ من سُوءِ مَوَاطِنِ الخَوَافِ ،  
وَوَصَلُ في وَلائِهَا القَدِيمِ بِالْحَدِيثِ وَالتَّالِدِ بِالطَّارِفِ ؛ وَتَوَلَّى مُهِمَّاتِ الخِدْمِ فَأَبَانَ  
في جَمِيعِهَا عَن مَضَاءِ عَزْمِهِ ، وكان من حُسْنِ آثارِهِ فيها ما شَهَرَ غُفْلَهَا بِوَسْمِهِ ؛ فَمِنْ  
نَاوَاهُ من أَقْرَانِهِ أَرَبِيٌّ عَلَيْهِ وَزَاد ، وَمِنْ بَارَاهُ من أَنْظَارِهِ أَشْيَى ذِكْرُهُ أَوْ كَاد .

فَلِذَلِكَ رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ في ولايةِ مَدِينَةِ دِمَشْقِ المحروسة .

فَلْيَبَاشِرْ هذه الولاية : عَامِلاً بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَمَرَ بِهَا في مُحْكَمِ الحِكْمِ ،  
حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ . وَلْيَشْمَلْ  
كَافَّةَ الرِّعَايَا بِالْحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ ، وَيُخْرِجْ حَظَّهُمْ مِنَ المَلاحِظَةِ والعِنايةِ ؛ وَلْيَسَاوِ في الحَقِّ  
بَيْنَ ضَعِيفِهِمْ وَقَوِيَّهِمْ ، وَفَقِيرِهِمْ وَغَنِيِّهِمْ ؛ وَلْيُلْزِمِ أَتْبَاعَهُ بِحِفْظِ الشُّوَارِعِ وَالْحَارَاتِ ،  
وِحِرَاسَتِهَا في جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ والأَوَاقِاتِ ؛ مَعَ مُواصَلَةِ التَّطَوُّافِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِنَفْسِهِ في أَوْفَى  
عِدَّةٍ ، وَأَظْهَرِ عُدَّةٍ ، مُتَّبِعاً في ذَلِكَ وفيما يُجَارِيهِ إلى ما يَشْهَدُ بِاجْتِهَادِهِ ، وَيُعْرِبُ عَن  
سَدَادِهِ ، وَيَعْلَمُ مِنْهُ صَوَابُ قَصْدِهِ وَاعْتِمَادِهِ ، وَبَدَلُ مُنَاصَحَتِهِ في إِصْدَارِهِ وَإِيرَادِهِ ؛  
وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَى ما وَلاَهُ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ ما نَوَّلَهُ وَأَوْلَاهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

(١) الزيادة مما تقدّم في الصنف الثالث في توابع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة تَوْفِيعَ بَنَظَرِ الجامعِ الأُمَوِيِّ، لصاحبِ سَيْفٍ : كُتِبَ به في الدَّولةِ الظَّاهِرِيَّةِ « بَرْقُوق » لناصر الدين « محمد » ابن الأمير جمال الدين، عبد الله ابن الحاجب، عند مُصَاهَرَتِهِ الأمير بَطَا الدَّوادار، وهي :

الحمد لله الذي قَدَّمَ أَعْظَمَ الْأُمَرَاءِ لِيَعْمَ مَوَاطِنَ الذِّكْرِ بَنَظَرَهُ السَّعِيدَ، وَأَقَامَ لَتَعْظِيمِ بَيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ، [أميرا] في الْاِكْتِسَابِ لِلْأَجُورِ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرِيدِ، وَأَطْرَبَ الْمَسَامِيعِ لِسِيرَتِهِ فِي أَحْسَنِ مَعْبَدٍ جُلِّيَتْ فِيهِ عُرُوسٌ مَهْرُهَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَالنُّورُ مِنْ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ وَمَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَحَلَّ نَاصِرَ الدِّينِ بِجَمَالِهِ الْأَسْنَى أَشْرَفَ الْمَرَاتِبِ، وَبَوَّاهُ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ الَّذِي بَلَغَ بِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْمَأْرَبَ، وَسَارَ خَبْرُ سِيرَتِهِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَبَلَغَ بِمُشَارَفَةِ نَظَرِهِ السَّعِيدِ الشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ؛ حَمْدًا نَرْفَعُهُ عَلَى النَّسْرِ الطَّائِرِ، وَنُمَثِّلُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ : كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، وَفَضَّلَ بَعْضَ الْمَسَاجِدِ عَلَى بَعْضٍ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ إِرَادَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَنَّ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَعَمَرَ الْمَسَاجِدَ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا زَمُوا الْمَسَاجِدَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَحَضُّوا عَلَى الْجَمَاعَةِ إِلَى يَوْمٍ تَكُونُ الْجِبَالُ فِيهِ كَثِيبًا مَهِيلًا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ رَابِعَ الْمَسَاجِدِ ، وَمَوْطِنَ كُلِّ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ ؛ وَتَقَصَّدَهُ الْأُتَمُّ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَلَمْ يَحُلْ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَوَاتِبُ حُكَّامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ، وَالْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ تَبَّتْ فِيهِ الْعُلُومُ وَتَأَوَّى إِلَيْهِ ؛ وَغَالِبُ الْمَسَاجِدِ

(١) في الاصل « ومزية » ولم تفهم معناه .

إلى سِمَاطٍ وَقَفِهِ مُضَافَهُ ، وَخَطَابَتُهُ تُضَاهِي مَرْتَبَةَ الْخِلَافَةِ ؛ وَهُوَ أَجَلُ عَجَائِبِ الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ، وَبِهِ يَفْتَحِرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ ، وَطَابَ ذِكْرُهُ ؛ وَفَتَحَ لَوْفِهِ بَابَ الزِّيَادَةِ عَلَى مُضَيِّ السَّاعَاتِ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشَّتَاتِ ؛ وَوَصَلَ الْحُقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مَتَشَرٍّ ، وَلَمْ يُضَعْ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ عَسِرٌ ، وَعَمَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمَضَافَةِ إِلَيْهِ بِالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ ، وَبَدَأَ الْأُئِمَّةَ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْخَدَمَةَ بَعْدَ الْعِمَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعَمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحْسَنَ مَقَامٍ ، وَيَصْلُحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ .

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الظَّاهِرِيُّ ، السِّنْفِيُّ - لِأَزَالِ هَذَا الدِّينَ الْقِيَمُ قَائِمًا بِمُحَمَّدِهِ ، وَالْمَسَاجِدُ الْمَعْمُورَةُ [ مَعْمُورَةٌ ] بِإِكْرَامِ مُسْجِدِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِئُ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ؛ بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ : لِمَا يُعْرِفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ ، وَخِبْرَتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا مِنَ الْمَحَابِرِ الْأَفْوَاهُ وَمِنَ الْأَفْلامِ الْأَلْسِنَةِ ؛ وَلِمَا حَازَهُ مِنْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَأَعْمَالِ الَّتِي بَدَتْ لِلْمُهْتَدِي بِهَا كُنُوزٌ لَا تَارٍ عَلَى عِلْمٍ ؛ وَلِيُعَمَّرَ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَلِيُوصَلَ الْحُقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَلِيُدْفَعَ الْأَمْوَالُ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا ؛ وَيُكْفَى كَفُّ الظُّلْمِ وَلِيُبَلِّغَ الْمُسْتَحَقَّ الْمَآرِبِ ، وَلِيُحْجِبَ الْخَوَنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ بِجَدِّهِ فَهُوَ بِجَدِّهِ حَاجِبٌ ؛ وَلِيَبْدَأَ بِالْعِمَارَةِ وَالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَات . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ أَدْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِلَاتُهَا وَلَا زَالَ يُفِيدُهَا كَمَا يَعْلَمُ الشَّجَاعَةُ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصْلِحُ عَمَلَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَهْلُهُ .

### المرتبة الثانية

( مَا يَفْتَحُ بِـ «أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» فِيهَا وَظَائِفُ )

وهذه نسخة توقيع ... الزكاة ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي :  
 (١)  
 أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَّاهُ عَمَلُهُ ، وَوَفَّاهُ وَعْدَ الْخَيْرِ أَمَلُهُ ، وَمُضْعِدٍ مِنْ وَفَّتْ فِي تَدِيرِ الْوُظَائِفِ تَفَاصِيلِ أَمْرِهِ وَوَفَّرَتْ فِي تَمِيرِ الْأَمْوَالِ جُمْلَهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيمَ مِنَ الشَّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوِيمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكُوا - وَإِنَّمَا يَتَرَكُوا لِنَفْسِهِ - مُنْجِدُهُمْ وَغَاثُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوُظَائِفِ أَنْ يُنْدَبَ لِحِمَايَتِهَا الْحُسَامُ ، وَيَتَرَتَّبَ لِكِفَايَتِهَا مَنْ تَحَلَّتْ بِالْحَمَامِدِ شِمَهُ الْحِسَامِ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبَ مَكَانِهَا بِإِمَّاكِنِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُدِحتُ الْمُلْكَةِ بِعَالِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنَظَّمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِّنْ زَكَتِ صِفَاتِهِ ، وَسَمَتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتِهِ ؛ وَوَضَحَتْ كَفَاءَتُهُ وَدِرَائَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حِمَايَتُهُ الْحُسَامِيَّةَ وَوَقَايَتُهُ ؛ وَكَانَ الْيَمْنُ فِي قَبْضَةِ مَضَائِهِ ، وَتَجَرِيدُهُ وَأَنْتِضَائِهِ ، وَكَانَ نَفُوذُ أَمْرِهِ وَاقِعًا عِنْدَ حَذِّهِ وَاقِعًا عَلَى وَفْقِ آرْتِضَائِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوصَلَ سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يَقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسِمَ أن يرتب ... .. علماً بأنه الكافي الذي إذا شَدَّ سَدَّ، وإذا قَصَرَ رَأَيْهِ على الصُّنْعِ الجميل مَدَّ؛ والخبيرُ الذي إذا جَمَعَ مَالاً وَعَدَّه كان مَشْكُوراً ، وإذا فَرَّقَهُ في مُسْتَحِقِّهِ كان خِلافَ الغَيْرِ بالخَيْرِ مَذْكُوراً ؛ والنَّاهِضُ الذي ما تَبَرَّمَ بِمَضَائِقِ المِهْمَّاتِ ولا شَكَاها، والمَهِيْبُ الذي قد أَمِنَ مَنْ سارَ بالبِضَاعَةِ إليه وقد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .

فليستَقِرَّ في هذه الجِهة أَسْتَقْرَاراً يَزِيدُ مَكَانَهُ وإِمْكَانَهُ ، وَيُثْمِرُ عَمَلَهُ وِدْيَانَهُ ، وَلْيُوَصِّلْ كُلَّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ فَإِنَّمَا بُسِطَتْ أَيْدِي وِلَاةِ الْأُمُورِ لِيَسُطَّ عَدْلُهُ مُتَوَلِّياً وإِحْسَانَهُ . وتقوى الله تعالى هي العُمدَةُ : فليَحَقِّقْ بِاعْتِمَادِهَا فِيهِ ظُنُونَ الرَّاجِينَ ، وَلْيَسْتَعِنْ بِهَا عَلَى رِضَا الْمُسْتَهِضِينَ لَهُ وَعَلَى رِضَا الْمُحْتَاجِينَ ، واللهُ تعالى يُلْهِمُهُ الْخَيْرَ فِي ذَوِي الصَّادِرِ وَالْوَاردِ حَتَّى يَكُونُوا إِلَى خَيْرٍ «لَا جِينَ» خَيْرَ لَا جِينَ .



وهذه نسخةُ تَوْعِيقِ بَشَدِّ الحَوَاطِطِ بِدَمَشَقٍ . كُتِبَ بِهِ لِشَرَفِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ الْعَفِيفِ ، [باجرائه] عَلَى عَادَتِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَهَّلَ الْخَيْرَاتِ بِأَسْبَابِهَا ، وَأَقَرَّ فِي الْوِظَائِفِ السَّنِيَةِ كُفَاةَ أَرْبَابِهَا ، وَجَلَّلَ أَدَوَاتِ مِنْ حَنَكَتِهِ التَّجَارِبُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ حَتَّى دَخَلَ الْمَنَاصِبَ الْعَلِيَّةَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينَ الْأَكْمَلَيْنِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِرِشْدِ الشَّرِيعَةِ وَصَوَائِبِهَا ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ الصَّنِيعَةِ وَثَوَائِبِهَا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِزَّتِهِ الطَّاهِرِينَ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ لَفَتْنَا إِلَيْهِ جَيْدَ الْإِحْسَانِ ، وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ طُرْفَ التَّكْرِيمِ فَبَلَغَ الْأَمَانِيَّ وَالْأَمَانَ ، وَلَحَظْنَا بِعَيْنِ عِنَايَتِنَا فَنَالَ مِنْ فَضْلِنَا مَا أَنْجَلَ الْغَيْثَ الْهَتَّانَ ، وَمَتَحَّنَاهُ مِنْ رِثْنَا مَا شَرَحَ لَهُ صَدْرًا ، وَأَسْتَصَحَبْنَا لَهُ مَا أَلْفَهُ مِنْ كَرَمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُ بَعْدَ

عَسِرُ يُسْرًا ، وَأَيْقَظُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَغْفَى ، وَأَظْلَعُنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَخْفَى - مِنْ أَلَقَتْ مُهِمَاتُنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرْضِيَّةَ ، وَأَثْمَنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْبِيرِهِ وَدِرَايَتِهِ .

وكان المجلس العالى فلان - أدام الله عزه - هو الذى أخبر عنه الوصف بما أثبتته العيان ، وأظهر الاختبار منه حسن السيرة والسريّة والسجاياء الحسان .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - أعلاه الله تعالى ، وضاعف لإحسانه على أهل الهمم - ووالى - أَنْ يَسْتَمِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَةِ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ ، وَمُسْتَقْبَرِ قَاعِدَتِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ الْمُسْتَمَرِّ حُكْمَهُ .

فليباشر هذه الوظيفة على أجمل عوائده ، وليعد إليها على أكل قواعده ؛ إِلَّا أَنْ التَّذَكُّرَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَبَدٍ مِنْ أَقْتِبَاسِ ضِيَاهَا ، وَالتَّنْذِيرَ عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِ هُدَاهَا ؛ فَلْتَكُنْ قَاعِدَةُ أَمَلِهِ ، وَخَاتِمَةُ عَمَلِهِ . وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### المرتبة الثالثة

( من تواقيع وظائف أرباب السيوف بدمشق - ما يُفتتح به «رسم بالأمر العالى» وفيه وظائف )

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقييع بشد مراكر البريد ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نبأته ، كُتب بها لمن لقبه «بدر الدين» فى سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، وهى :

رُسم بالأمر العالي - لا زالت البرد سائرة بأوامرِ عدله المديد ، وهوامرِ جوده  
المجيد، وسوائر الأخبار عن بأسه ونذاه المروى سندهما عن ثابت ويزيد، ولا برحت  
جوامع عطاياه وقضاياه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح  
الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى، وقاعدته التي ما برحت  
قدم مساعيه فيها المقدمة ويد أمانته الطولى؛ علماً بكفائه التي شهدت بها حتى  
الخليل المثلثات خرساً فأفصححت ، المواصلات سعيّاً فأنجحت ، الموريات قدحاً  
إلا أن ألسنة الأحوال في شهادتها ما قدحت ، المغيرات على السرى صبحاً ما دار عليها  
شفق العشي فأغتبقت ، حتى دار عليها شفق الفجر فأضطبحت . ومراكر الطرق  
التي حتمت مهابتها فكانها مراكر الأسل ، ومراقص السبل ، كل واحد منها وما حمل  
وكل حدب وما نسل ، وأعتاداً على سداد عزمه الذي وافق خبره الخبر، ورشاد سعيه  
الذي كل أوقاته من وجوه الإجادة ووجوه الحيات غرر ، ورؤونا إلى أنه الكافي  
فيما يعتمده ويره ، السارى في المهمات لا يمل وهيئات أن يمل البدر من سراه ، كم  
أعان الإسلام على ما آتخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وكم جاد على الحيات على الغيث<sup>(١)</sup>  
حتى سارت بين يديه كالسيل ، وكم حفظ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت  
بالعدد صارت تعيش بالخيال .

فليباشر ما عول فيه عليه ، وأعيد من حقه وإن كان خرج عنه إليه ، وليطلق يد  
أمره ونهيه بما يسره أن يقدمه بين يديه ؛ حريصاً على أن تنطق هذه الدواب  
الخرس غذاً بثنايه ، مجرياً اقوائها وللإقامة بها على عادة إجرائه ؛ متخيراً لها كل  
حسن الإمرة والسياسة عند رحيلها وقدمها ، ومن إذا عيرضت عليه بالعشي  
الصفافات الحيات طفق مسحاً ولكن بإمالة الأذى عن جسومها ؛ موسعاً عليها من

المباني والأحوال كُلِّ مَضِيْقٍ ، آمراً بما يحتاج إليه نَوْعُهَا البَدِيعُ من صِنَاعَتِي تَرْشِيحٍ وَتَطْيِيقٍ ، مُسْتَأْمِنًا من الأَيْدِي من يَرُدُّ عَنْهَا الأَيْدِي الصَّائِمَةِ ، ومن يُسَاوِي بِهَا في الأَقْوَاتِ حَتَّى لَا تَكُونَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : « خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ » ، مُتَحَرِّيًا في تَكْفِيفِهَا أَجْمَلَ الطَّرِيقِ وَالطَّرَائِقِ ، مُسْتَجَلِبًا صُنُوفَ الْعَلِيقِ فَلَا تَنْقَطِعُ مِنْ بَرِّهِ الْعِلَاقُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ وَرَشْدِهِ ، وَيَجْعَلُ عَزْمَهُ سَابِقًا إِلَى التَّوْفِيقِ « سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى أَمْدِهِ » ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخةٌ تَوَقِّعُ بِنِقَابَةِ النُّقَبَاءِ ، من إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا ، كَتَبَ بِهَا لِشَهَابِ الدِّينِ « بُولَاقِي » عَوْضًا عَنْ أَبِيهِ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ، وَهِيَ :  
رُسمُ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ بِإِنْعَامِهِ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ الْأَمَلِ نِقَابَهُ ، وَيَحْفَظُ لِكَافِي الخِدْمَةِ أَعْقَابَهُ ، وَيَلْوِي بِاسْتِمْرَارِ النِّعَمِ أَدْوَارَ الزَّمَانِ وَأَحْقَابَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي آفَاقِ دَوْلَتِهِ شَهَابَ كُلِّ عَزْمٍ تَحْمَدُ عَسَاكِرُهُ الْمَنْصُورَةَ أَرْتِقَاءَهُ وَأَرْتِقَابَهُ - أَنْ يَرْتَّبَ الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الْأَمِيرُ : ... .. عُلَمَاءَ بِأَوْصَافِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَوْضَاعِهِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ الْحُكْمُ بِفَضْلِهَا إِلَى إِقَامَةِ بَيْنِهِ ، وَكَفَايَةِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَحْوَالِ الْمُؤْمِنَةِ وَقُلُوبُ الْعَسَاكِرِ الْمُؤْمِنَةِ ، وَهِمَّتِهِ الَّتِي إِذَا وَقَفَتِ الْمَوَاقِفُ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَرَفَتْهُ أَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ ، وَتَصَدِّقًا لِدَلَالَةِ عَزْمِهِ الْوَاعِدِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِمَايَةِ شِهَابِهِ الْوَاقِدِ ، وَرُكُونًا إِلَى قِيَامِهِ مَقَامَ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الخِدْمَةِ حَتَّى كَأَن لَمْ يَفْقِدْهُ مِنَ الْحَيْشِ فَاقِدٌ ، وَأَنَّهُ لِدَرَجَاتِ الْأَسْتَحْقَاقِ رَاقِيٌ ، وَأَنَّهُ الْعَوْضُ عَنْ أَبِي لَاقِي مَنِيتُهُ وَكُلُّ أَمْرِي لَاقِي الْمَنِتَّةِ وَأَبْنُ لَاقِي ، وَأَنَّهُ كُفَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ كَمَا حَكَمَ الرَّأْيُ وَأَقْتَضَى ، وَكَمَا شَهِدَ (؟) لَعَزَّتْهُ بَغَرِ الْفَوَائِدِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ ابْنُ النَّقِيبِ الْمُرْتَضَى ! .



فَلْيَتَلَقَّ بِشَهِائِهِ الْمَضْيءَ هَذَا الْمَطْلَعِ الْأَسْنَى، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الْوُضُفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ  
 صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى النَّبَاءِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُنْدِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛  
 مَالًا بِإِتْقَانِ مَعْرِفَةِ الْحِلِّ سَمْعَ مَنْ أَسْتَمَلَهُ، مُحْظِيًا لِلْجُنْدَى مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ  
 حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا  
 صُحْبَةً يُتَنَّى بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ،  
 مُنْقَبًا عَنْ مَحَاسِنِ تَجَمُّلِهَا : فَإِنَّ أَسْمَ النَّقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ . وَلْيُكَاثِرْ حَمَلَةَ  
 السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلٌ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُحَلَّصٌ حَقُوقَ مَنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوَقِّ  
 نَفْسٍ مِنْ عَصَى؛ وَلْيُجَرِّضْ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الْأَجْتِهَادِ الْمُتَجَزَّ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ  
 سَيْفَ تَحْرِيطِضَ عَلَى جَرَحَى الْأَعْدَاءِ مُجْهَظٌ، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ عَلَى  
 الْأَجْرَيْنِ : أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجْهَظِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِئُ فِي الْخَيْرِ طَرَائِقَهُ، وَيُؤَيِّدُ عَزْمَهُ  
 الْجَيْشِيَّ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَعْلَامِ الْخَافِقَةِ؛ وَالْإِعْتَادُ ... ..



وهذه نسخة توقيع بَشْدَ خَزَائِنِ السِّلَاحِ، مِنْ إِنْشَاءِ آبِنِ ثُبَاتَةَ أَيْضًا، وَهِيَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَاعِقُهَا مِنْ  
 أَعْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرَّائِحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرَحَ يُعْمَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ  
 حَتَّى 'يَفْنَى' ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيِّ بَاسِهِ وَسَمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَّ ... .. لِأَنَّهُ النَّاهِضُ  
 الَّذِي تَتَرَيَّنُ الْوُضَائِفُ بِسَمِئَتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَتَعَيَّنُ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاسِجُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛  
 وَالْمُسَدَّدُ مِنْ آرَائِهِ سِمَامًا، وَالْمُجَرَّدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ  
 كَهَامًا؛ وَالْوَقْفُ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِجَمَلِ السِّلَاحِ وَاسْتِعْمَالِهِ عَلَى رَغَمِ  
 الْقَائِلِ : «أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَيْرُ بِمَحَاسِنِ الْإِقْتِرَاحِ، وَالْكَافِي وَلَا

عَجَبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ دَوُوُ الْوِظَانِفِ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ السِّلَاحَ ! ؛ دُوُ الْعَزْمِ الْأَشَدِّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدِّ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاولَ بَعْضُ الْأَسْلِحَةِ وَانْتَسَبَتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عُطَارِدٍ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَايِشْ هَذِهِ الْوُضِيفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُسَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلِفٍ وَصِيَانَةٍ أَحْصَنَ مِنْ لَامٍ ؛ مُعْتَبِرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَالِهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُؤَفَّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سِهَامُهَا ، مُنْصَفًا لِمُصْنَعِهَا الَّذِينَ يُحَمَّدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ صَنِيعُهُمْ وَأَهْمِيَّتُهُمْ ؛ مُكْتَنَزًا لِخَزَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهَّزًا لِحِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مِنْ قِسِيٍّ تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعَدَا ، وَسُيُوفٍ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارُ النَّاكِثِينَ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوجٍ تَمْوِجُتُ غُدْرَانُهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تُغَوَّرُ ، وَرِيْمَاجٍ أَطْرَدَتْ كُغُوبُهَا فَكُلُّهَا عَلَى عَدُوِّ الْإِسْلَامِ كَتَبُ مَدَوَّرٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى عَزَمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالزَّيْدِ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَتَّقِفُ عَزَمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السِّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الجوالى ، من إنشاء ابن نبأته أيضا ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت سَعُودُ أَوَامِرِهِ وَاضِحَةً الْأَدِلَّةَ ، نَافِذَةً الْحُكْمَ عَلَى كُلِّ مِلَّةٍ ، قَائِمَةً لِحَضْبِ الْبِلَادِ بِالْعَدْلِ مَقَامِ السُّحْبِ الْمُسْتَهْلَةِ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي شَدِّ الْجَوَالَى بِدِمَشْقِ الْحُرُوسَةِ : لَمَّا ظَهَرَ مِنْ نَجَابَتِهِ ، وَاشْتَهَرَ مِنْ حَزْمِهِ وَمَهَابَتِهِ ؛ وَبَدَأَ مِنْ هِمَمِهِ الْعَوَالِي ، وَعَزَائِمِهِ الَّتِي تَجَلُّوْا صَدَأَ الْهَمِّ بِالْجَوَالَى ، وَإِذَا قِيلَ لِحَاسِدِهِ : لَهُ وَلَإِيَّهِ إِمْرَةُ الْخَيْلِ قَالَ : وَالْجَوَالَى لِي ، وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا اسْتَنْهَضَ كَانَتْ عَزَائِمُهُ شَابِيَهُ ، وَنَفْعَاتُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ هَابَةً ؛ وَتَجَلُّوْا الْهَمَّ الَّذِي أَشْهَدُ عَلَى كِفَايَتِهِ النَّهَارَ وَعَلَى

تَعْبِدُ اللَّيْلَ ، وَأَعَدَّ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ؛ وَأَنَّ  
مَرْبَاهُ بِجَمِيلٍ ، وَمُنْشَاهُ فِي مَنَازِلِ الْخَيْرِ دَلِيلٌ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ يُثْمِرُ مَالَهَا ، وَيَقَرَّرُ عَلَى السَّدَادِ أَحْوَالَهَا ؛  
وَيَسْتَخْلِصُ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَيَسْتَخْرِجُ الْوَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ  
الْمَاطِلِ ؛ فَلَا نَصْرَانِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ مِنْ بَاسِهِ ، وَلَا يَهُودِيًّا إِلَّا وَهُوَ  
يَشْكُو الصَّفْرَاءِ فِي رَأْسِهِ ، وَلَا سَامِرِيًّا إِلَّا وَالنَّارُ الْجَمْرَاءُ مُطْلَعَةً عَلَى أَنْفَاسِهِ ، حَتَّى  
تَكُونَ أَوْصَافُ شِدَّةِ مَتَلُوهُ ، وَعِزَائِمُهُ فِي الْجَوَالِي مَجْلُوهُ ؛ وَهَمُّهُ جَارِيَةٌ عَلَى إِيْلَافِهَا  
وَمَا لَوْ فِيهَا ، مُجَزَّةً لِأَقْلَامِ الْحِسَابِ وَالْدَّرَاهِمِ عَلَى حُرُوفِهَا ؛ صَحِيحَةَ الْوِزْنِ غَيْرَ مَنُوكٍ ،  
أَخِذَةَ الدِّينَارِ مِنْ وَازِنِهِ وَهُوَ كَالْمَأْخُوذِ مِنْهُ مَصْكُوكٍ ؛ شَدًّا تَتَعَقَّدُ عَلَى اخْتِيَارِهِ  
الْخُنَاصِرُ ، وَكَمَا أَنَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ قُوَّةٌ فَلْيَكُنْ لِلْوَظَائِفِ الدِّينِيَةِ مِنْهُ نَاصِرٌ .

## الضرب الثاني

( من يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب

السيوف - من هو بأعمال دمشق ، ومواضعهم على ثلاث مراتب أيضا )

## المرتبة الأولى

( ما يُقْتَتَحُ بـ «الحمد لله» وفيها وظائف )

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية بعلبك كتب بها لركن الدين «عمر بن الطحان» وهي :

الحمد لله الذي جعل مجامير زينه من استحق الصعود إلى أعلى المنازل ، وجعل نجم  
سعدته بارتقائه إلى سماء المناصب طالعا غير آفل ، وصان بعقله الراجح أحصن المعاقل .

نحمده على إحسانه الواصل ، وغيث جوده الذى هو على الدوام هاطل ؛ حمداً ينطق بمذبح معدته كل لسان قائل ، ويزيد خيره على كل عام قائل ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى ألحق جياذ الأواخر بالأوائل ، وجعل أجمل الأمراء يقوق البدور الكوامل ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى جعله لديه أعظم الوسائل ، وتلازم هو وجبريل فى علو المنازل ، والتقدم فى المحافل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادات العشائر والقبائل ، والمجاهدين فى سبيل الله بالبيض البواتر والسمر الدوايل ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت بعلبك المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأبهج مدن الشام - تعين أن نعين لها حاكماً دينياً خبيراً ، أميناً أميراً ؛ شجاعاً مهتاباً ، بطلاً برحمه وسيفه فى صدور الأعداء ورقابهم طعاناً ضراباً ؛ وكان الجناح الكريم فلان : - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بيت كان على التقوى أساسه ، وعدت لدفع المضلات أناسه ، وأشتهرت همته فلا يرد لهم سهم ولا يطلق بأسه ؛ طالما نفوا عن الدين الحنيفي خبت الكفر بعد ما تمكنت أدناسه ، وشمروا عن ساعد الاجتهاد فمحي بسيفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن شجى بشجاعته ، خلوق الكتاب ، ووقى بعدله وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام فى خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهذبته بمرورها الليالى والأيام ؛ وتأهل لحلول الرتب العلية ، وتعين لأرتقاء المراتب السنية ؛ فأردنا أن تختبره فيما نؤليه ، ونجبر عزمه فيما نؤليه .

فلذلك رسم بالأمر العالى - لا زال أمره مستمر الإحسان ، مجزلاً لدوى الاستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقر الجناح الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) فى الأصل «مهايا» ولم يحن من هذه المادة فعل رباعى بهذا المعنى بل الوارد هابه وآهاته .

الله تعالى نِعْمَتَه - في نيابة السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِبِعْلِكَ المحرُوسَةِ والبِقَاعِينَ المعمُورِينَ ،  
على عادة من تقدّمه في ذلك ، ومُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان  
المعمور ، إلى آخر وقيت .

فليباشِرْ هذه النِيبَةَ الشَّرِيفَةَ بِخَاطِرِ مُنْفَسِحِ حَاضِرٍ ، وَقَلْبِ مُنْشِرِحٍ على الخِيراتِ  
مُشارِبٍ ، وَلِيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ، وَلِيَتَوَخَّ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ نَقْضًا وَإِبْرَامًا ؛  
وَلِيَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ المَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ  
مَنْزُوعًا ؛ وَلِيُلِنْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلِيَحْمِلَهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ عَلَى الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ  
الْحَلِيلَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ الرِّعِيَّةُ الضَّعْفَاءُ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَفْوِيضِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ،  
وَلِيَعْرِفَهُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ [أُمُورِ] (٢) أُمَّتِي شَيْئًا  
فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَأَشْقُقْ عَلَيْهِ » ؛ وَلِيَعْمَرَ الْبِلَادَ ، وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ  
الْفَسَادِ ؛ وَلِيَهْدِ الْبِقَاعَ ، وَلِيُحْيِي مَوَاتِ الضِّيَاعِ ؛ وَلِيُقِيمَ عَلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ الْحَرَسَ ،  
وَلَا يَغْفُلَ عَنْ حِفْظِهَا بِمَعْرِفَتِهِ الَّتِي أَكَّدَتْ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ سَبَبًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ مِنَ  
إِحْسَانِنَا أَرْبَابًا ، وَيُنْحِجُ لَهُ مِنْ فَضْلِنَا طَلَبًا ، وَيَحْرُسُهُ بِسُورَتِي فَاطِرٍ وَسَبَا ؛ وَالْاعْتِمَادُ  
فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَكْشَفِ الْبِلَادِ الْقَبْلِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِعُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ  
فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ « بَرَقُوق » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَرَّدَ مِنْ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ سَيُوفًا تَحْسِمُ مَوَادَّ الْفَسَادِ ،  
وَيُثَبِّدُ أَهْلَ الزَّيْفِ وَالْعِنَادِ ، وَتَعْمُ بِبَاسِهَا وَبَعْدَهَا الْبِلَادُ . حَمْدًا مُسْتَمَرًّا عَلَى الْآبَادِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : الْعِلَاءُ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْآتِيَةِ بَعْدَ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْآتِيَةِ بَعْدَ .

مَزَوْدًا غَرَسَهَا النَافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمَلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَّغَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْآلَافِ وَالْمِائِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَمَنْزَقَتْ رِمَاحَهُمْ مِنْ مُخَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَجَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْقَبِيلَةُ جُلَّ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَةِ ؛ وَطَرِيقُ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَإِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ ، وَمَرَّ التَّجَارَ قَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ؛ وَمَنَازِلَ الْعُرْبَانِ ، وَمَوَاطِنَ الْعِشْرَانِ <sup>(١)</sup> - وَجِبَ أَنْ يُقَوِّضَ حُكْمَهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقَظَةِ الَّتِي لَا يَغْفُلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ؛ مِنْ أُمَرَاءِ غَرَسَهُ وَمَا يَفْقَهُ ، وَأَيْنَعَ بِالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا أَحْرَمَ الْجَمْرَ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِفْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُثْمَرُ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُسَرُّ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلَةِ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَنَوَالٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَعَادَتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمع فيما بأيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة فجعله كزغيف وزغفان وقطعان .

فليأشِرْ ذلك بهِمَّتِهِ الْعَلِيَّةِ ، وَشَجَاعَتِهِ الْأَحْزَمِيَّةِ ، وَنَفْسِهِ الْأَيَّيَّةِ ؛ وَلِيُبَيِّضَ وَجْهَهُ  
 فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ حَتَّى يَطْرَبَ النَّاسَ بِالنُّوْبَةِ الْخَلِيلِيَّةِ ؛ وَلِيُعِدِّلَ فِي الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ،  
 وَلِيَقْمَعَ رُءُوسَ عَشِيرٍ آتَخَذُوا رَأْسَهُمْ مَوْتَى : فَلَيْسَ الْمَوْتَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ؛ وَلِيُدْفَعَ  
 أَذَى الْعَرَبِ ، وَلِيُحَذِّرَهُمْ شَرًّا أَقْتَرَبَ ؛ وَلِيُكْثِرَ الرُّكُوبَ إِلَى الْمَعَامَلَاتِ ، وَلَا يُخْشَ  
 مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَاتِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ ؛ وَلِيَتَّخِذَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ،  
 وَلِيَتَوَخَّ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ تَقْضًا وَإِبْرَامًا ؛ وَلِيَقِفَ عِنْدَ حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا :  
 وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيُدْهِمَ الْإِيمَانَ مَزُوعَةً ؛ وَأَيُّنَ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلِيَحْمِلَهُمْ مِنْ  
 الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَلَى الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُمْ الرِّعِيَّةُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيضِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلِيَعْتَمِدَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مَنْ  
 وَلِيَ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » ؛ وَالْوَصَايَا  
 كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نِظَامُهَا وَقَوَامُهَا ، وَاتَّبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَادُهَا وَزِمَامُهَا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَكْشِيفِ الرَّمْلَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِأَبِي بَكْرٍ « أَمِيرَ عِلْمٍ » ، فِي الدَّوْلَةِ  
 الظَّاهِرِيَّةِ « بِرُقُوقٍ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَلَّدَ أَجْيَادَ الْمُجَاهِدِينَ ، سَيْفَ نَصْرِهِ ، وَأَكَّدَ بَعْزَائِهِمْ أَهْلَ الْبَقِيَّةِ ،  
 حِمَايَةَ حَوَازَةِ الْإِسْلَامِ وَصِيَانَةَ ثَغَرِهِ ؛ وَجَعَلَ أَلْسِنَةَ أَسِنَّةِ الْمُرَائِطِينَ فِي فَمِ الثَّغَرِ زِينًا إِذَا  
 أَزْدَانُ بَغْرَةٍ بَذَرَهُ ، وَأَنْزَلَ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ قَوَادِحَ نِقْمِهِ وَقَوَارِعَ قَهْرِهِ .

أَحْمَدُهُ أَنْ جَمِيَ بِأَوَّلِي النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ لِلْمُسْلِمِينَ حِمَى ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَمَّعَ مِنْ صَيِّبِ  
 نِعْمَائِهِ وَهَمَى ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أُتِّخَذَهَا عِنْدَ اللَّهِ

ذُنُرا ، وأَرْجوها في العُقْبَى أُنْجرا ، وأشهدُ أنَّ هَذا عبْدُهُ ورسولُهُ الذي آيَدَ يَدَهُ  
بِالسَّيْفِ وأَمَدَّهُ أَيْدا ، وعلى آلِهِ الذين حَلَّى بهم للإسلام جِيدا ، وصَحَّيْهِ الذين جَلَّا  
بِبَوَارِقِ صِفاحِهِمْ ، وخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ غَمَمَ المَجال ، وَغَمَمَ القِتال ؛ فلم يُهْمَلِ الأعداءُ  
ولم يَمُهِلْهُمْ رُوَيْدا .

وبعدُ ، فإنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ جُعِلَ في نَحْرِ البَحْرِ هُمَامًا صَارِمًا ، وأشدَّ من قاطعِ أعداءِ  
الدينِ وصارِمًا ؛ من تُضْرَبُ بِشِجَاعَتِهِ الأُمثال ، ويورَدُ في صدورِ الأبطالِ صُمَّ  
الأسلِ النَّهال ؛ وَيَنْجِي حِمَى الثَّغَرِ فلا يَدْعُ عَدُوًّا ولا يَرْهَبُ نَهْبًا ، وَيَرْقَى رِقَابَ الكُفْرِ  
فَيُؤْمِنُونَ وإن كان وراءَهُم مَلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .

ولما كان الجَنابُ الكَرِيمُ فلا نَّ - أدام اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ - هو الذي أخلصَ  
في الطَّاعَةِ ، ونصحَ سُلْطانَهُ حسبَ الطَّاقَةِ والأَسْطِطَاعَةِ - رُسمَ بالأمرِ الشَّريفِ  
العالي - لازالَ سَيْفُ عدلِهِ ماضيا ، وكُلُّ بِحْكِهِ راضيا - أن يَسْتَقِرَّ الجَنابُ المَشارُ  
إليه كاشِفًا بِالرَّمْلَةِ المَعْمُورَةِ ، على عَادَةٍ من تَقَدَّمَ في ذلك .

فَلْيُبَاشِرْ ذلكَ مُعَمَّرًا تلكَ البِلادَ بَعْدَهِ ، مُجْتَمِعًا على إِيصالِ الحَقِّ إلى أَهْلِهِ ؛  
وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّريفَ إِمَامًا ، وَلْيَتَوَخَّ أَوامِرَهُ ونَوَاهِيَهُ نَقْضًا وإِبْرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عندَ  
حدودِهِ المَشْرُوعَةِ ، ولا يَتَعَدَّها : ومن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيَدَّهِ من رِ الإِيْمانِ مَترُوعَهُ ؛  
وَلْيَلِمْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلْيَحْمِلْهُمْ من العَدْلِ والإِنصافِ على المَحَبَّةِ الواضِحَةِ الحَلِيَّةِ ؛  
[فإنَّهُم الرَعِيَّةُ الضُّعَفَاءُ الذين أنعم اللهُ عليهم بِتَقْوِيضِ أُمُورِهِم إِلَيْهِ] وَلْيَعْتَمِدْ فيهِم قَوْلَ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ من وَلِيٍّ من أُمُورِ أُمِّي شَيْئًا فَرَّقَ بِهِم فَارْقُ بِهِ  
ومن شَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عَلَيْهِ» . والوصايا كثيرةٌ وأهمُّها التَّقْوَى فليلازمَ عليها فإنَّها



تَحْفَظُهُ ، وبالسَّيَادَةِ والسَّعَادَةِ تَلَحُّظُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكُلُّ تَوْفِيقَهُ ، وَيَسَهِّلُ إِلَى مُنْجَحِ  
الْمَقَاصِدِ طَرِيقَهُ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

قُلْتُ : وَمَنْ تَأَمَّلَ وَصَايَا هَذِهِ التَّوَاقِعِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، عَلِمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ  
كُتَابُ الزَّمَانِ ، مِنْ أَنْتَرَاعِ الْفَقَرَاتِ مِنْ تَوْقِيعٍ ، وَتَرَصُّيعِهَا فِي تَوْقِيعٍ آخَرَ ، مِنْ غَيْرِ  
تَغْيِيرٍ لَفْظٍ فِي أَكْثَرِهَا .

### المرتبة الثانية

( من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ مِمَّنْ بِأَعْمَالِ دِمَشْقٍ - مَا يُفْتَحُ بِهِ «أَمَّا  
بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» وَفِيهَا وَظَائِفُ )

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ :

نَسَخَةُ تَوْقِيعِ بَنِيَابَةِ بَعْلَبَكْ لِمَنْ دُونَ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ  
جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِمَنْ لَقِبَهُ «نَاصِرَ الدِّينِ» : وَهِيَ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْلِ مَمْلَكَةً إِسْلَامِيَّةً مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ، وَلَمْ يُخْلِ أَمْرَهَا  
عَلَى ذِي عَزَمٍ قَاصِرٍ ، وَلَمْ يُخْلِ وَجْهَهَا إِلَّا بِنَاسِ بْنِ نُسَيْبٍ بِهِ الْقَدِيمُ وَشَهِدَ لَهُ الْمَعَاصِرُ ، وَلَمْ  
يُلْقِ مَقَالِيدَهَا إِلَّا لِمَنْ وَصَّحَ بِرَأْيِهِ الْإِبْهَامُ وَتَبَيَّنَتْ بِفَضْلِهِ الشَّهَادَةُ وَعُقِدَتْ عَلَى ذِكْرِهِ  
الْخَنَاصِرُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَيَّدَ مَعَالِمَ الدِّينِ وَأَرْكَانَهُ ، وَجَدَّدَ  
مَكَانَ الْحَقِّ وَإِمَّاكَانَهُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَابَعُوا فِي الْخَلْقِ عَدْلَهُ وَإِحْسَانَهُ ،  
وَشَايَعُوا فِي النَّصْرِ نَصْلَهُ وَسِنَانَهُ ، مَا اسْتَنَابَ الْوَدُقُ فِي سُقْيَا الرِّيَاضِ غُذْرَانَهُ ، وَخَلَعَ  
عَلَى الْغُصُونِ خِلْعًا خَطَرَ فِيهَا الزَّهْرُ بِأَكْمَامِهِ وَعَقَدَ مِنْ الثَّمَرِ تَيْجَانَهُ - فَإِنَّ شَرَفَ  
الْأَمَّاكِنِ بِسَاكِنِيهَا ، وَجُسُومَ الدِّيَارِ بِنُفُوسِ قَاطِنِيهَا ؛ وَالْمَنَازِلَ بِكَوَاكِبِهَا ، وَالْمَنَاصِبَ

بَنَصِيْبِهَا مِنَ الْكَفَاءَةِ وَنَائِيْهَا ؛ وَإِنَّ مَدِيْنَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْحِطَّةِ ، وَجِسْمٌ  
 مِنْ جُسُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللهُ بَسْطَهُ ؛ يُنِيَّةُ سَلِيْمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيْمَةُ  
 الْاِخْتِصَاصِ ، وَمُبْتَنَى الْجَانِّ الْمُنْسُوبَةُ عُقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛  
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبَةُ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشَبَةُ ؛ وَثَنِيَّةُ ثَغْرِهَ الْبَاسِمُ ، وَعَرَفُ أَغْرَاقِ  
 حَيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَأْوَى صَلْحَانِهِ أَحْيَاءٌ بَيْنَ أَوْطَانِيَا ، وَأَمْوَاتًا بَيْنَ صَفِيْحِ لُبْنَانِيَا ؛  
 لَوْ عَرَضَتِ الْبِلَادُ مُخْبَأً لِقَلِيلٍ لَسَحَابِيَا : يَا كَثِيْرَ الْمِنَنِ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنْاسِيٌّ لِقَلِيلٍ  
 لِإِنْسَانِيَا : يَا طَيِّبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يُمْنَعُ مَا عَوْنُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا  
 أَدْرَاكُ مَا عَوْنُهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ التَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سِرِّي الْعَزَمِ وَالْهِمَمِ ، عَلَى الْآرَاءِ  
 فِي الْمِلْمَةِ الْمُذْهِمَةِ ؛ نَاجِحَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحَ الْأَنْ يُثْنَى عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَعْلَبَكِّيَّةِ صَالِحُو  
 الْمَدِيْنَةِ وَالْحَبْلِ ؛ مُكْمَلٌ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْجَى وَالْعَزَمِ الْأَنْجَدِ ، مُؤَهِّلٌ لَارْتِقَاءِ الرُّتَبِ  
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَعْجَدُ <sup>(١)</sup> .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ جُمْلَةُ هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْصِيلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ  
 الْعَقِيْلَةَ ، وَسَعَدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَدَّتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَنَظَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ  
 إِكْلِيْلَهُ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتِ الْمَالِكُ بِمَحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ،  
 وَبِالْبِلَادِ ذَاتِ الْخِصْبِ السَّنَى لَا ذَاتَ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلَبَكَّ  
 الْمَحْرُوسَةِ : مُجَدِّدًا بَهْمَتِهِ الْعَالِيَةَ عُلُوَّ صَرْحِهَا ، وَحِمَايَةَ سَرْحِهَا ؛ وَرِعَايَةَ جَبَلِهَا وَسَفْحِهَا ،  
 مُوْرِيًّا فِي مَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَتَمَكَّنُ أَقْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ؛ مُصَرِّقًا أَوْامِرَهُ  
 كَيْفَ شَاءَتْ ، مُنْصِفًا لِلْأَحْوَالِ الْمُنَوَّطَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَنَتْ أَوْ تَنَاءَتْ ؛ بِاسِطًا لَعْدِلِ  
 قَلَمِهِ عَلَى الْمُجِيدِينَ ، وَسَطَوَاتِ سَيْفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَازِعًا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لعله "التي إذا خلت من ماجد تناووها" الخ .

الْعَمَلُ مِنَ الضَّالِّينَ ، ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْهَا مَعْقِلًا  
يُحْمَدُ الْمُنَاصِرَ وَالْمُهَاجِرَ ، وَلِيَحْطُ مِنْهَا تَغَرًّا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلَ وَالْمُسْعَىٰ إِلَيْهِ عَلَى الْحَاجِرِ ،  
وَلِيُجَرِّ أُمُورَ الدِّيَوَانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّثْمِيرِ ، وَلِيَدَبِّرَ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَاسِنِ  
التَّنْذِيرِ ، وَلِيَشَارِكْ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْآخِرِ ، وَالْأَسْوَارَ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ  
مِنْ أَهَمِّ مَا يُعْمَرُهُ ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لِلْوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ يَذْخَرُهُ ، وَتَقْوَى  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرَرُهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ  
وَلُطْفِهِ ، وَيَكْفِيهِ مَا أَهَمُّ مِنَ الْأُمُورِ فَكَافِيَ مَنْ لَمْ يَكْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشَّام المحروس لمن لقبه «عزُّ الدين» من إنشاء  
الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بِمَدْحِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَجَدَّدُ ، وَعِزًّا مَا يَتَشَدَّدُ ،  
وَعِزًّا لَا يَتَعَدَّى إِذَا حُكِمَ وَزِيدَ لَا يَتَعَدَّى <sup>(١)</sup> ، وَكَافِيَ وَلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاصِفُ بِذِكْرِ  
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ ، وَإِذَا أَعْتَبِرَ عِزُّهُ وَحَزْمُهُ فَهَذَا فَضْلُ يَتَجَدَّدُ ، وَهَذَا  
وَصَفُ لَا يَتَحَدَّدُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ  
الْمُؤَبَّدِ ، وَالْعِزُّ الْمُؤَيَّدُ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْغَيْثِ الْجَائِدِ عَلَى طَرَسِ الرُّوضِ بِحَقْدٍ - فَإِنَّهُ  
لَمَّا كَانَتِ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحْمُونَ سَرَحَهَا ، وَيُعْمَرُونَ صَرَحَهَا ، وَيُخَصِّبُونَ  
بِالْمَدَنِ قَبْلَ الْعَارَةِ سَفْحَهَا ، وَيُحْكَمُونَ فِي رَعَايَاهَا ، وَيَتَمَكَّنُونَ فِي قَضَائِيهَا ، وَيَقْرَعُونَ  
تُغُورَهَا وَيَقْرَعُونَ ثَنَائِيهَا - تَعَيَّنَ أَنْ تَقْدَّمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقَرُّ  
أَمْرَهَا ، وَيُنَسِّقُ مِنْ مِثْمَتِهِ وَمِيسَرَتِهِ يَمْنَاهَا وَيُسَرِّهَا ، وَيَجُودُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،  
وَيُسَرِّ قَلْبَهُ بِالتَّنْذِيرِ وَيَرِي شُ جَنَاحَهُ .

(١) كذا في الأصل بالاهمال ولعل صوابه «وفلا اذا حكم لايتعدى ورأيا لايتعدد» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المعنى بهذه الشارة والاشارة المستحق بشريف نفسه مدارج الارتقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛ المسبل أذبال مفاخره أى إسبال ، المرقوم باسمه ورسمه على أرجاء الولايات : «عز يدوم وإقبال» ؛ المقيم من أمانته ومهاتيه بين حزين ، الشهم الذى لا يذل وهو من نعتة ومننسيه بين عزين ؛ الصمصام الذى تسر [به] يد من ارتضاء وانتضاء ، والماشي على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم قاضى القضاء ؟ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر ... .. اعتماداً على شهامته التى يمثلها تمهد البلاد ، وكفاءته التى تفصح بالخيرات السنية السنة الجداد ، وصرامته التى تشد على أيدى الولاة فيردون الحقوق من أيدى الأغصاب ، ودرأته التى يتسبون إليها فيشيدون :

وَكَمَا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ \* مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَ<sup>(١)</sup>.

فليأشر هذه الرتبة بكفها : من العزم العالى ، والقدر العالى ؛ والمعدلة التى تمسك منها الأحوال بأوثق العرا ، وتتلو سيارتها المرفقة : ( وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى ) . مراعيًا لجميع الأحوال ، متمراً لمربع الأموال ؛ وإلياً على ولاة إن شكوا فى صنع الله فإلهم من الله من وآل ، ماشياً من تقوى الله تعالى فى كل أمر على أقوى وأقوم منوال ؛ والله تعالى يخلص البلاد بغمام رأيه الصيب ، ويطيّب الأماكن المنبئة بمثله : « وكل مكان ينبت العز طيب » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البلقاء والصلت ، من إنشاء ابن نبأته ، وهى :

(١) الرواية : أصابا بألف الإطلاق ، وحذفت هنا مراعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مُضَاعَفِ النِّعَمَةِ ، ومُرَادِفِ رُبِّ الإِحْسَانِ لِمَنْ أَخْلَصَ  
فِي الخِدْمَةِ ، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ العِزِّ لِمَنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُ أَهْمَامِهِ فِي آفَاقِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ،  
وَمُؤَكِّدِ سِهَامِ الْخَيْرِ الْمُقْتَسَمَةِ ، لِمَنْ سَدَّدَ فِي شَرَفِ الْأَغْرَاضِ رَأْيَهُ بِلِ سَهْمِهِ .  
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ هَادِي الْأُمَمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حُمَاةِ  
الدِّينِ مِنَ الْعَوَارِضِ الْمُئِمَّةِ ، صَلَاةٌ تَكُونُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمُ الزَّكِيَّةِ مَوَدَّةٌ وَرَحْمَةٌ - فَإِنَّ  
أَحَقَّ الْأَوْلِيَاءِ بِمَزِيدِ الْإِلَاءِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَتَجْدِيدِ النِّعَمِ الْمُقْبِلَةِ وَتَقْدِيمِ الْمَسَاعِي الَّتِي  
لَا تَلْبَسُ حُلَّ الْفَخَارِ إِلَّا مُكْتَمِلَةً - مَنْ وَصَحَتْ فِي صِفَاتِ الْفَضْلِ آيَاتُهُ ، وَتَقَابَلَتْ  
فِي حَاتِي التَّذْيِيرِ سَطَاهُ وَأَنَانَتُهُ ، وَرَوَى غُلَّةَ الْبَلَدِ الْخَائِفِ نَفَاضَ عَلَى الْمُعْتَدِينَ  
جَدُولَ سَيْفِهِ وَجَرَتْ بِالْدَّمِ قَنَاتُهُ ؛ وَقَامَ عَلَى قَدَمِ الْأَجْتِهَادِ ، وَقَسَمَ بَيْنَ جَفْنِهِ وَجَفْنِ  
سَيْفِهِ السُّمَادِ .

ولما كان المجلس هو المقصود بهذه الحكاية ، والمشهود له في طائفة هذه  
الغاية ؛ والعالي بهيمه على ذوى الارتقاء ، والوالى الذى إذا ركب الولاة لأشهار  
ذكرى كان من بينهم فارس البقاء ؛ والنهض بشئير الأموال عمام رأيه الصَّيْبُ ،  
والطَّيِّبُ بسياسة محل الولاية : « وكل مكان يُنْبِتُ العِزَّ طَبَّ » - تعين أن تترد  
منصبه إذا تزيدت المناصب ، وأن تستمر مرتبته إذا مرت لذهابها المراتب ؛  
وأن يشتمل في استمرارها عليه ، وأن يكون في إعراب الدولة القاهرة مُضَافًا  
وَمُضَافًا إِلَيْهِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبدًا عِمَادَهُ ، وجعل لولاة أيامه  
الحسنى وزيادته - أن يستمر على ولاية البقاء على عادته ، وأن تُضَافَ إِلَيْهِ وَلَايَةُ  
الصَّلَاتِ : <sup>(١)</sup> جمعا له بين الأخثنين حلالا ، والذَّوْنَيْنِ مَنَالًا ، والرَّائِسَيْنِ نُهُوضًا بهما

(١) لم يذرها القاموس ولا ياقوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقلعة من جند الأردن .

وَأَسْتِقْلَالًا ؛ وَعِلْمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ ، وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ  
لِمَنْصِبِ الْبَلَاءِ : « لَنَا الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارِدِ كُرْهُ » ، وَتَيْمَنًا بِغَرَّةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ  
الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِحُ بِشْرُهُ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ  
الْجِهَاتِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فَنُونَ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْعًا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُسَامِ رَفِيقِهِ  
كَرْهًا وَطَوْعًا .

فَلْيَا بَشْرَ بِالْعِزِّ وَالْيَمِينِ جِهَتَيْهِ ، وَلْيَا خُذْهُمَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ ، وَلْيَفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ  
الدَّوْلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبَهُ الْبَلَاءِ الْإِلَازِمِ لِأَحَدَى وَلَا يَتِيهِ ؛ مُحَصَّنًا بِسِمَاكِ سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ فَنِعْمَ  
الْبَلَدَتَانِ ، مُتَمَرِّدًا بِسَدَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَّانِ ؛ مُؤَفِّيًا لِلْحَقُوقِ ، مُعْغِيًا لَأَعْتِرَافِ  
النَّعْمَةِ مِنَ الْعُقُوقِ ، رَاقِيًا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأُفُقِ  
لِعَاقَةِ الْعَيْقِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ  
مَعْدُوقٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ ، وَيُجَيِّحُ عَلَى الْبَلَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ  
السَّائِقِ ، وَفِكَرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ ، وَهَيَّا مِنْ عَلَى الْمَرَاتِبِ ، وَأُنْجِزَ مِنْ  
وُعُودِ السُّعُودِ بَعْدَ مَطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيْنَ مِنْ سَمَاءِ الْوُظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَائِهَا بِزِينَةِ  
الْكُوكُوبِ ، وَعَمَّرَ مِنْ صُدُورِ الْوُلَاةِ وَالْوَلَايَةِ بَعْلِي تَنْتِي عَلَيْهِ الرِّعْيَةُ « وَلَوْ سَكَّتُوا  
أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ » . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَدَ لِنَصْرِ  
الْإِيمَانِ حَذَّ الْقَاضِبِ ، وَخِزْبَةِ الْغَالِبِ ، وَنَدَبَ لِإِخْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ  
بِهِ النُّوَادِبِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

جَمَالَ الكَتَائِبُ ؛ صلاةً تَعَطَّرُ بِنَفْحَاتِهَا الصَّبَا وتَقَطَّرُ مِنْ خَلْفِ سُراها الجَنَائِبُ - فَإِنَّ عَقَائِلَ الْوِلَايَاتِ أُولَى بِخُطْبَةِ أَكْفَائِهَا ، وَرَغْبَةِ السَّرَاةِ مِنْ ذَوَى أَصْطِفَائِهَا ، وَنِسْبَةِ مَنْ يَقُومُ لِلْأُمُورِ الْمُعَلَّلَةِ بِقَانُونِهَا وَشِفَائِهَا .

ولما كانت بَلَدٌ نَابِلَسَ المحروسةِ مِنْ أَعْلَى عَقَائِلِ الْبِلَادِ قَدْرًا ، وَأَمْرًا لِجِهَاتِ أُمْرَاءِهَا ، وَأَسْرَى الْوِلَايَاتِ مَحَلًّا وَذِكْرًا ، وَأَوْفَى النَّوَاحِي مِنْ زَمَانِ بَنِي أَيُّوبَ عَلَى تَكَالِيفِ الْمُلْكِ صَبْرًا ، وَأَنْزَرَهُ الْبِقَاعِ الَّتِي لَوْ رَأَاهَا الْمَلِكُ الْمِضْرَى لَمَّا اسْتَعْلَى غُوطَةَ الشَّامِ بِشَبْرَيْنِ مِنْ شَبْرٍ ؛ بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَامَةُ طَوْقَهَا وَحَلَّتِ الشَّاءَ فَوْقَ طَوْقِهِ ، وَنَجَمَ نَبَاتِ وَادِيهَا الزَّهْرَ حَتَّى تَسَاوَى النَّجْمَانِ مِنْ تَحْتِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُنْتَخَرُ لَوِلَايَتِهَا مِنْ تَعَيَّنَ وَلَاؤُهُ ، وَتَمَكَّنَ فِي الرُّتَبِ عِلَاؤُهُ ، وَتَبَيَّنَ فِي مَصَالِحِ الْوِلَايَاتِ احْتِفَالُهُ وَاحْتِفَاؤُهُ ، وَشَهْرُ وَفَاؤُهُ بِالْخِدْمَةِ فَلَا شَرَفَ بَسْعَى إِلَّا لَهُ مِنْهُ شَيْنُهُ وَرَأْوُهُ وَفَاؤُهُ ؛ مِنْ شَهِدَتْ السَّوَاحِلُ الشَّامِيَّةُ فِي مُبَاشَرَتِهِ أَنَّهُ أَجْرَى مِنْهَا الْمَسَالَ بَحْرًا ، وَأَفَاضَ الْوَصْفَ دُرًّا ، وَشَهِدَتْ الزَّرَكَاةُ - وَدِيَوَانُهَا الْمَادِحُ - أَنَّهُ أَفْلَحَ مِنْ زَكَاةَا خَبْرًا وَخُبْرًا .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ ... .. عِلْمًا بِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي جَمَعَ الْأَوْصَافَ الْمُتَقَدِّمَةَ ، وَأَسْمَعَ مِنَ الْحَامِدِ نَدِيجَةً لَهَا مِنْ كَلَا قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ مُقَدِّمَةً ؛ وَأَطْلَعَ فِي آفَاقِ الْوُظَائِفِ كُنُجُومَ الْجُوزَاءِ الثَّلَاثَةِ رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ، وَأَطْلَعَ عَلَى مَحَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَ فِي رَعَايَا بَلَدِهِ مِمَّنْ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ؛ وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا وَلَّى ثَمَرًا ، وَإِذَا صَالَ عَلَى الْمُفْسِدِينَ دَمْرًا ، وَإِذَا شَامَتِ الْمُهِمَّاتُ بَارِقَ عَزِيمٍ ، أَسْبَلَ وَإِذَا سَامَتِ قُوَاهُ شَمَرًا ؛ وَأَنَّهُ الْأَمِينُ إِذَا تَصَرَّفَ ، وَالْمَأْمُونُ إِذَا تَعَرَّفَ ، وَالشُّجَاعُ إِذَا تَحَصَّنَ الْبِلَادُ بِنَسَبِهِ الْحِصْنِي : فَسَوَاءٌ فِي شُمُولِ الْأَمْنِ مَا تَوَسَّطَ مِنْهَا وَمَا تَطَرَّفَ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِلَايَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ يُوَضِّحُ بِشَرَاهَا ، وَيُنَجِّحُ أَمْرَهَا ، وَيُقِيمُ فِي خُطْبَةِ عِلَاةِ عُدْرَتِهَا ؛ وَحَزْمٍ يُبَيِّنُ مَالَهَا وَغِلَالَهَا ، وَيَنْقَعُ غُلَّتَهَا وَيَضَعُ أَغْلَالَهَا ؛ وَبَأْسٍ يَدْعُ

المُفْسِدَ من سَيْفِهِ أَوْ قَيْدِهِ فِي طَوْقٍ أَوْ حِجْلٍ ، وَيَذُرُ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُسِيرُ بِلَا كَفٍّ  
وَيَسْعَى بِلَا رِجْلٍ ؛ مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالْتَرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ عَلَى أَوْثَقِ الْمَبَانِي ، مُصْلِحًا  
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَائِلِ : «رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ؛ مُتَفَقِّدًا  
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِضًا فِي تَلَقِّيِ الْمِهْمَاتِ عَلَى قَدَمِ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ  
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مَنْ لَدَى مَحَبَّةٍ عَمَلِهِ لَصْلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعْمَ الْعَاشِيرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ  
تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُشِيرُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ  
لـ«علاء الدين بن الحصني» المَقْدَمُ ذِكْرُهُ فِي التَّوْقِيعِ قَبْلَهُ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ جَلَّتْ ، وَنِعْمَةٍ فِي أَهْلِهَا حَاتٍ وَحَلَّتْ ، وَرَبَّةٍ  
بِإِنْتِسَابِ كَافِيهَا وَبِاسْمِهِ تَحَصَّنَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَتَعَلَّتْ ؛ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مِنْ سَائِمَتٍ عَلَيْهِ الْأَلْسِنَةُ وَصَلَّتْ ، وَسَلَّتْ بِهِ سُيُوفُ النَّصْرِ وَصَلَّتْ ؛ صَلَاةٌ  
دَائِمَةٌ مَا أُمْلِيَتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ فَمَلَّتْ ، وَلَا قَابَلَتْهَا وَجْهُ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا تَهَلَّلَتْ وَلَا سُحِبَ  
الرِّضْوَانُ إِلَّا أَتَهَلَّلَتْ - فَإِنَّ مَنَزَلَهُ يُسْتَقَى [مِنْ] مِهْمَاتِ الدَّوْلَةِ خَبَرُهَا ، وَيُسْتَدْعَى مِنْ جَانِبِي  
مِصْرَ وَالشَّامِ سَبْرُهَا ، وَيُحْمَدُ إِلَيْهَا مِنْ نَاحِيَّتِي السَّاحِلِ وَالْجَبَلِ سُرَاهَا وَسَيْرُهَا ؛ وَتِلْكَ  
وُظِيفَةُ شَدِّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِغَزَّةِ الْحُرُوسَةِ الَّتِي تُتْلَقُطُ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِهَا دُرَرُ الْخَيْرِ  
الْمُقْتَبَلِ ، وَتَقْوَلُ الْمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةَ لِسَرَاةٍ اسْتِنَاضِهَا : يَاسَارِيَةُ الْجَبَلِ - حَقِيقَةُ  
أَنْ يُخَيَّرَ لَهَا مِنَ الشَّاكِرِينَ مَنْ يُحْمَدُ أَجْتِهَادُهُ وَجِدُّهُ ، وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَقَاصِدِ مَنْ  
يَحْسُنُ - كَمَا يُقَالُ - تَقْرِيبُهُ وَشَدُّهُ ؛ وَمَنْ شُكِرَتْ فِي الْوَلَايَاتِ آلَاؤُهُ ، وَمَنْ إِذَا عَلَا  
نَظَرُ رَأْيِهِ فِي الْمَصَالِحِ قِيلَ : دَامَ عَلَاؤُهُ ؛ وَمَنْ إِذَا دَبَّرَ جَهَّةً قَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ :  
لَقَدْ زَادَ فِي الْمَصَالِحِ حُسْنًا ، وَلَقَدْ تَحَصَّنَتْ بِإِنْتِسَابِ ذِكْرِهِ فَلَا عِدَمْتُ مِنْهُ حُصْنًا .



ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر ... .. لما عُرف من حزمه وعزمه ، ولما جُدد في مقدمات القدر من رفيعه وفي إعلاء المهّمات من جزمه ؛ ولما عُهد من همه في جهات دبرها ، وفي ولايات ثمرها ؛ وفي وظائف شدّها : أمّا على العتاة فشَدَّدها وأمّا على المستحقّين فيسّرَها ؛ ولما أشتهر من ذكره الذي لا يرح عليّا ، ولما ظهر من درايته التي جعلت كوكب سعده وسعيه دريا ، ولما بهر من تمّيزه الذي إذا هزّ عصاه بيد تساقط على المقاصد رطباً جنيّاً .

فليأشِر هذه الوظيفة المباركة مباشرةً تبيّض لها وجهاً وعرضاً ، وإذا انثنى عليه المثنى تبرّعاً كافاه حتى يكون قرضاً مجتهداً في تمّير الأموال والغلال ، ضابطاً لأموال الديوان حتى لا يشكو الخلّة ولا الاختلال ؛ قائماً بحقوق الخدمه ، مُستريداً - بشكر الأقوال والأفعال - لما يرسخ له من أقسام النعمه ، عليّاً على كلّ حال إذا وفّت الفكر قدره وإذا ذكر اللسان اسمه .

### المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب السيوف بأعمال دمشق ما يفتح بـ «رسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب بها لشرف الدين «موسى الرّدادى» وهى :

رُسم ... - لا زالت ولّاة أيامه عاليّة الشرف ، سامية المستشرف آوية من جنات خير الدنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقرّ المجلس السامى ... .. علماً باهتمامه الوفى ، واعتزامه المتيقّظ إذا نام حدّ المشرفى ؛ وأستناداً إلى رأيه الذى

يَقُولُ نَجْمُ الطَّالِعِ : «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي» !! ؛ وَإِرشَادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ  
أَتَّخِذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا ، وَمِنْ حَرَمِ الشَّرِيفِ جَارًا ، وَأَتَقَادِ ذَهْنَهُ وَشَجَاعَتَهُ  
اللَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ قَالَتْ هَمَّتُهُ : يَا مُوسَى  
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، وَأَخْرِجْ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي النَّيَابَةِ تَكُنْ أَحَقُّ مَنْ أَعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانَ  
وَأَعْتَرَفَ .

فَلْيَبْشِرْ مَا فُؤُضَ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً يَعْلُو بِهَا شَرَفُ آسَمِهِ وَمُسَمَّاهُ ، وَيَبْدُو لَلْإِخْتِيَارِ  
وَالْإِخْتِبَارِ فَضْلُ التَّقَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاهُ ؛ وَلِيُجَرِّبْ هَذِهِ الرُّتْبَةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ ،  
وَلْيُؤَاطِبْ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي فُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ ؛  
وَلْيَمْدَدْ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقَّدَ الشُّهْبَ  
فِي دَيْجُورِهَا ، وَلِيَرُدَّ عَنْهَا بَعْزُهُ الرَّدَادَى عُيُونَ الْأَعَادِي الزَّرَقَ حَتَّى لَا يَرَاعَ فِي أَرْضِ  
الْحَرَمِ وَلَا حِمَامَاتٍ طُبُورِهَا . وَلِيَشْكُرْ نِعْمَةً أَوْتَاهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ ، وَلِيَقْرُبَ لِيَدِ  
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلِيَقْدِّمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلِهَا تَتَفَرَّغُ  
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رِبْعًا مَانُوسًا ، وَجَمْعًا  
مَحْرُوسًا ، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِيعٍ مِثْلُهَا فِي الْآفَاقِ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) .  
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ !



وهذه نسخة توقع بنبأ قلع صرخد لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يَحْيِي لِقْلَاعِهِ النَّائِبَ وَيَحْيِي <sup>(١)</sup> مِنَ النَّائِبَةِ ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابِ رِيٍّ  
وَفِكْرِهَ الصَّائِبِ ، وَيَنْدُبُ لِحُدُومِهَا كُلِّ سَيْفٍ يُرِضِي النَّادِبَ وَيُقِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةَ -

أَنْ يُرْتَّبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ ... لِأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي تُسَرُّ الْحُصُونُ بِأَمثَالِهِ، وَتَبْتَئِمُ شُرَفَاتُ  
الْفَلَاحِ لِإِقْبَالِهِ، وَتَتَشَرَّحُ مَنَازِلُهُ بِتَنْقِيلِ نَجُومِ الْهَدَايَةِ مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَالْمَلِيُّ بِأَدَاءِ  
الْخِدْمَةِ، وَالْمَرْشُحُ لَهَا هُوَ أَوْفَى وَأَوْفَرُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ .

فَلْيَبَاشِرْ نِيَابَةَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْقَدِيمِ أَثَرُهَا، وَالشَّهِيرِ خَيْرِهَا وَخَبَرُهَا بِعَزْمَةِ سَيْفِ  
قَاطِعِهِ، وَحِدَّةِ بَأْسِ ذَائِعِهِ، وَمَهَابَةِ ذِكْرِ لَشِيَّاطِينِ التَّفَاقُ عَنْهَا رَادِعِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ بِنَاءِ  
الْمُرَدَّةِ : فَلْيَرُدَّ عَنْهَا آفَةَ جَنْسِهَا، وَلْيَحْطُ بِرُقَى عَزَائِمِهِ حَوْلَ نَفَاسَتِهَا وَنَفْسِهَا، وَلْيَجْرِ  
أَمْرُهَا عَلَى السَّدَدِ، وَلْيَبْنِهَا بِلُزُومِهِ الْمَهْدَى أَوْثَقَ مِمَّا بَنَاهَا أُولَئِكَ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ،  
وَلْيَرْضِ الْآثَارَ السَّلْيَانِيَّةَ بِسَلَامَانَ بَيْتِ الْمَلَاذِمَةِ عَلَى طُولِ الْأَبَدِ، وَلْيَجْتَهِدْ فِيهَا هُوَ  
بَصَدِيدِهِ حَتَّى تُدْمَرَ بِتُدْمَرِ جَوَانِحِ الْحَسَدَةِ بِالْكَدِّ؛ مَكْتَرًّا بِذِكْرِي مَهَابَتِهِ لَعَدَدِهَا،  
مُؤَفِّرًا لَعَدَدِهَا، مُسْتَوْجِبًا لَاسْتِجْلَابِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِاسْتِجْلَابِ مَدَدِهَا .



وهذه نسخة توقيع نبياة قلعة الصببية، وهي :

رُسم بالأمر العالى - لا زال إحسانه يُعِيدُ إِلَى الْحُصُونِ نَاصِرَهَا وَزِينَهَا، وَيُفِيدُ  
أَصْحَابَ الْحِمَمِ صَوْنَهَا، وَيَجْرُسُهَا بِنِ إِذَا نَظَرَ فِيهَا وَحَمَاهَا كَانَ عَوْنَهَا وَعَيْنُهَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ  
الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ الْأَمِيرِيُّ ... لما أَلْفَتْهُ هَذِهِ الْقَلْعَةُ الْمَنْصُورَةُ مِنْ تَحْصِينِهِ  
وَتَحْسِينِهِ، وَعَرَفَتْهُ مِنْ تَرْبِيئِهِ فِي عِمَارَتِهَا وَتَزْيِينِهِ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَدْرَى بِالْمَصَالِحِ الْعَائِدِ نَفْعُهَا،  
وَالْأَدْرَبُ بِمَنَاجِحِهَا الْحَمِيدِ وَقَعُهَا؛ الَّذِي بَاشَرَهَا مِنْ قَبْلُ فَأَحْسَنَ السُّلُوكَ، وَنَصَحَ  
هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْقَاهِرَةَ فَأَثْنَى عَلَى سِيرَتِهِ مُلُوكَ الْحُصُونِ وَحُصُونِ الْمُلُوكِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَى هَذَا الْمَعْقِلِ الْمُنْبِيعِ عَوْدَ الْمَاءِ إِلَى مَشَارِبِهِ، وَلْيَسِرْ فِي أَرْجَاءِ أُبْرَاجِهَا  
مَسِيرَ الْقَمَرَيْنِ كَوَاكِبِهِ، وَلْيَتَفَقَّدْ أُمُورَ رَجَالِهَا الْمُسْتَخْدَمِينَ، وَلْيَسْتَجَابِ قُلُوبَ

(١). السد [بالتحريك] الاستقامة كالسداد .

حَفَظَتْهَا الْأَقْدَمِينَ ؛ مُتَحَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ النَّبِيِّ ، قَائِمًا بِالْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي تُرَاحِمُ مِنْهُ  
بَشَيْخٍ لَا تُرَاحِمُ بِصَبِيٍّ ؛ مُقِيمًا عَلَى رَفْعِ الْأَدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ  
لِنِعَمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا  
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنَجِّحُ قَصْدَهُ ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ  
وَجُوهَدَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمُ حَلَقَةٍ أَوْ جُنْدَى مِنَ الشَّامِ .  
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا أَسْتَقَرَّتْ  
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «فَرَجَ» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ [وَلَايَةٍ] <sup>(١)</sup> .

وَحِينَئِذٍ فَكَوْنُ وَلَايَتِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ  
أَوَّلًا ، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع نبياية قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،  
وهي :

رسم بالأمر - لا زال يَنْدُبُ لِحُدُومَةِ قِلَاعِهِ كُلِّ سَيْفٍ مُحْتَبَرٍ ، وَجُرَيْبٍ عَبْرَتْ عَلَيْهِ  
الْعَبْرَ ، وَمُؤَدِّ لِفَرَاغِ الْحُدُومَةِ : إِمَّا بِقِيَامٍ عِنْدَ الصَّبَا وَإِمَّا بِقُعُودٍ عِنْدَ الْكِبَرِ - أَنْ  
يُرْتَّبَ فُلَانٌ فِي نِبَايَةِ قَلْعَةِ حَمَصَ الْمَنْصُورَةِ إِجَابَةً لِسُؤَالِهِ فِيمَا سَأَلَهُ : مِنَ التَّوَفُّرِ عَلَى  
مَوَاصِلَةِ الصَّلَوَاتِ ، وَرَفْعِ الدَّعَوَاتِ ، وَجَمْعِ نَوَائِي الْجِهَادِ وَالْخَلَوَاتِ ، وَتَقْضَى بَاقِي  
الْعُمْرِ وَادِّعَا ، مَتَسَكِّيًا طَائِعًا ؛ إِذَا بَكَى بِجَوَارِهِ حَتَّى النَّهْرُ الْعَاصِي رَقَّ عَلَيْهِ فَمَا يَعْدَمُ  
مِنْهُ بُكَاءٌ .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من بقية الكلام وما تقدم .

فليباشر نيابة هذه القلعة العليّ خبرها ومخبرها ، الملىّ سماعها ومنظرها ؛ المطلة  
على مراكر الرياح المشهورة ، ونهبّ الرياح : إما بغيث السّمام ممطرة وإما بسهم  
الغيث مطوره ، المجاورة لسيف الله «خالد» فهى بإعراب المجاورة منصورة غير  
مكسورة ، معتبرا لأحوالها ، مستدعيّا لما تحتاج إليه من عددها وعدد رجالها ،  
محصّنا باستدعاء السّلاج وسلاح الأذعية الجديرين بأمثالها .



وهذه نسخة توقيع نيابة قلعة جعبر ، قبل أن تُنقل إلى حلب ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - أعلّى الله تعالى فى سماء الملك كواكبّه ، ونصر فى أقطار  
الأرض كُتبه وكتائبه ، وصرف بأوامره العالیه كلّ نائبٍ وفرّق بها كلّ نائبه -  
أن يُرتّب ... .. علما بأنه الكافى الذى تُعقد على همته الخناصر ، ويُثنى  
على تقديم عزائم القديّم والمُعاصر ، وتقوى الجهات وتُنصر باسمه بعد أن كانت  
بغير قوّة ولا ناصر ؛ وأعتادا على كفاءته النافعه ، وشهامته الرائقة الرائعه ، ودرايته  
التي تُضىء بها القلعة وتُسّمو حتى يقول الاستيقان : ما هذه شمس هذه شمس  
طالعّه .

فليباشر هذه القلعة القديم أثرها ، الحميد خبرها وخبرها ، المصغر تصغير التحبيب  
والتحسين اسمها ومنظرها ، المفرد يهلها بذيل الآفاق فتتمسك بسحبها ، المنشدة  
لارتقاب نهضة حال من علم ابن منصور بها ، راقيا صرحها ، راعيا بالمصالح

(١) كذا فى الأصل وصوابه شمس .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصبيبه فانها هى المصغرة .

(٣) فى الأصل «تمسكا» .

سَرَحَهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يَقْضَى لَقَدْرِهِ بِالرَّفْعِ ، وَلِرَأْدِ أَمَلِهِ بِخِصْبِ النَّجْعِ ، جَاعِلًا هَذِهِ  
الْمَنْزِلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمَنْزِلَةٍ يَكُونُ أَوَّلُ دَرَجَاتِهَا قُبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ  
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجِدُّ فِي الْكُفَاةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحْمَدُ فِيهِمْ أَسْمَهُ ؛ بِمَنْهُ وَكْرَمُهُ ! .



وهذه نسخة توقيع بناية مغارة زلايا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يَزِيدُ قِلَاعَ الْإِسْلَامِ عِلَاءً فِي السَّيِّمَةِ وَالْأَسَمِ ، وَفِي الْقُوَّةِ  
وَالْحُسْنِ ، وَفِي أَعْتِنَاءِ يَجْمَعُ لِعَقِيلَتِهَا بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْقِسْمِ - أَنْ يُرْتَّبَ مَجْلِسُ الْأُمَيْرِ ... ..  
لِقِيَامِهِ بِوَأَجِبِ الْحُدْمَةِ ، وَمُلَازِمَةِ فَرَايِضِهَا الْمُهِمَّةِ ؛ وَعَزْمَتِهِ الْوَفِيَّةِ فِي النَّهْصِ ، الزَّائِدِ  
وَصَفْهِهَا عَلَى الْأَمْسِ ، الْعَلَى نَسَبِهَا وَحَسَبِهَا : قِتَارَةً إِلَى الْعُلَى وَتَارَةً إِلَى الشَّمْسِ .

فليأشِرْ هذه القلعة التي عِلَّتْ بِنَفْسِهَا مَحَلًّا وَسَكَنًا ، وَقَالَ سَاكِئُ مَغَارِهَا لِشَانِي  
أَشْتَيْنَ مِنْ حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ : ( لَا نَحْزَنُ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا ) ؛ وَأَسْتَعْلَى نَيْتِهَا فَأَنْشَدَ :  
”أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعِ الثَّنَايَا“ ، وَنَادَى بِقَعَّتِهَا : هَذَا عَزْمِي وَحَزْمِي لَا يُقَالُ وَلَا يَزَلَّيَا ؛  
مُجْتَهِدًا فِي سَدَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْصِينِهَا بِالْمُهَابَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ سُورِهَا ؛ مُسْتَجَابًا مَا يَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ وَمَا يُرْتَّبُ مِنْ عُدَّةٍ ، مُلَازِمًا لُرُومِ الْخَمْسِ لَأَوْقَاتِ مُبَاشَرَتِهَا لَا يُوصَفُ بِالزَّوَالِ  
بَلْ بِطُولِ الْمُدَّةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر ... .. لا زال يَشْمَلُ بِظِلِّهِ وَفَضْلِهِ ، وَيُجَمِّلُ بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ ،  
وَيُنَقِّلُ شَمْسَ الْوِلَاةِ مِنَ الْبُرْجِ الظَّاهِرِ إِلَى مِثْلِهِ - أَنْ يُثْقَلَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا إِلَى وَلايَةٍ

القدس الشريف : علماً بكفائته التي تقدّمت ، وشهامته التي تحكّمت ، وإمامته التي سلّمت فيما سلّمت ؛ وهيمته التي وصّحت شمساً فلا تُنفّس ، وقالت لقيامه في المصالح : **(أخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ)** .

فليباشر هذه الولاية مباشرةً تتحوّ بضياء شمسِه ظمأً وظلاماً ، وتقول لنارِ الحوادث في المشاهدة الجليّة : **(يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا)** ؛ مجتهداً فيما هو بصّدده ، عارفاً بوجوه المصالح حتّى يكون السكّن أعرف بشمسِ بلّده ؛ ناهضاً بأُمور الدّيان جليّها وخفيّها ، وعبء المهمات حافِلها وحفيّها ؛ مستريداً بالشكر لمبادئ النعم ، قائلاً في محلّ البلّدين المباركين : **ماسرتُ من حرّم إلّا إلى حرّم** .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزّة ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُنثى في رياض الإحسانِ غرساً ، ويُحقّق في استحقاق الكُفأة حدّساً ، ويُقدّم من لا تزال الولايات تُتحدّ له يوماً وتذكر لقومه أمساً - أن يُرتّب ... .. لما عُرِف من عزّمه الذي جرّد منه الاختيار والاختبار جَميلاً ، وكَمال شخصه الذي آخذه التوفيق فلم يقل : **(لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا)** ؛ وأَعتمده الذي يُصبِحُ في المحامد ويُمنى ، وينافسُ مرباهُ فهذا يقول : ثمّرى وهذا يقول : **غرسى** .

فليباشر هذه الولاية بعزّيم مقبِل الشّيبه ، وحرّم لا يُعِدُّ الرأى المحيّل تجريده في المصالح وتجريبه ؛ ونفّع في المهمّات وردّع للفُسدن تُتحدّ موارِدُه ومصادِرُه ، وذكر له حسنٌ تُلَقّط من ساحل الشام جواهره ؛ مُستريداً لما رَسَخ له من درجات

الأُمُور المِهْمَة ، مُنَرَّه العِرْضُ عَنْ كُلِّ لَائِمَةٍ مُرَجَّحًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَلَمَةٍ ،  
وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِئِدُ فِي الخِدْمَةِ آثَارَهُ ، وَيُعِزُّ فِي وَلَايَةِ حَرْبِهِ السَّاقَةَ إِذَا هَانَتِ الْحَرْبُ  
عَلَى النَّظَارَةِ .



وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بُولَايَةِ لُدٍّ ، لِمَنْ أَسَمَهُ «نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ» وَهِيَ :

رُسم بالأمر - لَا زَالَتْ نُجُومُ أَوَامِرِهِ سَعِيدَةٍ ، وَظِلَالُ غَوَارِفِهِ مَدِيدَةٍ ، وَمَنَازِلُ  
الْوَلَايَاتِ حَامِدَةٌ لِمَنْ يُقَدِّمُهُ وَطَوَالِيعُ أَفْقِهَا حَمِيدَةٌ - أَنْ يُرْتَّبَ ... .. أَعْتِمَادًا عَلَى  
كَفَائَتِهِ الَّتِي تُسَيِّدُ لَهُ مَجْدًا ، وَتُعَقِّبُ مَسْعَاهُ جَمْدًا ، وَتَكْفِي مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَهْلِهَا بَلَدًا  
وَقَوْمًا لُدًّا : لِمَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْأَصْطِنَاعِ وَدَوَائِعِهِ ، وَفَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ  
أَمَدَ مُسَاجِلِهِ وَمُنَاقِيهِ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، وَالْأَفْعَالِ الَّتِي  
أَسْتَدْعَتْ الْمُبَالَغَةَ فِي تَفْخِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ ، وَسَلَّمَكَ مِنَ الْخَالِصَةِ مَا يُوجِبُ الْأَسْتِحْقَاقَ  
وَالْأَسْتِجَابَ ، وَيُوصِّلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إِلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ وَإِدْرَاكِ الْحَبَابِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ : عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُسِرُّهُ وَيُعْلِنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا  
غَايَةً مَا يَسْتَطِيعُهُ الْمُكَلَّفُ وَنِهَايَةً مَا يُمْكِنُهُ ، وَلْيُسَوِّبِ الْقَوَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ  
وَالضَّعِيفِ ، وَلَا يَجْعَلْ فِي الْحَقِّ فَرْقًا بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ، وَيُمُدَّ عَلَى كَافَتِهِمْ  
رِوَاقَ السُّكُونِ وَالْأَمْنَةِ ، وَلْيُجَرِّهِمْ فِي الْمَعْدِلَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةِ ، وَلْيَأْخُذْ  
فِي الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِالْأَجْتِهَادِ مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَ الْعِمَارَةِ ، آتِيًا مِنَ الْإِحْسَانِ  
إِلَى الرَّعِيَةِ مَا يَكُونُ لِلْعَدْلِ شَارَةً ، وَافِيًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْمَطْلُوبِ ، صَابِرًا عَلَى تَكَالِيفِ  
الْمُهْمَاتِ وَلَا يُنْكِرُ الصَّبْرَ لِأَيُّوبِ .





وهذه نسخة توقيع بولاية بيسان ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن  
نباته ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت شهب أوقاته سعيدة ، وسحب هباته ساحبة الجود  
مديده ، وبحور نعمائه الحقيقية كبُحور الأعارِ يض المجازية : كاملة منسرحة مديده -  
أن يستقر ... .. أعتاداً على عزمه المنير شهابه ، الكثير توقده فى أوقات المهمات  
والتهابه ؛ وأستناداً إلى كفاءته التى يشهد بها ولاؤه فى الخدمة وولايته ، وشهامته  
التى يجزم بها فى الأمر رأيهُ وترفع فى الخدمة ولايته ومهابته ؛ وعلماً بسياسته  
التى يجمع بها أهل الفساد ، وتكاد تفخر بيسان بفضلها كما فخرت بـ «فاضلها»  
على البلاد .

فليقم فى وظيفته على قدم اجتهاده ، وكرم آرتياده واعتياده ؛ شافياً لأحوال أهل  
ناحيته من الوصب ، مُتمراً للغلال والأموال بعزم قد ارتفع وانتصب ؛ ظاهراً  
فى الخدمة بمجهوده ، مُلئناً لحديد من عصى عليه فى عمله كما أورثه داوده ؛ والله  
تعالى يوفقه .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا ، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ «المجلس العالى»  
وهى :

رسم بالأمر العالى - أنفذه الله فى الأقطار ، ونجم بولاته أيام الأوطان والأوطار ،  
وأجرى بشكره سفن الركائب وركائب السفن إذا سَفَّ وإذا طار - ان يستقر  
فلان : ... .. ركوناً إلى عزمه وحرمة ، وسكوناً إلى اهتمامه الذى حكم فيه الاختبار

بِعَالِمِهِ ؛ وَعَلِمًا أَنَّ للولايات به الانتفاع ، ولحُصُونِهَا الامتناع والارتفاع ؛ وأنه إذا وَلِيَ رَعَى وإذا أَقْوَى <sup>(١)</sup> كَانَ أعصم راع ، وإذا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ ووقَّبَ فِي المِهْمِّ كَانَ نَعْمَ الشُّجَاع .

فليباشِرْ ولايةَ عمله نَاهِضًا بأعبائه ، رَافِعًا بِالْعَدْلِ لأرجائه ورجائه ، حَرِيصًا عَلَى طِيبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَأْفُورِ صُبْحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ . وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ ، وَيَتَقَيَّظْ لَذَلِكَ الْبَرِّ وَجَهْرِهِ ، وَذَلِكَ الْبَحْرِ وَسِرِّهِ ؛ حَتَّى يُتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ وَلَا حَرَجَ ، وَيَسِيرَ ذِكْرُهُ كَنَسِيمِ الرُّوضِ لِضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ ضَائِعِ الْأَرْجِ ؛ وَيَعْتَمِدَ مَصَالِحَ النِّوَاحِ وَسُكَّانِهَا ، وَالْأَمْوَالِ وَدِيَوَانِهَا ، وَالْجِهَاتِ وَضُمَانِهَا ، وَنُجُومِ التَّقْسِيطَاتِ فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّدَةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يُخْرِجُ بِهَا الرَّأْيَ عَنْ إِبَانِهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ ، وَعَلَى رُكْنِهَا يَسْتَنْدُ ؛ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ عَلَى الْمَصَالِحِ أَيْدَا ، وَحَتَّى تُتَنَبَّيَ نَحْوُ الشَّاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا ، وَحَتَّى تُجْعَلَ لَهُ بَأْسًا فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا ، وَحُسْنَ ذِكْرٍ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا» .



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون ، من إنشاء ابن نباتة ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يندُب لمصالح الولايات سُيُوفًا ، وَيَقْدِّمُ ظَنًّا فِي الْكُفَاةِ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوفِي ، وَيُذِنِي مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِنْعَامِ وَالْإِرْغَامِ لِأَيْدِي الْمُجْتَهِتِينَ قُطُوفًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ ... .. أَعْتَادًا عَلَى هِمَّتِهِ السَّائِدَةِ ، وَدِرَايَتِهِ السَّائِدَةِ ، وَأَمَانَتِهِ الشَّاهِدَةِ ، وَصِفَاتِ عَزْمِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْوِلَايَاتِ «مَعْنٌ» وَهِيَ «زَائِدَةٌ» ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُثْمَرَ عَمَلُ وَلَايَتِهِ فَتَرْكُو أَعْمَالُهُ ، وَتَرِدُّ عَلَيْهِ الْمُهَمَّاتُ فَتَلْقَاهَا بِالْكَفَاءَةِ أَفْعَالُهُ الْمَعْرُوفَةُ وَأَقْوَالُهُ ، وَتَشْهَدُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ مَعْنًى بَلْ مَعَانِي يَثْبِتُ بِهَا فِي الْأَذْهَانِ قَبُولُهُ وَإِقْبَالُهُ .

(١) أقوى . نزل بالقر - أعصم - أمنع وأحفظ لرعيته من الاغتيال .



وهذه نسخة توقيع بولاية صرّخد، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهى :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آمالا، وزان الولايات بما يُنتج من مُقدمة فعله وقوله جمالا - أن يُرتب مجلس الأمير ... .. لأنه الكافى الذى عُرِفَت فى المهمّات همّته، وألفت عزمته، وأدبرت أوصافه عقارا صرّخديّة ولا عجب أن سرت بالنواحي خدمته؛ والنّاهض الذى وفى الولاية حقّها، وأدّى الأمانة وسلك طرقةا، وأطلع فى سماء الولايات شهب رأيه فخمى وزان أققها.

فليباشر هذه الولاية بعزم سنى، وحرّم سرى، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى، وديانة تمشى من الكفاءة والأمانة على صراط سوى، مُتمرا للمال والغلال، راقبا لحلّل الذّكر بحسن الخلال، مُحسّنا لذكر ولايته حتى يجمع لها بالوصف والنّت بين الحُسن والجمال، وإياه والحبّ عن المهمّات فما كل جبن صرّخدى محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سلمية، من إنشائه، كُتب به لـ «شهاب الدين الحجازى» وهى :

رُسم ... .. - لا زال يُطلع شهب الولاة مُشرقه، ويُشئ سُحب الإحسان مُغدقه، ولا برحت أقلام علائمه كالغصون بأحسن ثمرات الدّوح مُثمرة موريقه - أن يُرتب ... .. علما أنه الناهض الذى إذا ولي كفى، وإذا طبّ الولاية المعتلة بتقديم المعرفة شفى، ورُكونا إلى عزمه الذى أبى لشيابه أن يُجحد، وكفائه التى

قَضَتْ لَانْتِمَاءِ بِالْعَوْدِ : فَإِنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدُ ، وَاعْتِمَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةِ ، الْحَقِيقَةِ بِالرَّفْعَةِ ، وَعَلَى سَطَوَاتِهِ بِالْمُقْسِدِينَ الَّتِي حَسَنْتُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : «لَقَدْ أَوْفَعَ الْجَحَافُ بِالْيَشْرِ وَقَعَهُ» <sup>(١)</sup> .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بِعَزْمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَاجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ، جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَدِّدِهِ ، مُجْتَمِدًا فِيهَا هُوَ بِصَدِّدِهِ ، مُسَدَّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاحِيَّتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ وَتَطَرُّفِ الْجَلَالِ ، مُضَاحًا بِالتَّدْيِيرِ عَمَلٍ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّ ، وَهَمِّهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَإِذَا سَالَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدٌ قِيلَ : سَلْ مِئَةً عَنْ سَلَمِيهِ .



وهذه نسخة توقيع بشدٍّ متحصِّل قُمامة ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

رُسم بالأمر - بسط الله تعالى على الأُمَمِ مَهَابَتَهُ وَظِلَّهُ ، وَبَاسَهُ وَفَضْلَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ آمَالَ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ قِبَلِهِ ، وَأَعْلَى آرَاءَهُ الَّتِي يَقَالُ لَعْدِهَا : «لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُرَتْ فِي كُلِّ مِلَّةٍ» - أَنْ يُرْتَبَ ... .. مضافاً لما بيده ، وَاسْتِنَادًا إِلَى صَوِّحِ خَبَرِهِ فِي الْكِفَاءَةِ وَعُلُوِّ سَنَدِهِ ، وَارْتِيَادًا لِهَمِّهِ الَّتِي إِنْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ عَنْ طَوِّعِهِ رَوَاهَا نَصْرَانِيٌّ عَنْ تَجَلُّدِهِ ، وَسُكُونًا إِلَى حَرَكَتِهِ الَّتِي تُحْصَلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالٍ ، وَتُسْتَخْرِجُ الْوَفَرَ مِنْ مَكْنَنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [ مِنْ ] قُدَّامِ يَدَيِ الْمَائِلِ وَمَنْ خَافَ أَذُنَهُ ، وَطَلَمَا أَنْ مَالَهُ مُتَحَصِّل قُمامةً مِثْلَ عَزَمِهِ الْمُخْتَارِ ، وَرِفْقِهِ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمِدْرَارِ ، وَاجْتِمَاعِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَمْتِرُ ضُيُونٌ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ بِشِدَّةٍ وَلِينٍ يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقٌّ مُنِيرٌ يَجْعَلُ سَبْتَ نُورٍ كُلَّ لَيْلَالِهِ وَأَيَّامِهِ ، وَأَمَانَةٍ مُدِلَّةٍ ، وَكِفَاءَةٍ مُظِلَّةٍ ، وَصِيَانَةٍ

(١) صدر بيت للأخطل وتماه «الى الله منها المشتكى والمغول» والجحاف أسم رجل والبشر أسم جبل .

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهَ ، وَمَهَابَةً إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ قُبَامَةٍ أَصْلَحَتْهُ وَجَعَلَتْ  
أَعَزَّةَ أَهْلِهَا إِذْ لَهَ ؛ لَا يَثْنِي هِمَمَهُ النَّفْسِيَّةَ ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛  
بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ بُهْتَانًا ، وَمِنَاقِشَةٍ تَكْشِفُ عَنْ  
جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا ، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِيِّ الْعَجْزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ  
وَرُهْبَانًا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا ، وَاسْتِخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى  
يُقَالُ : «لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أَخْضَعُ مِنْهَا» ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ  
أَهْلُ ذِمَّةٍ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِحْقَاقِ مَا يَتَرْتَبِعُ لَهُ مِنْ وَلايَاتِ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ .

## الصنف الثاني

(مَّا يَكْتُبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِدِمَشْقَ - تَوَاقِعُ أَرْبَابِ  
الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ ، وَهِيَ عَلَى ضَرِيْنِ)

## الضرب الأول

( مَا يَكْتُبُ لِمَنْ هُوَ بِحَاضِرَةِ دِمَشْقَ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبِ )

## المرتبة الأولى

( مَا يُفْتَتَحُ بِـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» )

وهذه نسخ تَوَاقِعَ مِنْ ذَلِكَ :

تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ»  
بـ «الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» وَهُوَ :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً ، ورفق بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيّاً ، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث الندى بهم وليّاً ، وزند سبل الرّشاد والحكمة وريراً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً ، ونشكره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنياً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرها بكرة وعشياً ، ونسلك بها صراطاً سويّاً ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيّاً ، وقرّبه نجيّاً ، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفيّاً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياً ، ويجوز بها في جنة المأوى حلاً وحليّاً ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين ، ويتم التّجحّ بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية ، وقوام إقامة الحدود الشرعيّة ؛ تسلك العامة لمستولي سبل صنائعه ذللاً ، وتكسو بياتقائها أنواع بضائعها حلاً ؛ وينفع بمعرفته الأمر والمأمور ، وتخطأ المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور ؛ وتطمئن القلوب بإصلاح المطامع وتتهنى ، وتقول الألسنة : شكراً لمن سنّ هذه السنة الشريفة وسنّى ، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا ؛ لا سيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة ، وموطن البركة الماثورة والبهجة المانوسة ؛ بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارك ، وإن محاسنها لن تقاس بغيرها : والجامع الفارق .

وكان فلان من تحلى من عقود المحامد بجواهرها ، وأرتدى من حلل المآثر بمفانحها ؛ وعرف بالتهضة والعفاف ، وأتصف بحمائل المعرفة والإنصاف ؛ وحسنت سيرته في أحكامه ، وحمدت قواعد تعدده ونضارة نظامه .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى بجميلا ، ويُولى فى الوظائف السَّنية جليلا - أن يستقرَّ المشارُ إليه فى نظر الحسبة الشريفة بالشام المحروس ، على عادة من تقدّمه فى ذلك ، والقاعدة المستعمرة ، بالمعلوم المستمرّ للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضعاً للشيء فى محله ، وتفويضاً لجميل النظر إلى أهله .

فليأشُر ذلك أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، سالكاً من حُسن الطريقة ما يُحمد به ويُشكر ، ويسره حين تُسلى سور محاسنه وتذكر ، متفقداً أحوال العامة ومعايشها فى كل آن ، ملتفتاً فى أمر ما يكال أو يوزن إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الزَّانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشعراً عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستحبة ، مُحترزاً فيما يأمر به : فإنَّ الله تعالى لا يخفى عليه مثقال حبة ، ولينظر فى الدقيق والخيال ، والكثير والقليل ، وليستكثر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يغفل عن تعاهد السوق آناء الليل وأطراف النهار ، وليلاحظ أمر السكة السلطانية بإصلاح العيار ، وضبط أحوال النقود بمقدار ، وليقيم من خدمته رقيباً على من آثم فى صنعه أو أستراب . وليبلغ فى النظر فى أمر المآكل والمشرب فإنَّ أكثر الداء من الطعام والشراب ، وليزجر بتأديبه من آفترى ، أو تلقى الرُكبان أو غدا فى الأقوات مُحترِكا ، وليعلم أنه قد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليحتر من يستنيب ، وليبصر كيف يسلك برعايته من حكم عليه فما يلفظ من قوب إلا لديه رقيب ، والوصايا كثيرة وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقتنى المؤمن ويكتسب ، وأجدر بالزيادة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب ﴾ . والله تعالى يديم علاه ، ويتولاه فيما تولاّه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،  
كتب به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر  
محمد» بـ«باب الكرم» وهي :

الحمد لله الذي أذن لبيوته أن ترفع فرج عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صرف  
أمورها بما حسن وصرفها عما دهي، وأحيا الآثار الأموية حتى غدت كالهشمية  
تدعو أجيادها وتبجأها، وأنجز وعد أهلها بمن أشارت إلى مباشرته أعلام أعلام  
المنابر بالأصابع ونصت المآذن أجيادها .

نحمده على ما هيأ من الفوائد، وهنأ من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطباء شاهداً ويقوم بها الخطباء في المشاهد، ونشهد  
أن محمداً عبده ورسوله الذي أوتي الجوامع من الكلم وجعلت له الأرض من  
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهدايته،  
وظهروا في مجال الجمع وسجال الجموع تحت رايته؛ صلاة متصلة السير كالسيل،  
مسبلة الغمام كالذيل، واضحة كدع الخلق لدلوك الشمس فائحة كفتيت المسك  
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهتمام، وتقرير الاعتناء إلى الاعتزام؛  
وتشجيع ساعد الرأي وزهراته على الأكام - أمر تكون إقامة الصلوات أحد  
أركانها، وتذير المصالح مشيراً إلى علو شأنه، وأرزاق العلماء والصلحاء تستدر من  
هطاله وهتانه .



وكان الجامع الأمويّ بدمشق المحروسة لهذه الأركان بمنزلة الأسّ الراسخ تمكينه ،  
والفرع الشامخ في وجه السحاب عزينته ؛ وبئية زمان بنى أمية الذين عفا شرف  
مفاجرهم وما عفا شرفه ونفخه ، ووكر الإسلام الذي مضى لبُد أمثاله وما بقي إلا نسر  
السماء ونسره ؛ ذو المرأى الشارح والفضل المشروح ، والحسن الذي إن تعالى  
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخر به دمشق وحق  
لها على كل مضير أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنه الفخر من حملة فصوص  
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد المجاور به مغناه وغناه ، ويسع أرباب العلم  
والمقاصد نأديه ونأده ، ويطالع المسك سطور مياهي المتجعدة فأول ما يقرأ من  
تنبيه عزمه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولى نظره كل سنيّ المفخر ، سرى  
المآثر ؛ كريم الفرع والأصل ، ماضى العزم كالنصل ، حائز من أقلامه أمد العلاء  
وقصب الخصل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفة وإسخا ،  
وميزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا  
وآناهما صالحا - أن يفوض إلى فلان نظر الجامع الأمويّ المذكور : لما عُرف  
من أنه الرئيس الذي ماسد سُدَيّ ، والكامل الذي إذا آنس [سار] نأف فكرته وجد على  
النار هدى ؛ وأنه باشر نظر هذا الجامع قديما بجملة ، ورصد سنه فكملة ، وأستشهد  
في مخضر ديوانه على التزاهة أقلامه المعدلة ، وتديره المعدلة ؛ وكثر أوقافه وكانت  
قد أضحت ، وشيّد عماره وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أقلام  
المكتسبة تُشَدُّ : «أسأله أي المواطن حلت» ؛ ولما ألف هذا الجامع المعمور من  
عواطفه ، وعرف من عوارفه ، وشهد من جلوسه لمصالح وفقه أحسن الله مكافأة  
جالسه وواقفه ؛ فاثبت في صدر المحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وَكَتَبَ لَهُ مِنْ شَرَفِ الْاِكْتِسَابِ وَالْاِنْتِسَابِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَالَّتِي إِلَى يَدِهِ قَلَمَ كِفَاءَةٍ وَأَمَانَةٍ كَانَ كَرَمُهَا لِلْأَمَلِينَ حَصِينًا وَكَانَ قَلَمُهَا لِلْمُتَنِينِ خَصِيمًا ؛ كَمْ وَفَّرَ بِهِ الْمَصَالِحَ قَوِّيًا ، وَكَمْ جَمَعَ بِهَيْمَتِهِ الْمَحَاوِلَةَ مَالًا بِفُجْهَزِهِ مِنْ جُنْدِ الدُّعَاءِ صَفًّا ؛ كَمْ سَرَّ بِمَنَاقِبِهِ سَرَاتٍ سَلَفَ مَامْنِهِمْ إِلَّا جَوَادٌ لَا يَرْضَى فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ بِحَاتِمِهِ ، وَكَاتِبٌ يَكْبُرُ عَنْ قَوْلِ الْوَاصِفِ : إِنَّ يَا قُوتًا فِي فَصِّ خَاتِمِهِ ؛ وَرَئِيسٌ هُوَ أَجَلٌ مَا أَهْدَتْ شِيرَازُ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ عَلِي طَرَازِ الْفَضْلِ وَعَالِمِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بِعَزْمٍ لَا تُفْلَ مَضَارِبُهُ ، وَرَأْيٍ لَا تُأْفَلُ كَوَاكِبُهُ ، وَمَعْدِنٍ وَفَاءٍ بِالْمَنْصِبِ لَا تَبْرَحَ لُحْنَةَ الْحَيَانَةِ مَهَالِكُهُ وَلُحْنَةَ الْحَسَنِ مَطَالِبُهُ ؛ نَاطِرًا فِي حُسْنِ وَظِيفَتِهَا بِاجْتِهَادٍ لَا يَمَلُّ مِنَ النَّظَرِ ، مُتَمَرًّا لِأَوْقَافِهَا بِغُضْنِ قَلَمِهِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ لِأَصْلِهِ الصَّائِبِ أَطَايِبُ الثَّمَرِ ، مُلَاحِظًا لِمَبَانِي هَذَا الْجَامِعِ بِسَعَادَتِهِ : وَإِنَّ السَّعَادَةَ لَتَلَحُظُ الْحَجَرُ ، صَارِفًا لِدَوَى الْأَسْتِحْقَاقِ مُسْتَحَقَّهُمْ كَمَا عَهَدُوا مِنْ إِمَامٍ بِرَاعِيَةِ الْمُتَنْظَرِ ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يَرْضَى الْوِظِيفَةَ وَالْقَوْمَ ، مُعِينًا عَدُوَّ أُنَامِلِهِ الْخَمْسَ عَلَى عَدَدِهَا مِنْ فَرِيضَةِ اللَّيْلَةِ وَالْيَوْمِ ؛ عَلِيمًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الدِّيَّانَ فَإِنَّهُ كَمَا عَلِمَ أَصْلُ فِي بَابِهِ ، أَمْرًا بِمَا يَقْتَرِحُ لِنِظَامِ هَذَا الدِّيَّانِ وَكُتَابِهِ ، مُتَقِدًّا حَالٍ مِنْ إِذَا عَمَّرَ دَوَاةً فِي وَقِفٍ كَانَتْ سَبَبًا لِعُمُرَانِهِ أَوْ سَبَبًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - لِحَرَآبِهِ ، مُطَالِبًا مَنْ ظَنَّ أَنَّ حِسَابَهُ يُمَلُّ فِي دَهْرٍ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ «فَكَانَ حِسَابُ الدَّهْرِ غَيْرَ حِسَابِهِ» ؛ مُتَخَيِّرًا مِنْ الْكُفَاةِ كُلِّ مَاثُورِ الْفَضِيلَةِ ، وَمِنْ الْأَمْنَاءِ كُلِّ مَأْمُونِ الرِّذِيلَةِ ، وَمِنْ الْقُتُومِ كُلِّ مَنْ لَا يَقْعُدُ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَمِنْ الْوَقَادِينِ كُلِّ مَنْ لَا يُعَابُ بِطُولِ الْفَتِيلَةِ ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ سَائِقَهُ إِلَى الْقُورِ وَدَلِيلِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِالسَّدَادِ ، وَيَصِلُ مَفَاحِرَهُ بِالسَّنْدِ وَيَحْرُسُ شَرَفَ بَيْتِهِ مِنَ السَّنَادِ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ بِاسْمِهِ وَقَلَمِهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : «رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَادِ» .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضى «تقى الدين» بالحناب العالى، وهى :

الحمد لله الذى عَمَّرَ عَهْدَ التَّقَى بِتَقِيَّةٍ ، وَأَقَرَّ نَظْرَهُ بِمُشَاهَدَةِ أَبْيَضِ الْعَرِضِ نَقِيَّةٍ ،  
وَأَخْصَبَ مَنَازِلَ الْأَوْلِيَاءِ بِمَنْ يَنْوِبُ تَشْمِيرُهُ وَتَذْيِيرُهُ عَنِ الْغَيْثِ مَنَابَ وَلِيَّةٍ ، وَمَنْ إِذَا  
شَهِدَ مَقَامَ الزَّهَادِ بِمَعْرُوفِهِ شَهِدَ سَدَادَ الْعَزْمِ بِسِرِّيَّةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى جَلِّ اللَّطِيفِ وَخَفِيِّهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
شَهَادَةً وَافِي الْحَقِّ وَفِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ أَكْرَمَ بَعْدَهُ وَنَبِيَّهُ ، وَرَسُولِهِ  
وَصَفِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً يَمْزُجُ أَرْجُهَا كَأَفْوَرِ صَبَاحِ النَّهَارِ بِمَسْكِ  
عَشِيَّةٍ .

وبعد ، نغیر النظر ما كان به الثَّوَابُ مأمولاً ، والعملُ مقبولاً ، والآخِرَةُ للناهِضِ  
فيه خيراً من الأولى ، وَتَحْيِرُ الْأَكْفَاءِ لِمَنَاصِبِهِ الدِّينِيَّةِ سَبَبًا لِحَيْرِ الدَّارَيْنِ مَوْضُولا .

ولما كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر:  
رضى الله عنه وأرضاه، وسقى سبيل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه؛ مما يتعين فى مصالحها  
حُسْنُ النَّظَرِ، ويتبين فى القيام بأمرها فَضْلُ الْإِرَاءِ وَالْفِكَرِ؛ إذ هى زاوية الخير  
النافعه ، ومدرسة الذكر الجامعه ، وعُشُّ الْقُرْآنِ الْمُتَرَنَّمَةِ أَطْيَارُهُ بِخَفَقَانِ الْقُلُوبِ  
الخالشعه؛ وَصَفَّةُ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِنْ خَافَا، وَالْأَصْفِيَاءِ مِنَ الطَّمَعِ الَّذِينَ  
لَا يَتَقَاضُونَ الدَّهْرَ إِنْصَافًا وَإِنْ صَافَى؛ وَمُرْتَكِّضُ سَوَاقِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمَقَرُّ

الْقُرَاءَ وَالْقِرَاءَةَ عَلَى مَرِّ اللَّيْلِ الطَّوَالَ ، وَمَعْدُنُ التَّلَاوَةِ الْمَأْتُورُ غَنَاؤُهَا فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ  
وَمَا كُلُّ الْمَعَادِينِ وَلَا كُلُّ الْحَبَالِ ؛ وَالْبَيْتَةُ لِلَّهِ وَتَحْتَاجُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ فِي وَقْفِهَا ،  
وَيَحْفَظُ مَسَالِكَ جَمْعِهَا وَصَرَفِهَا ، وَيَتَمَّى حَالَ دِرْهِمِهَا بِتَدْيِيرِهِ الْوَاقِي : فَرُبَّمَا أَبْقَتْهَا  
الْأَحْوَالُ مِنْهُ عَلَى نِصْفِهَا .

وكان فلانٌ ممن لحظَ أمورَها على بُعْدٍ فَشُغِفَ الْمَلْحُوظُ بِاللَّاخِظِ ، وَحَفِظَهَا عَلَى  
نَائِي فَكَأَنَّمَا رَوَتْ بِالْإِجَازَةِ عَنْ الْحَافِظِ ؛ وَأَدَارَ عَلَيْهَا مِنْ رَشَفَاتِ قَلَمِهِ نَفْبَةُ السَّاقِ ،  
وَأَنهَلَهَا شَرْبَةً مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ تَعَدُّدِ الْمَالِ : وَفِي الْجَرَائِدِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِي ؛  
وَسَأَلَ أَهْلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَلَازِمَتَهُ لِلنَّظَرِ فَلَزِمُوا ، وَرَفَعُوا قِصَصَهُمْ فِي طَلَبِهِ لِهَذِهِ الْوُظُفَةِ  
بِغَزَمُوا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ نِعَمُ النَّاطِرِ وَالْإِنْسَانِ ، وَفِي مَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ذُو الْيَدَيْنِ  
وَاللِّسَانِ ، وَذُو الْعِزَائِمِ الَّتِي تَقَيَّدَتْ فِي حُبِّهِ الرُّتْبُ : « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ » ؛ وَالْمَتَقَدِّمُ  
فِعْلُهُ وَرَأْيُهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعْزَى إِلَى عَقِيلَةٍ نَسَبَةِ الرَّشِيدِ  
وَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْزَى الْمَأْمُونُ إِلَى مَرَّاجِلٍ <sup>(١)</sup> ، كَمْ جَرَتْ أَلْسِنَةُ الْأَوْقَافِ بِأَوْصَافِهِ ، وَكَمْ  
رَوَى الْجَامِعُ الصَّحِيحُ خَبْرًا عَنْ مُسَلِّمٍ عَفَافِهِ ، وَكَمْ جَدَّدَ لِبَنَائِهِ زُخْرَفًا بَعْدَ مَا كَادَ نَادِبُ  
الرُّسُومِ يَقِفُ عَلَى أَحْقَافِهِ ؛ كَمْ وَفَّرَ عَلَى الْإِيْتَامِ مِيرَاثَ وَفَرَّهَا ، وَكَمْ قَالَ اخْتِبَارُ الْمُلُوكِ  
الْبَاقِيَةِ : « لَا شُكْرَكَ مَا حَيِّتُ » فَقَالَ مَاضِي الْمُلُوكِ ذَوِي الْأَوْقَافِ : « وَلَتَشْكُرَنَّكَ  
أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا » - فَاقْتَضَى الرَّأْيُ أَنْ يُجَابَ فِي طَلَبِهِ الْمُهِمِّ سَوَالُ الْقَوْمِ ، وَأَنْ يَتَّصَلَ  
أَمْسُ الْإِقْبَالِ بِالْيَوْمِ ؛ وَأَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الْوُظُفَةُ أَمَلَهَا فِيهِ بَعْدَ مَا مَضَتْ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ  
مَلَاوَهُ ، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَوْلَا تَدَارُكُهُ لَكَانَتْ كَمَا قَالَ الْخُرَاعِيُّ : « مَدَارِسُ آيَاتِ  
خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ » .

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراحيل .

ولذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظرُ على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابةً لسؤال من فيها من جماعة الفقراء ورغبتهم فيه، وأرتقايتهم لعزيمه الذى إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلافيه؛ على أن يتبع فى أمرها شرط الواقف برأى غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربع مائة نفرٍ إلا أن يزيد ريع الوقف وهو - إن شاء الله - ببركته وهيمته زائد.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دُعِيَ لمثل هذا الحال الضعيف طبَّ وعاد؛ مثمرًا لما لها - على عادة غصن قلبه الأخضر - أثمارا، مُستخلصًا للبواقي من أربابها التى تنهب العين وتدعى لقراتها أن يكساروا؛ قائلاً فى حال هذه المدرسة بالعطف، مُساوياً فى المواساة بين فقرائها عند الميزان والصرف، نازلاً بنور بشره وودّه بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهّزاً لجيش عسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، مُتطلّعين لخبرهم فإنهم أجنادُ صفوف الأتجار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مُشتقّ منها أسمه فلتكن شقيقة نفسه فى الخلوات؛ والله تعالى يحفظُ عليه حظاً نفيساً، وقدراً للنجوم جليسا، ويُحيى به ميتَ الوظائف حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأموى، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ به باستمرار القاضى تاج الدين «الجناب العالى» وهى :

الحمد لله الذى رفع للناس رُأساً باستقرار تاجها، وجمع لصُدُور المحاريب شَملاً بعوائد أبتهاجها، وزينَ مواقع النعم بالتكرار كما تُرانُ لآلى النظام بازديادها، وبينَ مطالع الفرج بعد النعم: وما الدهر إلا ليل غمّة ثم صبح أنفراجها.

نحمده على معاد الآمال ومعاجها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
 شهادة تمشي البصائر إلى الحق بسراجها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله القائم على  
 المنابر لمداداة الفهوم وعلاجها ، ومداواة الخوصوم ومحاجها ، القائل له تأديب ربّه :  
 ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ آية يسرى الفطن على منهاجها ، صلى الله عليه وعلى آله  
 وصحبه بحور النعم والثقم عذبا وأجاجها ، وبدور مساجد الثقي ومشاهد الوغى عند  
 عجاج ليلا وليل عجاجها ، صلاة كصلاتهم آمنة من خداجها ، مامتت نفعات  
 الروض إلى محاطة سيرهم يد احتجاجها ، ومازجت معاليهم النجوم فحسن بكأس  
 الثريا شرف أمتراجها .

وبعد ، فإن أولى الناس باستقرار مناصب الدين العريفة ، واستقرار علو  
 الدرجات : إما من المراتب مجازا وإما من المنابر حقيقة ، واستقرار الوظائف بعبادة  
 فضله ولا سيما أعواد الخطابه ، واستبصارها بلفظه ولا سيما إذا سلمت الراية  
 العباسية من نطقه لعرابه - من درج من عش فروعها خافقا عليه جناحا علميه ،  
 وصعد إلى عرشها مقبلة بنظرات الجفون المتسامية آثار قدميه ، وأغرق نسبه  
 في موطن مكانها المكين ، وبلغ مقامه مقام سلفه أربعين سنة في الطلوع بأفقها المئين ،  
 وقال استحقاق ميراثه : "وماذا تدري الخطباء مني" \* "وقد جاوزت" بمقام السلف  
 "حد الأربعين" ، ومن إذا سمعت خطابته قال الحفل : لا فض فوه ، ولا عديم البيت  
 ولا بنوه ، ومن إذا طلع درج المنبر قال المستجلون لسنائه : أهل البدر؟ قيل لهم :  
 أخوه ، ومن إذا قام فريدا عدا بألف من فرائد الرجال تنظم ، وإذا أقبل في سواد  
 طليسانه واحدا قيل : جاء السواد الأعظم .

ولما كان فلانٌ هو معنى هذه الإشارة ، وحقوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أغني فاسمعي بإجاره» ؛ ومن نشأ في محل نخار طيب المعاهد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عزمه إلى الفراقيد ، ومن شمر في أوائل عمره إلى العلاء وحيداً وخلف دونها من أئداده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد للخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله \* تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كل بنان إلى حسنه يُشير ، وكل ذي مذهب إذا عاين تصنيف وضعه قال هذا لفقهِ المحاسن هو الجامع الكبير ؛ ميزابه (٩) المسلم لرشده ، المعلم بطرازي نسيه ورشده ، المقدم ليد نصرته سيف خطابه لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده ؛ تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طرباً لسجع بيانه ، يُسهب ويقول الناس كَيْتِه لا اختصر ، ويودون لو ليس كل يوم سواد أهبته وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ؛ وعارضه من العظماء الكفاة من نوى بدلاً فأبى حنو الدولة إلا عطفاً ، ونارله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفاً .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ؛ ومحكوم بالتفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رُسم به وما يُرسم ؛ وأن يُمنع دليلاً

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي الخ تعين أنه المسلم ليده .

الاعتراض ويُذفع، وَيُكَفَّ حَتَّى تَتَّصِلَ الْعَنَاءَةُ بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مِنْ بَيُوتِ أَذِنِ  
اللهُ أَنْ تُرْفَعَ، وَحَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ قَوْمًا أَحْسَنُوا صُحْبَةَ الدُّوَلِ فَسَعِدُوا، وَنَهَوْا عَهْدَ الْخِدْمَةِ  
لَأَعْقَابِهِمْ وَهَجَّدُوا، وَحَتَّى يَقُولَ هَذَا النَّجَلُ الظَّافِرُ بَعْدَ آبَائِهِ وَأَخِيهِ : لَيْتَ أَشْيَاخِي  
بَيَذَرُوا .

فَلْيَعِدْ حَدِيثَ مَنْصِبِهِ الْقَدِيمَ ، وَلْيَقُمْ إِلَى تَشْنِيفِ الْأَسْمَاعِ مِنْ تَنْيِيرِ لَفْظِهِ بِأَهْمِيٍّ مِنْ  
العقدِ النظيمِ ، وَلْيَفُكْ أَسْرَى الْقُلُوبِ بِرَوَاتِبِ إِشَارَتِهِ : فَإِنَّهُ « الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ » ؛  
وَلْيُبْسِكِ الْعُيُونَ بِوَعْظِهِ وَإِنْ أَقْرَاهَا بِمُشَاهَدَتِهِ ، وَلْيَحْرُضْ عَلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ  
كَمَا نَخَّرَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بَابْنَ نُبَاتَتِهِ .

ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو على كل حال أدرب وأدرى بها، وما استقرت  
على قبض سيوفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصابها ؛ وكذلك ما هو معسوق  
بوظائفه : من مدارس علوم، ومجالس نظير طالما نظر في كتبها وهو الصحيح نظرة  
في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل ، ولا يمر بها  
على أذنه فم المبلغ فإنها من فمه أحلى ومن تسويغ فمه أحل ؛ ولكن التذكار بتقوى الله  
تعالى فيما يأتي ويذر أس جليل ، ووجهه تتفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ  
بحيل ، وألفاظ الخطيب المتقي إذا وصلت من القلب إلى القلب وقت برى الغليل ؛  
والله تعالى يمدّه بالطافه ، ويحجّره على عوائد إسعاده وإسعافه ، ويروى بصواب  
كلمه الانشباع وبصوب الغمام عهود أسلافه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة المسرورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ صلاح  
الدين الصفدي ، كتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » ب « المقرر الكريم » وهى :



الحمد لله الذى جعل تقي الدين علياً ، وأوجده فرداً فى هذا الملا فكان بكل علم ملياً ، وأظهر فضله الخليل فكان كالصباح جلياً .

نحمده على نعمه التى تكاثرت فأجملت الغائم ، وتوفرت الأنيسة على حمده فتعلمت أنجاعها الحائم ، وتأثرت بموافيقها الأحوال فأخملت زهر الخمايل فى الكائم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكر ما صفاً من جُحيتها ، ولا ريبة تُوعر ما تسهل من محبتها ، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أنار من حُجتها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى جمعت فيه مكارم الأخلاق ، وتفرّد بمزايا منها أنه حبيب الخلاق ، وشارك الأنبياء فى معجزاتهم وزاد عليهم بما أُتيح له من تخمس لم يعطهن غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا فى الدين ، وحازوا الأجور لما جروا إلى جرّ الغلاصم من الملّحين ، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والمعتلين من المعتدين ؛ صلاة يفوح نسيم زياها المتأرجح ، ويلوح وسيم يحياها المتضرّج ؛ ما فرّج العلماء مضايق الجدال فى الدروس ، وقبّلت ثغور الأفلام وجنات الطروس ؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لواقفها شروط ، ولأهلها هم أنزلها بالنجوم منوط ؛ يغوصون بحور البحوث فى طلب الآلى ، ويقطعون ظلل الظلام بالسهر فى حب المعالى ؛ سيما المدرسة المسرورية : فإن واقفها - أتابه الله تعالى - شرط فى المدرّس بها شروطاً قلّ من يقبّلها ، أو يتعلّى بعقودها أو يحلّها ؛ وكان مفرقها قد تحلّى بتاج تجوهر ، ومعلقة قد ضمّ منه فاضلاً تمهدت به قواعد المذهب لما تمهر ؛ فأعرض عنها ، ونقض يده منها ؛ رغبة فى الإقبال على شأنه ، وأقطاعاً إلى مالك الأمر وديّانه ؛ نغلا ربّعها من أنسيه ، وكادت تكون طللاً بعد درسه .

وكان فلائ - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد  
 بنشر علومه البادية والعاكف ، وطاف بكعبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه  
 باللطائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية  
 والدراية ، وأما "الأصول" فإنه زار بـ «الرازي» حتى آخني ، وأما "الفقه" فلو شاء  
 أملي في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاف" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ  
 المذاهب ، وأما "العربية" فـ «الفارسي» يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من  
 العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عنايه ، وإذا كان أهل كل علم  
 في المبادئ كان هو في الغاية .

فلذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا  
 للشيء في محله ، ومنعاً لتاريخ ولاية غيره أن يفجأ في غير مستهله ؛ فالآن أمسى  
 الواقف مسروراً على الحقيقة ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو -  
 أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطراً من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدراً  
 من أن تدل ألمعيته على نكبتها الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،  
 وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعل درجات أرتقائه ؛  
 والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء  
 الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح  
 الصفدي أيضاً ، كتب به للقاضي ناصر الدين «محمد بن يعقوب» كاتب السريومند  
 بالشام ، حين عاد إلى تدريسه ها بعد انفصاله عنه ، بـ «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنن وأفادها ، وزان المناصب السنية  
بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالى بأربابها وصانها عما دهي .

نحمده على نعمه التى بدأت بالمعروف وتمت ، وحصصت بالإحسان وعممت ،  
وبرأت من النقائص وسلمت ، وفلت بالأنطاف الحفية صوارم الحوادث وثملت .  
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضىء بها الحنادس ، وتركو  
بأنوائها منابت الإيمان والمغارس ، وتسمو بأقنائها إلى عليين النفوس النفائس ،  
ويُرغم المؤمنون بإعلائها من الكفار المعاطس ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله  
الذى تتم للناس مكارم الأخلاق ، وأجمل بحود كفه الفياض صوب الغيث الدقاق ،  
وفضح البدر اللياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدم التبين والمرسلين فى حلبة  
الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلى من نصبوا  
للهدى أعلاما ، وأرقى من أصبح العلم لفضيلهم الباهر رقاما ، وأحلى من كان الزمان  
بوجودهم وجودهم للعفاة أحلاما ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على  
الكفر أفراما ؛ صلاة لا ينقذ لها أمد ، ولا يقضى لها مدد ، ما شبَّ بريق ونحمد ،  
وشفى الغام طرف زهير من الرمد ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتألد ؛  
بها تبتين فوارس الجلال فى مضائق الحدال ، وتتحلى بدور الكلام فى مطالع الكمال ،  
وتبدو شموس الجمال فيما لها من فسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أثاب الله تعالى  
واقفها - هى الواسطة فى عقودها ، والدرة الثمينة بلا كفى لها بين قيم تقودها ؛  
قد تدبج فيها البناء ، وتأرج عليها الثناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد  
اعتناء .

وكان المقرّ الفلاني قد نفّض يده من عِنايها ، ورَفَضَ عن آخِتيار بهاءِ جِنايها ؛ وثَنَّى طَلِبَتَهُ عن مُحاورَتِها ، ورَمَى أُمْنِيَّتَهُ من مُحاورَتِها ؛ فساءَ من بها من أَهْلِ العِلْمِ فِرَاقُهُ ، وأوحَشَهُم وَجْهُهُ الَّذِي أَجْجَلَ البُذورَ رَوْنَقَهُ والبَحَرَ أَنْدَاقَهُ ، وفَقَدُوا مَكَارِمَهُ الَّتِي ماسِعَ «السَّمْعَانِيَّ» بِمِثْلِهَا وَلَا وَصَلَتْ إِلَى «الصُّوْلِيِّ» وَلَا ضَمَّتْهَا أَوْرَاقُهُ .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ العَالِي أَنْ يُعادَ إِلَى تَدْرِيسِهَا : لِأَنَّ العَوْدَ أَمْدَحُ وَأَحْمَدُ ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ أَسْعَفُ وَأَسْعَدُ .

فليباشرْ ما فُوِّضَ إِلَيْهِ مَبَاشَرَةً أَلْفَتْ مِنْ كَمالِ أَدَوَاتِهِ ، وَعُيِّرَتْ مِنْ جِمالِ ذَاتِهِ ؛ نَاشِراً أَعْلَامَ عُلُومِهِ المُنَوَّعَةِ ، وَفَضَّائِلِهِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا أَنْفَاسُ الرِّيَاضِ المَتَضَوِّعَةِ ؛ فَلَوْ عَاصَرَهُ «أَبْنُ عَطِيَّةٍ» أَمْسَكَ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ ، أَوْ «صَاحِبُ الكَشَافِ» لَغَطَّى رَأْسَهُ مِنْ تَقْصِيرِهِ ؛ أَوْ «الرَّافِعِيُّ» لَأَصْبَحَتْ رَايَةُ رَأْيِهِ فِي الفِقهِ حَافِضَةً رَافِعَةً ، أَوْ «النَّوَوِيُّ» رَحِمَهُ اللهُ لَأَسْتَعَارَ مِنْهُ زَهْرَاتِ رَوْضَتِهِ الْيَانِعَةِ ؛ أَوْ «الْأَمِيدِيُّ» لَمَا أَمْتَدَّتْ لَهُ مَعَهُ فِي أَصُولِهِ خَطْوَةٌ ، أَوْ «أَبْنُ الْحَاجِبِ» لَمَا كَانَ لَهُ مَعَ أَبْنِ الْحَاجِبِ حُظْوَةٌ ؛ أَوْ «أَبْنُ يَعِيشَ» لَمَاتَ ذِكْرُهُ فِي النَّحْوِ فَكَانَ فَقِيداً ، أَوْ «أَبْنُ مَالِكٍ» لَأُمْسَى «تَسْمِيْلُهُ» تَعْقِيداً ؛ أَوْ «السَّيْلِيُّ» لَعَلِمَ أَنَّهُ مَا شَبَّ لَهُ فِي التَّصَرُّفِ مِثْلُ شَبْلِهِ ، أَوْ «أَبْنُ عَرَبِيٍّ» لِأَعْرَبَ عَنِ عُجْمَةٍ وَمَا تَمَسَّكَ صُوفِيٌّ بِحَبْلِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءٍ إِنْشَاءٍ سَادَ فِيهِ الْعَبْدَيْنِ : «عَبْدُ الْحَمِيدِ» وَ«عَبْدُ الرَّحِيمِ» ، وَنَظِمَ كُلُّمَا نَظْمًا إِلَى رَشْفِهِ طَافَتْ عَلَيْنَا قَوَائِمُهُ بِكَائِسٍ مِنْ أَجْهَانِهَا مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَعَلَى الجُمْلَةِ فَتَفْصِيلُ مَعَارِفِهِ يَضِيقُ عَنْ فَضْلِهَا فَضَاءُ هَذَا التَّوْقِيعِ الْكَرِيمِ ، وَسَرْدُ مُحَاسِنِهِ لَا تَتَسَعُّ لَهُ حَوَاثِ ، هَذَا الْبُرْدِ الرَّقِيمِ ؛ وَلَكِنْ أَشَارْتُ أُمْلَةً الْقَلَمِ مِنْهَا إِلَى نُبْدَةٍ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الْقُلُوبَ تَسْتَأْذِنُ إِلَى أَوْصَافِهِ فَقَلَّدْنَا لَهَا مِنْ ذَلِكَ فَلَدَهُ .

وأما الوصايا فمِثْلُهُ لَا يَذْكُرُ بَشْيَءٍ مِنْهَا ، وَلَا يَقَالُ لَهُ : دَعْ هَذِهِ الْوَدْعَةَ وَهَذِهِ الدَّرَّةَ صُنْهَا ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَإِذَا أُطْلِعَ بِدُورٍ وَصِيَّةٍ ضَوْأَ أَحْوَالِ الدِّيَاجِي الْحَوَالِكِ ؛ وَلَكِنْ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهَا فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ طِرَازُهُ الْمُعْلَمُ ، وَنُكْتَتُهُ الَّتِي طَوَّدَهَا لَا يُثَلَّ وَحْدَهَا لَا يُثَلَّمُ ، فَلْيَكُنْ مُسْتَضِحِّبَ حَالِهَا الْحَالِي ، مُسْتَضَعِبَ فِرَاقِهَا الَّذِي يُهَوِّنُهُ الْبَالُ الْبَالِي ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِي رُبُوعَ الْعِلْمِ مِنْ أُنْسِهِ ، وَيَجْعَلُ سَعْدَهُ فِي غَدٍّ زَائِدًا كَمَا زَادَ فِي يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ، وَانْخَطَ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ النَّوْرِيَّةِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «نَجْمِ الدِّينِ الْحَنْفِيِّ» بِزَوْلِ وَالِدِهِ عَنْهَا بِ«الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْمَى أَهْلَةَ الْعِلْمِ فَأَبْدَرَتْ ، وَفُرُوعَهُ فَأَثْمَرَتْ ، وَنُجُومَهُ فَاسْتَقَلَّتْ مَطَالِعُهَا النَّوْرِيَّةُ وَتَنَوَّرَتْ ، وَلَا إِلَهَ فِي بَحَارِ الْأَلْفِظِ وَالْفَضْلِ فَتَجَوَّهَرَتْ ، وَأَنْهَارُهُ الَّتِي أَخَذَتْ فِي الْمَدِّ مَأْخِذَ تِلْكَ الْبَحَارِ فَاسْتَرْجَبَتْ وَأَسْتَبَحَّرَتْ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي قَرَّتْ وَقَرَّتْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً إِذَا خَصَلَهَا الْيَقِينُ وَفَرَّتْ ، وَإِذَا نَصَلَهَا الْإِخْلَاصُ مَضَتْ فِي أَوْدَاجِ الْبَاطِلِ وَفَرَّتْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْحَاكِمُ فِي فَضْلِ الْأَفْضِيَةِ لَمَّا شَجَّرَتْ ، وَالنَّاظِمُ دُرَرِ الْإِيمَانِ حَتَّى زَهَتْ فِي أَعْنَاقِ الْعَقَائِدِ وَزَهَرَتْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِتْنَةِ الْحَقِّ الَّتِي ظَهَرَتْ وَطَهَّرَتْ ، وَعِصَابَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي سَرَتْ خَلْفَهَا

(١) مستعار من نصل السيف والرمح والسهم ركب فيه النصال وهو حديد .

سَرَايَا الدِّينِ فَهَاجَرَتْ فِي اللَّهِ وَنَصَرَتْ، صَلَاةً طَيِّبَةً تَجْلُو إِذَا تَكَرَّرَتْ، وَنَحِيَّةً بَاقِيَةً تُشْرِقُ شَمْسُهَا إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ، وَتَعْبِقُ نَفَحَاتُ نَشْرِهَا إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ .

أما بعدُ، فَإِنَّ مَنَازِلَ الْعِلْمِ مِنْ خَيْرِ مَا أَبْقَى الْأَبَاءُ لِلْأَعْقَابِ، وَأَكْبَلِ مَا ذُكِرَ لِنَجَبَاءِ الْأَنْبَاءِ عَلَى مَدَى الْأَحْقَابِ، وَأَعْدَلِ مَا شَهِدَ بِلِسَانِ حَالِهِ الْمَثَمِّلِ أَنَّ وَكْرَ الْعُقَابِ لَأَكْبَنَ الْعُقَابِ؛ وَكَانَتِ الْمَدْرَسَةُ النُّورِيَّةُ الْكُبْرَى بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ هِيَ الْوَاسِطَةُ وَالْمَدَارِسُ دَرَرٌ، وَالصُّبْحُ وَأَوْطَانُ الْعِلْمِ غُرَرٌ، وَمَنْزِلَةُ الْحُكْمِ الْأَمْنَعِ، وَبَيْتُ الْقَضَاءِ الَّذِي أَدْنَى اللَّهِ لِقَدْرِهِ أَنْ يُرْفَعَ، وَمَكَانُ ذِي الْيَدِ الْمَاضِي سَيْفُ حُكْمِهِ إِذَا قُرِعَتْ الْعَصَا لِذِي الْإِصْبَعِ؛ وَذَاتُ الْعِمَادِ الَّتِي أَدَّخَرَهَا لِنَجْلِهِ، وَأَعَدَّ فَضْلَهَا فِي الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ لِفَضْلِهِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ قَدْ نَزَلَ لَوْلَاهُ فَلَايَ عَنْ الْحُكْمِ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ، وَنَطَقَ بِمَزِيَّةِ الْأَسْتِحْقَاقِ وَقُلُوبُ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ صُمُّ بَعْضِكُمْ؛ وَرَغَبَ - أَجَلَهُ اللَّهُ - فِيمَا يَرَغَبُ فِيهِ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ ذُو السَّنِّ الْعَالِي، وَالْقَدَرِ الْعَالِي، وَأَنْتَظِمَ تَقْلِيدَهُ الشَّرِيفَ فَكَانَ أَجْوَدَ حَالِيَةً عَلَى أَحْسَنِ جَيِّدِ حَالِي؛ ثُمَّ التَّوَقُّعَ بِتَدْرِيسِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي زُكِّيَتْ فِي أَهْلِ الْفَضْلِ شَهِيدُهَا، وَنَظَرَهَا الَّذِي خَلَفَ فِي حُكْمِهِ وَلِيَ عَهْدَهُ عَنْ أَبِيهِ: فَلِلَّهِ أَمِينُ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَرَشِيدُهَا .

وَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَى فَلَانٍ تَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ وَنَظَرُهَا: لِأَسْتِحْقَاقِهِ لَهَا بِسُقْعَةٍ مَنَصَّبِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ، وَمَنْشَأِ الْفَضْلِ الْحَرِيزِ، وَوَجِيزِ التَّزْوِلِ الْمَكْتَتَبِ، وَقَبُولِ هِبَةِ وَالِدِهِ الَّذِي يَعْتَادُ أَنْ يَهَبَ الْجَلِيلَ لِمَنْ يَهَبُ؛ وَتَشْرِيفِهِ بِإِنْعَامِهَا النَّفِيسِ، وَإِجْلَاسِهِ بِهَا عَلَى مَرْتَبَةِ حُكْمٍ وَبَسَاطَةِ نَظَرٍ وَسَجَّادَةِ تَدْرِيسٍ؛ وَعِلْمًا أَنَّ نَجْمَ ذَلِكَ النَّيِّرِ أَوْلَى بِهَذِهِ الْمَنَازِلِ، وَشِبْلَ ذَلِكَ الْأَسَدِ أَحَقُّ

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أي والد نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغاب المائل ، وأنه كوكب هذا المذهب المنير ، وإمام جامعيه المعروفين : كبير وصغير ، وصاحب شبيبة العزم المقتبل ، والرأي الموفى على قياس الأمل ، وتجنيس الجود والإجاده ، وتكميل بحوري العلم والبر واجتهاد الزيادة ، وأنه ممن آتاه الله رفعة في القدر والأسم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، وأحكم بديهة علمه فما تستوقف الأسماع رويته ، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليأشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا ، الثاني بلسان الحمد : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ ، جارياً على أعراق نسيه المشهور ، فإض اللفظ والفضل فإنه بحر من البحور ، مظهراً من مباحثه التي تفقد العقول بأبهى مما تُفقد التحور ، مهتدياً من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بُور على نور ، والله تعالى يزِين بنجمه أفق السيادة ، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريحانية الحنفية ، من إنشاء ابن نبأته ، كتب به للقاضي « عماد الدين الحنفى » بـ « الجنب الكريم » وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمادها ، وصاحب ثقلها واجتهادها ، ومُنشِر عهدها ومُنشئ عهادها ، وواصل مناسمها التى لو آدأها دونه زيد لكانت دعوى زيادها ، ومُفصح فتاويها على منبر قيم أهنر عوده وتفتح وأطرب : فناهيك بثلاثة أعوادها ! .

نحمده على نعيمه التى قضى الحمد بأزديادها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُعدها النفس لمعادها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رَشَادِهَا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتْ  
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامَ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِمَذَاهِبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، وَيَمْدُونَ فِي الْمُبَاحِثِ طَلْقَهَا ،  
وَيَعْمُرُونَ مَدَارِسَهَا : فَيَالَهَا مِنْ ذَاتِ دُرُوسٍ يَكُونُ الْعُمُرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَنِقَهَا ! .

وَلَمَّا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الرَّيْحَانِيَّةُ بِدِمَشْقٍ فِي أَيْدِي الْعُلَمَاءِ نُحْبَةً رَيْحَانِيَّةً ، وَشَقِيقَةً  
نَفْسٍ نُهْمَانِيَّةً ، مَأْهُولَةَ الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِلِ بِكُلِّ ذِي فَضْلٍ جَلِيٍّ ، وَعِلْمٍ مَلِيٍّ ، وَوَصِفٍ  
كَرِيمٍ ، وَنَفْسٍ نَفِيسٍ يَتَلَقَّاهُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَخَلَّتِ الْآنَ مِنْ إِمَامٍ  
كَرَّمَتْ خِلَالَهُ ، وَعَظُمَتْ خِصَالُهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَّى وَمَا يَبْقَى إِلَّا اللهُ جَلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ  
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنَّ نَخْتَارَ لِتَدْرِيسِ مَكَانِهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَتَشَبَّهُ  
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أَضْعَافُ مَا شَآدَهُ زِيَادُ النُّعْمَانِ ، مِنْ شَيْدِ الشَّرِيعَةِ  
الشَّرِيفَةِ مَقَالَهُ وَمَقَامَهُ ، وَعِلَاقِ عِمَادِهِ إِلَى عُقُودِ الشُّهْبِ فَلَهُ مَرَادُهُ وَمَرَامُهُ ، مِنْ  
لَوْ عَاصِرِهِ «أَبْنِ الْحُسَيْنِ» الْحَسَنُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِقُدْرَةِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ مُحَاضَرَةِ بَحْثِهِ  
كَمَا قَالَ «أَبُو يُونُسَ» : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ؛ وَأَسْتَرَادَ «شَمْسُ الشَّرِيعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاجُ»  
مِنْ لَمْعِهِ الْبَرِيقِ ، وَقَالَ «أَبْنُ السَّاعَاتِي» : مَا رَأَيْتُ أَرْفَعَ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً  
وَلَا أَبْدَعَ مِنْ هَذَا الذَّهْنِ دَقِيقَةً .

وَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِإِزَالِ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِمَحَامِدِ مُلْكِهِ  
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ ... .. لِأَنَّهُ الْمَعْنَى بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ  
الْحُلُوءِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَظَائِلِ إِذَا تَعَنَّنَتْ الْأَفْهَامُ وَتَيَسَّرَتْ ؛ وَالْمَعْوَذَةُ فَرَايِدُ  
مُبَاحِثِهِ الْمَفْرَقَةُ بِـ «إِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبَحَارُ جُحِشَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ  
الْحَنْفِيِّ وَالْحُكْمِ الْأَخْنَفِيِّ ، وَحَصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّسْفِي» ،  
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بُعْدِهِ فَأَخْتَفَى فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِفِيُّ ؛ وَصَاحِبُ الْفُنُونِ وَمَا



وَسَقَتْ ، وَأَفْنَانِ الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ ، وَمَا بَسَقَتْ ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَمَا عَطَفَتْ  
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيَّدَ الْوَلَايَةِ ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ الْخَفِيفِيَّتِهَا  
وَالنَّهَايَةِ ، سَاجِدًا قَلَمُ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوَّةِ كُلَّمَا تَلَا كَرَّمَهُ وَكَلِمُهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ ، مُنْفِقًا مِنْ  
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ عَنْ "الْكَنْزِ" وَصَاحِبِهِ ، وَيُرَدِّدَ فَرْعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِيهِ ،  
وَيُعْرِضَ عَنْ أَغَارِيزِ "الْبَسِيطِ" ، وَيُغْرِقَ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ "الْمَحِيطِ" . وَيَمْدَّ سَمَاطَ  
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» ، وَمَا حَانَ ، وَتَفَخَّرَ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَمَا يَضُرُّهَا  
فَقْدُ «قَاضِي خَانَ» ، وَتَتَذَكَّرُ الْمَقْدَمِيَّةُ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابُ  
الْكَرِيمُ مِنْ تَقْدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْغَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّفَقَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رَتَبَ  
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِطْلَاعِهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحُكْمٍ يَلْقَاهُ مَشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَا «عِلْمُ الدِّينِ  
أَبْنُ الْقَفْصِيِّ» قَاضِي قَضَاةِ دِمَشْقَ بـ «الْمَقَرُّ الشَّرِيفِ» وَهِيَ مِنْ تَأْلِيفِ كُتَّابِ  
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ أَلِيقٌ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أُمَمَةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْغُرَفِ ، وَمَيَّزَهُم بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي  
يَسْمُو شَرَفُهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَأَوْصَحَ بِهِمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَلَا بِإِرشَادِهِمْ سَبِيلُ  
الْهُدَى وَأَنكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ  
الْمَعَاهِدِ بَيْنَ حَدَا حَدَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ ، حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْحَمْدِيَّةَ وَالْبَرَاهِينَ ،  
وَيَسْطِطُ ظِلٌّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُوتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لَشَيْبَةَ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا فَكَانُوا أَيْمَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُمَدَةُ عَلَى أَقْوَالِهِمُ الَّتِي نَقَلُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجَمْعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِّينَ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنَشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُثْنَى مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ مُحْتَاجَةً إِلَى صَلَاتِهَا بِكُفِّهَا الْفَرْدَ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فَلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ الْجَمِيلُ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرُمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَضْحَتْ فَضَائِلُهُ « الْمَدَوْنَةُ » وَلَقِظُهُ الْجَلَّابُ ، وَكَفَّهُ « الْمُوْطَأُ » لِلطَّلَبَةِ يُغْنِيهِمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِيْمَتُهُ لَا يُلْحَقُ غُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَامُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ إِلَّا أَمَّ مَالِكٌ وَأَبْنُ مَالِكٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ لِمَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أُلُوانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فَلَانٍ مُجْتَمِعٍ تَزُولُهُ عَنْهُ بَرَضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّزْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مُهَنَّا مَيَسَّرًا أَسْوَةَ أَمَثَالِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حَقَّتْ بِالْعُلُومِ ، وَأَفْتَخَرَتْ بِحُسْنِ الْمَنْطُوقِ الدَّالِّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيُمَدِّدْ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمُحْتَوِيَةَ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وَلْيُبَيِّنْ مَا يَخْفَى عَلَى الطَّلَبَةِ بِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ ؛ وَلْيُوَدِّدِ الْفَوَائِدَ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْأَذْهَانِ عَلَى أَحْسَنِ أَسْلُوبٍ ، وَلْيَقَرِّرِ الْأَصُولَ الَّتِي أَمْتَدَّتْ فُرُوعُهَا بِقَوَاعِدِ السُّنَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ وَفِي ثَمَرِهَا الْجَنَى تَقْوِيَةَ الْقُلُوبِ ؛ وَلْيَكْرِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَضَحُّ فَضْلَهُ لَدَيْهِ وَيَبَيِّنْ ، وَلْيَبْسُطْ هِمَمَهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُقَهِّهُ فِي الدِّينِ" . وَلْيُوضِّحْ طَرِيقَ إِرْشَادِهِ لِيَسْتَهْلَ سُلُوكُهَا عَلَيْهِمْ ، وَلْيَجْعَلْ وَفُودَ فَوَائِدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وَلْيَتَّبِعْ «إِمَامَ دَارِ الْحِجْرَةِ» فِي مَذْهَبِهِ الْمَذْهَبِ ، وَلْيَخْلُدْ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ مَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَلَا يَذْهَبُ ؛ وَلْيَسْمَحْ لِلْفُقَهَاءِ بِمَوَاصِلَةِ فَضْلِهِ الْأَعْمِ ، فَإِنَّهُ أَنْ يَهْدَى بِهِ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ يُطَلَبُ بَيَانُهَا ، وَبِهِ تَقْوَى أَسْبَابُهَا وَيَعْلَوُ بُنْيَانُهَا ؛ وَلَكِنْ الذِّكْرُ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُظْهِرُ [بِهَا] سِرَّ خَبَرِهِمْ وَيَسْتَتِينُ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالْخَصْلَةُ الَّتِي بِهَا يَعْظُمُ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَرْقَى ؛ فَلْيُؤَاطَبْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ الْعِنَايَةِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عِلْمَ عَلَيْهِ دَائِمًا فِي الْآفَاقِ مَنْشُورًا ، وَذَكَرَهُ الطَّيِّبُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَلَائِقِ كُلِّ أَوَانٍ مَذْكُورًا .

### المرتبة الثانية

( من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ بِحَاضِرَةِ دِمَشْقَ -

مَا يَفْتَتِحُ بِهِ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» وَفِيهَا عِدَّةُ وَظَائِفَ )

وَهَذِهِ نَسْخَ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ .

تَوَقِّعٌ بِقَضَاءِ الْعَسْكَرِ بِدِمَشْقَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ «مُحَمَّدِ الْإِخْنَائِي»

الشَّافِعِي ، بِهِ «بِالْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة، ومُرَادِفِ رَبِّ الإحسان لمن أخلص في الخدمة، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ السَّعْدِ لمن أطلعت كواكب أهتمامه في آفاق الأمور المهمة؛ والصلاة والسلام الأتمين الأتكين على سيدنا محمد وآله الذي بشر بنصر هذه الأمة، ووعد بأن سيكشف به غمام كل غممه، وأنه يتجاوز عن أهلها بشفاعته وكيف لا؟ وقد أُرْسِلَ للعالمين رحمهم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تُجْزَلُ لِقَائِهَا نَصِيْبُهُ من الأجر وتُوقَرُ قِسْمُهُ - فإنَّ أحقَّ الأولياء من تأكَّدت له أسباب السعادة، وكافأناه بالحسنى وزيادته، وبلغناه من إقبالنا غاية مآربه ومطالبه؛ وعُرفت منه العلوم التي لا يُشْكُ فيها، والنبأَةُ التي لا يُقَدَّرُ أحدٌ من أقرانه يُوفِّيها؛ والخبرة الوافية الوافرة، والديانة الباطنة والظاهرة؛ وسار بعُلوِّه المثل، وسلك مسلك الأولياء في العلم والعمل؛ وأعتبرت أحواله التي تُوجِبُ التقديم، وأختبرت فعاله التي ضاعفت له مزيد التكريم.

وكان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي أثقن العلوم بحجاً وتهذيباً، وبرهن عن المسائل الشرعية بأفهام تزيدها إلى الطالين تقريراً؛ وأوضح عويص مشكلاتها، وصحح من ألسن العرب لغاتها.

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لا زالت شمسُه بالعناية مشرقة، وأنوار فضائل أوليائه مُغدقة - أن يستقر فلان في وظيفة قضاء العساكر المنصورة الشامية: حملاً على ما بيده من التزول الشرعي، على عادة من تقدَّمه في ذلك وقاعدته، ومعلومه الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت. فهو الحاكم الذي لم يزل للعساكر المنصورة نعم الصاحب، والمُورِدُ على سمعهم من الأحكام الشرعية ما يقتدي به الحاضر والغائب؛ والقائم بأعباء العساكر المنصورة، والحافظ لنظام الملك الشريف على أحسن صورة.

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة وليُحَلَّ في قضاء العساكر المنصورة بطلَعته السَّيِّئَة ،  
وليفصل بينهم في الأسفار كلَّ قَضِيَّة ، وليرفِّهم طُرُق القواعد الشرعيَّة ؛ وليحتَرِز  
في كلِّ ما يأتِيه ويذرُّه ، ويقصِّده ويحذِّره ، ويورده ويصدِّره .

والوصايا كثيرةٌ ومنه تُستفاد ، وإليه يرجع أمرُها ويُعاد ، ولكن لا بُدَّ للقلم  
من المَرَج في ميدان التَّدْكار ، والتَّنبِيه على مِنهاج التَّقْوَى التي هي أَجْمَلُ شِعَار ؛  
واللهُ تعالى يَمُنِّحُه من إِحساننا جَزِيلَ العَطَاءِ والإيثار ، ويُسمِّعُه من أنباء كَرَمِنا كلَّ  
أَوْنَةٍ أَطْيَبَ الأخبار ؛ بِمَنِّه وَكَرَمِه ! .



تَوَقُّعٌ بَنَظَرِ جامع يلغا اليحياوى ، كُتِبَ به للامير جمال الدين «يوسف شاه»  
العُمَرَى الظاهريّ بـ «الجناب الكريم» وهو :

أما بعدَ حَمْدِ الله الذي أَظْهَرَ جمالَ الأتقياءِ في كلِّ مَشْهَدٍ وجامع ، وقَدَّمَهُ بما أولاه  
على كلِّ ساجِدٍ وراكِع ، وَخَصَّهُ من فَضْلِهِ بما قَصُرَتْ عنه الآمالُ والمَطامِعُ ؛  
والصلاة والسلام الأتمِّينَ الأَكْمَلِينَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عبده ورسوله مَوْلَى الخَيْرِ الواسِعِ ،  
والإحسانِ المُتَّباعِ ، وَمَنْ أَحْيَا جُودَ جُودِهِ النُّفُوسَ وَسَرَّ القُلُوبَ وَأَطْرَبَ ذِكْرُ  
عِظَاتِهِ المُسامِعِ ، وعلى آلِهِ وَصْحِهِ النُّجُومِ الطَّوَالِيعِ ، والذين أودَعهم العِلْمَ الذي آتاه  
لإِقَامَةِ دِينِهِ من لَاتَحْيَبُ لَدَيْهِ الْوَدَائِعُ ، والتَّشْرِيفِ و[الإكرام] ، والتَّبَجِيلِ  
والإِعْظَامِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ رَعَيْنَا لَهُ حَقَّ الخِدْمِ ، ووُقُوفَهُ في الطاعةِ الشريفةِ على  
أَثْبَتِ قَدَمٍ ؛ مَنْ قامَ بما لم يَقُمْ به غَيْرُهُ ، وحَسُنَتْ سِيرَتُهُ وَسِيرُهُ .

وكانَ فُلانٌ أدامَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ ، وحَرَسَ من الغِيَرِ مُهْجَتَهُ ؛ مِمَّنْ جَمَّلَ المَمالِكَ  
وَدَبَّرَهَا ، وضَبَطَ أموالَ الأوقافِ وَحَرَّرَهَا ؛ وأَرْتَفَعَ على الرُّؤُوسِ ، وحَصَلَ أموالُ

الأوقاف التي قَطَرَتْ حَصِيلُهَا أَكْبَادَ الْخَوَنَةِ وَسَرَّ مِنْ مُسْتَحَقِّهَا النَّفُوسَ - تَعَيَّنَ أَنْ نَعْرِفَ لَهُ مِقْدَارَهُ الَّذِي لَا يَخْفَى ، وَنُوفِيَهُ بَعْضَ حَقِّهِ فَإِنَّهُ الَّذِي بِالْإِحْسَانِ قَدْ أَوْفَى .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ الشريف - لا زال يُقْبَلُ عَلَى فَضْلٍ وَلَيْلَةٍ ، وَيُضَاعَفُ لَهُ الْبِرُّ الْمُسْتَمْتَرُ مِنْ غَيْثِ جُودِهِ وَوَلِيَّتِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ فِي كَذَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقِرَّ قَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمُبْرورِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فليباشِرْ هذه الأوقاف ، وَلْيَسْلُكْ فِيهَا طُرُقَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَلْيَتَّبِعْ شَرْطَ وَاقِفِهَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - الْمُجْمَعِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ ؛ وَلْيُجِبِ مَا تَشَعَّتْ وَتَخَرَّبَ فِي الْجَامِعِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ وَأَوْقَافِهِ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ ، وَلْيَقُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ؛ وَهُوَ أَعَزُّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَى مَنْ بَاشَرَهُ ، وَعَمَرَ دَائِرَتَهُ ، وَأَحْرَى مَنْ تَحَرَّى مَبَارَهُ وَمَا تَرَهُ ؛ وَمِيزَ أَوْقَافِهِ ، وَتَدَارَكَ بَنَافِيهِ تِلَافَهُ . وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ شَرْحِ الْوَصَايَا فَإِنَّهَا مِنْ آدَابِهِ تُعَرَفُ ، وَمَنْ بَحَرَ آدَوَاتِهِ تُعَرَفُ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الرَّءُوفُ ، فليَكُنْ عَلَى مُسْتَحَقِّ هَذَا الْوَقْفِ عَطُوفٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْزِلُ لَهُ أَجْرًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْخَيْرِ دُنْخَا .



تَوَقَّعْ بِنَظَرِ ثُرْبَةِ أَرْغُونِ شَاهٍ ، كُتِبَ بِهِ « لَقَبَا السَّيْفِيِّ بَوَاطَا » بِالْجَنَابِ الْعَالِيِ »

وهو :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَلَغَ الْأَوْلِيَاءَ مِنْ مَبَرَّاتِهِ الْأَمَلِ وَالْإِرَادَةِ ، وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَى مَنْ اسْتَحَقَّ بِحُسْنِ مُبَاشَرَتِهِ الزِّيَادَةَ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينِ الْأَكْمَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَاحِبِ لَوَائِ الْحَمْدِ وَالنَّصْرِ ، وَمَنْ جَاءَتْ آيَاتُ تَفْضِيلِهِ كَفَالِقِ الصَّبْحِ وَجَمَلَتْ حَاسِنُهُ كُلَّ عَصْرِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ فَنَصَرَهُمْ

الله ، وحجّوه بأنفسهم عن البأس ولم يحجّوه عن الناس لخفيض جناحه لمولاه ؛  
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلانٌ - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،  
والمنعوت بالنعوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رسم الأمر العالى - لازال إحسانه عَمِيماً ، وفضله لذوى الاستحقاق أبداً  
مُقِيماً - أن يستقر فلانٌ في كذا ، على عادة من تقدّمه في ذلك ومُسْتَقِرَّ قَاعِدَتِهِ ،  
بالمعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليباشِر ذلك بهمة العلية ، ونهسه الأبيّة ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى :  
فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسّيادة تحفظه ، والله تعالى يكمل وظيفته ، ويسهل  
إلى نجاح المقاصد طريقه ، بحمد وآله ! .



توقيع بتدريس الجامع الأموى عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن ثبّات ،  
كتب به للقاضى «نصر الدين المصرى» وهو :

أما بعد حمد الله معيد الحق إلى نصايه ، والغيث إلى مصابه ، والليت - وإن  
غاب - إلى مستقر غايه ، وشرف المكان إلى من هو أحق وأولى به ، وبحر العلوم  
إلى دوائر محافيه فى الدروس وإلى قوى أسبايه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الذى هاجر فرجع بغنيمته وإياه ، وطلع من ثنّيات الوداع طلوع البدر المشرق  
فى أنشاء سحابه ، وعلى آله وصحبه السائمين سبيل صوّه السالكين سبيل صوابه ،  
ما قطف من عُصْون أعلام العلماء ثممر «البيان والتبيين» متشابهاً وغير متشابه -

فَإِنْ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سِيرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَنَمُوَّ تَسْعُلِهَا مَا بَيْنَ قَتَرَةٍ مَغِيْبِهَا  
وَطُلُوعِهَا ؛ لَا سِيَّامَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُهْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ  
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَرْزِدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وَكَانَ مِنْ قُصَصِ هَذَا التَّلَوِّحِ ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَفْهُومُ نَفَرُهُ ؛ قَدْ  
حُمِدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ  
عَلَى وُجُودِ مَاضِي بُرْهَانِهِ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ : وَغَيْرُهُ مِنَ الْعِيَّ  
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُذْرِ مَحْمُولَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ  
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضُ الصَّبْيَانِ التَّقَدُّمَ إِلَى  
رَتْبَةِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَحْطُوبَاتِ الْأَكْبَرِ فَإِنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ  
مِنِّي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى مَجْلَى الْكَرِيمِ مِنْ غَابٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمْثَلِ بِهِ : وَمَا كُلُّ  
حَمْرَةٍ أَسَدٌ إِلَّا اللَّهُ فَلَيْسَ كُنْ فِي ذَلِكَ الْغَابِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَلَاتُ مَرَامِهِمْ جَمِيلَةَ الْعَوَائِدِ ، جَلِيلَةَ  
الْفَوَائِدِ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمَرَ  
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِبْطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لغيره : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَاخْتِبَارِ  
نَظَرِ النَّاضِرِ ؛ وَعِلْمًا أَنَّ هَذِهِ الْمُرْتَبَةَ لَمْ يَلْهُ إِتْقَانُ عَقْلِهَا وَنَقْلُهَا ، وَتِلَاوَةُ فِي مَوْضِعِ  
الْوَقْفِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

فَقُولَا لِلْمَنْوَعِ : مَا كُلُّ عِزٍّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي طَلَبٍ بِكَمَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٌ ؛ وَمِنْ  
أَيْنَ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي أَشْتَهَرَ نَفَرُهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامُهُ  
وَمَصْرُهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمِقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ  
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا النَّائِبُ وَكُلُّ نِدٍّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضِدٍّ مُبَرَّدٍ .



فليستمر على عادته الجميلة مُجَلًّا لزمانه ومكانه ، مُكَمَّلًا في وشائع العلم ما يثني  
« ابن الصَّبَّاح » من أَلوانه ؛ مَالِكًا لما حَرَّره « الشَّافِعِي » ، جازما بفعل مانصبه  
« الرَّافِعِي » ، ساميًا عن وفاء الوَاصِف : فسواء في ذكره إِسْرَافٌ بَيَانٍ أو إِسْرَافٌ عِيٍّ ؛  
شاملاً للطلبة المعتادين بعطفه ، مُقَابِلًا لِلْمُسْتَفْتِينَ بطائفته وأُطْفِه ؛ باحثًا عن دُرَر  
الجدال بفكره إذا بحث قلم بعض المجادلين عن حَتْفِه بِظُلْفِه ، داعيًا لهذا الملك  
الصالحِي فَإِنَّ دُعَاءَ الْعَالَمِ الصَّالِحِ سُورٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يُجْرِيهِ  
عَلَى خَيْرِ الْعَوَائِدِ ، وَيَمِدُّهُ بِاقْبَالِ النِّعَمِ الزَّوَائِدِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



تَوَقَّعْ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الدِّمَاغِيَةِ بِدِمَشْقَ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي  
بِحَالِ الدِّينِ « أَبِي الطَّيِّبِ ، الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ » الشَّافِعِيَّ ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ رَافِعِ مُنَادَى الْعِلْمِ بِمُقَرَّدِهِ ، وَيَبْتَ التَّقَى بِقَافِيَةِ سُودْدِهِ ، وَنَظْمِ  
الْمُفَاخِرِينَ إِذَا قِيلَ : « أَبُو الطَّيِّبِ » أَصْنَى الْحَقْلُ لِمُنْشِدِهِ ، وَمَشْهَدِ الْفَضْلِ بِإِمَامِهِ :  
وَحَسْبُكَ مَنْ يَكُونُ « الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ » إِمَامَ مَشْهَدِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَسَيِّدِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّائِرِينَ فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ عَلَى  
جَدِّهِ ، مَا تَحَبَّ نَسِيمُ الرُّوضِ بُرْدَهُ وَأَقْتَرَّ لَعَسُ السَّحَابِ عَنْ ثَغْرِ بَرْدِهِ - فَإِنَّ لِلْعِلْمِ  
أَبْنَاءَ يَنْشُتُونَ فِي ظِلَالِهِ ، وَيَسْكُنُونَ فِي حِلَالِهِ ، وَيَفْتَرِقُونَ لِلخَلْقِ بَيْنَ حَرَامِ الْمُشْتَبِهِ  
وَحَلَالِهِ ، وَيُجَمِّلُونَ وَجْهَ الزَّمَانِ : فَلَا عَدَمَ الزَّمَانِ مِنْهُمْ جَمَالَ وَجْهِهِ وَلا وَجْهَ جَمَالِهِ ؛  
تَرْتَسِفُ شِفَاهُ الْمَدَارِسِ مِنْ كَلِمِهِمْ كُلِّ عَذْبِ الْمَسَاغِ ، وَتُسَافِهُ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي فَضْلٍ  
مَا هُوَ عِنْدَ الْبَلَاغِ بِلَاغٌ ، وَتُشَاهَدُ مَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالرَّاسَةِ فَلَا عَجَبَ أَنَّ  
مَحَلَّهُمْ مِنْهَا مَحَلُّ الدِّمَاغِ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية بدمشق المحروسة رأساً في مدارس العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحكم والحلم؛ لا تسمو هممتها إلا بكل سامى العالمة، هامى الفضل كالغمامة، ساجع اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمامة، كائد للملحد مكرّم للطالب ولا كيد لابن الخطيب ولا كرامه - واسطة بين العادلة والأشرية تليق بمن يكون عقد كلامه المثنى، ونظامه الأمكن، وبيانه المنشد "أجارة بيتيماً" يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يحدّد لوجوه العلم جمالا، ووجوب الحمد نوالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى : لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله مجده، وحرس للسلمين أباه وأعلى بالسعادة جده - تدريس المدرسة الدماغية المذكورة : لأنه جمال العلم المعقودة على خطبته الآمال، المعدوقة بمقدمات فضله وقضله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سياه وشيمه ولا نكر : فإن الله جميل يحب الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالاً لقائل، وإذا شرح على قياسه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جارى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول : أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي» : من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟؛ «وآبن دقيق العيد» : ليت لى من هذه الدقائق بلغه؟، و«آبن الصباغ» : هذا الذى صبغه الله من المهدي عالماً! ومن أحسن من الله صبغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيأ ذكر «آبن نقطة» بعد مادارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دمشق عن أتى فى النسب «بعساكر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قرينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسباً، ومثل جيده المنقود لا يبهرج، والواصل نسباً، ومثل قرعه بعد أصله : «ولله أوس آخرون ونخرج» .

فليأشُرْ هذا التَّدْرِيسَ بعزائمِ سِرِّيَّةٍ ، ومباحثِ تُستَنارِ منها معارفِ القَوْلِ التَّبَرِّيَّةِ ،  
وطرائفِ لا تُحْبَسُ بِدِمَشْقَ عَلَى تَقْدَاتِهَا المِصْرِيَّةِ ؛ وَلْيَنْصُرْ مَذْهَبَ الإمامِ الشَّافِعِيِّ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِنَّ قَوْمَهُ الْأَنْصَارَ ، وَلِيُخَفِّضَ جَنَاحَهُ لِلطَّلَبَةِ فَطَالَمَا خَفَضَتِ الْمَلَائِكَةُ  
أَجْنِحَتَهَا لِيَصِيرَ فَلَا تُحِبُّ أَنْ صَارَ ! ؛ وَلْيَفِدْ وَافِدِيهِ وَهُوَ قَاعِدٌ أَضْعَافُ مَا أَفَادَهُمْ صَاحِبُ  
المَكَانِ وَهُوَ وَاقِفٌ ، وَتَقْوَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَى مَا طَالَعَهُ فِي سِرِّهِ وَجْهَهُ مِنْ "عَوَارِفِ  
المَعَارِفِ" وَاللهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِسْعَادِهِ وَلُطْفِهِ ، وَيُحَوِّطُهُ بِمُعَقَّبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ  
خَلْفِهِ ؛ وَيُضِيءُ بَارِقَ كَلِمَةِ الصَّيِّبِ ، وَيُطْرِبُ أَسْمَاعَ الطَّلَبَةِ بِالطَّيِّبِ مِنْ مَعَانِي  
« أَيْ الطَّيِّبِ » .



تَوَقَّعْ بِتَدْرِيسِ المَدْرَسَةِ الرُّكْنِيَّةِ الحَنَفِيَّةِ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي  
بَدْرِ الدِّينِ « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي المَنْصُورِ » الحَنَفِيُّ بِـ « المَلَقَرِّ العَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الذِي أَطْلَعَ بَدْرَ الدِّينِ مُشْرِقًا فِي مَنَازِلِ السُّعُودِ ، وَحَرَسَ سَمَاءَ  
مَجْدِهِ فَلَا يُطِيقُ مَنْ رَامَ جَنَابَهَا الْأَسْتَطْرَاقَ إِلَيْهَا وَلَا الصُّعُودَ ؛ وَجَعَلَ رُكْنَهُ الشَّدِيدَ  
فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ المَشِيدِ وَظِلَّهُ المَمْدُودِ ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْأَتَمِّينِ الْأَكْبَلِينَ عَلَى  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْحَوْضِ المَوْرُودِ ، وَالكَرَّمَ والجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نَجْمِ المَهْدِيِّ  
وَأَعْيَانِ الوُجُودِ ، مَا أَوْرَقَ عُودِ ، وَحَمِدَتْ عُقْبَى الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً  
إِلَى اليَوْمِ المَوْعُودِ - فَإِنَّ أَعْلَامَ المَهْدِيِّ لَمْ تَزَلْ مَنشُورَةً بِمَعَالِمِ العُلَمَاءِ ، وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ  
مَا بَرَحَتْ مُشْرِقَةً بِنِ تَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الحَيَاتَانِ فِي الْبَحْرِ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، وَطُولُ  
الْأَرْضِ إِلَى فُضَائِلِهِمْ أَشَدَّ أَضْطَرَارًا وَأَحْوَجَ إِلَى الْقَرَبِ إِلَيْهِمْ وَالْإِتِّمَاءِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ -  
أَدَامَ اللهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - مِنْ بَيْتِ شَهْدَتِ الْأَيَّامِ مَفَاحِرَهُ ، وَحَمْدِ الْأَنَامِ أَوَائِلَهُ وَأَوَانِرَهُ ،

وأُضْحَتْ عِوَنُ الزَّمانِ إلى ما ثَرَهُ نَاطِرُهُ ، وَغُصُونُ الفُنونِ بِفرائِدهِ ناضِرُهُ ، وَأوصافُهُ الجَليلةُ للأبصارِ والبصائرِ باهرُهُ ، وَأَصْنَافُ الفَضائِلِ من إِملائِهِ واردةٌ صادِرُهُ .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ العالِي - زادَهُ اللهُ تَعَالَى على العُلَماءِ إقبالاً ، وضاعِفَ إحسانَهُ إليهِم - وَوَالَى - أَنْ يَسْتَمِرَّ المِشارُ إِلَيْهِ فِما هُوَ مُستَمِرٌّ فِيهِ : من تَدْرِيسِ المَدْرَسَةِ الرُّكنِيَّةِ الحَنَفِيَّةِ ، بِظاهِرِ دِمَشقِ المَحروسَةِ ، حَملاً على ما بِيَدِهِ مِنَ الوِلايَةِ الشَّرعيةِ والتَّوَقُّعِ الشَّرِيفِ : رِعايَةِ لِحائِيهِ وتَوَقُّيرِ ، وإِجابةَ لِقَصْدِهِ الجَميلِ وتَوَقُّيرِ ، واستِمْراراً بِالْأَحَقِّ وتَقَرُّيراً .

فليَباشِرْ ذاكَ مِباشَرَةً أَلِفَتْ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ وَصَفُها الرِّزْكَ عَنْهُ ؛ وَلِيُوضِّحْ لِلطَّلَبَةِ سُبُلَ المِهادِيهِ ، وَلِيُوصِّلَهُمْ مِنْ مَقاصِدِهِمِ الجَميلَةِ إلى الغايَةِ ؛ وَلِيَسْلُكَ طَريقَةَ وَالِدِهِ ، فَإِنَّها الطَريقَةُ المُنْتَلَى ، وَلِيَتَحَلَّ مِنْ جِواهِرِ فَرائِدِهِ ، فَإِنَّها أَعْلَى قِيَمَةٍ وَأَعْلَى ، وَلِيُمَثِّلَ على الأَسْماءِ فِضائِلَهُ التي لا تُمَثَّلُ حينَ تُمَثَّلُ .



وهذه نسخةٌ تَوَقُّعِ بِتَدْرِيسِ المَدْرَسَةِ الخاتُونِيَّةِ البَرَّانيَّةِ الحَنَفِيَّةِ بِدِمَشقِ ، كُتِبَ بِها لِلشَّيخِ صَدْرِ الدِّينِ «عَلِيٌّ بنُ الأَدَمِيِّ» الحَنَفِيُّ بِـ «بِالْجَنابِ الكَرِيمِ» . وَكَأَنَّهُ في الأَصْلِ مِنْ لَقَبِهِ . «بَدْرِ الدِّينِ» لِأَنَّ البَدْرَ هُوَ المُناسِبُ لِهَذا الأَقْتِباحِ ؛ فَتَقَلَّه بَعْضُ جَهْلَةٍ الكُتَّابِ إلى «صَدْرِ الدِّينِ» كما تَراهُ . وَهذه نَسْخَتُهُ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي زانَ أَهْلَ العِلْمِ الشَّرِيفِ بِصَدْرِ أَخِي نُورِهِ الشُّمُوسِ ، وَأَعْلَاهُ - لِمَا حازَهُ مِنَ الشَّرَفِ الأَعْلَى - على الرُّؤُوسِ ، وَجَعَلَ كُلَّ قَلْبٍ يَأْوِي إلى تَبَيانِ بَيانِهِ يَومَ الدُّروسِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الأَتَمِّينِ الأَكْمَلِينَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَذْهَبَ اللهُ بِرِكَّتِهِ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ كُلِّ مَكْرٍ وَبُؤْسٍ ، وَخَصَّصَهُمْ في الدُّنْيا بِطَيبِ

الحياة وفي الآخرة بسُرور النفوس ، وعلى آله وصحبه صلاة مُثمرة الغُروس - فإنَّ أوَّلَ من تنصَّرف إليه الهِمَم ، من تَبَدُّو دلائل علمه كنورٍ لا نارٍ على علم ، وتسير فضائله في الآفاق سيرَ الشُّموس والأقمار ، وتبرز إذا يُبدِّها صدره من حُجبٍ وأستار .

وكان فلانٌ - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مُهَجَّتَه - هو الذي أُشيرَ إلى ما حواه صدره الكريم من الفضائل ، واشتهر في دروسه بإقامة الحجج وإيضاح الدلائل ؛ وبرع في العلوم الدِّينية ، وفاق أبناء عصره في الصَّناعة الأدبيَّة ؛ وأنفق كثره على الطُّلاب ، فأصبح "عمدة المحدثين" وأمسى "مُختار الأصحاب" ، «أبو يعلى» ينزلُ ببابه ، و «أبن عقيل» يرتدُّ على أعقابه ؛ و «أبن الحاجب» يرفعه على عينه ، و «الرازى» يذخر كسبه لوفاء دينه ؛ و «أبن بطة» يطيرُ من مواقع سِهَامِهِ ، و «مُقاتل» مجروحٌ بحدِّ كلامه ؛ و «أبن قدامة» متأخِّر عن مجاراته ، و «الأثرم» يحرس عند سماع عباراته .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لازال يجمع لمن برع في العلوم من ألوانِ المناصب المُختلفة ، ويرفع قدر القوم الذين قلوبهم على التقوى مُؤتلفة - أن يستمرَّ الجناحُ الكريم المشار إليه بالمدرسة الخاتونية البرانية الحنفيَّة ، حملاً على ما بيده من التزول الشرعى والولاية الشرعية : لأنَّه الخلاصة التي صَفَتْ من الأقدار ، والعُدة ليوم الجِدال إذا ولَّى غيره الأدبار ؛ والمختار الذي جَنَحَتِ المناصبُ السَّنيَّة إلى آخِثاره دون من سواه ، رغبةً فيما آذنه من الفضائل وحواه ؛ "بدايته" "نهاية الطلاب" ، وعلومه "مُحفَّة الأصحاب" ؛ إن حدث «فابن معين» بصحَّة نقله نيحاً ، أو فسَّر «فجَاهِد» عن مجاراته يعياً ؛ و «الزُّمخشريُّ» يبعدُ عن الحِوَار ، و «البغويُّ» يتبغى الوقوف على الآثار ؛ و «سيبويه» عند ما يُخَوِّق قصد "التسهيل" من لفظه المُغرِب المُعرب ، و «أبن عُصفور» يكاد يطيرُ طرباً لما يُبْديه من "المُرْفِص المُطرب" ؛

و « أبو يوسف » أصبح بَصُحْبِهِ مَنصُورًا ، و « محمد بن الحسن » أضحى برفقته مَسْرُورًا ؛ هو في القَدْر « علي » وفي الطريقة « محمود » وفي العلوم « محمد » ، وفي النطق والحركة « سعيد » وفي النظر « أسعد » ؛ وفي النضارة « النعمان » و « طاوس » يَحُلِّيْ جزءًا من كمالِ بَخْصَالِهِ ، و « الحسن » يَفْتَدِي بِحَسَنِ فَعَالِهِ ؛ نَشَأَ فِي الْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَفَلَهُ التَّوْفِيقُ وَزَانَتْهُ الْأَمَانَةُ ؛ فَهُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَمُسْتَخْلَصُ دُرِّهَا الْمَكْنُونِ وَمُظْهِرُ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ؛ لَوْ رَأَاهُ « الإمام » لَقَاسَ عَلَيْهِ بِالشَّمْسِ الْمُتَيَّرَةِ ، وَلَوْ عَاصَرَ الْأَصْحَابَ لَقَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَةً .

فَلْيَبَاشِرْهُمَا تَيْنِ الْوُظَيْفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ آكْتَسَتَا بِهِ بَعْدَ نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، وَلْيَلْقِ عُلُومَهُ الَّتِي يَقُولُ الْقَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا ؛ وَلْيُعَلِّمِ الطَّلَبَةَ إِذَا أَدْهَشْتَهُمْ كَثْرَةُ عُلُومِهِ أَنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، وَلْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْكَرِيمُ ، وَلْيَفُتِّحْ فِي مَبَاشَرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ وَنَظِيرٍ ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ، وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى عِمَارَةِ مَعَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الْوُظَائِفِ بِحَسَنِ مُلَاحَظَتِهِ ؛ لِيَزْدَادَ عِنْدَ الْخَلِيقَةِ جَلَالًا ؛ وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا يُغْنِي عَنْ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ وَفَضْلِ الْقَضَايَا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصَّدْرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابَ فِي وَرْدٍ وَلَا صَدَرٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسِّرُ الْقُلُوبَ بَعْلُو مَرَاتِبِهِ ، وَيُقِرُّ الْعُيُونَ بِبُلُوغِ مَقَاصِدِهِ وَمَأْرَبِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



تَوَقَّعْ بِخَطَابَةِ جَامِعِ جِرَاحٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبْنِ نُبَاتَةٍ ، كُتِبَ بِهِ لـ « شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عَمْرٍو » بـ « الْمَجْلِسِ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لِلنَّارِ شَرْفًا يَتَجَدَّدُ ، وَعَطَفًا مِنَ الْفَصَحَاءِ يَتَأَكَّدُ ؛ وَعِلْمًا مَرْفُوعًا لَا يَتَعَدَّى وَعِلْمًا مَنصُوبًا لَا يَتَعَدَّدُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ النَّفْلَيْنِ

وصاحب القِبْلَتَيْنِ مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه القَانَتَيْنِ القَائِمِينَ الرُّكَّعَ السَّجْدَ ؛ مَا عَظَّمَ  
خَطِيبٌ وَمَجَّد ، وبَدَأَ فِي حِلْيَةِ سِيَادَةٍ وَأُهْبَةِ خُطَابَةٍ وَهُوَ عَلَى الْحَالِينِ مُسَوِّدٌ - فَإِنَّ  
لَصَهَوَاتِ الْمَنَابِرِ فُرْسَانًا ، وَلِصُدُورِ الْمَحَارِيبِ أَعْيَانًا ، وَلِعْيُونِ الْمَشَاهِدِ أَنْاسِيَّ يُرَاعِي  
مِنهَا الْإِسْتِحْقَاقَ لِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانًا .

وَلَمَّا كَانَ جَامِعُ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَوُسِمَ  
بَاهِلِ الزُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعُفَتِ السَّمَاتُ تَقْوَى ؛ جَمَعَ الصُّلَحَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَتَجَمَّعَ  
الْفُقَرَاءُ : فَنِعِمَّ الْجَامِعُ لَهُمْ وَنِعْمَتِ الزَّائِرِيهِ ! ؛ وَمَفَزَعُ الْعُظَمَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبٍ  
وَكَرْبٍ ، وَمَطْلَعُ نُورِ الْهُدَاةِ الَّذِي أَغْرَبَ فَأُطْلِعَ نُجُومَهُمْ مِنَ الْغَرْبِ - تَعَيَّنَ أَنَّ  
نُخْتَارَ لَهُ الْخُطَبَاءَ وَالْأَئِمَّةَ ، وَنُتَخِبَ لِمَنْصِبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأُمَمَةِ ؛ وَتَنَاسَبَ حُضَارُ مَنْبَرِهِ  
بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ، الْمُسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ .

فُرُسَمَ بِالْأَمْرِ - لَازَلَتْ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ بِذِكْرِهِ أَرْجَاهُ ، وَأَعْلَامُهَا كَالْأُنْسَانَةِ بِمَجْدِهِ  
لَهْجَةً - أَنْ يَفُوزَ لِفُلَانٍ ... ... عِلْمًا بِاسْتِحْقَاقِ شَرْفِهِ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ ، وَصُعودِ  
هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالْمُضَيَّبَةِ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَوَّلَى بِدَرَجَاتِ الرَّتَبِ النَّفَاسِ ، وَالْأَجْدَرُ بِجَنَى فِرْعَوْنَ  
الْمَوَائِسِ ؛ وَالْإِمَامُ عَلَى الْحَالِينَ إِذَا قَامَتْ صُفُوفُ الْمَسَاجِدِ وَإِذَا قَعَدَتْ صُفُوفُ  
الْمَدَارِسِ ، وَالْعَرِيُّ الَّذِي إِذَا رَفَى ذِرْوَةَ مَنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ؛ وَالْوَرَعُ  
الَّذِي آثَرَفِي مَنَاصِبِهِ الْبَاقِيَّةَ عَلَى الْفَانِيَةِ ، وَمَنَابِرِ الْحُكْمِ الْمُضِيئَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الْحُكْمِ  
الْمَاضِيَةِ ؛ وَعَلَى مَجَالِسِ الدَّعَاوَى بِمَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وَعَلَى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ  
الصلوات ؛ وَعَلَى الْقَضَاءِ الْقَرَضِ ، وَعَلَى الرَّحْبَةِ <sup>(١)</sup> وَلَوْ كَفَّحِصِ الْقَطَاةَ مِنَ الْأَرْضِ ؛  
وَعَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ جَوْهَرَ الْفَضْلِ الْكَثِيرِ ، وَعَلَى "كِتَابِ أَدَبِ الْقَاضِي"  
"كِتَابِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

فليأشِر هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تدرأ مَوَاعِظُهُ الخُطُوبَ ، وَأَعِظًا من قَلْبٍ  
تَقَى تَصِلُ هدايا تُقَاه إلى القلوب ؛ فَصِيحًا تكاد المنايرُ تَهْتَرُّ طَرَبًا بَيَانَهُ ، نَحِيحًا تكاد  
أَجْنَحَةُ أعلامها تَطِيرُ فَرَحًا بِمَكَانِهِ ؛ شَامِلًا بِنَفحات فضله النِّوَاسِمَ ، كَامِلًا ! لو تَقَدَّمَ  
زَمَانُهُ لم يَقُلْ : « فلا الكَرَجُ الدُّنْيَا ولا النَّاسُ قَاسِمٌ » ؛ والله تعالى يَسُدُّ أَقْوَالَهُ  
وأَفْعَالَهُ ، ويرْفَعُ على المنابر والرتب والمراتب مقامه ومَقَالَهُ ، وَيُمَتِّعُهُ بهذه الرُّتَبَةِ التي  
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلحُ إلَّا لها ولم تكن تصلحُ إلَّا له » .

### المرتبة الثالثة

(من) توابع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دِمَشْقَ -

ما يفتتح بـ «رسم بالأمر» وفيها وظائف )

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين  
أَبْنِ نُبَاتَةَ ، كتب بها للشيخ «نُحْرُ الدِّينِ المِصْرِيُّ» أَسْتَمْرَارًا ، بـ «المجلس العالي» وهي :  
رِيسَمُ بالأمر الشريف - لا زال لِدَوْلَتِهِ الفَخْرُ على الإطلاق ، والمَنْ على الأعناق ،  
والكَرَمُ لَطَالِي الإِرْفَادِ والإِرْفَاقِ ، والتَّكْرِيمُ والتَّقْدِيمُ لِدَوِي التَّاهِيلِ والأَسْتِخْقَاقِ ؛  
ولا بَرَحَتْ النِّعَمُ الثَّابِتَةُ لِلسَّاجِعِينَ بِمَدْحِهِ الْمُطْرَبِ قَائِمَةٌ مقام الأنطواق - أن يستقرَّ  
فَلَانٌ ... .. نفع الله ببقائه ، ورفع عُيُونَ الأَنْجُمِ لدرجات أَرْتِقَائِهِ ؛ : لفوائده  
التي شَمِلَتْ الْوَرَى ، وَعَلَتْ الذُّرَا ، وَحَدَّتْ الأفْهَامُ عند صَبَاحِهَا السُّرَى ، وَقَعَدَتْهَا  
مُسْبِلُ ذَيْلِ الْحَيَاءِ وسار بِذِكْرِهِ من لا يَسِيرُ مُشْمَرًا ؛ وَمَنْزِلَتِهِ التي نَصَبَتْ لِلهُدَى  
عَلَمًا ، وَأَلْفَاظُهُ التي أَعْرَبَتْ عن بَدَائِعِ بَهْرَتِهَا فَمَاتَحَ بِمِثْلِهَا الْعُلَمَاءُ قَمًا ؛ وَأَسْتِنْبَاطُهُ



الذى يقول للأول : قال وقتلتم ، وأقام وزلتم ؛ واحتياطه الذى يقول للسائلين :  
 أهبطوا من أنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتم ؛ وأنه الفاضل الذى ما استنار  
 بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما استطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه  
 شفتاه ؛ كم جلس للأشغال فتى أنفَس المارة عن أشغالها ! ، ونصر العلم فى حلقته  
 المجنّدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ! ؛ كم سلم لبيان بحثه  
 الحقيقى والمجازى ! ، وكم سطرت لمناظرته الحمديدية مع أهل الزنج سير ومغازى ! ،  
 وكم خلاص دينار فهمه المصرى على النقد فهيات أن يروى مثله «الرازى» ! ؛ كم نفرت  
 مضراً بانتسابه ! ، ودمشق بسقيا سخابه ! ، وكم قال الرازى : لیت لی هذا الفخر  
 فأروى فى الأول بقى خطيبه وفى الآخر بقى خطابه .

فليستمر - نفع الله به - على وظيفته الماثورة ، وحلقته التى نصبت على مصايد  
 كلماته المشهورة ، ومائدة عليه المنصوبة وذبول منافعها فى الآفاق مجرورة ؛  
 وليواظب على جلوسه بالجامع المشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم  
 وغيره كما يقال : على المفتوح ؛ سالكا من نهج الإفادة مسالكه ، مكثراً بأجنحة فتاويه  
 الطيارة ما يبسط لديه من أجنحة الملائكة ؛ متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم  
 والعمل ، مستنداً فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحلمه : يا سارية الجبل  
 الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من  
 أوكار القبل ؛ والله تعالى يمدّه بعونه وأطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين  
 من بين يديه ومن خلفه ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القضاة ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به  
 لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنفى المقرئ بـ «المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنفرهم ذكراً، وأخدمهم أمراً،  
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كلاًهما وتمراً - أن  
يرتب فلان ... : لما شهر من علومه السيّنة ، وفوائده السريّة ، ووجوه فضائله  
الحسنة ، وعيون كلماته المتبيّنة إذا كانت بعض العيون مستوسنة ، ولأنّه غريب  
في الوصف والمكان ، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى  
« النعمان » ، وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » الحجة ، وتوصّحت ببيانها  
الحجّة ، وتعيّن محله الأثير ، وروى الطالب من علمه عن « نافع » ومن ذهنه  
في الفوائد عن « ابن كثير » ، وأنّه نخر الحنفية القائم في السمعة مقام « رازيها » ،  
المطلّ بمنسّر قلبه على المعاني إطلال بآزها ، « الأتمل » الذي له من علوم صدره  
خزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو المكانة .

فليباشر تدريس هذه المدرسة المباركة : حقيقاً بجلوس صدرها ، خليقاً بتجديد  
شرفها وذكراها ، مظهرًا للآيات النكت في زواياها ، جديرًا بأن يكون في خفايا  
المسائل ابن جلاها وطلاغ ثاياتها ، يملأ ببيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويُسِيرُ  
بنان قلم فتياه ما يتجدّد له من رفعة ، وينسّط إدلال الطلبة حتّى يأكلوا في القصّاعية  
معه في القصّعة ، والله تعالى يسره من مدارس الحنفية بهذه البدايه ، ويقرّه بما  
يتجدّد من وظائفها التالية : ( وما نريهم من آية ) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الطرخانية ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به  
للقاضى جمال الدين « يوسف الحنفى » بنزوي من والده ، وهى :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لازالت مواطنُ العلمِ مُكَمَّلَةً بِذِكْرِهِ ، مُبَجَّلَةً بِأَمْرِهِ ،  
 مُؤَهَّلَةً<sup>(١)</sup> لِكُلِّ يَوْسُفَى الْجَمَالِ يَذْكُرُ عَزِيزُ شَامِهِ عَزِيزُ مِصْرِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي كَذَا ،  
 بِحُكْمِ مَا قَرَّرَهُ مَجْلِسُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ الشَّافِعِيِّ ، وَنَعَمَ الْمَالِكُ لِمَذْهَبِ شَافِعٍ ، وَاتَّبَاعًا لِمَا  
 حَرَّرَهُ الْجَنَابُ الشَّرِيفُ الْقَوِيُّ ذُو النَّسَبِ الصَّحَابِيُّ الَّذِي كُلُّ أَمِيرٍ لِأَمْرِهِ تَابِعٌ ،  
 وَعَمَلًا بِمَا رَأَاهُ الرَّأْيُ الْكَرِيمُ الَّذِي إِذَا كَانَ الْجَمَالُ شَافِعًا كَانَ هُوَ لِلْجَمَالِ شَافِعًا ، وَإِذَا  
 أُنْشَأَ مِنْ أُنْبَاءِ الْعُلَمَاءِ قُرُوعًا [لَا] تَمِيلُ عَلَيْهِمُ الْأَيَّامُ مِيلَهُ ، وَإِذَا وَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِمْ  
 الْأُنْدَادُ قَالَ اقْتِصَارُ نَسَبِهِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا بِيَّ اللَّهُ ذَاكَ وَبَنُو قَيْلَةٍ ؛ وَقَبُولًا لِنَزُولِ<sup>(٢)</sup>  
 هَذَا الْوَالِدِ الَّذِي أَعْرَقَتْ فِي آفَاقِ الْعِلْمِ مَطَالِعُهُ ، وَإِقْبَالًا عَلَى هَذَا الْوَلَدِ الَّذِي تَجَحَّتْ  
 فِي أَسْتِحْقَاقِ التَّقْدِيمِ مَطَامِعُهُ ؛ وَعِلْمًا بِخِجَابَةِ هَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي طَابَ أَصْلًا وَفُرَا ،  
 وَقَدَّمَ نَفْسَهُ وَوَالِدَهُ وَتَرًّا وَشَفْعًا ؛ وَهَذَا الْبَادِي الشَّيْبَةِ الَّذِي يَأْمُرُ بِفَضَائِلِهِ عَلَى  
 الشَّيْبِ وَيَنْهَى ، وَهَذَا الْوَاضِحُ الدَّلَالَةِ عَلَى مَفَانِحِ قَوْمِهِ : حُبِّدَا الدَّعْوَى وَبَيِّتْهَا  
 مِنْهَا ؛ وَهَذَا النَّجِيبُ الَّذِي قَدَّمَهُ أَبُوهُ مُنْجِبًا ، وَذَكَأُوهُ مُعْجِبًا ؛ وَقَلَمُهُ فِي الْأَوْرَاقِ  
 مُعْشِبًا ، وَاشْتِغَالُهُ : إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيُّسَهُ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ مَحْفُوظَاتِ كُتُبِي  
 مَا يَقَارِبُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ؛ وَإِذَا دَرَسَ كَانَ لَطَلَبَتُهُ مَلَاذًا ، وَإِذَا عَانَدَهُ مُعَانِدٌ قَالَ  
 بَرَفِيعِ هِمَّتِهِ : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنِ هَذَا ؛ وَإِذَا قَرَأَ كُتُبَ فَصَاحَتِهِ أَذْهَلَ ذَوِي  
 الْأَلْبَابِ ، وَإِذَا فَتَحَ لِتَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ فَاتِحَةً ، عُوذَ بِفَضْلِ : (( أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ))  
 وَإِذَا رَوَى الْأَحَادِيثَ أَطْرَبَتْ حَقِيقَتُهُ السَّمَاعَ ، وَإِذَا أَخَذَ فِي دَقَائِقِ النَّقْلِ وَالْعَقْلِ  
 عُلِمَ وَعُقِلَ أَنَّ الْفِكْرَةَ صَنَاعٌ .

(١) في القاموس «أهله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هي قيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليباشر هذه المدرسة المباركة ببيان عربيّ وإن كان نَسَبُهَا طَرَحَانِيًّا ، وَعِلْمُ رَوْضِيٍّ  
لا يَعْرِفُ العلماءُ شَقِيقَهُ وإن كان مَذْهَبُهُ نُعْمَانِيًّا ؛ وَمَبَاحِثُ تَذَكِّي نَارِ قَرِيحَتِهِ : فَمَكَّم  
طَبِخَ لَأَنْدَادِهِ مِنْ أَصْحَابِ «الْقُدُورِيِّ» قَدْرًا ، وَلَزُومَ دَرَسِ يَسْرُ أَبَاهُ بِمَذْهَبِهِ : فَإِنَّهُ  
الْقَاضِي «أَبُو يُوسُفَ» خَبَرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَخُبْرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَصُونُ شَيْبَتَهُ الْمُقْبِلَةَ مِنْ  
طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ، وَيَنْفَعُ بَعْلُومَ بَيْتِهِ الَّتِي مِنْ شَكِّ مِنْهَا فِي الْحَقِّ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْحَدَثَانِ .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأمويّ ، من إنشاء ابن نبّاتة ، كُتِبَ بِهِ  
لـ«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زَالَتْ نِعْمُهُ ظَاهِرَةٌ الْفَضْلُ كَالشَّمْسِ ، طَاهِرَةٌ  
الْوُضُوحِ مِنْ دَنَسِ اللَّبَسِ ، وَافِرَةٌ النُّوْفِ يَوْمَهَا قَاصِرٌ عَنِ الْغَدِ زَائِدٌ عَلَى الْأَمْسِ - أَنْ  
يَرْتَبَ فَلَانٌ فِي كَذَا وَيَرْتَبَ لَهُ كَذَا عَلَى الْمَصَالِحِ ، فَمَكَّم لِلْسَّامِعِينَ فِي جَامِعِ عِلْمِهِ مَصَالِحَ ،  
وَفِي مَنَافِعِ قَصْدِهِ مَنَاجِحَ ؛ وَفِي فَوَائِدِهِ نَصِيبَ ، وَفِي طُرُقِ هُدَاهُ مَعَالِمَ : وَلَا تُشْكِرُ  
”الْمَعَالِمَ“ لِابْنِ الْخَطِيبِ ؛ لِيَتَنَاوَلَ هَذَا الرَّائِبُ الْمُسْتَقَرُّ مِنْ أَحَلِّ الْجِهَاتِ وَأَجَلِّهَا ،  
وَتَكُونَ شَمْسُهُ الْمُبَارَكَةُ خَيْرَ شَمْسٍ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ؛ عَوْضًا عَمَّا نَزَلَ عَنْهُ مِنْ تَدْرِيسِ  
الْحَلَقَةِ الْمَعْدُوقَةِ بِصَاحِبِ خِمَصٍ وَتَصْدِيرًا بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ يَسِطُ بِهِ أَنْوَارُهُ  
الشَّمْسِيَّةُ ، وَيَنْقَلُ أَسْمُهُ إِلَى إِمْرَةِ الْعِلْمِ بِدِمَشْقَ عَوْضًا عَنِ الْحَلَقَةِ الْحِمَصِيَّةِ ؛  
فَلْيَعْتَمِدْ مَا رُسم بِهِ ، وَلَا يَتَحَوَّلْ عَمَّا قَضَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ بِمُوجِبِهِ .

## الضرب الثاني

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بالشام -

ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين )

## المرتبة الأولى

( ما يُفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف )

توقيع بتدريس المدرسة النورية بدمشق<sup>(١)</sup>، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،

كتب به للقاضي زين الدين «عمر البلقاني» بـ «المجلس العالي» وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لأوجوه العلم زيناً وأى زين ، وأقرلاً ما كنها عيناً  
بمن يكون التنبيه على فضل مكانته فرض عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد  
تمكّنه في العقل والنقل قيل : صادق «ذو الدين» ، وأحيا مذاهبها بمن إذا عقدت  
الخصاصر على أمثاله العلماء كان أول العمد وثاني الغيث وثالث «العمرين» ؛  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبين الهدى وسنه ،  
وأرهف شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم «علي» مفتاح مدينة العلم  
و«عمر» سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة  
طلقة العنان مطلقة الأعنة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، ومجالس  
فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل وتعلل لاعمتل ألسنتها بعد مستحقها  
ولا انتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصابيح كلمه ، وفشت كماؤها النورية  
عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهود أهلها من هداة  
الاسلام وأوقات ذى سلمه .

(١) صوابه بجمع ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولمَّا كان فلانٌ هو المقصودُ بـخلاصة هذا المعنى، والممدودُ إليه نظرُ هذا الوصفِ  
 الأنسنى؛ والعالمُ الذي تشبَّه بأسبابِ محاسنِه بلدُ «الهرمين» ، والسابقُ وإن خلا  
 وقته الطاهرُ خلف وقت «إمام الحرمين» ؛ كم أجتنى ثمرَ الفوائدِ من أصلٍ وقرعٍ ؛  
 وكم بات قلمُه من ورقٍ فتاويه وإسكاتِ مناويه بين وصلٍ وقطعٍ ؛ كم صدق برقُ  
 بدِيته الأفكارِ حين شامتٍ ؛ ، ولم تنبث عند ليالى المُشكلات <sup>(١)</sup> «عمر» ثم نامت ؛  
 وكم تهادت نظره كُتبُ العلمِ حتى قال «كتاب الأئم» : نِعَم الولدُ النَجيبُ ، وقال  
 «كتاب الروضة» : نِعَم أخو الغاث الصَّائب على رياضِ القولِ المصيب ؛ وقال  
 «الشامل» من فضله : هذا لطلبته «نهاية المطلب» ، وقال «التنبيه» على محاسنِه :  
 كَيْتَ «النايعة» رآه فدرى أىُّ الرجالِ «المهذب» وكانت المدرسة الشَّهيدية النُّورية  
 بمَحْضِ المحروسة قد شهدت مع مَنْ شَهِدَ بفضله ، وسَعِدَتْ بنبْله ؛ ووُئِمَّتْ بعِلْمِ  
 عِلْمِه ، وسَمَّتْ سُمُوَّ الشَّهَاءِ : هذه بمقرِّ تدريسِه وهذه بمجلسِ حكمِه ؛ ثم زار دِمَشَقَ  
 زُورَةً تشوّقت [إليه] بعدها تلك المشاهد ، وتشوّقت إلى العودِ هَاتِيكَ المَعَاهِدِ ؛ وقضى  
 الوفاءُ أن يُعادَ إليها أحسنَ إعادَه ، وأن يَرجِعَ إلى الأماكن الشَّهيدية الشَّاهدة بِبرِّه  
 فتكون منه عادةً ومنها شهادَه ، وأقْتضى الاستحقاقُ أن يردَّها بالمعلومِ المُستَقَرِّ وزيادة  
 وأحسنُ ما وُردَ البحرُ في الزَّيَادَه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - أعلاه الله وشرفه ، وحلّى بسيرِه الصَّالحة سَمْعَ  
 الدَّهْرِ وشَتَفَه - أن يستقرَّ فلانٌ في تدريسِ المدرسة النُّورية بِمَحْضِ المحروسة على

(١) يشير الى بيت بشار في مدح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي .

إذا أيقظتك حروب العدا \* فنبهه لها عمراً ثم نم

وبعد

فنى لا ينام على غرة \* ولا يشرب الماء إلا بدم

عادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرر له مجلس الحكم العزيز الشافعي  
بدمشق المحروسة : رعاية لتلك المعاهد النورية التي تتأرجح بها الآصال والبكر ، وأنوار  
القبول القائلة لوفاها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال  
الغيث على الماحل ، وليقل بلسان تقدّمه لمعانيه : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى  
خص في قابل ؛ ولينصربقاعها الخصىة بجلاذ جداله فإنها من أول جند الإسلام ،  
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ ثمراً من  
أقلام علومه أزكى الغروس ، مظهرًا من مباحثه النفائس مبهجًا من طلبته النفوس ،  
عامراً لمعاهدها بدروسه : وياعجباً لمعاهد تُعمر بالدروس ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة  
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي  
بأفعاله أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يعضده في رحلته ومقامه ،  
ويمتع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروى صدق مضر  
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من غمامه .

### المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح بـ«رسم بالأمر» ، وفيها وظائف )

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب بها

لـ«شهاب الدين بن أبي النور» ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت شُهْب أوامره عالية السَّنا والسَّناء، وَفِيَّةً لَدَوِي  
الاستحقاق بمزيد الاعتناء والاعتناء، جَلِيَّة البرِّ بمن شهد بحُسنِ حِسْبته حتى لسانُ  
الميزان وفمُ الكَيْل وَشَفَةُ الإناء - أن يستمرَّ فلانٌ ... لِمَا ذكر من أوصافه التي  
ضاعفت فيه الرُّغْبَة، وحالفت به سُمُو الرُّتْبَة، وشهدت بها حِسْبته تِلْوَ الشُّهُود :  
وحسبك من أجمعت على فضله شهادة الفِرْض وشهادة الحِسْبَة، وَلِمَا صحَّ من  
كفائه وتجربيه، وَوَضَّح في هذه الوظيفة من تدرِّيسه التي تدرِّى به، وَلِمَا تعيَّن  
من استمرارِ شهابه في المنزلة التي تكتسب من أضوائه وتكتسب، وهذه الرتبة التي  
تعلو بمعرفته : وكفاه أنه يرزق من حيث يُحْتَسِب ومن حيث لا يُحْتَسِب ! ؛ وأنه  
فيها ذو الرأى الزائد، والنفع الوارد، والشهاب الذي نُورُهُ هداه في وجه المريد وأثرُ  
كُتْبِ حِسْبته في وجه المارد ؛ وأنه وَلِيَّهَا وَلَايَةٌ لا تزال تُذكر وتُشكر، وعُرفَ بوفائها  
وكان أوفى من أمرٍ معروف أو نهى عن مُنكر ؛ وأنه قام حقَّ القيام حتى قال  
البلد : رعى الله زمانك، وأجتهد حتى قال الاعتبار للميزان : لا تُذكر الزينج  
ولا تُحرك به لسانك .

فليستمرَّ في حِسْبته المباركة استمراراً يُستحلى ذِكْرُه، ويُستجلى في الأسمِ شهابه  
وفي السَّمة بدُّه، وليُحْتَسِب في نفع المسلمين حِسْبَة يُحْتَسِبُ بها عند المملكة ثناءه  
وعند الملائكة أجره ؛ سالكا على نهج العزم الجميل، جاعلاً أولَ نظره من أقوات  
الرَّعِيَّة في الدقيق والجليل ؛ مُسْتَبِيناً لما ألبس من غشِّ المطاعم والمشارب فلم يَسْتَبِنْ،  
حاكماً - ولا سِيماً في قاعات بعلبك - بِرَأْيٍ يَفَرِّق بين الماء واللبن ؛ حاثاً على بيع  
المالِ كُلِّ بَخْرَةٍ من مَلَأَ بَصَرَه، حريصاً على أن لا يُنْشِدَ لِسَانُ الدَّاحِلِ فيه « وَمَنْ لَمْ  
يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغْيَرَه » ؛ دافعاً ضرر المجترى البائع عن المُشْتَرِي المسكين، ذِكْياً  
فيما يُدْكَى فيسْدَج بيسكين ويذبح مُتَنَاوِلَه بغير سكين ؛ قاضياً بالحق في كلِّ ما يُشْتَرَى



وبياح، متكئاً في أنواع الملابس وغيرها بالبائع والذراع؛ وأزناً بالعدل في كل مؤزون ومكيول، رادعاً لكل عمال مدهين في كل مدهون ومعمول، حاملاً على الحال المستقيم كل حى لديه وكل من هو على آلة حذباء محمول؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع زائده، ومن زاد في الاشتطاط وتجديد الشراء فليقطع بالنكال زائده؛ ومن دس في الأثرية فلا يلبث أن يغلط التأديب وأن يريقه، ومن سقى الضعفاء منها كما يقال: سقية فليسهه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقة؛ ومن عانى صناعة ليس له فيها يد فليزيمه بما بسط في إفساده اليدين، ومن حكم في صناعة الطب بما لم يسغ في المسائل فليضرفه منها بحفى حنين؛ ومن تمرّد في معاملته فليرده بالقهر إلى صالح مرده، ومن عدا وعتا فليعامله بما يخرج من الترح لا من الفرح من جلده؛ مقدماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جزع، مستعيناً بالديوان فيما أهم؛ فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع؛ مجتهداً فيما يزيد تقدّم سعيه المشكور، وصنعه المبرور، منيراً لآفاق منصبه وكيف لا وهو الشهاب بن أبي النور؟؛ وتقوى الله تعالى هي السيل الأقوم فليكن لها منهاجا، وليواظب على طريقة الحق؛ فكتم شرعنا حاد وكم خير منها جا ! .



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز، بالركب الشامى، من إنشاء ابن نباته، كتب به للقاضى «قطب الدين السبكى» وهو :

رسم بالأمر - لا زال يُقر بالوظائف الدينية من يحبها ويحبّه ، ومن يتوارد على ذكره بادی الشكر وركبه ، ومن إذا بدت مطالع الخير فهو نيره وإذا دار فلک الثناء فهو قُطْبُه - أن يستمر ... : لما ذكر من وصفه الجميل ، وأستحقاقه الذى دلّ عليه

البرهانُ فى مُحْفَلِهِ وبرهَنَ فى مَوْكِهِ الدليلُ ؛ وِدِيَانَتِهِ التى هى لمباني الأوصاف الرِّفِيعَةِ  
أَسَاسٌ ، وكَفَاءَتِهِ التى لها من نَفْسِهِ نَصٌّ ومن نَفْسِ قومه قِياسٌ ؛ ومَرَبَاهُ فى بَيْتِ  
تَقِيٍّ صَحَّتْ تَجَارِبُ مَعْدِنِهِ عَلَى السَّبْكِ ، و [دلت] مَنَاقِبُهُ عَلَى آسْتِحْقَاقِ الرَّتَبِ التى يَقُولُ  
بَشِيرُهَا : قِفَا نَبْتَسِمُ ! ويقولُ حَاسِدُهَا : قِفَا نَبْكُ ؛ وَلِمَا تَقَدَّمَ من تَشَوُّفِهِ لِهَذِهِ  
العَزْمَةِ النَاجِحَةِ ، وَتَشَوُّفِهِ من هَذِهِ المَبَرَّةِ الشَّرِيفَةِ الصَّالِحِيَّةِ بِسُلُوكِ تِلْكَ الفِجَاجِ  
الصَّالِحِ ؛ ولأنَّ الضَّعْفَ عَاقِبَهُ عن المَاضِى فَأُطْلِقَتْهُ الآنَ هَذِهِ القُوَّةُ ، وجعلتْ لَهُ  
بَأَوْفَى القَادِرِينَ عَلَى الحَسَنَاتِ والإِحْسَانِ أُسْوَهُ ، ومَكَّتْهُ فى هَذِهِ الشُّقَّةِ الطَوِيلَةِ  
عَلَى سَبَبِ أَذْيَالِ المَعْرُوفِ من مَنَزَلِ الكُسُوفَةِ إِلَى مَنَازِلِ ذَاتِ الكُسُوفِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الوُضُوفَةَ المَبْرُورَةَ بِعَزْمٍ يُبِيرُ من الوجودِ مَا كُنْهَ ، وَحَزْمٍ يُبِيرُ من المَدْحِ  
المَشْكُورِ كَامِنَهُ ، وَتُؤَمِّنُهُ عَلَى أَلْسِنَةِ التَذْكَارِ يَمُضِى وَتَبْقَى حَتَّى تَكَادَ تَكُونُ لِلْكَوَاكِبِ  
السَّبْعَةِ تَامِنَهُ ؛ مُتَصَرِّفًا فى الإِرْفَادِ والإِرْفَاقِ ، بَآرَاءَ يُؤَيِّدُ اللهَ [بِهَا] الَّذِينَ هُم رِفَاقُ  
وَأَيُّ رِفَاقٍ ؛ مُتَفَقِّا فى سَبِيلِ اللهِ عَلَى يَدِهِ أَعْدَلَ إِنْفَاقٍ ، حَامِيَا عَدْلَهُ من لَفْظَةِ نِفَاقٍ ؛  
مُخَصِّبَا بِإِنْعَامِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ فى القَفْرِ المَاحِلِ ، حَامِلَا لِلنَّقْطِ عَلَى أَنْهَضِ وَأَبْرَكِ  
الرَّوَاحِلِ ؛ مُوَاصِلَا لِنَقْلِ الأَزْوَادِ إِقَامَتَهُ وَمَسِيرَهُ ، وَبِالمَاءِ والشَّرَابِ الطَّيِّينِ الطُّهُورِينَ  
ضَعِيفَهُ وَفَقِيرَهُ ، وَبِأنواعِ الأدويةِ والعَقَاقِيرِ التى تَعْمُ مُتَابِعِ الرِّكْبِ [و] عَقِيرَهُ ، وَتَجَبُّرِ  
عَلَى الحَالِينِ كَسِيرَهُ ، وَبِوَفَاءِ جَمِيعِ المَسْتَحِقِّينَ تَالِيَا عن لِسَانِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ :  
( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ) دَاعِيَا بِجُلُودِ مُدْكَهَا فى تِلْكَ المَشَاهِدِ  
الَّتِى هِىَ بِقَبُولِ مَصَاعِدِ الدَّعَوَاتِ وَزُؤُولِ مَوَاعِدِ البَرَكَاتِ جَدِيرَةٌ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَتَقَبَّلُ  
دَعَاءَهُ وَسَعِيَهُ ، وَيُحَسِّنُ كَلَامَتَهُ وَرَعِيَّةَ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .

### الصنف الثالث

(من التواقيع التي تُكتب لأرباب الوظائف بِدمشق - ما يكتب لأرباب  
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

#### الضرب الأول

( ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ، وهو على ثلاث مراتب )

#### المرتبة الأولى

( ما يفتح بـ «الحمد لله» وفيها وظائف )

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكتابة الدست بِدمشق ، كُتب به لنساج الدين « عبد الوهاب »  
ابن المنجا التنوخي ، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيماً حلّ حلّ المراتب وزانها ، وغدا على التحقيق  
كُفأها ووزانها ، وألبسها من براعته ويراعته عقوداً تزرّ دُررها وجمانها ، ومنح  
دستها العلى من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصالته نفاًراً يستصحب وقتها  
وزمانها ، وأرتقى ذروتها التي طالما زاد بالمعالي أركانها ، فتبواً بمزيد المجد مكانها .

نحمده على نِعَمِهِ التي أجزلت إحسانها ، وأجمت أمتنانها ، ونشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ، ويدّخر القائل إلى يوم المخاف  
أمانها ، ويتبوأ بها في الدار الآخرة من يُخلص فيها جنّاته جنّانها ، ونشهد أن سيدنا  
محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه  
الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل

الهِدَايَةِ وَبُرْهَانَهَا ، وَأُطْفَأَ بُنُورُ إِرْشَادِهِ شَرَرَ الضَّلَالَةِ وَنِيرَانَهَا ، وَأُنْجِدَ بَدِينَهُ الْقَوِيمَ  
وَصِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ مُعْتَقِدَاتٍ [ طَوَائِفَ ] الشَّرِكِ وَأُدْيَانَهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَزَهَّدَ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ وَصَانَهَا ، وَسَلَكَ فِي خِدْمَتِهِ وَصُحْبَتِهِ  
الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى فَأَحْسَنَ إِسْرَارَ أُمُورِهِ وَإِعْلَانَهَا ، صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً تَحْمَدُ بِالْأَجُورِ  
أَقْرَانَهَا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ جَدَّدَنَا رِفْعَةً تَاجِهِ ، وَسَدَّدَنَا قَوْلَهُ فِي مَجْلِسِ عَدْلٍ يَنْشُرُ فِيهِ  
بِكَلِمَةِ الْحَقِّ مَا أَنْطَوَى مِنْ أَذْرَاجِهِ ، وَحَدَّدَنَا لَهُ مَحَلَّ سَفَارَةٍ يَلْحَظُ فِيهِ حَوَائِجَ السَّائِلِ  
فَيُغْنِيهِ عَنِ الْحَاجَةِ وَبِحَاجَتِهِ - مَنْ هُوَ فِي السُّؤْدُدِ عَرِيقٌ ، وَلِسَانُهُ فِي الْفَضَائِلِ  
طَلِيقٌ ، وَقَلَمُهُ حَلَّى الطُّرُوسِ بِمَا يُفُوقُ زَهْرَ الرِّيَاضِ وَهُوَ لَهَا شَقِيقٌ ، وَكَانَ فُلَانٌ  
هُوَ الَّذِي عَلَا تَاجَهُ مَفْرِقَ الرَّاسِ ، وَجَلَا وَصْفُهُ صُورَ الْحَاسِنِ وَالنَّفَاسِ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَلَّى جَمِيلًا ، وَيُؤَلَّى الْمَنَاصِبَ الْجَلِيلَةَ جَلِيلًا - أَنْ  
يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَةِ تَوْقِيعِ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عِوَضًا عَنْ فُلَانٍ  
بِحُكْمِ وَفَاتِهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تُشْكِرُ مَدَى الزَّمَانِ ، وَتُحْمَدُ كُلَّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ، وَلْيُمَلَأْ بِالْأَجُورِ  
لَنَا نُصْحًا بِمَا يُؤَدِّيهِ عَنَّا مِنْ خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَلْزِمِ  
عَلَيْهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ وَيَرْعَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَنْ تَوَلَّاهُ ،  
وَالْإِعْتَادَ ..... .



[ وَهَذِهِ نَسْخَةٌ ] تَوْقِيعَ بَنْظَرِ الْخَاصِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي

«بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ رِبَّانٍ» ، وَهِيَ :

الحمد لله معلى رتب الأعيان ، ومبقى أجباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبدي  
”بهاء“ المناصب ، بمن فضله الواضح والصبح سيان ، ومُنشى ثمرات المناقب ،  
في منابت أهلها حيث الفرع باسق والأصل ”ريان“ .

نحمده على أن يسر البتة المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيري الدنيا والآخرة كرم  
المطلين ، وشرف المنصين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المشرق فضله  
على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح الثناء عليهم  
وقفا ، وأشتمال الذكر عليهم عطفًا ، صلاة تضيء آفاق القبول بشمعة صبح لا تقط  
ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبة بيوت أهل الديانة ، ولخاص الرتب تعلقًا  
بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألقة ، والحدائق بمغارسها  
المتألقة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوفة المتشوقة .

ولما كان الخاص الشريف والوقف المنصورى لوجه المناصب الشامية بمنزلة  
حسن الشامتين ، ولرائد الخصب من جهتي الدنيا والآخرة بمحل نفع الغامتين ؛ هذا  
على صنع البر الممدود مقصور ، وهذا السحاب الخير سفاح لأنهر جهة لـ «المنصور» ؛  
يعلمو هذا بالناظر في دقائقه إلى أعلى الدرج ، ويتلو هذا بلسان ميزانه المنطق على  
المارستان : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون  
حرج » - لا يلقى الجمع بين رتبتهما إلا لمن يجمع بسعفه فضل الدارين ، ومن يجيد  
بنائ قلعه الحلبي حلب ضرعهما الدارين ؛ ومن نشأ في بيت سعادة أذن الله لقدره  
أن يرفع ، وأقلام بيته أن تنفع ، ولحاسن ذويه أن تسفع بحملها إلى قلوب الأولياء  
فتسفع ؛ ومن يسر برواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يفتري شرفه وشرف

إخائه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوانحُ المحارِبِ بتعبُّده ، وتَلَهَّجُ  
 ألسنةُ مصابيحِ المساجدِ بالثناءِ على تَرَدُّده وتَوَدُّده ، وتَسْتَبِقُ جِياذُ عِزمه : فيدنا  
 الكُمَيْتُ في الشَّهَاءِ تَابِعُ أَدَبِهِ إِذَا بَانَ أَذْهَمَ رَسِيلُ تَرْهَدِهِ ؛ ومن تقولُ مناصِبُ  
 حَلَبَ : لَلَّهِ دَرُّ بَهَائِهِ الْمُقْتَبِلِ ! ؛ ومن يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مع لَطَافَةِ حُلُقِهِ : «ياحِبُّدًا جَبَلُ  
 الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ» ! ؛ ومن تَتَفَحُّ أخبارُهُ مَنَافِخَ الْأَزْهَارِ ، ومن يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ جَيْشُ  
 الْحَرَابِ فِي اللَّيْلِ وبِمِباشَرَتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ ومن تَأْسَى بِلَدَّةٍ فَارَقَهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ  
 لِلْوَسَنِ ، ومن يَرَوِي صَامِتٌ دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا مِنْ تَدْيِيرِهِ عَنْ «عاصي» وعن «حسن» .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال من ألقابه الشريفة صالح المؤمنين ، وعمادُ  
 الدَّاعِينَ لدَوْلته الفاهرة والمؤمنين - أن يفوضَ للجنابِ العالى ... .. فإنه المعنى بهذه  
 الأوصافِ المتقدِّمة ، والمقصودُ بِإِفاضةِ حُلُلِهَا المُعلِّمة ؛ والموصوفُ الذى يحلُّو وصفه  
 إِذَا كُرِّرَ ، وَيَسْتَعِيدُ الأوصافِ والأسماعِ إِذَا حُرِّرَ ، والأحقُّ برتبةِ عِزٍّ فى النِّظَارِ  
 مَضَى وأَبْقَى ثَنَاءَهُ ، ومكانِ نَظَرٍ إِنْ لَمْ يَقْلِ الدَّعَاءُ اليَوْمَ : أدام اللهُ عِزَّهُ ! قال :  
 أدام اللهُ بَهَاءَهُ ؛ وَاللَّائِقُ بِتَقْرِيرِ مَنْصِبٍ تَقْصُرُ دُونَهُ المَطامِعُ ، وَتَصْدِرُ دِيوانَ إِنْ  
 أَتَقَطَعَتْ رِوَايَتُهُ عَنْ «حَمْزَةٍ» فَقَدْ أَتَّصَلَتْ رِوَايَتُهُ عَنْ «نَافِعٍ» .

فليباشِرْ هَذَيْنِ الْمَنْصِبَيْنِ الْمُتَجَبِّينِ ، مجتهدًا فى مصالحِ الخاصِّ الشريفِ ، والوقفِ  
 الذى لا تحتاجُ هِمَّتُهُ فِيهِ إِلَى تَوْقِيفٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ خَيْرُ الْخَاصِّ عَامًّا ، وأمرُ الْوَقْفِ  
 تَامًّا ؛ وَرِيعُهُمَا بِالْبَرَكَاتِ خَيْرٌ مَحْفُوفٍ ، والمنصوريُّ من جهةِ المعاضدةِ قد أُسْحِنَى وَهُوَ  
 بِالْعُضْدَيْنِ مَوْصُوفٌ .

والوصايا متعدِّدةٌ وَهُوَ أَدْرَى وَأَدْرُبُ بِهَا ، وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى أَوَّلَى وَصِيَّةٍ تَمْسَكَ  
 الْمَرْءَ بِسَبَبِهَا ، وشكْرُ النعمةِ أدلُّ عَلَى نِيَّيْهِ هِمِّ الرِّجَالِ وَعَلَى فَضْلِ مُهْدِيهَا ؛ وَاللهُ تَعَالَى  
 يَسُدُّ قَلَمَهُ ، وَيُثَبِّتُ فى مَطالِعِ الْعِزِّ قَدَمَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



توقّع بنظر الخزانة العاليسة، من إنشاء ابن نبّانة، كُتب به للقاضى «تقى الدين  
ابن أبى الطيّب» بـ«الجنّاب العالى» وهو :

الحمد لله الذى له خزانُ السموات والأرض، وبحكْمه يهبُ منها ما يشاء لمن يشاء  
رِضى المعاندِ أم لم يرِضْ ، وبِمِنته فضّلتُ مراتبُ أهلِ التّقى على الرُّتبِ كما فضّلَ على  
النافلة الفِرْضَ ، وبِعنايته بُنيتُ بيوتُ أهلِ السّيادة على الطُّولِ وبقيَ صالحُ عملهم  
إلى العَرَضِ ، وبهدايته سَمّا إلى أعلى الخزانِ من تُقرِضُها أوصافُ قَلَمِه وقَلَمُ أبيه  
أَحْسَنَ القَرَضِ .

نحمده على ما منح من خزانِ فضله ، ونشكره والشكر ضامنُ المزيدِ لأهله ؛ ونشهدُ  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يدّخرُها الإنسانُ لِنَبِيّه وقوله وفِعْله ،  
ونشهدُ أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى جمع بَقِيّه وَفَرَّقَ بَبدَله ، وأعطى ما لم تَنطَوِ  
ضمائرُ الأَكْياسِ فى صُدُور الخزانِ على مِثْلِه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
السّالِكينَ سَنَنَ فضيلته وفضله ، التابعينَ فى الكَرَمِ والبأسِ قِياسَ بَيانِه ونَصَّ نَصْلِه ؛  
ما أطلعتُ خِزانةَ الوَسْمِ آثارُ نُقْطِ الغَيْثِ كالِدَراهِمِ ، وخَلَعْتُ على الدنيا خَلَعَ الرّوضِ  
مُتَقَلِّبَةً بِمُسْتَدِيرِ الظلالِ مَرُورَةً بِمَعْقُودِ الكَئِمْ ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ الرُّتبَ ذَخائِرُ قَومٍ فى خزانِ الأَخْتِيارِ ، وأخايرُ أهلٍ تَرَكُوا نَقُودَ شِمْهِمِ  
على حَمَكِ الاعتناء والاعتبارِ ، وفروعُ خَلَفٍ تَظْهَرُ مَظاهِرُ نُصُوبِها الزَكِيَّةُ سابغةُ الظِّلِّ  
رائقةُ الزَّهرِ فائقةُ الثَّمارِ ؛ إذا احتيجَ منهم إلى ذِخيرةٍ نَفَعَتْ ، وإلى أخيرِ وَقْتٍ أُرْبى  
على عزائمِ الأوّلِ وما صَنَعَتْ ، وإلى فُروعِ شِجَرَةٍ سَرَتْ حَمِيدُها الضَّائِعَةُ : لا مِمَّا  
صَاعَتْ بل بِمِمَّا تَصَوَّعَتْ .

ولما كانت رتبة نظَر الخزانة العالية بِدَمَشْق المحروسة أَحَقَّ بِمَن هَذَا وَصْفُهُ ،  
وهذا نَعْتُهُ فِي مُقَدِّمَةِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَهَذَا إِلَيْهِ عَطْفُهُ ؛ إِذْ هِيَ مَرْتَبَةُ الْعَلِيَاءِ وَمَكَائِهَا ،  
وَزُهْرَةُ سَمَاءِ الْمَلِكَةِ وَمِيزَانُهَا ؛ وَمَنْشَأُ غِيُوْثِ صَلَاتِهَا الْهَاسِرَةِ ، وَمَنْبِتُ رِيَاضِ  
خَلْعِهَا الزَّاهِرَةِ ؛ وَأَفْقُ السَّعَادَةِ وَمَطْلَعُ نَجْمِهَا الْمُنِيرِ ، وَجَنَّةُ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا  
حَرِيرٌ ، وَمَعْنَى شَرَفِ الْأَكْتِسَاءِ وَالْأَكْتِسَابِ ، وَمَأْوَى الْفَاضِلِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - الَّذِي  
يَحْفَظُهَا التَّحْصِيلُ بِحِسَابٍ وَيُعْطِيهَا الْجُودُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

(١) ... (١) ... مِمَّنْ تَضُمُّ أَعْطَافَهُ أَنْوَارُ السَّعَادَةِ ، وَتَحْفُّ أَطْرَافَهُ وَ ... (١)  
السِّيَادَةِ ، وَتَتَقَلُّ جَلْسَتُهُ : إِمَّا مِنْ تَتْفِيزِ الدِّيَوَانِ لِمَرْتَبَةٍ وَإِمَّا مِنْ تَدْرِيسِ الْعِلْمِ  
لِسَجَادَةٍ ؛ ذُو الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ حَسَنُ التَّجَنُّيسِ وَالتَّطْيِيقِ ، وَالْكَتَابَةُ : مِنْ حِسَابِ  
وَأَنْشَاءِ زَاكِيَةِ النَّسْرِ عَلَى التَّعْلِيقِ ؛ وَنَفَحَاتِ الْبَرِّ مِنْ نَفَحَاتِ الْعَيْشِ أَجُودُ ، وَالشَّيْبَةِ  
فِيهَا النِّهْيُ فَمَكَانُهُ كَمَا قَالَ الْبَحْرِيُّ : نَسَبٌ أَسْوَدٌ ؛ وَالْهِمَمُ الَّتِي حَاوَلَتْ مَنَالَ الشُّهْبِ  
الْمُتَنَعِّعَةِ وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي لَوْ عَايَنَ « الْبَصْرِيُّ » فَرَأَتْ نَحْوَهَا لَقَالَ :  
كُلُّ هَذِهِ دُرَّةُ الْغَوَاصِ ، وَالْعَزَائِمُ الَّتِي رَامَتْ الْمَنَاصِبَ فَمَا قِيلَتْ مِنْ خِرَازِمَتِهَا سِوَى  
الرَّفِيعِ وَمَا رَضِيَتْ مِنْ دِيَوَانِهَا سِوَى الْخَاصِ ؛ كَمْ نَبِهَتْ مِنْهُ الْمَقَاصِدُ (٢) « عَمَرُ »  
ثُمَّ نَامَتْ ! ، وَكَمْ أَجْلَسَتْهُ كَوَاكِبُ الْيَمِينِ فِي صَدْرِ مَحْفِلٍ ثُمَّ قَامَتْ ! ؛ كَمْ حَوَى مِنْ  
الْحَمْدِ سِنِيًا ! ، وَمَلَأَ الرَّبَاعَ خَيْرًا وَفِيًا ! ، وَقَبَّضَ اللَّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ حَنَانًا مِنْ لَدُنْهِ  
وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا .

(١) بياض بالأصل في الموضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إِذَا أَقْبَضَكَ حُرُوبُ الْعَدَا \* فَنَبِهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَ

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .



فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بَرَحَ صَالِحِ الدهر كالزهر ، مَالِكَ نَفُوسِ  
الأولياء والأعداء : هَاتِيكَ بِالْإِنْعَامِ وهَاتِيكَ بِالْقَهْرِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْخِزَانَةِ  
العالية مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ : لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُصْرَفُ عَنْ وَطِيقَةِ  
بَسَانِهِ تَعْتَرَفُ ، وَمَنْ نَدَاهُ تَعْتَرَفُ ، وَأَنَّ اجْتِمَاعَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ قَاضٍ بِأَنَّ «عُمَرَ»  
لَا يَنْصَرَفُ ؛ وَأَنَّ الْخَاصَّ لِلْخَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ أَمْسُ مَكَانِهِ ، وَأَنَّ الْخِزَانَةَ أَنْسَبُ بَيْنَ  
عُرِفَ بِالصِّيَانَةِ ؛ وَأَنَّ خَزَائِنَ الْأَرْضِ وَهِيَ مَضْرُوءَةٌ لَوْ نَطَقَ نَظِيرُهَا لَقَالَ : لَيْسَ لِي مِثْلُ  
هَذِهِ الْخِزَانَةِ ؛ وَأَنَّ عَيْنَ الْأَعْيَانِ أَوْلَى بِالنَّظَرِ ، وَأَنَّ الْأَنْظَارَ لَا بَلَّ الصَّحَابَةَ أَحَقُّ  
بِ«عُمَرَ» ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ سِرِّهِ النَّقِيَّةِ ، وَسِرِّهِ التَّقِيَّةِ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَتَدَفَّعُ فِيهَا نَفْسُ  
الْقَوْلِ حَتَّى يَنْقَطِعَ وَفِي الْأَوْصَافِ بَعْدُ بَقِيَّةٌ وَبَقِيَّةٌ .

فَلْيَا شَرُّ مَا فُوضَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْمُتَجَنِّبَاتِ ، وَالْوِظَائِفِ الْمُعْجَبَاتِ الْمُعْشَبَاتِ ،  
وَالْجِهَاتِ الَّتِي مَالَهَا كِبَيْتُهُ الطَّيِّبِ : وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ؛ مُسْتَجِدًّا مِنْ نَظَرِ هَذِهِ  
الْخِزَانَةِ ثَوْبَ سَعْدِهِ الْجَدِيدِ ، مُعْمَلًا فِي مَصَارِفِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بَصَرَ آرَائِهِ الْجَدِيدِ ؛  
مُنْهَبًا لَهَا عَزْمَهُ الْعُمَرَى وَنَعَمَ مِنْ يُنْبِئُهُ ، مُشْبِهًا فِي الْكَفَافَةِ أَبَاهُ الْمَرْحُومَ وَمَا ظَلَمَ مِنْ  
أَشْبَهَ ؛ مُقَرَّرًا مِنْ أَحْوَالِهَا أَحْسَنَ مُقَرَّرٍ ، مُحَرَّرًا مِنْ أُمُورِهَا أَوْلَى مَا أَعْتَمِدَ وَالْخِزَانَةُ  
أَوْلَى بِالْمُحَرَّرِ ؛ حَافِظًا لِمَا لَهَا بِقَلَمِ التَّحْصِيلِ حَتَّى يَنْفَذَ قَلَمُ الْإِطْلَاقِ ، صَائِنًا لَوْفِهَا حَتَّى  
يُنْفِقَهُ الْكَرَمُ خَشْيَةَ الْإِمْسَاكِ بَعْدَ مَا أَمْسَكَ الصَّوْنُ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ؛ مُسْتَدْعِيًا مِنْ  
أَصْنَافِهَا كُلِّ مَا تَوَشَّعَ وَتَصَنَّفَ ، وَتَوَشَّعَ وَتَفَوَّفَ ، مُثْبِتًا كُلَّ مَا خَلَعَ مِنْ دِيَوَانِهَا الْعَزِيزِ  
وَتَخَلَّفَ ؛ مُؤَلِّفًا لِلْكَسَاوِيءِ فِي زِحْلَةٍ كُلِّ صَيْفٍ وَشَتْوَةٍ ، مُوَاصِلًا لِلْأَحْمَالِ مِنْ دِمَشْقَ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ جِهَةِ الْكُسُوفِ ؛ مُنْهَبًا لِإِنْعَامِهَا بِقَلَمِ الْإِطْلَاقِ التَّامِّ ، مُتَلَقِّفًا بَعْضًا قَلَمَهُ  
فِي يَدِهِ الْبَيْضَاءِ مَا تَأْتِيكَ عَصَا الْأَقْلَامِ ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ بَأْهًا فِي الْكَرَمِ كَمَا يَقَالُ :

(١) لم يرد هذا الجمع في أيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جرى العامة في استعماله .

«سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ» ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمُعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَبَيِّنِ بَقَايَا الْوَصَايَا الَّتِي هُوَ فِيهَا بِحَرٍّ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بِكِتَابِ «الْيَانِ وَالْتَيْنِينَ» أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ الْفَضْلَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمَلَأُ أَمَالَهُ بِغَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُدِيمُ سَعَادَةَ بَيْتِهِ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لَطِيْبِهِ إِلَّا الْكَلِمُ الطَّيِّبُ .

### المرتبة الثانية

(من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ الدِّيَوَانِيَةِ بِحَاضِرَةِ دِمَشْقٍ - مَا يَفْتَتِحُ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» )

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ :

[نسخة] تَوْقِيعِ بَنَظَرِ الْأَسْرَى وَنَظَرِ الْأَسْوَارِ ، كُتِبَ بِهَا لِدَوَادَارِ الْأَمِيرِ «سُودُونِ الطَّرَنْطَايِ» كَافِلِ الشَّامِ ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ فِي الْأَصْلِ دِيَوَانِيَّةً أَوْ دِينِيَّةً ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَائَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ ، وَعَمَّهُمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ صُبْحُ صَبَاحِهِمُ السَّافِرِ ، وَأَتَتْصَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يَسُرُّ الْمُؤْمِنَ وَيَغِيظُ الْكَافِرَ ، وَأَجْتَبَى مِنَ الْكُفَاةِ مَنْ يَشِيدُ مَعَاقِلَ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُتَنَظِّفِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْآمِنِينَ الْأَتَمِّينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَضَاءَ بِرِسَالَتِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْصِّفَاتِ الْفَاتِقَةِ وَالْمَآثِرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنِ سُورٍ ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَنْقَذُوا الْأَسِيرَ وَجَبَرُوا الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُعْلِيَةً لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النَّصْرِ الْمُنْشُورِ - فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ عَدَقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّيْنِيَّةَ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ ؛

وَنُطْنَا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَسِيرِهِ ، وَخَلَّاصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرْتِي لِمُسْكِنَتِهِ  
وَلَا يَرِيقُ لَكُسْرِهِ ؛ وَأَجْرَيْنَا قَلَمَهُ بِبَذْلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرَضِ الْأَسِيرِ  
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْنَاهُ لِلْعَانِي مِنْ شَرِّ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا  
بُحْسَنَ لِمَاعَاتِهِ مُنْجِدًا ، وَلِلْأَسْوَارِ الْمُنْعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُتَقَدِّدًا - مِنْ أَصْحَى فَضْلُهُ  
ظَاهِرًا ، وَجَلَالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَحَاسَنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَرَتْ مَا ثَرُهُ الْأَبْصَارَ وَمَلَأَتْ الْأَنْسِمَاعَ ، وَأَتَعَفَدْتُ عَلَى  
تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمُفَاجِرِ كَلِمَةُ الْإِنْجَاعِ ، وَسَارَتْ الرُّجَانُ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَابَ وَجُودِهِ  
الَّذِي شَاعَ ؛ وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ ، فَأَصْحَى جَمِيلَ الْإِعْلَانِ ، وَحَدَّثَ سِفَارَتُهُ ، فَكَانَتْ  
عَاقِبَةُ كُلِّ صَعْبٍ بِرُكْنَتِهَا أَنْ لَا نَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ يُؤَلِّي جَمِيلًا ، وَيُؤَلِّي فِي الْوُظَائِفِ جَلِيلًا -  
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَى فِي وَظِيفَتِي نَظَرِ الْأَسْرَى وَالْأَسْوَارِ بِدِمَشْقَ الْحُرُوسَةِ ، عَلَى  
أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَأَكُلْ قَاعِدَةً ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانِ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ  
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَفْوِيضًا لِلْجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً تُسَرُّ النُّفُوسَ ، وَتَزِيدُ بِهَا الْغِلَالَ وَتَزُكُّ بِهَا الْغُرُوسَ ؛ وَلْيُجَرِّ  
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مُقْتَضَى شَرَطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلْيَتَصَرَّفْ  
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصَرُّفٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى تَخْلِصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِعَاثَةِ  
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بَسُورٌ ؛ وَيُسَارِعْ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُنْعَةِ ، وَإِتْقَانِ تَحْصِينِهَا ؛  
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوْتُهُ مَتْنُ الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلاَكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى  
وَسُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيُؤَاطَبْ عَلَيْهَا ، وَلْيُصَرَفْ وَجَهَ عَنَايَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ  
تَعَالَى يُدِيمُ عُلَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيهَا تَوَلَّاهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



تَوْقِيعُ بَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْأُسْرَى ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرْفِ  
الدِّينِ «سَالِمِ بْنِ الْقَلَاقِسِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بَطَالِيعَ الشَّرَفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوْلِ  
السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ ذُرَى الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمَتْ مَجَانِي قَصَبِهَا لِلْإِفَاءَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ  
الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هُنَا مَرِيدًا قِيلَ :  
وَزِيَادَةً . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَرْزَارَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَجَادَةِ ، مَا أَتَّصَلَ بِحَدِيثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ  
وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادُهُ - فَإِنَّ الْبُيُوتَ الْمُتَنَزِّعَةَ نَحَارُهَا ، الْمَأْمُونُونَ مِنْ عَرَوِضِ الْأَيَّامِ  
زِحَافُهَا وَأَنْكِسَارُهَا ؛ أَوْلَى بِأَنْ تُنْتَخَبَ لَهُمُ الْمُنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْبُيُوتِ الْمَعَانِي ،  
وَتُسْتَقْرَى الْوُظَائِفُ الْعَلِيَّةُ كَمَا تُسْتَقْرَى الْمَوَاضِعُ كُلُّهَا الْمَبَانِي ؛ وَتُنْتَخَرُ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟)  
بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْفُورَةُ السَّحَابَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّحَابَةِ ؛  
مَصُونَةٌ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُحِبُّهَا ، لَا تَقْصَةُ بِالْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافَ  
الْأُسْرَى بِالْأَفْضَلِ نَسَبًا .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَّ فِي كَذَا : عَلَمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وَلِيَ  
وُظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصِلَاحِ التَّنْذِيرِ وَقَاهَا وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ  
كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالْخَبِيرُ الَّذِي اسْتَوْضَحَ بَيْنَ الرَّأْيِ  
مَذَاهِبَهُ وَمَسَالِكَهَ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بَسَطَ جَنَاحَ الرَّفْقِ وَإِذَا مَشَى بَسَطَتْ  
لَهُ أَجْنِحَتَهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنُهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ  
الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَّاءَتُهُ إِلَّا أَنْ كُلَّهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقَّقٌ ؛ هَذَا وَخَطُّ عِذَارِهِ  
مَا كَتَبَ فِي الْخَلْدِ حَوَاشِيهِ ، وَلَيْلُ صَبَاهُ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أَطْلَعَتْ كَوَاكِبُ

المَشِيْب دِيَا جِيَه ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَبُوهُ - أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدَّهُ - صَاحِبُ الْمَجْدِ الْأَمِيلِ ، وَالْفَضْلِ الْأَصِيلِ ، وَوَكِيلُ السُّلْطَنَةِ الَّذِي إِذَا تَأَمَّلْتَ مَحَاسِنَهُ قَالَتْ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوُضَيْفَةِ بِرَأْيِ مُسَهِّلٍ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - عَسِيرَهَا ، وَيُقُفُّ - بَعُونَ اللَّهِ - أَسِيرَهَا ؛ وَاجْتِهَادِ سَنِيٍّ يُحْسِنُ قَلَمَهُ فِي الْأُمُورِ مَسْرُومٍ ، وَاعْتِمَادِ سَرِيِّ لَا يَرَى دِيَوَانُ أَسْرَى مِنْهُ أَسْرَى ؛ مُشَبِّهًا أَبَاهُ فِي عَدْلِهِ وَمِنْ أَشْبَهِ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ ، وَتَوَقُّدِ رَأْيِهِ لَدَى طَوْدِ حِلْمٍ وَعِلْمٍ « فَيَا لَكَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ! » ؛ حَتَّى يَأْمَنَ دِيَوَانُ مَبَاشَرَتِهِ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ ، وَيُشْعِلُ ذِكَاةَهُ حَتَّى يَقَالَ : عَجَبًا لِلشَّعْلِ نَارًا وَهُوَ سَالِمٌ ! ؛ وَيُثْمِرُ مَالَ الْجَهَةِ بِتَدْيِيرِهِ ، وَيُشْتَرِكُ لَفْظُ إِطْلَاقِ الدِّيَوَانِ فِي مَالِهِ وَأَسِيرِهِ ، وَتَنْتَقِلُ الْأَسْرَى مِنْ رُكُوبِ الْأَدَاهِمِ إِلَى رُكُوبِ الشُّهْبِ وَالْمُخْمَرِ مِنْ دَرَاهِمِهِ وَدَنَانِيرِهِ ؛ وَيُجَدُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيَنْفِقُ خَشْيَةَ الْإِمْسَاكِ إِذَا أُمْسِكَ [ غَيْرِهِ ] خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ؛ وَيَمِشِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الطَّرِيقِ الْأَلْحَبِ ، وَيُنْسَبُ إِلَى دِيَوَانِهِ وَقَوْمِهِ فَيَقَالُ : صَاحِبُ طَالِمَا آتَنَسَبَ مِنْ سَلَفِهِ لَصَاحِبٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْجِحُ لِكُوَاكِبِ رَأْيِهِ مَسِيرًا ، وَيُخَبِّرُ بِهِ مَنْ ضَعُفَ الْحَالُ كَسِيرًا ، وَيُكَافِي سَادَاتِ بَيْتِهِ الَّذِينَ « يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » .

### المرتبة الثالثة

( من تَوَاقِعِ أَرْبَابِ الْوُضَائِفِ الدِّيَوَانِيَةِ بِمَحَاضِرَةِ دِمَشْقِ -

مَا يُفْتَحُ بِ«رُسْمِ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» )

وهذه نسخ تَوَاقِعِ مِنْ ذَلِكَ :

(١)

نسخة تَوَقِيعِ ... من إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير، وهي :

(١) بياض في الأصل ولعله « تَوَقِيعُ بِكُتَابَةِ السَّرِّ » .

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجبر بيرة مُصاب الأبناء آبائهم ، ويسرهم بما  
يتجدد في كواكب الشرف من علائهم ، ويعتق قلوبهم من إسار الحزن حتى ينشؤوا  
من الصغر على أنساب عفتهم وولائهم - أن يستقر ... اعتماداً على نجاته الشاهدة ،  
ومحاييل همته السائده ، وأستناداً إلى أصالته التي لا يئدى فرعها إلا زكى الثمر ،  
ولا يئدى بحرهما إلا أنفس الدرر ، ولا يخلف أفقها إلا كبيراً تستصغر الأبصار  
رؤيته : والدذب للطرف لا للكوكب في الصغر ، وعلماً أنه من أسرة شهابية لا يهتدى  
في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يئدث بالعجائب إلا عن بحورهم ، ولا يئبت أفلام  
البلاغة إلا عشبهم ، ولا تعشب روضات الصحائف إلا شجبتهم ، ولا تئبت أفلاك  
الكتابة إلا كئبتهم ، صغيروهم في صدور الإنشاء كبير ، وملقن آيات فضيلهم يروى  
أعداد القوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » تقول المحامد لسلفه  
وخلفه : منّا أمير ومنكم أمير ، وأنه اليوم لا سيف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ،  
ولا فتى إلا « علي » من ولدانهم ، وأن فرخ البط ساج ، وسعد القوم لا نداد ذابح ،  
وخواتم صُحف الجمع الظاهر أشبه بالفواتح ، والبلاغة في الدنيا كنوز والأفلام  
في أيديهم مفاتيح ، وأن الكلام حليته وسمته ، وأنه إذا خدّم دولة بعد محلقه قيل  
للذاهب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد آنستنا خدمته .

فلناخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، ولتناول باليمن واليمن قلم جدّه كما تناول  
رأية مجده عرابه ، ولتقلد بقلاند هذه النعم عقيب ما نزع التمام ، وليجهد في إمرار  
كليه الخلو الذي أول سنامه قطر ثم صوب الغمام ، مجوداً خطّه ولفظه حتى تتناسب  
عقده ، ناشئاً على كتم السر حتى كأن الفؤاد قبره والجنب لحده ، مُهندياً بالعلم الشهابي  
في يرّ أخيه الأكبر فإنه من بوارق المزن ، مُبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ يزرع

(١) في الأصل هكذا "وأن الكلام محامهم" .

عنهما لباسهما من الحزن ؛ والله تعالى يزيد في فضله ، ويتم عليه النعمة كما أتمها على  
أبيه من قبله ، ويفقهه في السيادة حتى يحسن في الفخار رد الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي « شرف الدين  
ابن عمرون » وهو :

رسم ... - لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأقلام الكفاة  
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوى الاستحقاق ومُصنفة ، والنعماء المنصفة  
لأمثالهم حلوة المذاقين من نوع ومن صفة - أن يستقر ... لما عُرف من  
شيمه المستجادة ، وهممه المستراة ، وكفاءته اللاتي بها حُسن النظر الثابت بفضائها  
رقم الشهادة ، وأصاليه التي نهض أولها بمهمات الدول فلوراه معاوية - رضى الله  
عنه - لقال : يا عمرون أنت عمرو وزياده ؛ وليا ألف من مباشرة المنيقة خبراً  
وخبراً ، وأنظاره السامية إلى معالى الأمور نظراً ؛ ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر  
منها ذوو الهمم العلية ، وجهاته التي عُرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة  
مفاحره بيضاء وسكرية .

فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليسة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على  
مطالع الشرف وفقاً وآفاقاً ؛ جاعلاً شكر النعمة من أوفى وأوفر مزاياه ، وصَلَفَ الهمة  
من أولى وأول وصاياه ؛ حافظاً للطابع وإن كان عادة آباءه بذلها ، مُدْخِراً للجفان  
وإن كانت سمة قراهم إزالتها ونقلها ؛ حريصاً على أن لا يجعل لأيدى الأقلام الخائنة  
مطمحا ، وعلى أن يُنشد كل يوم للتذير لا للتبذير .

\* [ لنا ] الجفان الغريلمعن فى الضحى \*

مُحرَّرًا لحسابِ دِرْهَمِهَا وَمَحْوُومًا ، وَمَصْرُوفًا وَمَحْصُومًا ؛ مُحْتَرِّزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ  
 مِنَ الْخَلَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذَرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَانِهَا فَإِنَّهَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ  
 بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَلِّنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَمْدِهِ الْمُقَرَّرَ ، وَتُكْرِّرُ الْأَحَادِيثَ الْحَمُودَ عَنْهُ فَمَنْ  
 عِنْدَهَا نَحْرَجُ حَدِيثُ الْحُلُومِ الْمَكْرَرِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَدِّدُ مَسَاعِيَهُ بِالنَّجْجِ الْوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ  
 أَنْ تُشَدَّ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتِ سِيرِهِ بِمَرْقُومِ الْحَامِدِ مُطَرَّزَهُ ، وَدَوَّلَتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ  
 مُعَزَّزَهُ ، وَنِعْمَهُ وَنِقْمَهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ  
 فَلَانٌ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَّتِ الطُّرُوسُ ، وَطَرَزَتْ بِالظُّلُمِ أُرْدِيَةِ الشُّمُوسِ ، وَأَثْمَرَتْ  
 أَقْلَامُهُ بِمَحَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعَمَ الْغُرُوسِ ؛ وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ  
 وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الْأَوْرَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَزِمَهُ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَّمَ طَرِيقًا فِي الْخِدْمَةِ  
 جَدًّا ، وَقَوَّى أَسْمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ؛  
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سُدِّدَ سَهْمَ قَلَمِهِ أَصَابَ الْغَرَضَ ؛ وَالسَّامِي  
 إِلَى سَمَاءِ رُتْبِهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُنَزَّهُ لِقَلَمِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ بِكَفَاءٍ عَلَيْهَا الْمُعَوَّلَ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى  
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ؛ مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا  
 فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرِجَالِهَا ؛ مُعِمِّلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَةٌ ، مُهْتَدِيًا فِي طُرُقِ  
 حِسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَبِّهَةٌ ؛ مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الْأَحْتَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ  
 عَزِيمِ كَالسَّيْفِ الْجُرَّازِ ، سَعِيدَ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ الْمَلِكِ



المُسْتَنْهَضُ له : هذا القاضي السعيد وهذه دار الطراز ، والله تعالى يوفقه في جميع أحواله ، ويؤيد مساعي قلبه الذي تنسج أفلام الكفاة على منواله .



توقيع بنظر الرباع ، من إنشاء الشيخ صلاح الدين الصفدي ، باسم القاضي نجم الدين « أحمد بن نجم الدين محمد بن أبي الطيب » ، وهو :

رُسم بالأمر العالي - لا زال نجم أوليائه يتقد نورا ، وخاطر أوليائه يتحد بالآمال سرورا - أن يرتب المجلس السامي القضائي - أدام الله تعالى علوه - في نظر الرباع الديوانية ، ومباشرة الأيتام - حرسهم الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته ، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأنه النجم الذي بزغ في أفق الرئاسة ، وجعل ما أثره قبيله وأناسه ، والأصيل الذي شاد الفضل مجده ، وأحكم الفخر عقده ، والرئيس الذي يصدق التقرس في شمائله ، ويحكم الظن الصائب في أثناء مخايله .

فليباشر ذلك مباشرة هي معروفة من هذا البيت ، مألوفة من كبيرهم وصغيرهم : فإنهم لا توفهم ولا ليت ، معتمدا على سلوك طريقة أخيه وأبيه ، مجتهدا على اتباع اعتمادهما في توخيه الصواب أو تأييه ، حتى يقال : هذا صنو ذلك الغضن الناضر ، وهذا شبل ذلك اللث الخادر ، وتصبح الرباع بحسن نظره أهلة بالأهله ، كاملة بالحاسن التي تسمى الأفسار منها مستهله ، وتعود الأيتام بمشارفته كأنهم لم يفقدوا ير والدهم ، ولم يحتاجوا مع تديره إلى مساعدتهم . والوصايا كثيرة وأهمها تقوى الله عز وجل فإنها الحصن الأوقى ، والمقل المنيع المرقى ، فليخذها لعينه نصبا ، وليشغل

بها صَمِيرَه حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَيِّ غُضْنَه النَّاضِرَ ، وَيُقَرِّ بِكَالِه الْقَلْبَ  
وَالنَّاظِرَ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا آفَقْتَاهُ ؛  
وَاللَّهُ الْمَوْفُقُ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْقِيعٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَاسْتِيفَاءِ الْحَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِإِزَالَةِ الْمُنَاقَبِ فِي دَوَائِنِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرْشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،  
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةٌ بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَبْدُلُهُ الْكَرَمُ مِنْ أَقْسَامِ  
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتَحْقَاقِ الْمُقْتَضَى ، وَالْأَخْتِيَارِ الْمُرتَضَى ؛ وَعَيْنُ  
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدُّمُ السُّنَنِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقَرَيْشٍ  
وَاجِبٌ ؛ وَلَأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةَ أَوْلَى بِشَرَفِ آفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،  
وَمَطَالَعِ سَعْدِهَا الْمُتَزَّهِةِ عَنِ اللَّبْسِ ، وَجَلَالِ قَلْبِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛  
وَلَأَنَّ الْمَشَارَإِلَهُ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُرتَقِينَ ، وَلَأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ التُّنَى فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبْأِشِرْهَا تَيْنِ الْوُظَيْفَتَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَزَمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّاتِ قَلَمِهِ الَّتِي  
بَحَرَهَا فِي السَّبْعِ بَسِيطٌ وَظَلُّهَا فِي النَّفْعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتِمَّتَلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةٍ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ  
مُثَالَّهُ ، وَلِيَجْزُرَ أَحْوَالُهَا بِضَبِطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُثَمِّدَ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ  
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاجٍ تُعَرِّفُ بِأَقْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ  
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَحْوِي بِإِيضَاحِهِ وَتَكْمِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرَرِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَيِّدُ قُرْشِيَّتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزَمِ ، وَتَابِعِينَ  
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزَمِ .



تَوْقِعْ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَسْوَاقُ نِعَمِهِ قَائِمَتِهِ ، وَأَجْلَابُ كَرَمِهِ دَائِمَتِهِ ، وَلَا بَرَحَتِ  
الْمَنَاصِبُ مُكَلَّمَةً بِكُفَاةِ أَيَّامِهِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرَعُونَ أَحْوَالَهَا  
السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ ... : عَلِمًا بِكُتَابَتِهِ الَّتِي وَصَّيْتُ الدَّفَاتِرَ أَحْسَنَ سِمَةٍ ،  
وَأَسْتَبَقْتُ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَكَفَاءَتِهِ الَّتِي لَا تَرَالُ تَمُو لَدِيهِ وَتَنْتَمِي ، وَيرَاعَتِهِ  
الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ، وَدِرَايَتِهِ  
الَّتِي تُعِينُ الْمَلِكَةَ عَلَى الْمِيرَ ، وَيَشْهَدُ تَيْمُنُهَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ ، وَتُحَقِّقُ فِيهِ  
الظَّنَّ وَالْأَمْلَ ، وَتَحُوطُ السُّوقَ عَنِ الْخَائِنِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ،  
وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ مُسَدَّدًا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيَوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ  
عَلَى الرَّائِعِينَ مِنَ الْكُتَبَةِ حَرَفًا مُشَدَّدًا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُتِمِّكِنَ الْأَسْبَابِ ، مَالِكِ الْحَزْمِ وَالرِّفْقِ حَتَّى تَكْثُرَ  
لَدَيْهِ الْجُلَّابُ ، مُعِينًا لِمَيِّتِ الْمَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِمَحَقُوقِ ذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ ،  
عَالِمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَّى] أَكْثَرَ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطْلَقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مَشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَهِدًا  
فِي رِضَا الْمَطْلُوبِينَ حَتَّى يَدْعُوهُ سَنَنُ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الْصِفَةِ] يَا كُلُّونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ  
فِي الْأَسْوَاقِ ، مُوَاطِبًا عَلَى الدِّيَوَانِ الَّذِي هُوَ بِصَحَابَتِهِ مَعْدُودٌ ، سَالِكًا سُبُلَ الصِّيَانَةِ  
وَالْكَفَاءَةِ فَكُلَاهُمَا نَعَمَ السَّبِيلُ الْمَطْرُوقُ ، مُحْتَرِزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَفِيقُ  
مَسْعَا بِالسُّوقِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ عَزَائِمَهُ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي قَاسَمَتْ  
« أبا الطَّيِّبِ » : « وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن ثبّانة ، كُتِبَ به لجمال الدين «عبد الله بن العماد الشيرازي» وهي :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت سِمَةُ المناصب في دولته بأسماء الكُفَاةِ مُجَمَّلَةً ،  
وَحُلِغَ المَفَاخِرُ عَلَى بُيُوتِ السِّيَادَةِ مُكَمَّلَةً ، وَخَزَائِنُ الْمُلْكِ بَيْنَ تَقْيِضَيْنٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ :  
فَبَيْنَمَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُحْتَفَظَةٌ إِذَا هِيَ بِأَقْلَامِ الْكُفَاةِ مُبَدَّلَةٌ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ  
السَّامِيُّ ... : علما بحِجَاسِنِهِ الَّتِي وَضَعَ بِهَا ، وَتَفَسَّحَ فِي الْعِلْيَاءِ بِهَا ، وَنَجَحَ  
فِي مَنَائِبِ الْفَضْلِ أَصْلُهَا ، وَشَرُفَ بِكَوَاكِبِ الْيَمِينِ اتِّصَالُهَا ؛ وَمَعَالِيهِ الَّتِي تَهَلَّلَ بِهَا  
وَجْهُ الْأَصَالَةِ ، وَكُلُّ بَيْتِ الرَّأْسَةِ وَالْجَلَالَةِ ، وَمَسَاعِيهِ الَّتِي آسَتَوْفَى بِهَا أَجْنَاسُ  
الْفَضْلِ وَتَوَرِثَهُ فَمَا أَخَذَهَا عَنْ كَلَالٍ وَلَا وَرِثَهَا عَنْ كَلَالَةٍ ؛ وَسِيرَتِهِ الَّتِي تَطْوِي  
نَحَارَ الْأَقْرَانِ حِينَ تُنْشَرُ ، وَهَيْئَتِهِ الَّتِي أَنْشَدَتِ السَّعَادَةُ فِرْعَوَهَا الْكَرِيمَ : «مَبَادِيكَ  
فِي الْعِلْيَاءِ غَايَةُ مَعَشَرٍ» ؛ وَمَكَاتِهِ مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ ، الْبَدِيعِ سَنَدُهُ الْمُنِيعُ  
سِنَادُهُ ، الْمَدِيدِ مِنْ تَلْقَاءِ الْحَجَرَةِ طُنْبُهُ الثَّابِتَةِ مِنْ حَيْرِ النُّجُومِ أَوْتَادُهُ ؛ وَأَنَّهُ نَجَلَ السَّرَاةِ  
الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَأَسْتَشْهَدُوا عَلَى مَنَاقِبِهِمْ كُلَّ عَدُوٍّ وَكُلَّ وَادٍ ؛  
وَحَمَلُوا مِنْ صَنَاعَتِهِمْ رَايَاتٍ عَبَّاسِيَّةً سَارَتْ بِهَا رِمَاحُ أَقْلَامِهِمْ تَحْتَ أَبْدَعِ سَوَادٍ ،  
وَمَلَّوْا قَدِيمَ الْأَوْطَانِ بِشَرَفِ الْآخِرِ : فَسَوَاءٌ عَلَى شِيرَازَ مُحَاسِنُ «ابن العميد»  
وَمُحَاسِنُ «ابن العماد» ؛ وَتَبَيَّنَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهَذَا النُّجْلِ السَّعِيدِ طُرُقَ الْمَرَاتِبِ كَيْفَ  
تُسَلِّكُ ، وَامْحَازَ الْمَنَاصِبِ كَيْفَ يَكُونُ لَهَا يَدُ أَرْبَابِ الْبُيُوتِ أُمْلَكُ ، وَدَرَجَاتِ  
الْوُظَافِ كَيْفَ تَسْمُو الْوَالِدَ بِالْوَلَدِ حَتَّى يَقُولَ : لَا أَبَالِي هِيَ الْيَوْمَ لِي أُمُّ لَكَ ؟ ؛  
كَمْ أَسْتَنْهَضَ وَالِدُهُ لِحَلِيلِ فَكَفَّنِي ، وَحَمِيلَ قَصْدِي فَوَفَّى ؛ وَأَوْفَاتِ عَلَتْ حَتَّى أَصْغَتْ

إلى علاه تَنْتَسِبُ ، ومناصبَ رُزِقَ - بتَقَوَاهِ فيها - من حَيْثُ يَحْتَسِبُ ومن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؛ وجاء هذا الولدُ ذَخِيرَةً والدِهْ فُحْسَنَتْ لِلخَزَانَةِ الذَّخِيرَةُ ، وَعُصِدَتْ الْأَوَّلَةُ من السِّيَادَةِ بِالْآخِرَةِ .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً هي أعلى منها وأشرفُ سِيرِهِ ؛ مُجْتَهِداً فيما يُبَيِّضُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ وَنَسَبِهِ ، عارفاً قَدْرَ هذه الرُّتْبَةِ من أوَائِلِ رُتْبَتِهِ ، مَتَّقِظَ الْأَفْكَارِ وَالطَّرْفِ ، متَأَرِّجَ الْمَعْرِفَةِ إِذَا ذَكَرُوا الْعَرَفَ ، زَانِجاً تَبَرُّعَاتِهِ عَلَى التَّعْلِيْقِ فَلَا يُتَّقَدُّ عَلَيْهِ فِي مُتَحَصِّلٍ وَلَا صَرْفٍ ؛ حَتَّى يَقُولَ الْخَزَانَةُ : نَعَمْ الْعَزْمُ الشَّاهِدُ ! وَحَتَّى يَشْهَدَ بِوَفَاءِ فَضْلِهِ الْمَضْمُونُ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ بِأَمَانَتِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هُوَ «الْمَأْمُونُ» ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَصَايَا أَوَّلَ وَأَوَّلَى مَا تَمَسَّكَ بِهِ ، وَاسْتِقَامَ عَلَى شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْسُرُ الْإِسْلَامَ بِتَنْبِيهِ قَدْرِهِ وَيُقِرُّ الْأَوْصَافَ بِمَهْدِيهِ !



تَوْقِيعُ بِشَادَةِ الْأَنْسَوَارِ ، وَهُوَ :

رُسمُ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَمُدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عَنَانِيهِ سُورَا ، وَيَجِدُّ لِلْأَوْلِيَاءِ رِأْسًا مَيْسُورَا ، وَيُسْعِدُهُمْ بِكُلِّ تَوْقِيعٍ يَكُونُ بِالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورَا - أَنْ يَرْتَبَ الْمَجْلِسُ ... ... : عِلْمًا بِعَزْمِهِ السَّاهِدِ ، وَحَزْمِهِ الشَّاهِدِ ؛ وَكِفَائَتِهِ وَأَمَانَتِهِ الَّتِي مَا كَانَ وَصْفُهُمَا حَدِيثًا يُفْتَرَى ، وَنَظَرًا لِحَالِهِ وَحَالِ الْأَنْسَوَارِ : فَيَالَهَا شَهَادَةً كَانَ أَصْلُهَا نَظَرًا .

فليأشِرْ هذه الرُّتْبَةُ الْمُبَارَكَةُ كَمَا عَهِدَ مِنْهُ مَبَاشَرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، مُشْرِقَةً الْأَنْوَارِ ، جَاعِلَةً تِلْكَ الْعَمَارِ حِلِيَّةً لِدِمَشْقَ : فَيَبْنِئُ هِيَ مُسَوَّرٌ إِذَا هِيَ سَوَارٌ ؛ ضَاطِطًا لِمُتَحَصِّلِهَا وَمَضْرُوفًا ، مُحَرَّرًا لَوْفِهَا مُحْتَرِّزًا مِنْ وَقُوفِهَا ، جَارِيًا عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ ، زَانِجًا بِكَرَمِ اللَّهِ

تعالى على التوفيق تبرُّشهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهِمَّتِه المَتَمَكِّنَةِ الأسباب ،  
ويُضْرَبُ بين المَدِينَةِ وبين من كَادَهَا بِسُورٍ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ؛  
واللهُ تعالى يَسُدُّهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَيَحْفَظُ هِمَّتَهُ وَبَرَكَتَهُ «لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغْرُ» .



تَوْقِيعٌ بِمُشَارَفَةِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ ، لِمَنْ لَقِبَهُ «جَمَالُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ» وَهُوَ :

رُسم بالأمر العالى - أعلى الله تعالى أعلامَ حَمْدِهِ ، وجعل أَحكامَ المَقَادِيرِ مِنْ  
جُنْدِهِ ، وَلَا زَالَتْ أَفلاكُ الشُّهُبِ مِنْ خَزَائِنِ سِلَاحِ سَعْدِهِ - أَنْ يُرْتَّبَ ... : حَمَلًا  
عَلَى حَكْمِ التَّزْوِلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالطَّلُوعِ إِلَى رُتَبِ الْأَسْتِحْقَاقِ الْمَرْغِيِّ ؛ وَعِلْمًا بِكِفَايَتِهِ  
الَّتِي بَلَغَتْهُ آمَالًا ، وَجَعَلَتْ لِلْوَظَائِفِ بِذِكْرِهِ جَمَالًا ، وَثَمَرَتْ بِقَلْبِهِ لِلْجِهَاتِ مَالًا ،  
وَأَوْصَلَتْهُ عَلَى رَغَمِ الْأَنْدَادِ لِمَا لَا ؛ وَاعْتِمَادًا عَلَى أَمَانَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا مَلَاذًا ، وَأَكْتَفَى  
بِهَا سِلَاحُ عَزَمِهِ نَفَازًا ؛ وَصِيَانَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَعْتَرَضَ [لَهَا] عَرَضُ الدُّنْيَا فَقَالَتْ :  
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ؛ وَاسْتِنَادًا إِلَى نَشْأَتِهِ فِي بَيْتٍ عَلَتْ فِي الْمَنَاصِبِ أَعْلَامُهُ ،  
وَصَدَقَتْ فِي الْمَرَاتِبِ حُلُومُهُ وَأَعْلَامُهُ ، وَتَنَاسَبَتْ الْآنَ تَصَرُّفَاتُهُ السَّعِيدَةُ : فِيمَا فِي تَدْبِيرِ  
الْجِيُوشِ وَإِمَا فِي تَنْمِيزِ السِّلَاحِ أَقْلَامُهُ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزِيمِ بَادِي النَّجَا وَالنَّجَاحِ <sup>(١)</sup> ، وَقَلِمَ عَلَى حَالَتِي وَظِيفَتِهِ  
وَهِمَّتِهِ مَا ضَى عَزَمِ السَّلَاحِ ؛ مَقَرَّرًا لِعَمَلِهَا وَمَعْمُولَهَا ، ضَابِطًا لِوَأَصَالِهَا وَمَجْمُوعَهَا ؛ حَتَّى  
يَذْهَبَ لِسَانُ سَيْفِهَا بِشُكْرِهِ ، وَتَطْلُعَ أَهْلَةُ قِسْمِهَا بِمِائِنِ ذِكْرِهِ ، وَتَكُونُ كُؤُوبُ رِمَاحِهَا  
كُلُّهَا كَعَبٌ مُبَارَكٌ بِمُبَاشَرَتِهِ وَبِشْرِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَسُدُّ قَلَمَهُ فِي وَظِيفَتِهِ تَسْدِيدًا  
سِهَامِهَا ، وَيُوقِّرُ لَهُ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْمُرَاشِدِ وَسِهَامِهَا .

(١) هُوَ مُصَدَّرُ نَجَاةٍ بِالْمَدِّ وَقَدْ يَقْصُرُ ،



قلت : وهذا توقيعٌ بوظيفةٍ بكتابة ديوانيةٍ لسامريٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال قَلَمُ أَوَامِرِهِ الْفِضَى يُظْهِرُ ثَمَرَهُ ، مُسَمِعًا حَدِيثَ الْإِنْعَامِ الشَّامِلِ حَتَّى سَمَرِهِ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي كَذَا : عِلْمًا بِكَفَايَتِهِ الَّتِي يُعَذِّرُ بِهَا فِي قَوْمِهِ عَلَى سُلُوكِ اللَّهِ ، وَحَذَقِ حِسَابِهِ الَّذِي هُوَ أَلَدُّ مِنَ السَّلَوَى الْمُجْتَنِبَةِ وَمُجْتَنِبِهِ ، وَقَرِيحَتِهِ الَّتِي إِذَا اخْتَارَهَا اخْتِيَارَ قَوْمِ مُوسَى فَازَ مِنَ الْعَمَلِ بِمَطْلُوبِهِ ، وَإِذَا قِيلَ : يَا سَامِرِيُّ مَا قَدَّمَكَ عَلَى الْقُرْنَاءِ فِي الْحِسَابِ ؟ قَالَ : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَاطَتْ حَيَاطَةَ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ ، وَرَفَعَتْ رَأْيَتَهُ عَلَى الْأُنْدَادِ قَائِلَةً : مَا حَاطَ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ كَصَاحِبِ الْحُمْرَاءِ ! ، وَأَعْتَمَدًا عَلَى كِتَابَتِهِ الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا مِنْ حُسْبَانَاتِهِ الْأَسْفَارِ الْمُبَيَّنَةِ ، وَإِقْرَاءِ لِمَصْنَعَاتِهِ الَّتِي تَحَرَّتِ الْفِكَرُ حَتَّى قِيلَ : هَذَا مِنْ شَعْبِ الْقَرَارِيِّينَ وَالْكَهَنَةِ .

فليباشر هذا الاستيفاء لأوفى منه مُتَرَقِّيًا ، وَلِكَلِمَاتِ الْإِخْتِيَارِ مُتَلَقِّيًا ؛ نَاهِضًا بِإِخْدَمِهِ ، مُجَدِّدًا بِاعْتِرَاقِهِ الْإِسْرَائِيلِيَّ ذِكْرَ النِّعَمَةِ ، عَارِفًا قَدْرَ الْإِنْعَامِ الَّذِي رَعَى وَشَمِلَ كُلَّ ذِمَّةٍ ؛ سَالِكًا مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي خِدْمَةِ حِسَابِهِ كُلِّ طَرِيقَةٍ ، غَافِلًا لِلْحُسَادِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ : فَيَعْبُدُونَ الْعِجْلَ مَجَازًا وَحَقِيقَةً ؛ مُجْتَمِدًا فِي أَسْنِزَالِ الْمَنِّ لَا الْمَنَعَ ، مُعَوِّدًا آلَافَ الْحَوَاصِلِ بِعَشِيرِ كَلِمَاتٍ رَاشِيَةٍ مِنْهُ فِي السَّمْعِ ، مُعَلِّقًا عَلَى جَمِيعِهَا هَيْكَلًا مِنْ أَمَانَتِهِ فَهُوَ أَدْرَى فِي الْهَيْكَلِ بِشَرَطِ الْجَمْعِ ؛ صَائِتًا لِنَفْسِهِ مِنْ عُذْوَانِ الْخِيَانَةِ حَتَّى لَا يَعْدُوَ فِي سَبْتٍ وَلَا فِي أَحَدٍ ، مُتَتَرِّفًا عَنْ أَكْلِ الْمَالِ مَعَ الْخَوْنَةِ حَتَّى يَقَالَ : نَعَمْ السَّامِرِيُّ الَّذِي لَا يَأْكُلُ مَعَ أَحَدٍ .

## الضرب الثاني

( من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .

وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رسم» )

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزّة ، وهى :

رُسم بالأمر - لازال النَّصْرُ المَكْرَرُ، يَحْلُو بِذِكْرِهِ، وَالسَّعْدُ المَقْتَرُ، يَحْلُو وَجْهَ الآمالِ  
بَذْهَرِهِ، وَلَا يَرَحُ سِرَاجُ الخِدْمِ مُضِيّاً عِنْدَ لَيْلَى نَهْيِهِ الحَالِكِ وَأَمْرِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ  
فَلَانٌ ... : لَمَّا عُرِفَ فِي الْمَنَاصِبِ مِنْ نُهوضِهِ الذِّى رَاقٍ وَرَاجٍ، وَفِي المِهْمَاتِ  
مِنْ رَأْيِهِ الذِّى يَمْتَشِى أَحْوَالَ الجِهَاتِ المَسْتَقِيمَةِ بِسِرَاجٍ ؛ وَلَمَّا شَهِرَ لِهْ فِي الْأَنْظَارِ  
الْمُتَعَدِّدَةِ مِنْ عُلُوِّ الهِمَمِ ، وَفِي الوُطَائِفِ المُرْتَدِّدَةِ مِنَ العِزَمَاتِ الَّتِي يَقُولُ السَّدَادُ :  
نَبَهَ [لَهَا] عُمَرَا<sup>(١)</sup> ثُمَّ نَمَ ؛ وَلَمَّا وُصِفَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَدِرَائَتِهِ وَهَمَّا المَرَادِ [تَمَانٍ] مِنْ مِثْلِهِ ،  
وَرَأْسَةِ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ المَشِيدِينَ عَنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ وَسَهْلِهِ ، وَأَتَارِهِ الحَمِيدَةِ المُنْتَقَلَاتِ  
وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ المُنْتَسِبُ إِلَى سَلِيفٍ يَحْمَدُ لِسَانُ الْإِسْلَامِ أَثَرُ عَقْلِهِ وَنَقْلُهُ .

فليأشُر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يُحمد أثرها ، ويُسند عن صحيح  
عِزِّهِ خُبْرَهَا وَخَبَرَهَا، وَيُورِقُ بِغُصُونِ الْأَقْلَامِ وَرَقِّ حِسَابِهَا وَيُرُوقُ ثَمَرُهَا ؛ مُجْتَهِداً  
فَهُوَ مِنْ تَسْلِ المَجْتَهِدِينَ فِي عَوَائِدِ التَّحْصِينِ وَالتَّحْصِيلِ ، وَالتَّائِيهِ وَالتَّائِيلِ ، مَلِيّاً بِمَا  
يَجْبُرُ كَسْرَ هَذِهِ الْبِلَادِ بِالصَّحَّةِ وَيَأْسُو جُرْحَهَا بَعْدَ التَّعْدِيلِ ، حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُحْيِيَ -  
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدْيِيرِهِ - عَمَلَهَا الذِّى لَمْ يُبْقِ المَوْتُ مِنْ ذِمَائِهِ غَيْرَ القَلِيلِ ؛ سَالِكاً

(١) أنظر حاشية ٢ ص ٣٨٨ من هذا الجزء .



من الزَاهَةِ والصَّيَانَةِ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلَّى، ومن الكَفَاءَةِ والأَمَانَةِ عَادَتِهِ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَعْلَى؛ مُسْتَرْفِعًا لِلْحَسَابِ وَلِقْدَرِهِ فِي الْخِدْمَةِ، شَاكِرًا :  
فَإِنَّ الشُّكْرَ ضَمِينٌ لَزَيْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجًا وَهَّاجَ الذِّكَا عَلَى الْمَنَارِ وَلَا ظُلْمَ  
مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قَدْرَهُ ، وَلَا يُطْفِئُ ذِكْرَهُ .



تَوْقِيعُ بَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةِ ، لِمَنْ لَقَّبَهُ « شَمْسُ  
الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ نَافِذَةً فِي الْآفَاقِ ، عَاطِفَةً عَطْفَ النَّسَقِ عَلَى دَوَى  
الِاسْتِحْقَاقِ ، مُطْلِعَةً شَمْسَ التَّقَى وَالْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ ... :  
عَلِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَاعًا لَشَمْسِهِ وَإِنْ آعَتْزَهَا  
غَمٌّ غَمٍّ فِي مَطَالَعِ شَرْفِهَا الْأَنْوَرِ ؛ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ غَيْمٌ يَزُورُ وَيُزُولُ ، وَتَقْصُّ لَا يُقِيمُ  
إِلَّا كَمَا يَذْهَبُ عَارِضٌ مِنْ أَقْوَالٍ ؛ وَاعْتِمَادًا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ وَفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأَلْفَ مِنْ  
سَنَاءِ دِرَآئَتِهِ وَدَرَايَتِهِ ، وَوصَفَ مِنْ أَيَّامِ دِيُونَتِهِ <sup>(١)</sup> بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَابَتِهِ ؛  
وَاسْتِنَادًا إِلَى تَسَنُّاتِهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،  
وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ ذَاتِ الْعِمَادِ .

فَلْيَبَاشِرْ صَحَابَةَ دِيَوَانِ هَذَيْنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَالٍ بَيْنَمَا هُوَ  
مَنْحَوْسٌ حَظٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَغْبُوطٌ ؛ وَاجْتِهَادٍ مَضْمُونٍ لِحَدَوَاهُ فَضْلُ  
الزِّيَادَةِ ، وَسَيْرٍ لَا يَزَالُ بِشَمْسِهِ حَتَّى تَجْرِيَ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةٍ  
لَأَوْقَافِهَا تُعَانِ وَتُعَادُ أَبْجَلُ إِعَانَةٍ وَأَكْلَ إِعَادَةٍ ، وَصَحَابَةٍ يَنْتَوِعُ فِي نَفْعِهَا وَيَتَعَيْنُ حَتَّى  
تَكُونَ [ مِنْهُ ] عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

أَيَّامُ كَانَ بِدِيَوَانِهِ . وَهُوَ لَفْظٌ سَخِيفٌ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الشَّعْرَا وَبَانِيَّاسٍ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةِ، لِمَنْ لَقِبَهُ «صَدْرُ الدِّينِ» وَاسْمُهُ «أَحْمَدُ» بِالْعَوْدِ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لا زالت صُدُورُ الكُفَاةِ مُنْشِرِحَةً فِي أَيَّامِهِ ، مُنْشِرِحَةَ الآمَالِ فِي إِنْعَامِهِ ، وَلَا بَرَحَ عَوْدِهِ أَحْمَدٌ إِلَى الْمَنَاصِبِ فِي ظِلَالِ سَيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ .

ومنه : فليباشر هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وآخراً ، وليجتهد فيما يزيده من الاعتناء والاعتناء باطناً وظاهراً ، وليستزِدْ بِشُكْرِهِ مِنَ النِّعْمَةِ فَمَا أَخْلَفَ وَعَدُ الْمَزِيدِ شَاكِراً ، وَلِيَحْرِضْ عَلَى أَنْ يُرَى أَبَدًا فِي الْمَرَاتِبِ صَدْرًا وَلَا يُرَى عَنْ وُجُودِ الْإِحْسَانِ صَادِرًا .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ خَمَصٍ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِابْنِ الْبَدْرِ نَظِيرٌ مَخْصٍ بِالزُّوْلِ مِنْ أَبِيهِ عِنْدَ مَا أَسَنَّ ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لا زال حَسُنَ النَّظَرُ مِنْ مَوَاهِيهِ ، وَبَيْنَ الظُّفَرِ مِنْ مَرَاكِبِهِ ، وَسَقَى الْبِلَادَ صَوْبَ الْعَدْلِ مِنْ سَحَائِبِهِ ، وَلَا بَرَحَ سَنَا الْبَدْرِ مِنْ خَدَمِهِ إِذَا أَحْسَ بِالسَّرَارِ أَلْقَى الْخِدْمَةَ إِلَى أَزْهَرِ كَوَاكِبِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... : لِمَا عَلِمَ مِنْ رَأْيِهِ الْأَسَدَ ، وَعَزَمَهُ الْأَشَدَّ ، وَمَرْبِيَّ وَالِدِهِ حَتَّى يَبِينَ عِظَمُ الْهِنَاءِ بِالشُّبُلِ عِنْدَ مَا وَهَنَ عِظَمُ الْأَسَدِ ، وَرُكُونًا إِلَى نَجَابَتِهِ الَّتِي سَمَتْ أَصْلًا وَفِرْعَا ، وَقَدُمْتَ غَنَاءً وَنَفْعًا ، وَتَبَسَّمْتَ كَمَا تُمْ أَصْلُهَا الْمُسْتَأْنَفَةُ حَيْثُ كَادَ الزَّمَانُ يَنْعَى مِنْهُ يَتَعَا ، وَاسْتِنَادًا إِلَى أَنَّ الصَّنَاعَةَ شَابَهُ ، وَتَسْمَاتِ التَّمَكِّينِ هَابَهُ ، وَإِلَى أَنَّ أَغْصَانَ الْعِزَائِمِ نَضَرَهُ ، وَإِلَى أَنَّ مَعَ الْقُدْرَةِ قُدْرَهُ ، وَإِلَى أَنَّ كَوَكَبَ الْعِزِّ فِي الْمَتَزَلَّةِ قَدْ خَلَفَ بَدْرَهُ ، وَاعْتِمَادًا عَلَى سِيَهَامِ تَنْفِيذِهِ الصَّابِيهِ ،

وأحكام هَمِّهِ الواجبه ، وأقلام يَدِهِ التى تُحَسِّنُ إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهى الحاسبةُ الكاتبة .

فليأشُرْ هذا النَّظَرُ المَقْوُضَ إليه سامياً نَظَرُهُ ، زائِجاً فى الخِدمة خُبْرُهُ وخَبْرُهُ ، شاكراً هذا الإِنعام الذى برَّأ به وأُسعد جَدَّهُ ومَزِيدُ الإِنعام مضمونُ المَزِيدِ لمن شَكَرَهُ ، عالِماً أنَّ هذه المملَكةَ المَحْصِيَّةَ من أقدم ذخائر الأيام ، وأكْرَمَ ما أفاءَ اللهُ من غَنيمَتِها وظِلِّها على جُنْدِ الإسلام ، وأنها من مراكز الرِّماح كما تُشِيرُ فليُحَدِّثْها من تَدْبِيرِهِ برِماح الأَقْلام ، وليُؤاظِبْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ على تَقْرِيرِ أحوالها ، وتَقْرِيبِ آمالها ، وتأثيرِ المِصالح فى أَعْمالها ، ولا يَحْصُصْ أمرها فى التَّضْيِيقِ فكفى ما حَصَّصَتْها الأيامُ على تَعاقُبِ أحوالها ، بل يَحْتَدُّ فى إِزاحةِ أَعْدَارِها بِسَدادِ الرَّأْيِ الرَّابِحِ ، وإِشاعةِ الذِّكْرِ الحَسَنِ مع كُلِّ غَايَةٍ ورَائِحَةٍ ، وَرَفَعِ الأَيْدِي بِالْأُدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ فى تلكَ المِشاهدِ لِلْمَلِكِ «الظاهر» فى هذا الوقتِ والمَلِكِ «الصالح» ؛ حَتَّى يَشْهَدَ سَيْفُ اللهِ «خالد» بِمِصْءِ سَيْفِ حَزْمِهِ وَعِزِّهِ ، وَحَتَّى يَتَوَقَّرَ من غَرَضِ الخَيْرِ والخَيْرِ نَصِيبُ سَهْمِهِ ، وَتَقْوَى اللهُ تعالى أَوَّلُ الوِصايا وآخِرُها فَتُكُنْ أَبَداً فى هِمَّةٍ فَهْمِهِ .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ الرَّحْبَةِ ، من إِنْشاءِ ابنِ نُباتَةِ لمن لَقِبَهُ «تاج الدين» وهو :

رُسمُ بالأمر - لا زالَ مَلِيَّ السَّحابِ ، بِسُقْيَا الأَمالِ الوارِدَةِ ، مَمْلُوءَ الرَّحابِ ، بِكُفَاةِ الأَعْمالِ السَّائِدَةِ ، مُحْدُومِ المَمالِكِ والأَيَّامِ بأَقلامِ الدَّواوينِ الحاسِبَةِ وأَقلامِ الدَّواوينِ الحامِدَةِ - أنْ يَسْتَقَرَّ ... ... : لِكُفائَتِهِ التى وافَقَ خُبْرُها الخَبَرَ ، ونُشِرَ ذِكْرُها نُشْرَ الخَبَرِ ؛ وَصِناعةِ حِسابِهِ التى لَوِ عاش «أَبُو القاسِمِ المَعْرَى» لم يَكُنْ لَه فىها قِسيما ،

ولو عاصرها «أَبْنُ الْجَرَّاحِ» بَقَدَمِهِ وإِقْدَامَهُ لَا تَقْلِبُ عَنْهَا جَرِيحَ الْفِكْرِ هَزِيماً ؛  
بل لو نَآوَاهُ الشَّدِيدُ الْمَاعِزُ لَذُيْحَ بَغِيرِ سَكِينٍ ، وَالتَّاجُ الطَّوِيلُ لَرَجَعَ عَنْ هَذَا التَّاجِ  
الطَّائِلُ رُجُوعَ الْمَسْكِينِ .

فَلْيَبْشُرْ مَا قُوِّضَ مِنْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ إِلَيْهِ ، وَنَبِّهِ الْاِخْتِبَارَ فِيهَا نَظَرَهُ الْجَمِيلَ وَنَاطِرِيَهُ ؛  
جَارِياً عَلَى عَوَائِدِ هِمَمِهِ الْوَثِيقَةِ ، مَا شِئاً عَلَى أَنْجَحِ طَرِيقٍ مِنْ آرَائِهِ وَأَوْضَحِ طَرِيقِهِ ،  
نَازِلاً مِثْلَ الْعَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ الَّتِي لَوْ صُوِّرَتْ بَشْراً لَكَانَ نَاطِرُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛  
مُقَرَّجاً لِمَصَاقِفِهَا حَتَّى تَكُونَ كَمَا يَقَالُ رَحْبَهُ ، مُقْتَحِجاً مِنْ حُزُونِ أَحْوَالِهَا الْعَقَبَةِ  
وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ ؛ فَكَّ مِنْ رِقَابِ السُّفَّارِ الْمَوْقِفِينَ رَقَبَهُ ؛ وَأَطْعَمَ أَرْبَابَ  
الْاِسْتِحْقَاقَاتِ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، وَسَاعَفَ بِتَيْسِيرِ الْمَعْلُومِ كُلِّ كَاتِبٍ ذِي مَتَرَبَةٍ ؛  
حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُغْنِيَ الدِّيْوَانَ بَوْفَرِهِ ، وَتُغْنِيَ حُدَاةَ التُّجَّارِ بِشُكْرِهِ ، وَعَلَى أَنْ يَقُومَ  
رِجَالُ الْاِسْتِخْدَامِ فِي الْمِهْمَاتِ بِنَصْرِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُسَاقَ بِفَضْلِ قَلْبِهِ الْأَمْوَالُ أَحْسَنَ  
سَوَاقٍ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِ الرَّحْبَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ «مَالِكٌ» وَمِنْ جَدْوَى تَدْيِيرِهِ  
«طَوَقٌ» ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ فِي الْمَصَالِحِ مِنْهَاجَهُ ، وَيُعْلِي عَلَى رُءُوسِ الْأَوْصَافِ تَاجَهُ .



تَوَقَّعْ بِنَظَرِ جَعْبَرٍ قَبْلَ أَنْ تُثْقَلَ إِلَى عَمَلِ حَلَبَ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبْنِ نُبَاتَةٍ ، كُتِبَ بِهِ  
«لَهْبَةُ اللَّهِ بْنِ النَّفِيسِ» ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتِ الْمَنَاصِبُ فِي دَوْلَتِهِ الشَّرِيفَةِ تَسْتَقْبِلُ هِبَةَ اللَّهِ بِشُكْرِهَا ،  
وَنَتَائِجَ الذِّكْرِ النَّفِيسِ بِمَقْدَمَاتِ نَشْرِهَا وَبِشْرِهَا - أَنْ يَرْتَبَ ... : لِكِفَائَتِهِ  
الَّتِي أَشْهَرَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي طَهَّرَتْ فَظْهَرَتْ ، وَمُبَاشَرَتِهِ الَّتِي ضَاهَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ  
إِذَا زَهَرَتْ ، وَنُجُومُ الْأَرْضِ إِذَا أَزْهَرَتْ ؛ وَأَنَّهُ الَّذِي جُرِّبَ عَزْمُهُ فَزَكَ عَلَى

التَّجْرِيبُ ، وَرَقِيَ فِي مَطَالَعِ التَّنْذِيرِ وَالْتِدْرِيبِ ، وَنَصَّ حَدِيثُ أَجْتِهَادِهِ الْمُقَرَّبَ فَكَانَ سَابِقًا عَلَى النَّصِّ وَالتَّقْرِيبِ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِّنْ أَطَابِ التَّأْرِخِ خَبَرُهَا ، وَقَصَّ سِيرَهَا ، وَحَمَدَ صَاحِبَهَا الْعَقِيلَ مِنْ قَدِيمِ أَثَرِهَا ، وَعَرَفَ بَرَكَتَهَا لَمَّا أَسْتَسْقَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوَانِ مَطَرَهَا .

فَلْيَبْشُرْ هَذَا الثَّغَرَ الْمُحْرُوسَ بِكَفَاءَةِ بِاسْمِهِ ، وَعِزْمَةِ كَالْحُسَامِ لِأَذْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمِهِ ؛ وَرَأْيِ لِلنَّجَاحِ حَسَنِ الْأَسْتِصْحَابِ ، وَتَثْمِيرِ كَمَا مَلَأَ الرَّحْبَةَ فُلَيْمَلًا بِمِضَاعَفَتِهِ الرَّجَابِ ؛ مُؤَفِّرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلِ الْعِدَادِ ، فَاتِحًا لِأَفْوَاهِ الْقُفُولِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَانِمِ وَالنَّجَادِ ، مَا شِئًا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطُّرُقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيعُ بَنْظَرِ الْبِقَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ ثُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يُهَيِّئُ لِلْكُفَاةِ رِزْقًا ، وَيُهَيِّئُ لِتَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحِقًّا ، وَلَا بَرَحَتِ الْبِقَاعُ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرِّجَالُ وَلَا تَشْقَى - أَنْ يَرْتَبَ ... حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مَكْتَابَةُ الْجَنَابِ الْفُلَانِي : مُنَبِّهَا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّاطِرِ الْمُهْدَّبِ وَضَفُّهُ ، الْمُرْتَبَ عَلَى نَحْوِ الثَّنَاءِ نَعْتُهُ وَعَظْفُهُ ؛ الْمَشْهُورِ بِمُبَاشَرَتِهِ آتِنْفَاعِ الْوُظَائِفِ وَأَرْتِفَاعِهَا ، الشَّاهِدِ بِكَفَائَتِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَبِقَاعِهَا ؛ وَأَعْتِمَادًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ ، وَكُتَابَتِهِ الَّتِي لَا يُدَاهِنُهَا الْمَدَاهِنُونَ وَهِيَ نِعَمُ الْبَلْعَبَكِيَّةِ <sup>(١)</sup> .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُتِمِّنَّةَ بِمَطَالَعِ رَشْدِهِ ، وَمَطَالَبِ سَدِّهِ ، عَالِمًا أَنَّ الْبِقَاعَ كَالرِّجَالِ تَسْعَدُ وَتَشْقَى : فَلْيَكُنْ سَعْدُهَا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَهُ

(١) نسبة الى بعلبك عند من يجعله اسما واحدا ويمتنع من الصرف فأما من يضيف الأول الى الثاني ويجرى الأول بوجوه الاعراب فالنسبة عنده بعلبك .

شَاكِرِهِ، حَرِيصًا عَلَى آزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حِسَابِ الْعَمَلِ مَحَلَّ بِنَانِهِ  
بِفَعْلِهِ الْآنَ مَحَلَّ نَظِيرِهِ ؛ مُتَمَرِّدًا لِأَمْوَالِ النُّوَاحِي وَغِلَالِهَا ، وَاضِعًا عَنْ أَرْبَابِ  
الْأَسْتَحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّدْيِيرِ : مِنْ إِضْرَارِهَا وَأَغْلَالِهَا ؛ مُحْتَاطًا لِنَفْسِهِ  
فِي الْحَوَاطِ حَتَّى لَا يُذْكَرَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يُعْرَفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ؛ نَازِلًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى  
تَهْوِيَ إِلَيْهِ أَلْفَاظُ الثَّنَاءِ هَوًى الطَّيْرِ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ مَقْصِدَهُ : فَإِنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ  
الدَّارِينَ لَا غَيْرَ .

### الصنف الرابع

( مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقع مشايخ الخوَّاق ،

وهي على ضربين )

### الضرب الأول

( ما هو بحاضرة دِمَشْقَ ، وهو على ثلاث مراتب )

### المرتبة الأولى

( ما يفتتح به «الحمد لله» )

وهو توقيعُ شَيْخِ الشُّيُوخِ بِدِمَشْقَ : وَهِيَ مَشِيخَةُ الْخُلَفَاءِ الصَّلَاحِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ  
بِالشُّمَيْصَاتِيَّةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا يَكْتُبُ بِهَا أَيْضًا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . ثُمَّ هِيَ تُفْرَدُ  
تَارَةً عَنْ كِتَابَةِ السَّرِّ بِالشَّامِ ، وَتَارَةً تُضَافُ إِلَيْهَا .

تَوَقِّعُ بِمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ  
لِلشَّيْخِ «علاء الدين علي» مفردة عن كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَهُوَ :

الحمد لله الذى جعل شَرَفَ أوليائه عليا ، وفضله الجليل جليا ، وأتصالَ علائهم  
كَاتصالِ كوكبِ الشَّرَفِ بإيلاءِ الخيراتِ مليا ، وحاضِرَ أفضيهم كغائبِهِ إذا سَطُرَتْ  
دَعَوَاتُهُ وَاسْتَمَطَرَتْ هِبَاتُهُ كان على كَلا الحَالَيْنِ وليا .

نحمده على توالى النعم الأنيقة ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
شهادة تستمر بأصاها فروع الحقيقة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق  
بكرم الخليفة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق  
وسلكوا فى أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقنة وألسنة  
الذكر طليقة ، ونحية إذا بدت فى حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره  
وكانت للأبصار من القدر شقيقة .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العناية ، وتفخيم الرعاية ، وتكريم التولية  
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التى يجمع عباد الله  
الصالحين نطاقها ، ويضمهم رواقها ، وتطلعهم مطالع كواكب الهدى آفاقها المنيعة  
وأوقافها .

ولما خلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على  
قُطْبِهِ ، وتجتمع على مائدة قُرْبَاتِهِ وقُرْبِهِ ، وتمشى على قدميه وتناجى صلاح أحوالها  
عن قلبه - تعين أن نختار لها من كَلَمَاتِهِ بالله أداته ، وصفت فى مشاهد الحق  
ذاته ، وزكت فى علمي الإبانة والأمانة شهادته المفضحة ومشاهداته ، وأجمع الناس  
على فوائد تسليكه وأسلاك قلبه حيث بدت فى وجوه الحسن حسناته ، ووجوه  
الشام شاماته ، لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

في العلم من طوفانه ؛ ولما قام في الأذهان من طبقة قدره الموصوف ، ولما سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآثار : « هذا السرى » قال الإيثار : « وفصله معروف » .

فليأشر هذه المشيخة المباركة بصدر السالكين رحيب ، وبر السائلين مجيب ، وقصيل يقول الرائد والمريد بدار إقامته : قفا نبك من ذكرى منزل وحبيب ؛ وبشر وبشرى يملآن عين المجتلي ويد المجتدي ، وعطف ولطف إذا قال الذّاكر لمن مضى :  
 راح مالكي ! قال المعاني : وجاء سيدي ؛ ولتراج أمور الخواني الشامية ما غاب منها وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، وليهدب قلوب ساكنيها حتى يعود كإخوان الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ؛ قائما بحقوق الرتبة قيام مثله من أئمة العلم والعمل ، داعيا هذه الدولة العادلة فإنه أقصى دواعي الأمل ، مغربا -  
 لأنّ العربيّة من علومه - عن الإيضاح غنيا عن تفصيل الجمل ؛ وهو المسلك فما يحتاج لتسليك درر الوصايا ، المخبوء لمثل هذه الزوايا المبرورة : فينعم الزوايا المحبوة بنعم الخبايا ؛ والله تعالى يعيد على الأمة بركاته ، ويمتّعهم باستسقاء الغيوث : إما بسطها عند برّه ! وإما بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام أيضا ، مضافة إلى كتابة السرى ، كتب بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيّب » كاتب السرى بالشام « بالمقرر الشريف » وهي :

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق وأتباعه ، وجعلهم خواصه الذين غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفع ذكرهم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام الأئس في محلّ القرب بالتسليك المحمدي الذي أوصل إليه مزيده بانقطاعه ، وخصهم



ببركات من حصَّهم على الأعمال الصالحة بقصده الجميل وعلمه الغزير واتّضاعه ،  
ومنحهم بمن أَوْضَح لهم الطَّرِيقَ المستقيم بإبدائه الحقَّ وإبدار إبداعه ، وغَذَّاهم بالحِكْمَةِ  
فَنَشَّوْا بالمَعْرِفَةِ وصار لهم العقل السليم بالتحفُّظ من الأهوية الرَّذِيَّة فسَلِمَتْ لهم الطَّيِّبَةُ  
على قانون الصَّحَّة بحُسن تَرْكِيبه وأَوْضَاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرُّشد  
فصاروا أولياء بملازمة أُوْرَادِهِ ومُتَابَعَةِ أَوْزَاعِهِ .

نحمده على ما أَلْهَمَنَا من وَضْعِ الشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وإِيصَالِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ ، وإِجَابَةِ  
سُؤَالِ الْفُقَرَاءِ وإِعَاتِيَتِهِمْ بِمَنِ أَغْنَاهُمْ عَنِ السُّؤَالِ بِفَضَائِلِهِ وَفَضْلِهِ ؛ حَمْدًا يَبْعِدُ كَشَافَ  
الْكُرْبِ عَلَى مُرِيدِهِ وَطَلَبَتِهِ ، وَيَرْفَعُ مَقَامَ مَنْ قَامَ بِشِعَارِ الدِّينِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ  
دَرَجَتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي مَن تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعًا ،  
تَقَرَّبَ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَاهُ يَمِشْ أَتَاهُ هَرَوَلَةً وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ عَبْدُهُ بِالنَّوَافِلِ  
أَحَبَّهُ ، (وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ  
وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ) . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَتْ  
الْأَنْوَارُ مِنْ نُورِ هَدْيِهِ فَأَهْتَدَتْ بِهِ أَصْحَابُ الْمَعَارِفِ الْمُسْلِمُونَ لِمُوجِدِهِمُ الْأَمْرَ  
وَالْإِرَادَةَ ، وَمَنْ هُوَ رُوحُ الْوُجُودِ الَّذِي أَحْيَا كُلَّ مَوْجُودٍ وَسَلَكَ طَرِيقَ سُنَّتِهِ  
الْمُوصِّلَةَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَفَتْ  
قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَكْدَارِ وَإِلَى التَّقْوَى سَبَقُوا ، وَصَدَقُوا فِي الْحَبَّةِ فَاسْتَحَقُّوا ثَنَاءَ مَوْلَاهُمْ :  
(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا) ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ سَمَّتْ مِنْ فِيهِ رَاحَةُ كَيْدِ مَشْيُوتِهِ مِنْ  
خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَدَّثَ بِمَا شَاهَدَهُ بِبَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ عَلَى الْبُعْدِ وَرَأَاهُ ؛ وَمِنْهُمْ  
مَنْ أَحْيَا لَيْلَهُ وَأَسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اتَّخَذَهُ أَخًا إِذْ هُوَ بَابُ  
مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَرَكْنُ الْعِلْمَاءِ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً تُطَيِّبُ أَوْقَاتَ الْحَيِّينَ ، وَتُطْرِبُ بِسَامِعِهَا  
قُلُوبَ الْمُتَّقِينَ أَهْلِ الْيَقِينِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيًا .

أما بعد، فإن أولى من قدمناه، إلى أهل الصلاح، ورفعناه، إلى محل القرب وروح الأرواح، وحكمناه، على أهل الخير، ومكّاه في حزب الله الذي غلب لما اجتهدوا على إخراج حزب الشيطان من قلوبهم وزحفوا على قراره بجيش التقوى وسمّتهم الزهد وحسن السير؛ وولّيناه أجل المناصب الذي تجتمع فيه قلوب الأولياء على الطاعة، وأحللناه أرفع المراتب الذي خطبه منهم خيار الجمع لجلوة عروس الجمال في الخلوة بعقد ميثاق سنة المحبة وشهادة قلوب الجماعة - من جملة صورة ومعنى، وأنخرجه أحاد ومتن؛ وباشره على أحسن الوجوه، وبلغ كلاً من مُريديه وطلّبه من فضائله وفضله ما يؤمله ويرجوه؛ ومدّ موائد علومه المحتوية على أنواع الفضائل المغذية للقلوب، وجلس في حلل الرضا فكسا القوم الذين لا يشقى بهم الجليس ملايس التقوى المطهرة من العيوب؛ وظهر في محفلهم للهداية كالبدر وهم حوله هاله، وكان دليلهم إلى الحق فدّوا بتسليكه من مشايخ الرسالة؛ وجاهد في بيان معاني القرآن العظيم حتى قيل لما فسره: هذا «مجاهد»، وأستدل على تنزيهه من تكلم به - سبحانه - عن التشبيه والتعليل «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد»؛ ونقل الحديث الحمدي الذي هو «موطاً» لتفهم «الغريب» منه وميز «صحيحه» لكل «مسلم» فاطرب بسماحه الوفود، وأفاد العباد «تنبيه الغافلين» فقاموا في الخدمة فأصبحوا تعرفهم بسيماهم: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)؛ وخفّض جناحه الذي عبر به الشعري العبور والنسر الطائر، وسار إحسانه إلى طوائف الفقراء فصار مثلاً خبيداً «المثل السائر».

وكان فلان - أعاد الله تعالى من بركاته وأسبغ ظلاله - هو الذي أقامه الله تعالى لهذه الطائفة المباركة مرة بعد مرة، ودُكرت صفاته الجميلة فكان مثله للعيون قُرّه؛

وَأَتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَاهَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا مَلَأَتْ مِرْءَاتَهُ الْمُقَلَّ، وَحَصَلَ  
 الْبَشَرُ بِمَعْرُوفِهِ الَّذِي تَتَّبِعُهُ السَّرِيُّ أَبُو يَزِيدَ بَغْرِيَّ عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكَرَامِ وَوَصَلَ ؛  
 وَتَبَعَتْ عَنَاصِرُ فُضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدَرِهَا ، وَأَمْطَرَتْ  
 سَحَابُتُ عُلُومِهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّارَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا ؛ وَظَهَرَتْ لُمَعَةُ  
 أَنْوَارِ شَمْسِ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ ، وَسَاقَ نَفُوسَ الْقَائِمِينَ لِمَا عَزَّ مَطْلَبُهُمْ  
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَّاسِمَ قَلْبِ الْفَانِي بِذِكْرِ الْبَاقِي فَعَرِّقُوا فِي بَحَارِ الْحُبَّةِ ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ  
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ،  
 وَيَبْنِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا : ﴿ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ وَمِنْ يَدِهِمُ الْإِكْرَامُ -  
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْخُرُوسُ : وَظِيفَتُهُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْهُ ،  
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِعَادَتُهَا عَلَيْهِ ، عَوْضًا عَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ الشَّاهِدِ  
 بِهِمَا دِيْوَانِ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ؛  
 تَقْوِيضًا نَظَّمَتْ بِالْقَبُولِ عُقُودُهُ ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سَعُودُهُ ، وَفِي دَرَجِ الْمَعَالِي  
 صُعُودُهُ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَلْيَبَاغِ الْفُقَرَاءَ مِنْ إِقْبَالِهِ الْجَمِّ الَّذِي أَلْجَمَ عُدُوَّهُ الْمُنَى وَالسُّوْلَ ؛  
 وَلْيَعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالشَّفَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ ، وَلْيَشْمَلْ كُلًّا مِنْهُمْ  
 بِعَيْنِيَّةٍ وَلُطْفِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ ؛ وَلْيَأْمُرْهُمْ بِمُلَازِمَةِ  
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرِيقَ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا  
 إِلَى مُنَافَسَةِ بَيْنِهِمْ فَلْيَقُلْ : اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ  
 الْمِيلِ ؛ وَلْيَفْسَحْ لَهُمْ حَرَمَ الْخَيْرِ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ نُجَاهَ قَصْرِ تَعَبُدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الْفَرْدِ وَقُوَّةَ الْإِخْلَاصِ ، وَلِيُدْخِلَهُمْ مِنْ جَنَّةِ إِقْبَالِ فَوَائِدِهِ الَّتِي فِيهَا مِنْ أَبْكَارِ مَعَانِيهِ حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِ أَدَائِهِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأَعْجَزَ قَصْرُهُ الْعَالِي وَجَوْهَرُهُ الْعَالِي كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛ وَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلِ اعْتِمَادِهِ وَمَرْوَةٍ مُرْوَةٍ إِيْخْوَانَ الصِّفَاءِ ، وَلِيُقِيمَهُمْ فِي رُكْنِ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيْثُمْ تَلْقَاءَ أَهْلُ الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِّمَ السَّابِقِينَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنَجْدَتِهِم بِالْوَرَعِ الَّذِي يَغْلِبُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، وَلِيُدَاوُوا قُلُوبَهُمُ الْمَرْضَى بِشَرَابِ الْمَحَبَّةِ وَتَرْكِيبِ أَدْوِيَةِ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَقْتَدُوا وَقْتَ السَّحَرِ [بِحَدِيثِ] (هَلْ مِنْ تَائِبٍ) وَلَا يَسْقِهِمْ كَاسَاتٍ تَضْعُفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يُنْفِقُوا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَغْتَسِلُوا بِحَارٍّ مَجَارِي دُمُوعِ الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَدِيدَ مَلَائِسِ التَّقَى وَيَعْدُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُعْرَفُ الْوَصَايَا ، وَعَنْهُ تُنْقَلُ الْمَزَايَا ، وَكَرَّمَ الْأَخْلَاقَ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَاوِمَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعَقَائِدِ وَأَسْتَقَلَّتْ ، وَلِيَحْضُضَ الْمُرِيدِينَ أَوَائِلَ التَّسْلِيكِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْمَحَبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَثَلَا يَقُومُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيَامِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْهَوَا حِرْفَى طَلَبِ الصِّيَامِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِمُلَازِمَةِ الْأَوْرَادِ لَثَلَا يَقَعُوا مِنَ الْإِسْتِبَاهِ فِي حَيْرَةٍ ، وَلِيَأْمُرَهُمْ بِإِدْخَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَتَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوَّتًا وَالزُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ الْبِدْعِ ، وَلِيَرْفَعَ مَنْ أَنْتَضَعَ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ أَوْقَافِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَاقِ وَالرُّبُطِ وَالزُّوَايَا بِالْجَمِيلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَلِيَزِدَّ فِي الْأَجُورِ بِمَا يُوَثِّرُ فِيهَا نَظَرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ فَبِذَا الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ ؛ وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُفِيدُهَا وَعِنْدَهُ مَنبَعُهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةٌ ذَوْقُهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكُونُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ ، وَيَرْفَعُهُ بِهَا وَيُرْقِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

## المرتبة الثانية

( من تواقع مشايخ الأمكنة بحاضرة دِمَشْق - ما يفتح بـ «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف )

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،  
كتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ «المجلس العالي» وهي :

أما بعد حمد الله رافع شهب الهدى أعلاما، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومحل  
أحدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا مح الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قمرًا  
تماما، ومُسْكِنَه من مواطن الذكرك جَنَاتِ قَوْمٍ بارتقائهم وبقاء ذكركم خالدين فيها  
حَسُنَتْ مستقرًا ومقامًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من أخذ القرآن إمامًا،  
وأَنْفَع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرًا وجلًا الحق بهداه إنيها ما ، وعلى آله  
وصحبه أمتع من ليس بسرِّ الآيات درعًا وأقسم من بركتها سهامًا - فإنَّ وظيفة  
يكون القرآن الكريم، ربيع فضلها وفضلها، ورُتْبَةٌ يكون الذكر الحكيم، مُدَاوِي قُلُوبِ  
جفائها، ومشيخة يكون مُريد الآيات البينات واردة زوايا أهلها - لأحق أن تُغيَّر لها  
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوى الحليم  
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالثربة المعروفة بأَم الصالح بدمشق المحروسة :  
هي كما يقال : أُمُّ الْعِلْمِ وأبُوهُ، وأخوه وحموه، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه،  
وَحَلَّتِ الآن من شيخ [ كان ] يحمي حماها، وتُقسَمُ الخلوات والآيات من بركته وتلاوته  
بـ «السَّمْسِ وَصُحَّاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا» وكان فلان هو الذخيرة الخبوة لهذا الأمر ،  
وذو السيرة المحبوبة بهذا الشرف الغمر، وصاحب القراءة والبيان الذي لا يُعوَّزُ زمان

طَلَبَتْهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عُمَرُ، وَالْجَامِعُ لِعُلُومِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى جَمَعَ سَلَامَةً فِي فَنِّهِ، وَصِحَّةٌ فِي شَرَفِ ذِهْنِهِ، وَجَوَازُ أَمْرٍ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لَدَى] الْمَشْكَلَاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحُبِّ فِي رُذْنِهِ، وَالْقَارِئُ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبِينًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُشِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصْحَفِهِ فَلَا عَدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومَهُ أُولُو الْأَلْبَابِ، وَالْمُجَلِّ وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقِبَ عَنْ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ«أَبْنُ النَّقِيبِ» أُولَى بِسَنَدِ التَّفْسِيرِ عَالِيَا، وَالْإِمَامَ السُّنِّيَّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيَا، وَالسَّامِي الَّذِي يَسْلُكُ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ مَحَجَّهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دُخُولٌ فِي بَابِ تَيَقُّنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّةٍ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرُوبَةِ سَحَابُهُ، وَخَلْفُ الْعُلَمَاءِ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلْفُ الْأَحْمَرِ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَضِجُ لَدَيْهِ تَعَالِيهِ، وَلَا «أَبْنُ خَرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلِّثُ» وَمِنْ الْأَقْلَامِ مَخَالِبُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَاءِ الْمُنَشَّدُ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ .

وَلِيَّيْنِ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ \* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ !  
بَدُورُ سَمَاءٍ ، كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ ، \* بَدَا كَوْكَبٌ ، تَأَوَّى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ !

تَعَيَّنَ أَنْ يُخْطَبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةُ الْفَقِيِّ لِاقْتِبَالِ حَجِّهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْفِيرِهِ، وَيُطْلَبَ لِهَذِهِ الرِّتَبَةِ طَلَبًا يَقْضِي الْأَمْلَ فِيهِ بِعَنْوَانِ تَيْسِيرِهِ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ... : وَضَعًا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا ، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفْاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجَلِّهَا ، وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهُدَى شَهَابًا ، الْمُدْفِقُ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَحَابًا ، النَّاقِلُ إِلَى مَجَالِسِ الْأَسْتِغْثَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ .

فليأشُرْهـ هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوى الأناة والإفادَة ، وكُفافة المناصب  
الذين على سَعِيهِمُ الْحُسْنَى وعلى الدَّولة تَصُلُّ الزَّيَادَة ؛ وَلَيْسَلُكَ فى الأشغال عادة نُطْقِهِ  
الْأَحْسَنُ ، وَلِيَعَامِلْ طَلَبَتَهُ فى المباحث بغير ما أَلْفُوا من الخُلُقِ الْأَخْشَنُ ، وَلِيَعْلَمْ أَنَّهُ  
قَدْ جُمِعَ بَيْنَ رَهْ وَتُرْبَةِ الْأُمِّ كى تَقَرَّعِنَهَا وَلَا تَحْزَنَ ؛ فَلْيُسَرِّهَا بِنُبْلِهِ ، وَلْيَبْرَهَا بِفَضْلِهِ ؛  
وَلْيُوَفِّرِ السَّعَى إِلَيْهَا كُلَّ وَفْتٍ فى الْمَسِيرِ ، وَلْيُقَسِّرْ أَحْلَامَ أُمَمِهَا فِيهِ فَمِنْ مُفْرَدَاتِ عُلُومِهِ  
التَّفْسِيرِ ؛ وَلْيُحَسِّنْ لِنَلَامِدَتِهِ الْجَمْعَ ، وَلْيَحْمِ حِمَى رِوَايَاتِهِمْ من الخَطَا وَلَا عَجَبُ أَنْ يُحْمَى  
حِمَى السَّبْعِ ! ؛ تَالِيًا كَلَامَ رَبِّهِ كَمَا أُنْزِلَ وَحَسْبِهِ ، دَاعِيًا بِذَنْبِ قِرَاءَتِهِ إِلَى ابْنِ كَتَبِ  
خَبْدَا نَسَبِهِ الْمُبَارَكُ وَكَعْبِهِ ؛ نَاصِبًا بِمَنْظَرِ تَخْصِيصِهِ أَشْخَاصَ أُمَمَالِهِ الْأَوَّلِ بَعْدَ مَا ضَمُّهُمْ  
صَفِيحَ الْخَدِّ وَتُرْبَهُ ، حَتَّى يَمِيسَ « الْكِسَائِيُّ » فى بُرْدِ مَسَرَّتِهِ الْفَاحِرِ ، وَيَفْتَحَ عِيُونَ  
« حَمْرَةَ » عَلَى زَهْرَاتِ رَوْضِ عَيْقِ الْمُبَاخِرِ ، وَيَتَرَّمَّ وَرَشَانُ « وَرَشِ » فى الْأَوْرَاقِ  
عَلَى بَحْرِ الزَّاحِرِ ؛ وَيُظْهَرُ بِفَضْلِهِ ذِكْرُ « الشَّاطِئِي » فَيَكُونُ « الْقَاضِي الْفَاضِلُ » رَحِمَهُ اللَّهُ  
قَدْ أَظْهَرَهُ فى الزَّمَنِ الْأَوَّلِ و« الْقَاضِي الْفَاضِلُ » أَجَلَهُ اللَّهُ قَدْ أَظْهَرَهُ فى الزَّمَنِ الْآخِرِ ،  
وَتَقَوَّى اللَّهُ تَعَالَى كَمَا عُلِمَ خَتَامُ الْوَصَايَا الْبَيضِ فَلْيَتَنَاوَلْ مِسْكَهَا الَّذِى هُوَ بِشَدَا الْمِسْكِ  
سَانِحٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِعُلُومِ صَدْرِهِ الَّذِى مَا ضَاقَ عَنِ السُّؤَالِ قَلْبُهُ ، وَيَمْتَعُ بِعُلُومِ  
قَدْرِهِ الَّذِى إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ لَفَضْلُ الشَّيْءِ فَمَنْ لَهُ .

### المرتبة الثالثة

(من تواقع مشايخ الأماكن بحاضرة دِمَشْقَ - ما يَفْتَحُ بِ«رُسْمٍ بِالْأَمْرِ»)

تَوَقَّعُ بِمَشِيخَةِ الْجَوَالِيْقِيَّةِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ؛ وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ حُسْنُ اعْتِقَادِهِ يَسْتَنْزِلُ النَّصْرَ فَيَنْصُرُ ، وَيَسْتَبْصِرُ مَطَالِعَ  
الْفَوْزِ فَيُبْصِرُ ، وَيَسْتَجْلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ كُلِّ زَاهِدٍ إِذَا حَامَ فى أَفْقِ الْعِبَادَةِ

حَلَقَ وما قَصَّرَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : حَمَلًا عَلَى الوَصِيَّةِ التَّامَّةِ الْحَكْمِ وَالْأَسَاسِ ، وَعِلْمًا  
بَأَنَّهُ مِمَّنْ حَلَّ فِي مَشِيخَتِهِ لِبَاسُ بَلَّاسٍ ، وَنَزَعَ فِي الزُّهْدِ عَمَّا عُدَّ زِينَةً فِي النَّاسِ ؛  
وَسَرَحَ شَعْرَهُ حَقِيقَةَ التَّسْرِيحِ فَأَطْلَقَهُ ، وَحَمَارِقَ سَوَادِهِ وَبَيَاضِهِ فَأَعْتَقَهُ ؛ وَلَا زَمَ  
طَرِيقَ مَشَايِخِهِ فَمَا ، وَشَكَرَ الْحَالَ بِفَعْلٍ فِي مَنَبَتِ كُلِّ شَعْرَةٍ لِسَانًا لِلشُّكْرِ وَفَا ؛ وَسَرَّ  
طَائِفَةً وَرَدُّوا عَلَى آثَارِهِ مَنَاهِلَ الْوَفَا ، وَصَفَتْ قُلُوبُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ  
كُتُوسُ إِخْوَانِ الصَّفَا ؛ حَتَّى مَشَوْا إِلَى مَطَالِبِ الْخَيْرِ مَشَى الرَّخَاخِ ، وَفَاحَرُوا أَقْوَامًا  
دَلَّسُوا عِزَّةَ رُتَبَتِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَأَنْشَدُوهُمْ : «عُقُولُ مُرْدٍ وَلِحَى أَشْيَاخٍ» .

فَلْيَقُمْ فِي مَشِيخَتِهِ قِيَامًا يُحْيِي الْقَوْمَ بِأَنْفَاسِهِ ، وَيُبَهِّجُهُمْ بِكَرَامَةِ الْكَشْفِ مِنْ قَلْبِهِ  
وَتَكْرِيمِ الْكَشْفِ مِنْ رَأْسِهِ ؛ سَالِكًا بِهِمْ فِي طَرَائِقِ الْخَيْرِ مُسْتَبْشِرِينَ ، آمِرًا بِتَقْصِيرِ  
الْمَلَابِسِ وَرِعًا حَتَّى يَدْخُلَ بِهِمْ إِلَى النَّسْكِ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ،  
وَيُعْظِي حَالَهُ بِمُذْهَبٍ مَذْهَبِهِ .

### الضم — رب الثاني

(من تَوَاقِعِ مَشِيخَةِ الْأُمَاكِنِ - مَا هُوَ بِأَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَفِيهِ مَرْتَبَةٌ

وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الْإِفْتِتَاحُ بِ«رِسْمِ» )

وَهَذِهِ نَسْخَ تَوَاقِعٍ مِنْ ذَلِكَ :

نَسْخَةُ تَوَاقِعِ بِمَشِيخَةِ الْحَرَمِ الْحَلِيلِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ ثُبَاتَةَ ،  
كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْبِرْهَانِ» الْجَعْبَرِيُّ بِ«الْمَجْلِسِ» وَهِيَ :

رِسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَسَطَ عَذْلَهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ الْوَاصِفُ  
وَلَوْ تَعَالَى ، وَسَرَى لِأَوْلِيَاءِ بَنِي الْأَوْلِيَاءِ بِرِّهِ الَّذِي تَسَنَّنَ بِسُنَّةِ الْغَيْثِ ثُمَّ تَوَالَى - أَنْ



يستقر ... - أدام الله تعالى بركته الانتفاع، وباقتداء سلفه الارتفاع، وأعاد من بركات بيته الذي قام البرهان بفضلله وقال بوضوح شمس الإجماع - في مشيخة حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدمة، ومستقر قاعدته المعلومة المعلمة؛ بعد إبطال ما كُتِبَ به لغيره فإن هذا الوليَّ أولى، ولأنَّ الحقَّ معه وبأع الحقَّ أطول على المعنيين إطالةً وطولاً؛ وضماً للشئ في محله الفانحر، وحملًا على ما بيده من توافيق شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأول والآخر، وعلمًا أنه بقية العلم المشيد، والزهد العتيد؛ وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو «أمين» العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه ولقائه مُريد؛ والقائم بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقامًا مجتبي، والمتنسب إلى خدمة الحرم الإبراهيمي مخدوما صلى الله عليه ونسبا؛ والقديم الهجرة فلا تركه الأوطان ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير؛ فما ضره أن العدو يشكوه إذا كان «الخليل» يشكره؛ وقد سبق له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزُّها تمامًا، وشكرها لازما، وكانت على الصَّادِرِينَ والوَارِدِينَ كُنُفُكَ النَّارِ النبوية بردًا وسلامًا. فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التوافيق الشريفة التي بيده، وليكن يومه في الفضل زائدًا على أمسه مقصرًا عن غده؛ بثناء يتلق الأضياف أي الأضياف، باليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفًا وإن لم تكن رحلة إيلاف، جاريًا في بركة التذير والتمير على عادته وعادة سلفه فنعم الخلف ونعم الأسلاف؛ مؤظبا على عادة تقواه ورفع الأدعية لهذه الدولة الشريفه، جاعلاً ذلك منه أول وآخر كل وظيفه؛ والله تعالى ينفع بركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته بالخيرات وفضل تعبِه .



تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الزَاوِيَةِ الْأُمَيْنِيَّةِ بِالْقُدُسِ وَنَظَرِهَا، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرْهَانِ الدِّينِ»  
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِ«بِالْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

رُسم ... - لِأَزَالِ يُجْعَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَيُخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ  
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يُثْمِرُهَا السَّعَادَةَ - أَنْ يُحْمَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتِي النِّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ  
بِالزَاوِيَةِ الْأُمَيْنِيَّةِ بِالْقُدُسِ الشَّرِيفِ ، عَلَى حَكْمِ النُّزُولِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَرِّ  
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَأَسْتَمَرَّاهُ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمُقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ  
الْمُنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيهِ ، وَتَسْرِعِ رَغْبَتِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ  
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْنِئَتِهِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لِمِثْلِهِ إِذْ هُوَ مُعَلِّمٌهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ  
سَبْحَانَهُ أَهْمٌهَا وَأَعْظَمُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ  
الْأُمُورِ اعْتِمَادَنَا عَلَيْهَا ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ! .

### الصَّنْفُ الْخَامِسُ

(مَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِيعُ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَسُومٌ مَكْتَتَبٌ بِرُيُوعِ تَقْدِيمَةِ بَنِي مَهْدَى بِ«الْمَجْلِسِ  
السَّامِيِّ» بِغَيْرِ بَاءٍ ، كُتِبَ بِهِ لـ «مُوسَى بْنِ حَنَاسٍ» مُفْتَتِحًا بِ«أَمَّا بَعْدُ» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَبَسَطَ عَلَى ذَوِي  
الْإِخْلَاصِ ..... (١) ..... الظِّلِيلَةِ ؛ وَالشَّهَادَةَ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَهُ «ظِلَالٌ نَعْمَةُ الظِّلِيلَةِ» .

شهادة أتخذها للتوحيد دَلِيلَهُ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى  
أتخذه الله تعالى حبيبه وخليفه ، وآتاه الدرجة الرفيعة والوسيلة ، وعلى آله وصحبه  
صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتزكية القوم تُرعى ، وذو الإخلاص ينجح له  
كل مسعى ، والجدير بالنعم من يُحِبُّ بالطاعة حين يُدعى ؛ مَنْ سَلَكَ فى الخدمة  
الشريفة مَسَلَّكَ الأسلاف ، وَتَجَنَّبَ ما يُفِضِ إلى الشقاق والخلاف ؛ فعند ذلك  
رَفَعْنَا مَرَاتِبَهُ ، وضاعفنا مواهبه ، وأزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجملنا مكاسبه ؛  
وبَسَطْنَا فى رُبْعِ تَقْدِمة بنى مَهْدَى كلامه ، ونَقَّضْنَا أمره على طائفتِهِ : قوله وإبرامه ؛ مَنْ  
أَضْحَى مشكوراً من كل جانب ، مُجْتَهِداً فى المصالح وبلوغ المآرب ؛ مَنْ عُرِفَ بالأمانة  
فَسَلَكَهَا ، وَاشْتَهَرَ بالصيانة فَمَلَكَهَا ؛ وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقَتْ بها  
الأئسنة ؛ وكان فلانٌ هو الذى أضحى على عُربانه مقدماً ، ومن أكابرهم معظماً .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه الشريفة عالية نافذة ، وأوامره  
بصلة الأرزاق عائدة - أن يستقر ... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من  
التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرة حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه  
الأئسنة ؛ وليُظهر السداد ، وليبذل الطاعة والاجتهاد ؛ وليسلُك المسالك الحسنة ،  
والله تعالى يجعله من الذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؛ والوصايا كثيرة  
وملاكمها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مَهْدَى من الأبواب السلطانية أيضاً .  
على أن هذا التوقيع من التواقيع الملتقة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس برائق  
اللفظ ، ولا مؤنق المعنى .

(١) هذا الكلام كانه عليه المؤلف بعد غير منسجم بل غير مستقيم .

## الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقيع زعماء

أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى مفتتحاً بـ «أما بعد» كتب به للبطرك

«ميخائيل» وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعلنا نَشمَلُ كلَّ طائفةٍ بمزيد الإحسان، ونُقِضُ من دولتنا الشريفة على كلِّ بلاٍ أطمئناناً لكلِّ مِلَّةٍ وأمان، ونُقِرُّ عليهم من آخثاره ونُراعيهم بمزايا الفضل والأمتنان، والشهادة بأنه الله الذى لا إله إلا هو الواحد الذى ليس فى وحدانيته قولان، والفرد المنزه عن الجواهر والأقنوم والوالد والولد والحلول والحدثان، [شهادة] أظهر إقرارها اللسان، وعملت بها الجوارح والأركان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة المَلَلِ والإنس والجان، الذى بشر به عيسى وآمن به موسى وأنزل عمومَ رسالته فى التَّوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فصَحَّ النقلُ بنبوته وآدمُ فى الماء والطِّينِ وأُوضح ذلك البرهان، وعلى آله وصحبه الذين سادوا بإخلاص الوحدانيه، وشادوا أركان الملة المحمَّديَّة، وأعزوا الإيمان وأذلوا الطغيان، صلاةً ينفع طيِّبها، ويُفصحُ خَطيئها، ويفرح بها الرحمن - فإنَّ أولى من أقمناه بطريكا على طائفة النصارى المَلِكِيَّة، على ما يقتضيه دينُ النصرانية والمِلَّة العيسويَّة، حاجاً لهم فى أمورهم، مُفصِّحاً عما كَنَ فى صُدُورهم - من هو أهل هذه البِطْرِيكيَّة، وعارف بالمِلَّة المسيحيَّة، أخذهُ لها أهل طائفته، لما يعلمون من خبرته ومعرفته، وكفائته ودُرْبَتِهِ، ونَدِب إلى ولايةٍ يستحقها على أبناء جنسه، ورغب فى سلوكه لها مع إطابة نَفْسِهِ، مع ماله من معرفة سَرَت

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلانٌ - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى المَلِكِيَّةِ بالمعرفة مذكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الألسنه .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العيم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لسائر الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى المَلِكِيَّةِ بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقدم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكمه إلى آخر وقت .

فليأشر هذه البطركية مباشرة محمودة العواقب ، مشكورة لما تحلّت به من جميل المناقب ؛ وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، وليسرفهم سيرا جيلا ليحصل لهم غاية قصده ومآربه ؛ ولينظر في أحوالهم بالرحمة ، ويعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمم ؛ وليسلك الطرق الواضحة الجلية ، وليتخلق بالأخلاق المرضية ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم وامتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممتثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهره ؛ متصيين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكلمته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، وليرفق بذوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيبوا نهييه من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمكن النصارى في الكنائس من دق ناقوس ، ورفع أصواتهم بالضجيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلا منهم يلزم

زِيَّهٌ، وما جاءت به الشروط العُمَرِيَّةُ - عمر بن الخطاب رضى الله عنه - لتكونَ أحوالهم في جميع البلاد مَرَعِيَّةً ؛ وليَخْشَ عالم الخَفِيَّاتِ ، وليستَعْمِلَ الأناةَ والصَّبْرَ في جميع الحالات ؛ والوصايا كثيرةٌ وهو بها عارف ، والله تعالى يُلْهِمُهُ الرُّشْدَ والمعارف .

قلتُ : وهذا التوقيع فيه ألفاظٌ ومعانيٌ غيرُ مستَحْسَنَةٍ ، وألفاظٌ ومعانيٌ مُنكَرَةٌ ، أَخْشَاهُ قَوْلُهُ : مُفْصَحًا عما كَنَّ في صُدُورِهِمْ . فإنه لا يعلم ما تُخْفِي الصدورُ وتُكْنِيه إلا الله تعالى .

واعلم أنه ربما أَفْتَحَ توقيعُ البطريكِ عندهم بـ «رُسم بالأمر» .



توقيع لبَطْرِكِ النصارى بالشام أيضاً ، كُتِبَ به للبطريك «داود الخُورى» بـ «البَطْرِكِ المحتشم» وهو :

رُسم بالأمر - لازالَ يَعرُزُ بالانْتِجاءِ إلى حَرَمِهِ من يَأْوِي إليه ، وَيَقْصِدُ عَدْلَهُ من أَهْلِ المِلَلِ ويعتمدُ عليه - أن يَستَقِرَّ فلانٌ - وفقه الله تعالى - بطريكِ المَلَكِيَّةِ ، بالملكة الشريفة الشامية المحروسة ، حَسَبَ ما آخَثاره أَهْلُ مِلَّتِهِ المقيمون بالشام المحروس ورَغِبُوا فيه ، وَكُتِبُوا خُطُوطَهُمْ به ، وسألُوا تَقْرِيرَهُ في ذلك دُونَ غيره ؛ إِذْ هو كَبِيرُ أَهْلِ مِلَّتِهِ ، والحَاكِمُ عليهم ما أَمَدَ في مَدَّتِهِ ؛ وإِليه مَرَجِعُهُمْ في التَّحْريمِ والتَّحْلِيلِ ، وفي الحُكْمِ بينهم بما أَنزَلَ اللهُ تعالى في التَّوْرَةِ ولم يُنْسخْ في الإنجيل ؛ وَشِرْعَتِهِ مَبْنِيَّةٌ على المِساخَةِ والاحْتِمَالِ ، والصَّبْرِ على الأذى وَعَدَمِ الاكْتِراثِ [ به ] والاحتفال .

نَحْنُ نَقْصِدُ في الأوَّلِ بِهذه الآداب ، وأَعْلَمُ بأنَّ لك في المَدْخَلِ إلى شَرِيعَتِكَ طَرِيقًا إلى البابِ ؛ فتَخَلِّقْ من الأخلاقِ بكلِّ جَمِيلٍ ، ولا تَسْتَكْثِرْ من مَتاعِ الدُّنْيَا

فإنه قليل ؛ وقدم المصالحة بين المتحامين إليك قبل الفصل البتّ فإنّ الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحى ولم تخالف فيه الحمديّة الغراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغلّ ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليك الأمر فى البيع ، وأنت رأس جماعتك والكل لك تبع ؛ وإياك أن تتخذها لك تجارة مريجه ، أو تقطع بها مال نصرانى تقربه فإنه ما يكون قد قربته إلى المدبج وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديارا - والقلاى ، [يتعين عليه أن يتفقّ فيها كل أمر فى] الأيام والليالى ؛ وليجتهد فى إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، ولعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبّد فلا يدعها لتخذ متزّهات ؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلّ فى هذه الدنيا والتعفّف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إنّ أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقّى له خروج ؛ فليحذرهم من عملها مصيّد لئال ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تنزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكّل أمرٍ ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوك ، ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنّب البحر وإياه من اقترحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين ينقّ ؛ والتقوى مأمور بها أهل كلّ ملّة ، وكلّ موافق ومخالف فى القبلة ؛ فليكن عمله بها وفى الكفاية ما يغنى عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع برآسة اليهود بالشام ، مفتحا بـ «رسم» من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال جُودُهُ في كُلِّ مِلَّةٍ ، وَغَمَامُ كَرَمِهِ عَلَى الْخَلْقِ كَأَنَّهُ ظُنْلهُ ،  
وَذِمَامُ نِعَمِهِ يُبَلِّغُ الْمُسْلِمَ وَالذِّمِّيَّ مِنَ الْاِسْتِحْقَاقِ مَحَلَّهُ ، أَنْ يَسْتَقِرَّ الْحَكِيمُ .....<sup>(١)</sup>

ومنه : - وَأَنْ يَعْلَمَهُمْ عَلَى مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيُنِصِفَ صَاحِبَ حَقِّهِمْ  
مَنْ مُتَطَلِّبُهُمْ : حَتَّى لَا يَعْدُو أَحَدٌ فِي سَبْتٍ وَلَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَيُهْدَبَ وَحِشِيٌّ  
جَاهِلُهُمْ بِإِيْناسِهِ ، وَيَعَالَجَ سَقَمَ كَاهِلِهِمْ حَتَّى تَطْلُعَ الصُّفْرَاءُ مِنْ رَأْسِهِ .

فَلْيُقَمِّمْ مَقَامًا فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَلْيَعْبُرْ مِنْ أَسْفَارٍ عِبْرَانِيَّةٍ عَنْ عَوَائِدِ قَضَايَاهُمْ  
النَّظِيمَةِ ؛ مُفَرِّحًا بِمَعْرِفَتِهِ كُلَّ حَرَّانٍ ، جَامِعًا كُلَّ شَعْبٍ عَلَى عَدْلٍ عِنْدَهُ وَإِحْسَانٍ ؛  
شَاكِرًا لظُلِّلِ النِّعْمَةِ ، عَارِفًا بِالْعَوَارِفِ الَّتِي تَرَعَى يَمِينَهَا كُلُّ ذِمَّةٍ .

### النيابة الثانية

(من النيابات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من نمط دِمَشْقَ فَيَا يكتب عن نائبيها . فيكتب عن نائبيها أيضا  
بالتوقيع لأرباب الوظائف بحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب  
الأقلام الدينية ، وأرباب الأقلام الدنيوية ، وشايخ الأمكن وغيرهم ، مُرَتَّبَةً عَلَى  
المراتب الثلاث : من الافتتاح بـ «الحمد لله» ، والافتتاح بـ «أما بعد حمد الله» ،  
والافتتاح بـ «رُسِمَ بالأمر» .

وهذه نسخ تَوَاقِيعَ مما كتب به لأرباب السيوف بحاضرة حلب وأعمالها ،  
يُستضاءُ بها في ذلك :



تَوْقِيعُ نِقَابَةِ الْأَشْرَافِ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيِّ»  
بِـ«الْمَقَرِّ الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَدَ السِّيَادَةَ فِي بُيُوتِ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ تَحْلِيدَ ، وَقَلَّدَ تَقَالِيدَ  
السَّعَادَةِ ، لِأَهْلِ الْإِفَادَةِ ، أَسْعَدَ تَقْلِيدَ ، وَجَدَّدَ الْوِفَادَةَ ، لَحَرَمِ الْعِبَادَةِ ، بِعِزِّ الْعِصَابَةِ  
الْمُحَمَّدِيَةِ أَكَّدَ تَجْدِيدَ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الَّذِي عَقَدَ الْعَهْدَيْنِ لِأُمَّتِهِ ،  
بِالثَّقَلَيْنِ : مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعِثْرَتِهِ ، وَسَرِّ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ هُدَاهُ بِكُلِّ أَبِيٍّ مِنْ أُسْرَتِهِ ، وَأَقَرَّ  
الْعِيُونَ الْمِرَاقِبَةَ بِكُلِّ سَرِيٍّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَبَرَّقَ أَنْوَارُ النُّبُوَّةِ مِنْ أُسْرَتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ حَبْلُ  
النَّجَاةِ لِلتَّمَسُّكِ ، وَسُبُلُ الْهُدَاةِ لِلتَّنَسُّكِ ؛ وَصَحْبِهِ نَجُومِ الْهُدَى ، وَرُجُومِ الْعِدَا ، وَأُيُومِ  
الْخَيْرِ لِمَنْ بِهِمْ أَقْتَدَى ؛ صَلَاةً وَسَلَامًا ، يَتَعَاقَبَانِ دَوَامًا ، وَيَتَلَاوَمَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ مَدَى  
الْمَدَى لِزَامَا ؛ مَا حَلَا بَعِينَ وَطَفَ ، وَمَا عَلَا عَلَوَى دُرًّا شَرَفَ - فَإِنَّ أَهْمَ مَا أَعْتَنَى  
بِهِ وُلاةُ أُمُورِ الْإِسْلَامِ ، وَأَعَمَّ مَا أَقْنَى مِنْهُ رُعَاةُ أَجْوَرِ الْحُكَّامِ - رِعَايَةُ مُصَالِحِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ ، وَأَنْتَهَاؤُ الْفُرْصَةِ فِي مُوَالَاتِهِمْ حَتَّى لَا يَقَالَ لِقَوَاتِهَا : لَيْتَ ؛ وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ  
تَعَالَى مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَتَكْرِيمُ مَا كَرَّمَ رَسُولُهُ مِنْ بَرِّهِمْ وَاجْتِنَابُ عُقُوبِهِمْ ، وَتَقْدِيمُ  
أَحْقِهِمْ بِالتَّقْدِيمِ لِأَحَقِّ سَبَاقِهِمْ إِلَى غَايَاتِ الْغُلُوتِ وَسَبُوقِهِمْ ؛ وَالتَّعَبُّدُ بِالتَّعَبِّ  
وَالْاجْتِهَادُ فِي نَفْعِهِمْ ، وَنَضْبُ النُّفُوسِ لِلنَّضْبِ لِتَجَرُّدِ بُولِ الْفَخْرِ بِوَالَاتِهِمْ ،  
وإِعْلَانُهُمْ عَلَى الرُّءُوسِ وَرَفْعُهُمْ ؛ اخْتِيَارًا لِرَأْيٍ مَنْ زَادَ فِي الْعَنَايَةِ بِالْعِثْرَةِ الطَّاهِرَةِ  
وَأَرْبَى ، وَأَتَمَّارًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾  
خُصُوصًا نِقَابَةَ الْأَشْرَافِ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الْأَوْقَافِ ؛ فَهِيَ شَامِلَةٌ لْجَمْعِهِمْ ، وَجَامِعَةٌ  
شَمْلُهُمْ ، وَوَاصِلَةٌ نَفْعُهُمْ ، وَنَافِعَةٌ كُلُّهُمْ ؛ وَبِفَضْلِ مَبَاشَرِهَا تُسَبِّغُ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ ،  
وَتُسْتَدِرُّ بِرِكَاتِهِمْ إِجْمَاعُهُمْ عَلَيْهِ سُحْبُ الرَّحْمَةِ ؛ وَبِكِفَالَتِهِ تُجْمَعُ الْمِنَّةُ لِمَرَاتِبِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ،  
وَبِإِيَالَتِهِ تُدْفَعُ الظَّنَّةُ عَنْ مَنَاقِبِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ عَنْ وِلاَةِ الْأُمُورِ مِنْ خَدَمِهِمْ

بفروض الكفايه ، والدائم الدأب لمرآة أدبهم لتحسن لهم الرعايه ، فوجب الاحتفال باختيار من يحلّي هذا المنصب الشريف ، وتعين الابتهال في امتياز من يسبغ عليه هذا الظلّ الوريث ؛ ممن قدم في هذه السيادة بيته ، وأرتفع بخصّ العيش لقربته بعفافه وديانته صيته ، وتنزه عن كلّ ما يشين وتبرا ، واكتسب حلال الفخار العلية ومن أعراض الدنيا الدنية تعزى .

وكان فلان بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلالهم ، وضاعف بمعالى الشرف جلالهم - ممن حاز في هذه الخلال المنازع ، وجاز نهاية هذه الحصال بلا منازع ، وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المشارع ؛ ودرى المراقى إلى المجد ودرب ، وبلغت نفوس محبيه من مخايل سعوته الأرب ، وقرت عيون أقاربه بما حصل له من القرب ؛ ونشأ في حجر السعاده ، وأرتضع لبان الإفاده ، ولحق بالسابقين الأولين من أهل بيته في الزهاده ، وتبذل بالإخلاص فظهرت على وجهه أنوار العباده ؛ وأنقطع على العمل ، وبلغ من العلوم الأمل : قووم تشبث بالمجرة وهو شامة في شامه المنسوب :

ورث السيادة كايّا عن كايّر ! \* كالرّيح أنبوب على أنبوب .

أصل نفار سما ، وفرع نجار نما ، وغيث فضل همى ؛ أثبت في أعلى المعالي قدما ، وناسب قدره سعيه كرمًا ؛ وجلت صفات محاسنه اللائقه ، وحلت الأفواه مدائح سجاياه الرائقه ، وتملت الألسن وما ملّت ما تملّ عنه بالخير كلّ ناطقه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لزالّت أوامره ببرآل مولاته ماضيه ، ونواهيه بقر أهل معاداته قاضيه - أن يستقر ... استقراراً يقر عين العلا ، ويسر نفوس أهل الولا ؛ ويضع الأشياء في محلّها ، ويسند الأمور إلى أهلها ؛ ويستجلب الأدعيه ،

ويجمل بالولاء الجميل ألويته ، ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع  
بعد سُجود الشكر بالدعاء رؤوسهم .

فليأثر هذه الوظيفة مباشرة يقفوها آثار بيته الطاهر ، بعزم كريم : لكل مُصلح  
بالخير غامر ، ولكل مُفسد بالضير قاهر ، وحزم حليم : لكل حق ناصر ، ولكل  
كسر جابر ، وليصل بالبر رحمة ، وألين للضعيف كلمة ، وليقم بأعباء هذه الوظيفة  
قيام عمه الشريف وأبيه ، وليصم عن أموال الأوقاف صياماً يقربه الله تعالى به  
ويحتنيه ، ليحمد ، هذا المنصب الجليل ، في بيته الأصيل ، عوده على أحمد ،  
ولينفع قرابته بتميز أموالهم ، وليشفع النهضة بالمعرفة في تميز غلالهم : لندبر بركته  
أخلاف أرزاقهم ، وتقر خواطرهم بمضاعفة أرزاقهم وإطلاقهم ، ويخصب  
في جنابه مرعاهم ، ويقرب في بابہ مسعاهم ، وتنطق بشكره ألسنتهم الشريفة ، وتنطق  
على صُحبته ظلال بيوتهم الوريقة ، وليعتبر ويختار أشغالهم وينمغ شبانهم من الاحتراف  
بحرف الأدنياء ، وليأمر الآباء بتعهد تربية الأبناء ، وليأمرهم من العمل بما يناسب  
معاليتهم ، وليجبرهم بتدبيره السديد جبراً يميزهم بحسن السمات من أوليائهم : وكلنا  
من مواليتهم .

والوصايا كثيرة ، وعين علومه بتعدادها بصيره ، وتقوى الله تعالى لا يهمل النص  
عليها ، والإشارة بحسن البيان وحسن البنان إليها ، فلتكن ركن استناده ، ورأس  
مال اعتمادها ، والله تعالى يديمه في صعود درج السعود مدة حياته ، ويجمع له خيري  
الدنيا والآخرة برفع درجاته .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الجيوش بحآب ، كُتب به لـ «ناصر الدين بن ايتبك»  
بـ «السامي» بغيرياء ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَصِّد الجيوش بأعْضِدِ ناصر،  
وَيُرِشِدُ أولياء الخدمة إلى آرتقاء رُتب المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك محلّها قاصر -  
أن يستقرَّ فلانٌ - أدام الله تَوْفيقه، وجعل الثمن والسعد قرينه ورقيقه - ... استقرَّ أراماً  
يُظهر مالم يخف من نهْضته وكفايته، ويُشهر مُعلن سرِّ يقْظته ودرايته؛ لأنَّه الفارسُ  
الذي أعزَّ كلَّ راجلٍ بشجاعته، والمُمارِس الذي خبَّر الوقائع بمُحسن دُرِّبته ودراية  
صناعتِهِ؛ والعارِف الذي اتَّصف بالخبرة وحُسن الصِّفهِ، وعُرفَ في أموره بالعدل  
والمعرفه؛ والهامُّ الذي علَّتْ هِمته فوق كلِّ هِمه، وكشف بجَزِيل مُروءته من  
الكُرْبَات كلَّ غُمَّه؛ وسار في الجيوش سيرة والده، فشهِد كلُّ بما حواه من طَارِف  
الفضل وتألَّده .

فليباشِر ذلك : سائرًا في الجنود أحسنَ سيره، مُراقِبًا الله تعالى فيما يُبْديه من القول  
والفعل والعَلَانِيَةِ والسَّريَةِ؛ مُلَازِمًا ما يلزمه من حُقوق هذه الوظيفة، قائمًا بما يجب  
من أداءِ الخدمة الشَّريفة؛ وَلِيَتَفَضَّلَ ما يُؤَمَّر به من الأوامر، عالِمًا بما يتعيَّن من  
حقوق المأمور والأمر [وليُجْتَهد] في جَمْع العساكر وإعلامهم بالمِهْمَات، وَلِيَتَفَقَّد  
أحوال الجُنْد في سائر الأوقات؛ وَلِيُسْفِرِ النَّقَابَ عن الوجوه بالحليَّة يوم العَرْض،  
وَلِيُسِيلَ حِجَابَ السَّترِ على من أدركه العَجْزُ عن أداء الفَرَض؛ والوصايا كثيرةٌ لا تحتاج  
إلى التَّعداد، وتَقْوَى الله تعالى هي العُمْدَةُ في كلِّ الأمور وعليها الاعتماد .



تَوْقِيعٌ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِحَلَبَ، كُتِبَ بِهِ لـ «فرس الدين الطنّاحي» بـ «بالجناب  
العالى» وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عزائمُهُ تَتَدُبُّ لِلْمِهْمَاتِ من غُرِسَتْ بِرياض  
وَلِيَّه أذْوَاحُ الهمَمِ فزكا غرْسًا، وتَقَرَّرَ لها من شاب فؤده في إفادة الوُفُودِ فأجاب

قَصْداً وأطاب نفساً، ولا بَرَحَتْ عُنَايَتُهُ تَشْمَلُ من أولياءِ خِدْمَتِهَا كُلَّ شَيْءٍ إِذَا سَلَ  
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا، وَتَعَيَّنَ من أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَبِيلٍ يَوْذُ الْمُنَافِسِ  
لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا يَجْشُدُ يَدُ الرُّقِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... .. لَأَنَّهُ ذُو الْهِمَمِ الَّتِي  
لَا تُلْحَقُ جَيَادُهَا، وَلَا تُسْبِقُ جُودَةً جَيَادُهَا<sup>(١)</sup>، لَا مُنْتَهَى لِصِغَارِ هِمَمِهِ فَأَنَّى تُدْرِكُ  
بِكَارُهَا، وَلَا تُدْرِكُ سَوَابِقَهُ فَأَنَّى تُقْتَنَى أَتَارُهَا، لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٌ فِي الثَّرَى لَا يَزَالُ رَاسِخًا،<sup>(٢)</sup>  
وَهَامَةٌ هِمَّةٌ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى الثَّرَى بَازِخًا، وَلَأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تُفَرِّسَتْ فِي مَخَايلِهِ  
الشَّجَاعَةُ، وَتَبْضَعُ الشَّهَامَةُ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَحَ بِضَاعَةٍ، كَمْ أَزْرَتْ سُمْرَ رِمَاحِهِ  
بِهَيْفِ الْقُدُودِ، وَأُنْجَلَتْ بَيْضُ صِفَاحِهِ كُلِّ خَوْذٍ أَمْلُودٍ، وَكَمْ جُرَدَتْ مِنْ مُطَرِّبَاتِ  
قِسِيَةِ الْأَوْتَارِ فَنَرَقَصَتِ الرُّؤُوسُ، وَشَرِبَتِ الرِّمَاحُ نَحْرَ الدِّمَاءِ فَعَرَبَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ:  
لَهُ هِمَمٌ تَعْلُو السَّحَابَ رِفْعَةً، \* وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَائِسِ وَالنَّفْسِ!  
وُجُنَى ثِمَارِ الْفَضْلِ مِنْ دَوْجِ غَرَسِهِ! \* وَلَا غَرَوَ أَنْ تُجْنَى الثَّمَارُ مِنَ الْغَرَسِ!  
فَلْيَبَا شِرْهُ هَذِهِ الْوُظُفَةِ مَبَاشَرَةً تَحْمَدُهُ فِيهَا الْوَرَادُ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقُصَادِ،  
وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ، وَلِيُهَيِّئْ لَهُمْ [مِنَ الْقُرَى مَا يَهَيِّئُهُ<sup>(٣)</sup>] الْمَضِيفُ،  
وَلِيَحْصِلْ لَهُمُ النَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ، وَلِيَتَلَقَّهُمْ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ، وَلِيَبْدَأَهُمُ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ  
لَهُ الْمَالُ، وَلِيَجْعَلَ التَّقْوَى إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، وَلِيَتَّصِفَ بِالْإِنْصَافِ فَهُوَ  
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .



تَوَقُّعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ «إِسْمَاعِيلُ» بِ«الْمَجْلِسِ  
الْعَالِي» وَهُوَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ مُشِيرًا إِلَيْهِ بِعَلَامَةِ التَّوْقُفِ وَلَا تَوْقُفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعٌ جَيِّدٌ قَيْضُ الرِّدَى. وَالثَّانِيَةُ  
جَمْعُ جَوَادٍ لِلْفَرَسِ الرَّانِعِ السَّابِقِ .

(٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أُنْثَى مَجَارَاةٍ لِلْعَامَةِ . (٣) زِيَادَةُ تَطْلُبُهَا صِحَّةُ الْمَعْنَى .

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عِنايَتُهُ الكريمةُ تقدِّمُ إلى الرُّتبِ العِليَّةِ مَنْ بَخِيَ  
أُسُّ إقدامِهِ من المروءَةِ على أشرفِ عِمادٍ ، وتُعَيِّنُ للمِهْمَّاتِ الشَّرِيفَةِ مَنْ آمَتَطَى مِنْ  
جِياذِ العِزِّمْ أَسْبَقَ جَوادٍ ، وتَتَدَبُّ لها من أولِياءِ خَدَمِهِ كُلِّ نَدَبٍ لَمْ يَزَلْ ساعِدُ سَعْدِهِ  
مَبْنِيًّا على السَّدادِ ، وتُضَعِّدُ إلى أَفْقِها من ذَوِي الشَّهامةِ مَنْ فاقَتْ بِمِيسِنِهِ الصَّعادُ -  
أنَّ يَسْتَقَرَّ ... : لَأَنَّهُ ذُو الهِمَمِ الِتي سامى بها الفَرادُ ، والكُفَّاءُ الذِي نَشِطَ  
إلى القيامِ بالعِزائمِ إذا قَعَدَ عنها من ذَوِي الهِمَمِ أُلْفُ راقِدٍ ، والمَقْدَمُ الذِي قَدَّمَهُ  
الإِقْدامُ على قِضاءِ الأُمُورِ المُعْضِلاتِ ، وحلَّى أَجِياذِ ذَوِي المارِبِ إِذْ حَلَّ لَهمْ مِنْها  
بِئْنَ عَزَمِهِ المُشْكلاتِ ؛ ما عَلَا جَوادُ بَرِيدٍ إِلاَّ وسابِقَ الطَّرَفِ بل الطَّرَفِ إلى المِرادِ ،  
ولا نَدَبٍ إلى مُهِمٍّ لِلحِكمِ فيه نِيلًا لِأَمَلٍ إِلاَّ قَدَحَ مِنْ رَأْيِهِ في فِضاءِهِ أَوْرَى زِنادَ ؛  
والفارِسُ الذِي تَمالَيْتَ بِكَفِّهِ العَواِمِلُ مُجَبًّا فأنْجَلتِ الأَغْصانُ ، وحَلَّتْ إِذْ حَلَّتْ  
بِقِلَوبِ الأَعْداءِ وإِنْ كانَتْ مِنَ المُرَّانِ ؛ والشَّهْمُ الذِي سَبَقَ السَّهْمَ إلى الغَرَضِ ،  
والشُّجاعُ الذِي ما أَعْرَضَ عن مُحارَبَةِ الأَقْرانِ : فَصَفَّى جَوْهَرَ شِجَاعَتِهِ مِنَ العَرَضِ ؛  
والبَقِظُ الذِي لَمْ يَكُنْ يَنّاظِرُهُ إنْسانُ ، ولا أَنْطَبَقَ على أَسِيافِهِ المُسَهِّدَةِ بِمِيسِنِهِ أَجْفافُ .  
فَلِيا شَرِ هذِهِ التَّقْدِمةِ مِباشِرَةً يَشْهَدُ الحاسِدُ لَها فيها بِالتَّقْدِيمِ ، ويُقَرُّ الجاحِدُ أَنَّهُ أَهْدَى  
لِما أُسْدَى إِلَيْهِ إلى صِراطِ عَزِمْ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَلِيطَرُ إلى قِضاءِ المِهْمَّاتِ الشَّرِيفَةِ بِأَجْنِحَةِ  
السَّدادِ ، وَلِيمْتَطِ مِنْ جَوادِ الجِوادِ أَسْبَقَ جَوادٍ ؛ وَلِيسُوِّينَ البَرِيدِيَّةَ في الأَشْغالِ ، وَلِيقْبِلْ  
عَليهِمَ فيما يَرومُونَهُ مِنْ حُسْنِ السَّفارةِ بِوَجْهِ الإِقْبالِ ؛ وَلِيسْلُكْ سَنَنَ البَصْدِقِ والتَّقْوى  
وَلِيجْعَلْهُما لَها أَحْسَنَ سُنَّةٍ ، وَلِيلْبَسَ سَوايِغَ الإِنْصافِ فَإِنَّها مِنْ سِهامِ اِخْلالِ جُنَّةٍ .



نسخة توقيع بناية عينتاب ، كُتِبَ به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بـ «المجلس  
العالى» عوضًا عن كان بها ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميمُ ، يرفعُ لناصر الدين قَدرا ، وامتنانه  
الحسيمُ ، ينفذُ له في حفظ الممالك المنصورة أمرا ، ويؤلى أمر الرعية من حسنت  
سيرته سيرا وجهرا - أن يستقر ... : لأنه شهم سَهم عِرفانه مُصيب ، وفارس  
رَبْع خبره وخبره خَصيب ؛ له مناقبُ جليله ؛ وسيرةٌ محمودةٌ جميله ؛ تنقل في المراتب  
تنقل البدر في صعوده ، وارتقى ذروة السيادة آرتقاء الكوكب في منازل صعوده ؛  
مباشرة مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره ، ولا علا منزلة إلا تليت بها سور حمده  
وذكره ؛ لم يزل متبعا للحق في أحكامه ، سالكا سُبُل الصواب في تقضيه وإبرامه ؛  
فتح له إقبالنا الكريم بابَه ، فلذلك قُدم على غيره في هذه النياحة .

فليباشرها مُقتفيا آثار العفاف ، مُرتديا أروية العدل والإنصاف ؛ مُقيما منار  
الشرع الشريف ، مُنصفا من القوى الضعيف ؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما  
تولاه ، والخطُ الكريم شاهد أعلاه .

قلت : وعلى نياحة عيتاب هذه يُقاس ما في منهاها من نياحات العشرات ، فيجري  
الحكم في تواقعها كذلك . أما الطلبخانات فقد تقدم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها  
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلي المتوجه إلى الحجاز الشريف ، كتب به  
لشهاب الدين « أحمد بن الطنبغا » بـ « الجنباب الكريم » . والبيض فيه وصل  
واحد ، وهى :

رُسم بالأمر العالى - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هيمه في أفق  
الصيانة منيرا ، ويسند أمرهم إلى كل نذب لا يزال على الحق ظاهرا وعلى دوى الباطل

ظَهيرًا - أن يستقر فلان من أعيان الموالى الأمراء الطبلخانات بحلب المحروسة -  
 أعز الله تعالى نصرته - أميراً على ركب الحاج الحلبى في هذا العام المقبل ، على أجل  
 العوائد ، وأجل القواعد ، حسب ما رسم به . استقراراً يتجدد به الوعد عند صباح هيمه  
 السرى ، ويبلغ بهم قرى الغفران بأمر القرى ، وينال به طيب العيش بطيبة وطابه ،  
 ويدرك بجياد فضله آراه ، ويمنح به زيارة سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ،  
 ويقوق به ستم إصابته من البشر إلى مرامي المرام ، ويشهد به بين قبره ومنبره روضة  
 من رياض الجنة ، ويلبس به سوايغ القبول لتكون له من سهام الذنوب أوقى جنة ،  
 ويتددى [ به ] برود التقي حين يترع محرمات الإحرام ، ويقبل به على ذكر الله تعالى  
 في الوهاد والبساج والآكام ، ويستقبل به حرم بيت الله الحرام ، ويشب له  
 الهنا حين دخوله المسجد من باب بنى شيبه ، ويتعاطى به أسباب التوبة ، لينال  
 من العفو من الله الكريم سيبه ، ولا يقتصر به عن التطاول إلى الدعاء إلى الله تعالى  
 لتعمه الرحمة بفضله وطوله ، ويدخل به حرماً آمناً يحفظ الناس من حوله ،  
 ويفتح به إلى المقام باباً من الأمن إلى يوم القيامة مقيم ، ويدكر بوقوفه بعرفات  
 وقوفه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ .

فليأشر هذه الإمرة المباركة مباشرة يتقسط منها لهجر المنام ، وليصرف وجهه  
 سهامه إليها في المسير والمقام ، وليتفق على الحاج من كنوز معدته ، وليجعل القيام  
 بمصالحهم من أكبر همته ، وليسع بالصفاء في حراستهم من أهل الفساد ، وليعتمد  
 صونهم من ذوى العناد ، وليعلمهم بالإفراد والإرفاق ، وليقطع من بينهم شقة  
 الشقاق ، وليجعل تقوى الله إمامه في القول والعمل .





وهذه نسخ توابع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كتب به لقاضى القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبي جرادة»  
قاضى قضاة حلب المحروسة الشهير: «أبن العديم» من إنشاء ... الخنفي بـ «المقرّر  
الكریم» وهو .

الحمد لله الذى رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملايس أهلها حلل الجمال،  
وجمع شملها فأقترنت بإلفها أقران الثيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها  
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموثى منسجاً على أحسن منوال، وقطع  
الأطاع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل فحل من الرجال .

نحمده على نعمه التى أعترف من أعترف من بحرها الوافر بالخير الكامل والفضل  
المديد، وأقترف من أقتطف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان  
العديد، حمداً يوافي نعمه ويكافى مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزيده،  
ونشكره على مننه التى يقصر لسان الإطنا عن حصرها وتعدادها، وتعجز بنات  
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكراً ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من  
مقاصد الكرم والجود غاية المقصود، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند، شهادة تبيض وجه قائلها عند العرض،  
وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض، ونشهد أن سيدنا محمداً  
عبده ورسوله الذى أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بحقائق معجزاته العقول فاعترف

كُلُّ بَصِيحَةٍ مَا عَرَفَهُ وَبَيَّنَّهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللَّهُ بِهِمُ  
الإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الإِيمَانِ الْمُتَيَّرَةِ وَأَيَّدَ إِحْكَامَهُ ؛ صَلَاةً تَتَعَطَّرُ  
بِنَفَحَاتِ عَرَفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلُهَا لِرَأْسِ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طُولِ  
الْمَدَا<sup>(١)</sup> . رِسْ ، وَسَلَّمْ وَمَجْدٌ وَكَرَّمَ ، وَشَرَفٌ وَبِجَلٍّ وَعَظَمٌ .

وبعدُ : فإنَّ أَوَّلَى مَنْ لَحَظْتُهُ عَيْنُ الْعِنَايَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرَ مَنْ بَلَغَ مِنْ مَقَاصِدِ  
الْمَنَاصِبِ الْعِلِيَّةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّوْلِ ؛ وَأَعَزَّ مَنْ رَقَى ذُرَا الْمَعَالَى وَارْتَقَى ، وَأَجَلَ مَنْ  
وُصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُعِتَ بِالذِّيانَةِ وَالثَّقَاتِ - مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْآفَاقِ ،  
وَدَلَّ عَلَى صَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَاشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ  
الْجَلِيلَةِ ، وَعُرِفَ فِي الْإِنصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأُظْهِرَ مِنْ  
الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمَقْذُولِ  
وَالْمَعْقُولِ ؛ وَدَقَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ  
وَالْمَجَازِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَنَسَّبَ الْأَخْصَامُ ؛ وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَاحْكَامُهُ  
مَرْضِيَّهِ ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجُمْلَةِ قَدْ أَتَتْهُ فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَثَابَرَ عَلَى إِلْقَاءِ  
الدُّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ  
الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بَحْثًا عَنِ الْقُلُوبِ  
كُلِّ غُمَّةٍ ؛ وَجَالَ فِي مِيَادِينِ الدُّرُوسِ فَخِيرَ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلِّبَةِ  
اللِّقَاءِ فَرَدَّ مُتَاسِفًا كُلَّ بَطَّالٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَأَتَقَنَ بِحُسْنِ  
النَّظَرِ وَجَهَ ضَبْطِهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقَ الْمَشْرُوطِ  
فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَتْلِهَا فَأَجْمَلَ وَفَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُومَهَا فَخَصَّلَ

(١) مراده ارس من رسايرسو .

وأصل ، فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفة ، والناظر الذي حمت الأمور تصرفه ، والإمام الذي أنتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يحد الطالب إليه شد رحاله ، والمدرس الذي أفاد بفقهِه المفيد النافع ، وترفع في البداية والنهاية فهو المختار في المنافع ، وسلك منهاج الهداية ، فال من العلوم الغاية ، فبدائع ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عز فانه عزيز المطلب ومحاسنه المشتملة على الكمال معلومه .

ولما كان فلان - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه وإبرامه ، هو المشار إليه بالأوصاف والنعوت ، والمعوّل عليه إذا نطق بالفضائل والحاضرون سكوت ، والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم علمه من السنة والشهور ، ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، تحمياً بأسلحة أهله : فمن أحكامهم السيوف ومن أعلامهم الرماح ، فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرّم فضيل يجمع إليه الراحل والمقيم ، فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويقابل بما يؤمله مقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسمه المطاعة تقر الحق في يد مستحقه ، وترد الأمر إلى وليه ومالك رقه ، وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع الاستحقاق في يد مستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر ... .. بحكم ظهور الحق بيده المباركه ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مشاركة ، استقراراً مباركاً ميموناً ، بالخير والسعد مقروناً ، لأنه الأحق بأمر وظائفه ، والطائف حول حرّمها المنوع طائفه ، وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه فريدته ، وبأشر بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناله - إن شاء الله - إلا خلفه ،

طالما أَلَقَتْ مِنْهُ الْأَوْقَافُ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالْخَيْرِ ، وَحَفِظَ جِهَاتِهَا الْحَمِيَّةَ عَنْ تَطَاوُلِ  
يَدِ الْغَيْرِ ؛ وَنَعِمَ بِحُسْنِ نَظَرِهِ مِنَ الْمَدَارِسِ كُلِّ دَارِسٍ ، وَفَازَتْ مِنْهُ الدُّرُوسُ بِالْعَالَمِ  
الْعَارِفِ وَالْبَاطِلِ الْمُبَارِسِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنْ حُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ ، وَلْيَجْتَهِدْ - عَلَى عَوَائِدِهِ -  
فِي تَحْصِيلِ رَيِّعِهِ مُثَابَرًا عَلَى الْأَجُورِ أَشَدَّ مُثَابَرَةً ؛ وَلْيَصْرِفْ أَمْوَالَ الْأَوْقَافِ فِي مَصَارِفِهَا ،  
بَعْدَ الْعِمَارَةِ وَالتَّشْمِيرِ الْمُبْدَأَيْنِ فِي شَرْطِ وَقْفِهَا ؛ وَلْيَسُوِّ - عَلَى مُقْتَضَى مَعْدِلَتِهِ - بَيْنَ  
الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالشَّابِّ الصَّغِيرِ وَالشَّيْخِ النَّحِيفِ ، عَلَى قَدَرِ تَفَاوُثِهِمْ فِي الْعِلْمِ  
الشَّرِيفِ ؛ وَلْيُطْلِقْ لِسَانَهُ فِي إِلقاءِ الدُّرُوسِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَلْيُمَهِّدْ لِلشَّغْلَيْنِ طَرِيقَ  
الْفَهْمِ لِيَنَالُوا الْقَصْدَ مِنْ إِفَادَتِهِ ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلَى مِنْ أَدَى الْأُمُورِ عَلَى الْوَجْهِ  
الْمُسْتَقِيمِ ، وَوَفَّى الْمَنَاصِبَ حَقَّهَا فَإِنَّ الْوَفَاءَ جَدِيرٌ<sup>(١)</sup> بـ «إِبْرَاهِيمَ» .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِلَيْهِ مَرْجُوعُهَا ، وَمَنْ يَحَارِ عِلْمَهُ وَدِينَهُ الْمُتَيْنِ يَنْبُوعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يُؤَيِّدُ بِهِ الْمَنَاصِبَ ، وَيَرْفَعُ بَعْلُو رُتَبَتِهِ الْمَرَاتِبَ .



نَسَخَةُ تَوْقِيعِ بَحْطَابَةِ جَامِعِ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «كَالِ الدِّينِ عَمْرٍ» ابْنُ  
قَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْحَنْفِيِّ ، الشَّهِيرِ بِابْنِ الْعَدِيمِ «الْمَقَرَّرِ  
الشَّرِيفِ» وَهِيَ :

رُسم بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ عِنَايَتُهُ تُرْقَى فِي مَنَازِلِ الْحَجْدِ مِنْ تَتَابُلِ بَفَضْلِهِ  
بِهَجَّةٍ وَكِلَالَا ، وَتُذَكِّلُ جِيَادَهَا لُقُوسَانَ الْفَضَائِلِ فَتُجِيدُهُمْ فِي مَيْدَانِ الْبَلَاغَةِ بَجَالَا ،

(١) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) .

وَتَسَلَّمَ رَأْيَهَا [إلى من صدق بآرق سعه ، ووهب من العلم] <sup>(١)</sup> ملكا لا ينبغي لأحد من بعده - أن يستقر... لأنه الإمام الذى [لو] تقدّم عصره لكان أحد أئمة الاجتهاد ، والعارف الذى بلغ بولايته مريد الفضل غاية المراد ، والعالم الذى وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها فى الخارج صالح العمل ، وأتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثل حلال ، والمحقق الذى وجد إلى كنه الحقيقة أكل مجاز ، والمفوه الذى بلغ من البلاغة فى كلام البشر حد الإعجاز ؛ إن خطب شنف بدر مواعظه الأسماع ، وشرف بغير فرائده الانبجاع ؛ وأهتزت أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب سمح فضله الصيب ؛ وإن قرأ فى محرابه أقر بفضله الجمع الجامع ، وأستقل « ابن كثير » حين وجد « الكسائي » عارياً مما لديه وفضله الجمل أكل « نافع » :

خَطِيبٌ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لَفَضْلِهِ : \* لَيَرَوَى ، فَأَنَوَاءُ الْعُلُومِ تُغِيثُهُ !

وَإِنْ يَرَوِ الْجَلَّاسَ أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، \* نَحْيَرُ جَلِيسٍ لَا يَمْلُ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذى أدرك درجات الكمال فى البداية فأمّن فى النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيس الطلاب إلى حضرته الكريمة وأحدة ولكن بالنص ؛ والصاحب الذى استصحب يسار العفاة باليمين ، وأزال ظن قاصده فى يره الشامل باليقين ؛ كم أطلق بأفلامه النفيدة مكرمة بصلة الأرزاق ، ونسخ بمحقق فضله رقاع الأول بالعطاء على الإطلاق ؛ ولو نظر المملكان : هاروت وماروت مملكه من

(١) الزيادة بقضيا المقام .

(٢) الأوام بالضم العطش .

كاتبه السَّاحِرَةَ لَأَقْزَا أَنَّهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَلَوْ قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَأَخْشَفَ بِدُرِّ فَضْلِهِ  
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الْأَفْلاَمُ تَهْزَأُ بِالْقَنَاءِ ، \* وَتَحْشَى سَطَاهَا الْأَسَدُ فِي غَابِ غَائِبِهَا !  
يُرْوَعُ سَيْوَفُ الْهِنْدِ وَرَى يُرَاعِهِ ، \* وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ دُبَابِهَا !

فليأشِرْ هذه الخطابة مباشرة ترشّف منها كُثُوسَ كَلِمَةِ الْأَسْمَاعِ ، وَلِيُكْشِفْ لَهَا  
عن وُجُوهِ فُضَائِلِهِ الْقِنَاعِ ؛ وَلِيُنْشِئُ عَلَيْهِمْ مِنْ دُرِّرِ بِلَاغَتِهِ مَا تَلْتَقِطُهُ أَفْوَاهُ الْمَسَامِعِ ،  
وَلِيُنْشِئُ مِنْ طَيِّ لِسَانِهِ عِلْمَ عِلْمِهِ الَّذِى لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ أَبَى اللَّهِ وَالْفَارِيقُ الْجَامِعُ ؛  
وَلِيُطْرِبَ بِمَوَاصِلِ أُسْبَاجِهِ الْقَاطِعَةِ بِفُضَائِلِهِ الْمَكْمَلَةِ ، وَلِيُظْهِرَ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِى  
هِيَ الْجَمْعُ الَّذِى لَا نَظِيرَ لَهُ ، وَلِيُنْفِقَ عَلَى الْجَمْعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُنُوزِ  
الْفُضَائِلِ ، وَلِيُبَلِّغَهُمْ مِنْ بِلَاغَتِهِ الَّتِى أُنْحَلَتْ ذِكْرُ «قُسٍّ» وَ«سَحْبَانٍ وَأَيْلٍ» ؛ وَأَنْتَ  
- أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَكَ - مَعِدُنُ الْفُضَائِلِ فَأَتَى تُهْدَى إِلَيْكَ الْوَصَايَا ؛ وَالْمُتَصِفُ  
بِصِفَاتِ الْكَمَالِ فَكَيْفَ تُعَرِّضُ عَلَيْكَ الْمَزَايَا ؛ وَلَكِنَّ الْوَصِيَّةَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ  
شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُكَ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الْأَيَّامِ .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي علاء الدين  
«عَلَى الصَّرْحَدِيِّ» الشافعى ، نَائِبَ الْحَكَمِ الْعَزِيزِ بِجَلْبَبِ بـ «الْمَقَرَّ الْعَالِى» وَهِيَ :

رُسم بالأمر - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ تَمْنَحُ دُرُوسَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بَعْلَى الْعُلُومِ ، وَتَتَدُبُّ  
لَهَا مِنْ ذَوَى الْأَجْتِهَادِ مِنْ سَائِرِ بَهْمِهِ الْبَرْقَ وَسَائِرِ النُّجُومِ ، وَتُقَرَّرُ لِلطَّلَبَةِ مِنْ

أولى العناية من حَقِّ الفضائل وأطلع على سرِّها المكتوم، وتُدِيرُ عليهم من مشرب فوائده ما يُخَالُ أَنَّهُ الرَّحِيقُ الْمُخْتُوم - أَن يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ ... .. أَسْتَقَرَّارًا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُ الطُّلَّابِ، وتُلَمَّحُ مِنْ صَوْبِ فَضْلِهِ عَيْنُ الصَّوَابِ؛ وَيُشِيدُ بِهِ دَارِسُ الدُّرُوسِ، وَيَطْلُعُ بِهِ فِي سَمَاءِ الْفَضَائِلِ أَنْوَارُ شُمُوسٍ؛ وَتُنْشَرُ بِهِ أَعْلَامُ الْعُلُومِ مِنْ طَيِّ الْأَلْسِنَةِ، وَيَذْهَبُ مِنْ كُلِّ الطَّلَبَةِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ وَسَنَهُ؛ لِأَنَّهُ الْحَبْرُ الَّذِي شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ الْأَسْفَارُ، وَرَحَلَتْ إِلَى فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ السُّفَّارُ؛ وَالْبَحْرُ الَّذِي جَرَتْ سَفْنُ الْأَذْهَانِ بِهِ فَلَمْ تُدْرِكْ غَايَةَ قَوَارِهِ، وَعَجَزَتْ الْأَمْثَالُ عَنْ خَوْضِ تَيَّارِهِ؛ وَالْعَالَمُ الَّذِي أَقْرَبَ بِلَعْنِهِ الْأَعْلَامِ، وَشَهِدَتْ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ الْأَحْكَامُ؛ مَا بَرَزَ فِي مَوْطِنِ بَحْثٍ إِلَّا وَبَرَزَ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَلَا جَارَاهُ مُجْتَمِعٌ إِلَّا وَكَانَا كَفَرَسَى رِهَانٍ، وَلَا نَطَقَ بِمَنْطِقٍ إِلَّا وَأَنْتَجَتْ مُقَدِّمَاتُ هِمَمِهِ الْعَلِيَّةِ وَأَجْتِهَادُهُ عَلَى فَضْلِهِ أَكْمَلَ بُرْهَانٍ، وَلَا أَجْرَى جِيَادِ عُلُومِهِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا مُطْلَقَةَ الْعِنَانِ، وَلَا رَأَاهُ مِنْ أَخْبَرَ عَنْ فَضْلِهِ إِلَّا تَمَثَّلَ لَهُ: لَيْسَ الْحَبْرُ كَالْعِيَانِ؛ إِنْ تَصَدَّرَ لِلْفَوَائِدِ أَلْتَقَطْتَ الْأَسْمَاعُ دُرْعِيَّهُ الْنَفِيسَ، وَإِنْ دُرِسَ تَحَالَ الطَّلَبَةُ أَنَّهُ «أَبْنُ إِدْرِيسٍ»؛ فَهُوَ طَوْدٌ فَضِيلٌ لَا يُسَامَى عُلُوًّا وَرِفْعَةً، وَلَا يَنْوِي مُنَاوَاتَهُ مُنَاوِيٌّ وَلَوْ كَانَ «أَبْنُ رِفْعَةٍ»:

إِمَامٌ عَدَا لِلْسَّالِكِينَ مُسَلِّكًا، \* عَلِيمٌ، وَكَمْ أَوْلَى الْفَضَائِلَ مَنْ وَلَى!

عَلَا فَاسَالِ الْبَحْرَ مِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ! \* وَذَلِكَ سَيْلٌ جَاءَ بِالْفَضْلِ مِنْ عَلَى!

فَلْيُبَاشِرْ هَذَا التَّدْرِيسَ الْمُبَارَكَ مَبَاشَرَةً يُثَبِّتُ بِهَا فَوَائِدَهُ، وَيَنْتَثُرُ بِهَا قَرَائِدَهُ؛ وَيُطَرِّبُ الطُّلَّابَ بِطَرِيفِ الْعِلْمِ وَتَالِدِهِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ مِنْ صِلَةِ الْفَضْلِ وَعَائِدِهِ؛ وَلِيَلْزِمَ الْمَبَاشَرَةَ مَلَازِمَةً لَا يَنْفِكُ عَنْهَا أَيَّامَ الدُّرُوسِ، وَلِيُزِيلَ الْقُلُوبَ بِمَصَابِيحِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَيُسِّرَ النَفُوسَ.

وأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نورِكَ الوصايا تُقْبَسُ ، ولم آتس الطالبُ نارَ  
فضلاً فاتى منها بأنورِ قَبَسٍ ؛ والله تعالى يُبْقِيكَ للعلوم كَثْرًا لا تُفْنِي مَوَاهِبُهُ ، ويُدِيمُكَ  
للطُّلاب بحرًا لا تُنْقِضِي عَجَائِبُهُ .



وهذه نسخةُ توقيعِ بتدرّيسِ بالجامع المذكورِ الحَنَفِيِّ ، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين  
« محمد القرمي » الحنفِيّ ، بـ « الجناح العالي » ، وهي :

رُسمُ بالأمر - لا زالت عِنايَتُهُ الكريمةُ تُطْلِعُ شَمْسَ الدِّينِ للهداية في أفقِ المدارس ،  
وتُسَيِّدُ بالعلماء الأعلام من رُبوعها كلِّ دَارِسٍ ؛ وتمنَحُ الفقهاءَ بِمَن إِذَا تَصَدَّى  
للإفادة جَادَتْ نَفْسُهُ بِالذَّرَرِ النَّفَاسِ ، وتَتَدَبَّ لها من أُولَى البلاغة مَن إِذَا أَلَفَ  
فَضْلًا وَجَدَتْ غُصُونِ أَفْلامِهِ في رَوَاضِ الطُّروسِ أَحْسَنَ مَوَاسٍ - أن يَسْتَقِرَّ  
فَلاَنٌ : أَسْتَقْرَارًا تُجَلُّ به الدُّروسُ بالفوائد ، وتمنَحُ الطَّلَبَةَ منها بِالصَّلَةِ والعائِدَ ؛ ويمدُّ  
لهم من مَوَادِّ العلوم أَشْرَفَ مَوَانِدَ ، ويُورِدُهُم من مَنَاهِلِهَا أَعْذَبَ مَوَارِدَ ؛ لِأَنَّهُ شَمْسُ  
العلومِ ومِضْبَاحُهَا ، وَقَرَّ لَيْلُ المُشْكَلَاتِ وصَبَاحُهَا ؛ وسَاعِدُ الفَتَاوَى الطَّائِرَةِ بِفَضَائِلِهَا  
في الآفاقِ وَجَنَاحُهَا ، وَرُوحُ كُثُوسِ العلومِ وَرَاحُهَا ؛ وَطَلِيعَةُ الحَقَائِقِ وَعُنوانُهَا ،  
وَعَيْنُ الدَّقَائِقِ وَإِنْسَانُهَا ؛ والإمامُ الذي أَتَمَّ به الطُّلابُ فَاسْتَحَقَّ الإِمَامَةَ ، وَالْعَالِمُ  
الذي أَجْتَهَدَ على فَضْلِ العلومِ فَاسْتَوْجِبَ أَنْ يُنْعَتَ بِالْعِلْمِ ؛ وَالْفَاضِلُ الذي  
ضَبِطَ أَقْوالَهُ : لِلأَطْلَاعِ على سِرِّهَا المَكْتُومِ ، فَاخْتَصَّ فِعْلُ عِلْمِهِ المُتَعَدِّي بِالزُّومِ  
لِاتِّصَافِهِ بِالْعُمُومِ ؛ كَمِ التَّنْقِطِ من دُرُوسِهِ الجَوَاهِرِ ، وَتَمَثَّلِ لأَبْكَارِ فَوَائِدِهِ : كَمِ تَرَكَ  
الأَوَّلَ لِلآخِرِ ؛ قَابِلَتَهُ الأَسْفَارَ عن وَجْهِهِ فَوَائِدُهَا بِالإِسْفَارِ ، وَأَظْهَرَتْ لَذْكَاءَ ذِكَاثِهِ  
مَا صَمَّتْهُ أَحْشَاؤُهَا من الإِضْمَارِ ؛ فَهُوَ المُخْتَارُ لِهَذَا التَّدْرِيسِ : إِذْ دُرِّرُ فَوَائِدُهُ مَنظُومَةً ،  
والمُحْتَبَى لِلإِفَادَةِ بِسُلُوكِهِ طُرُقَ الهِدَايَةِ إِلَى دَقَائِقِهَا المَكْتُومَةِ ؛ وَكَمِ اسْتِنَارَتِ الطَّلَبَةَ



من سَمَرِ فضله حتى كاد أن يكون ثالثَ القمرين، وجمع في صدره بحرى المنقول والمعقول حتى قيل : هذا "تجمع البحرين" :

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ عَجَائِبًا ، \* وَوَاكِفَ فَضْلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ !  
بَلَغَتْهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا \* بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ !

فليباشر هذا التدريس نائراً دُررَ قرائده، ناشراً غرر فوائده؛ جائداً بيجاد فضائله السابقة إلى الغايات، عائداً بصلات حقائقه لتكمل للطلبة به المسرات؛ وليلازم أيام الدروس ما أسدى إليه من هذه الوظيفة، وليرتق من درج التقوى لغرف المعارف الشريفة .



وهذه نسخة توقيع بإمامة وتصدير يجمع من كل بغا الشمسى مجلب، كتب به للشيخ شمس الدين «محمد الإمام»، بـ«الجناب العالى»، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت صدقائه العريقة تُطلعُ شمسَ الدين في أفق المعالى، وترفع من أوليائه خدمة من جيده بالفضل حالى؛ وتمنح برها من أعربت عن لحنه الطيب وتشفقت من فيه بالآلى، وتسفع غيث جوده على من أجمع على طيب مسامرتة ورفع أذعته الأشماع والليالى - أن يستقر فلان - أدام الله تعالى ضياء شمس، وبني له ربع السعد من جوده على أسسه - ... .. لأنه الإمام الذى شهدت بحسن قراءته المحاريب، والآتى من فضل فضائله بالأغاريب؛ والفاضل الذى سلك طرق الفضائل أحسن سلوك، وشهد بسبق جواد جوده فى حلبة الاختبار كل حتى الملوك؛ والكامل الذى كملت أوصافه المحمودة فأمّن النقاىص، واختص بجمل الشيم وحسن الخصائص؛ ما أم إلا وشهد بفضله كل مأموم، وأقروا أن أسماءهم ارتشفت رحيق فضائله من

كَاسِهَا الْمُخْتَوِّمَ ؛ وَمَا سَامَرَ الْخَوَاصَّ إِلَّا وَشَهِدَ الْعَوَامُّ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَلَا حَدَّثَ إِلَّا وَكَانَتْ الْمُلُوكُ مِنْ رُؤَاتِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَائِفَ الْمُبَارَكَةَ مَبَاشَرَةً تَقَرُّ بِهَا النَّوَظِرُ ، وَتَجْتَمِعُ الْأَلْسِنَةُ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ إِنْسَانٍ وَخَيْرُ نَظِيرٍ ؛ وَلْيَتَصَدَّرْ لِإِلْقَاءِ الْفَوَائِدِ ، وَلْيُكَسِّبِ الْأَسْمَاعَ مِنْ عِلْمِهِ بِالطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ ؛ وَلْيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ أَوَانِ الْوُجُودِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، هَبْنًا مُبَسَّرًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَلْيَسْلُكْ مِنْ سَنَنِ التَّقْوَى - بِقَدَمِ الصَّدْقِ - أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

تَوْقِيعُ بَكَاةِ الدَّسْتِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْفَرَفُورِ» وَنَظَرُ بَيْتِ الْمَالِ بِحَلَبَ ، بِـ «الْحَنَابِ الْعَالِي» ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْظِمُ عُقُودَ الْإِحْسَانِ فِي أَجْيَادِ أَوْلِيَائِهِ ، وَيُجِزِلُ لَهُمْ بِوَأْفَرِ نَظَرِهِ وَأَفَى عَطَائِهِ ، وَيُجَرِّى بِهِاءَ الدِّينِ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ فَيُنْجِزُهُ عِدَّةَ وَقَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... .. أَسْتَقَرَّارًا يَبْلُغُ بِهِ وَجُوهَ الْأَمَالِ ، وَيَكْسُو الدَّوَاوِينَ مَلَأْسَ الْبَهَاءِ وَالْكَامِلِ ، وَيَزِيدُهَا رِفْعَةً بِمَا يَفْضُلُهُ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ ؛ لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي إِذَا قَصَدَ الْمَعَانِيَ أَصَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ أَجَادَ وَأَجَابَ ؛ وَالْفَصِيحُ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ أَجَزَلَ وَأَوْجَزَ ، وَأَسَكَتَ كُلَّ ذِي لَسَنِ بِفَصَاحَتِهِ وَأَعْجَزَ ؛ وَالْبَلِغُ الَّذِي أَبْدَعَ فِي مَكَاتِبَاتِهِ بِمَثُورِهِ وَمَنْظُومِهِ ، وَاللَّيْبُ الَّذِي أَطْلَعَ مِنْ أَزْهَارِ كَلِمِهِ الْمَسْمُوعَةِ فِي رِيَاضِ الطُّرُوسِ مَا يُنْجِلُ الرُّؤُصَ إِذَا أَفْتَخَرَتْ بِمَشْمُومِهِ ؛ وَالكَاتِبُ الَّذِي قَطَعَتْ بِمَعْرِفَتِهِ الْأَقْلَامُ ، وَالْحَاسِبُ الَّذِي عُقِدَتْ عَلَى خَبْرَتِهِ خَنَاصِرُ الْأَنْهَامِ ؛ وَالْأَدِيبُ الَّذِي

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (؟)، وحاز ما في ذلك من تآليد وطريف ؛ فله دره من كاتب زين الطروس بحسن كتابته ، وجمال الألفاظ والمعاني بجميل درايته وفصاحته .

فليباشر ما عُدق به من ذلك مباشرةً مقرونةً بالسداد ، مشكورةً المساعي والاعتماد ؛ مظهرًا براعةً يرآعه ، باسطًا يدَ إيداعه الجميل وإبداعه ؛ مُوفقًا حواشي القصص بتوقعاته ، مُوشيًا برود الطروس بترصيعاته وتوشيعاته ؛ ناظرًا على اعتماد مصالح بيت المال المعمور ، وتحصيل حواصله على الوجه المشهور والطريق المشكور ؛ عاملاً بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصورة ، سالكًا من حسن الاعتماد طرقًا على السداد والتوفيق مقصوره ؛ والوصايا كثيرةً وتقوى الله تعالى عمادها ، فليجعلها عمده فيما يتم به للنفس المطمئنة مُرادها ؛ وليتناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه ، والله تعالى يُبلغه غاية قصده ومطلوبه .



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب ، من إنشاء ابن الشهاب محمود ، كتب به للقاضي شمس الدين « محمد بن محمد » ، أحد كتّاب الدّست بحلب ، بـ « المجلس العالي » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازالت صدقاته العيمة تُسر نفوسا ، وتُطلعُ في هالات الوظائف السنية عَوْض الشمس شُموسا ؛ وتسقى غرس نعمائها الهبات الهنية فترهى أغصانًا يانعةً وغرُوسا - أن يستقر ... : لأنه الأوحد الكامل ، والرئيس الفاضل ؛ ولأنه حاز قصب السبق في المباشرات ، والمناصب الجليلة والمراتب السنيات ؛ طالما بذل جهده في خدمة الدول ، وسلك بجميل مباشرته طريق السلف وسبيل الأول ؛ فأدرك بحسن سيرته ويمن طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل ، وأتى الأمور على

قَدَرٌ ولا يقال : على عَجَل ؛ ولأنه الأَمِينُ في صَنَعَةِ الإنشاء ، والتَّايِعُ في فَنِّه فُنُونِ الأدباء ؛ إن رَقَمَ الطُّرُوسَ طُرُزَ ، وإن بَارَزَ الأقْرانَ في مَوَاطِنِ الْإِفْتِخَارِ بَرَزَ ؛ وإن بَسَطَ الجَوَائِدَ ، تَغَارَّ من حُسْنِهِنَّ الخَرَائِدَ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَأَشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِثْلَ أَشْهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْحَاسِنَ في ثَرَّةِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فيما يُبْدِيهِ مِنَ الْإِنْشَاءِ وَيُحْيِيهِ مِنَ التَّصْرِيعِ ؛ قَدِّمْتَ هِجْرَتَهُ في الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَنَطَ مِنْ زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنْصِبٍ وَأَجْمَلَ وِظِيفَةٍ ؛ وَتَحَلَّى جِدَّهُ بِالْقِلَائِدِ ، وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ مَجْمُوعَ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَاسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَايَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ مَبَاشَرَةً حَسَنَةً الْآثَارَ ، بِحِمْلَةِ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَاطِلًا بِقَلَمِهِ الْحِسَابَ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلْيُطْلِعْ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَلْيَجْنِ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضِ كُلَّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَتْ إِلَيْهِ ، وَسَوَائِغُ نَعِيمٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرًّا ، وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَتْرَى ؛ وَتُعَلِّ لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلُهُ لَا يُنْبَهُ عَلَى وَصِيٍّ ، لَا دَانِيَةٍ وَلَا قَصِيٍّ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا أَعْمَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلْيَتَنَاوَلْ مَعْلُومَهُ الْمَقْرَّرَ لَهُ عَلَى الْوِظِيفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ الشُّهُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ السُّرُورِ ، وَيَقْبِهِ بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



توقيع بنظر بهسني ، من عمل حلب ، كتب به لفتح الدين « صدقة بن زين الدين ، عبد الرحيم المصري » ، بـ « المجلس السامي » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازالت صدقاته العقيمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ، ولا برحت تُهدى إليهم أنواع المسرات - أن يستقر ... .. في وظيفة النظر بمدينة بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على العادة فى ذلك والقاعدة ، استقراراً يسر خاطره ، ويُقر ناظره ، لأنه الماهر فى صناعته ، والرائج فى متاجر بضاعته .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتُصبح الألسنة بشكرها مُعَلِّنه ، وليُصرف قلمه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأثنية إليه ، وليقبض معلومه أوان وجوبه هنيئاً ، وليتناوله بيد استحقاقه مريباً ، والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى - غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ، وتقوى الله تعالى عمادها ، وبه قوامها وسنادها ، فليتمسك بسببها فى الحركات والسكات ، والله تعالى يهيئ له أسباب المسرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبرى ، كتب به للقاضى شهاب الدين «أحمد ابن أبى الطيب العمري العثماني» ، بـ «بالجناب الكريم» ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يجل الثغور بن تزهو برحيق كلمه الطيب [المناصب] ، ويكمل محاسنها بن لم تزل الصحف تقود من جياذ فضله أجمل جنائب ، وحبابها بشهاب يهتدى إلى المقاصد بنجم رايه التأقب ، وسرها بكل ندب لم تزل كُتبه تُرد من الدعار الكتائب - أن يستقر ... .. فى وظيفتي كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور بدورى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة فى دبرى كما سلف قريبا وتقدم فى ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطبوع .

وَقِيَتْ . لِأَنَّهُ مِنْ بَيْتٍ رُفِيعٍ عِلْمُ قَدْرِهِ عَلَى السَّحَابِ ، وَأَنْتَصَبَتْ رَايَةُ آرَائِهِمْ بِالْتِمِيزِ فِي مَوَاقِبِ الْعِزَّةِ عَنْ الْمَوَاقِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَى تَجْدِيدِهِمْ شَرَفُ الْكَمَالِ فَانْجَرَّ بِالإِضَافَةِ ذَيْلُ تَجْدِيدِهِمْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَجَزَمَ أُولُو الْفَضْلِ بِنَسَبَتِهِمْ إِلَى الْمَعَالَى فَخَازُوا قَصَبَهَا أَسْتَحْقَاقًا وَمَا زَاخَمُوا عَلَيْهَا بِالْمَنَّاكِبِ ، وَأُسِّسَ أَصْلُهُ عَلَى عِمَادِ شَرَفِ «الْفَارُوقِ» وَ«ذِي النُّورَيْنِ» فَفَتَّرَعَ عَلَى أَكْلٍ تَنَاسُلُ بِتَنَاسُبٍ .

### النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن نواب السلطنة بها - نيابة طرابلس)  
وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع وظائف أرباب الأقلام الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الدبلوماسية ، وأرباب الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصالح الدين «صالح الحافظي» ، بـ «الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسددها بأنواع الصلاح ، وعمر العالم بعذل سلطانها وجعل أيامه مقرونة بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كُفء كافٍ مشهور باليمن والصلاح .

نحمده على نعمة الغامرة في المساء والصباح ، ونشكره على آلائه في كل غدو ورواح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مِنْ أَصْطَفَاهِ وَأَرْسَلَهُ بِالْدينِ الْخَيْرِ فَبَشِّرْ  
وَأَنْذِرْ وَحَلِّ وَحَرِّمَ ... (١) ... وَأَبَاحَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَوةً دَائِمَةً  
مُسْتَمِرَّةً مَا حَيَّعِلَ الدَّاعِي إِلَى الْفَلَاحِ .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمُضَاعَفَةِ الْإِحْسَانِ ، وَأَنْ يَعْلَى لَهُ فِي الْمَكَانِ وَالْإِمْكَانِ -  
مَنْ عُرِفَ بِأَجَلِ الْمُبَاشَرَاتِ فِي الْفُتُوحَاتِ ، وَأَشْتَهَرَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصَّيَانَةِ وَجَمِيلِ  
التَّذْيِيرِ وَحُسْنِ الصِّفَاتِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُسْتَفْرِدَ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى نَعْوَتِهِ الْجَمِيلَةِ  
الْأَنْسَنَةِ ، وَالْوَحِيدَ بِهِذِهِ السَّجَايَا ، الْفَرِيدَ بِشَرَفِ الْمَزَايَا ، عُقِدَتْ الْخِنَاصِرُ عَلَيْهِ ،  
وَأَقْتَضَتْ الْآرَاءُ أَنْ يَسْنَدَ تَذْيِيرُ الْمَلِكَةِ إِلَيْهِ : فَإِنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا كُفَاءً غَيْرَهُ ، وَلَا مَنْ  
يَجْمَعُ شَمْلَ شَتَاتِ أَقْوَالِهَا وَلَمْ يَفْرِطْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ يَنْدُبَ لِتَذْيِيرِ الْمَالِكِ كُلِّ كُفٍّ كَافٍ ، وَيُورِدُ أَوْلِيَاءَهُ  
مِنْ مَوَارِدِ إِحْسَانِهِ مَوْرِدًا عَذْبًا صَافٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ - آدَامَ اللهِ  
عُلُوْقَدِرِهِ ، وَأَيْدِهِ بِالْمُعُونَةِ فِي أَمْرِهِ - شَدُّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِالْمَلِكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ،  
بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شدِّ الدواوين :

الحمد لله الذي قَرَنَ الشَّدَّةَ بِالْفَرَجِ وَجَبَرَ بَعْدَ الْإِنْكَسَارِ ، وَأَمْتَحَنَ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعٍ  
مِنْ الْحَيْنِ لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ فِي الْأَصْطِبَارِ ، وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ الْعُلَا سَعْدَ السُّعُودِ سَاطِعًا

(١) بياض بالأصل ولعله : وحظر وأباح ، الخ .

بالتور بعد ما غار ، وجمع لمن أنقطع به حبل الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل  
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نحمده وفي محامده تطيب الآثار ، ونشكره على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على  
الأبصار ، وفرج الهمم ، وقد كان أدلهم ، وأظلمت منه النواحي والأفطار ؛ ونشهد  
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار  
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحابة الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى  
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خبز ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق  
وشرع أطناها ، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها ؛ وجعلها كاشفة  
للكرób الموجبة للحرز والضيق ، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس  
رحيق ؛ تصل بقوة وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها  
القوم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضى أوامره ونواهيها ، وتجرى على السداد بما  
يحبّه ويرضيه ؛ فتعين إعداد من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق  
من أقعد الدين زنده ؛ وقدّر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه ، ونفذ حكمه فيمن  
خرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومسها وأهلها الإضرار ، ولا بقعة  
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار ؛ فأدرك اللطف الإلهي ممالك الإسلام ، وحل  
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان برّدا وسلام ، ونجا المخلص وهلك الناكث  
الناكل بقدوم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقدف] بالحق على الباطل ، وأيد  
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .



وكان فلانٌ له مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ، وآخر ما كان في وظيفة  
شدّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلةً الأثر ، مشكورةً السير عند من ورد  
وصدر ، ودبر مهماتٍ يعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان  
المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، وأستعجب منها كيف حصرتها الأقلام  
أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها  
ولا في شيء منها .

فتعين إعادة الجناح الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لا زالت أيام دولته الشريفة  
تصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر ... ..

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهلٍ ورده ؛ وليباشرها بمباشرتها  
المعروفة ، وعزائمه المألوفة ، وهممه الموصوفة ، مسترفعاً المتحصل ومصرفه ؛  
وليتحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله  
تعالى دأبه في كل قضية ثقيلة كانت أو خفيفة ، والله تعالى يمه بالطافه المطيفه ؛  
بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر ، الغني في ملكه عن الناصر ، المتزّه في سلطانهِ عن  
المؤازر ، المتوحد بعدم الأشباه والنظائر ، المبيد لكل مظاهر العناد مجاهر ، العليم  
بما تكنه الأفكار ونجته الضمائر ، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى  
القلب والناظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة يرغم بها كل جاحد  
وكافر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث والشرك مدّهم الديار ، والرشد

قد خيم عليه الضلال فما له من قوة ولا ناصر، فأقام به الدين الحنيفي النير الزاهر، ورفع ذكره في سائر الأقطار والأمصار على رؤوس المنابر، صلى الله عليه وعلى آله أهل المكارم والمآثر، ما حمد السرى عند الصباح سائر، ونحمد شرر الشر بكل مناضل ومناظر، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى من سيقت إليه وفود النعم، ومنح من الخيرات أجزل القسم؛ وعُدَّت الأمور بعزائمه، وأعتد على همتيه التي هي في المضاء كأسنته وصورمه؛ ورعيت عهود ولأته التي لا تُشكر، ووصفت مساعيه التي استحق أن يُحمد بها ويُشكر - من إذا عول عليه في المهمات كفأها، وإذا استُطِبت المعضلات به شفاها؛ وسارت أنباء مهابته غوراً ونجداً، وأتصف بحسن التدبير الذي عليه من الإقبال أكل إجداً.

ولما كان فلان هو الذي تناقلت تباشير أخباره الرُجبان، وأثنى على شهامته السيف والسنان؛ وشرفت بحاسنه الأفلام، وأرتفع ذكره بالشجاعة على رؤوس الأعلام.

فلذلك رسم .... - لا زال للدين الحنيفي ناصر، وللأعداء قامعاً قاهراً، وللحق مؤيداً باطناً وظاهراً - أن يستقر الجناح العالى المشار إليه أمير نقباء العساكر المنصورة الطرابلسية، عوضاً ممن كان بها، على عادته وقاعدته : لأنه الخبر الذي عُقدت على خبرته الخناصر، وورث الشهامة كبراً عن كبر؛ وأضحى بتدبيره واضح الغرر، شاهداً له به العين والبصر؛ إن جال بين صفوف العساكر كان أسداً، وإن رتب جيوشها أحصاها حلية وعدداً.

فليباشر هذه الوظيفة محرراً أحوال العساكر المنصورة، مقررًا لهم في منازلهم على أكل عادة وأجل صورته؛ بمناخحة صمخ بمسكها، ومخالصة قام مقام واسطة جوهر

سَلِكُهَا ، وَمُلَازِمَةِ خِدْمَةِ نَازَرَتْ بِهَا أَعْطَاهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيَّةٍ شَرَفَتْ بِهَا أَوْصَافُهُ ،  
وَمَحَبَّةٍ عَدَلٍ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصٍ يَحْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُتَحِفًا  
بِظَلِّهِ : لِكَيْ يُتِمَّ اللَّهُ النِّعَمَ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَلِيَقْصِدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى  
فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ  
فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامى» بالياء ، وكتب  
فيه «القضائى» على خلاف الأصل ، وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَرْفَعُ لَذَوَى الْأَصَالَةِ الشَّرِيفَةِ قَدْرًا ، وَيُنْقَلِبُهُمْ إِلَى الرُّتَبِ  
السَّنِيَّةِ وَيُعَلِّمُهُمْ ذِكْرًا ، وَيَشْمَلُهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسِرُّ لَهُمْ قَلْبًا وَيَشْرَحُ صَدْرًا ،  
وَيُبَلِّغُهُمْ مِنَ الْمَارَبِ أَوْفَاهَا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْمَلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ  
- أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي نَقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمُلْكَةِ الطَّرَابُلُوسِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ  
عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : اسْتِقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَاعْتِمَادًا عَلَى مَا عُمِدَ مِنْ  
سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الذَّاتِ ، وَرِعَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ  
حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ إِيرَادٍ وَإِصْدَارٍ ، وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةِ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً  
يَجِدُ أَثَرَهَا فِي مَعْنَاهُ وَحِسِّهِ ، رَسْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النِّعَمَ الْجَزِيلَةَ ، وَوَلَايَةً تُؤَلِّيهُ  
مِنْ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُضَيِّحُ بِهَا رُبُوعُ أُنْسِهِ مَاهُولَهُ ، لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْ يَقَرَّ فِي هَذِهِ  
الْوُظُفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ  
حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِ الشَّرَفِ الْمُنِيفِ اسْتِنَادٌ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة مبسوطًا أملُهُ في المزيد ، منوطًا رجاءُهُ في نعمنا  
باستئناف وتجديد ، محوطًا ما بيده من كرمنا العديد ، وهو غنى أن نثني له الوصايا

ونَعِيد، مَلِيٍّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى .  
يُطَوِّقُ بِمَنْ جُودِنَا مِنْهُ الْحَيْدَ ، وَيُعِدُّ لَهُ سَحَابَ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلِفَ مِنْ  
فَضْلِهَا الْعَدِيدِ ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَشَدِّ الشَّوَانِي بِطَرَابِلَسَ ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أَيْدِ غَمَش» وَهِيَ :  
رُسم ... - لَازَلْتُ أَيَّامُهُ ، قَائِمَةً بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَعْلَامُهُ ، حَائِمَةً  
عَلَى أَلْتِقَاطِ مُهْجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي شَدِّ  
الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، بِهَيْمَتِهِ الْعَالِيَةِ ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ بِلُغِ  
الْمَقَاصِدِ مَلِيَّةٌ ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا ، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلِيْسُهُمْ أَرْدِيَةَ الرَّدَى ؛  
وَبَسَائِلِهِ الَّتِي تُبْسِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَصِيرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى .

فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ ، وَلْيَعِمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ  
سَيُوفِهِ مِنَ الْغَمَضِ ، وَلْيُرْهِبِ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ ؛  
وَلْيَلْزِمِ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِنَ بَهَا أَنْصَاراً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يُجْزِلُ لَهُ مَبَارَاً ، وَيَرْفَعُ لَهُ مَقْدَارَاً ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَشَدِّ دَارِ الضَّرْبِ ، كُتِبَ بِهِ لـ «لَعْلَاءِ الدِّينِ الدَّوَامَر» ، وَهِيَ :  
رُسم ... - لَازَلْ إِحْسَانُهُ يَجُودُ عَمَامَاً ، وَفَضْلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَامَاً ،  
وَسَحَابُ بَرِّكَرَمِهِ هَامِيَةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ، فَتَرَاهُمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجْدًا  
وَيَنْتَصِبُونَ قِيَامَاً - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ : إِمَاعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ  
الشَّرِيفَةِ ، وَإِرْفَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُظُيفَةٍ ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا ،

وَأَحَقُّ بِكُلِّ مَنَزَلَةٍ عَلَيْهِ وَأُخْرَى ؛ وَلَكِنْ هَذِهِ الْجَهَةُ هِيَ قَانُونُ الْمُعَامَلَةِ ، وَسَكَّتْهَا بِشِعَارِ الْمُلْكِ مُتَّصِلَةً وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَاصِلَةً ؛ وَمِنْهَا النُّقُوشُ الَّتِي هِيَ رُسْتَاقُ الْأَرْزَاقِ ، وَصَدْرُ كُلِّ إِطْلَاقٍ وَقَدَاقٍ ؛ حَكِيمٌ مَا أُرْسِلَ فِي حَاجَةٍ إِلَّا وَأُذِنَ لَهَا بِالنَّجَاحِ ، وَلَا آسَتْؤَمِنْ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِأَذْنِ الْإِمَامِ إِلَّا وَحَقٌّ لَهُ [الِاتِّصَافُ] بِالصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ ؛ هَذَا وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَذْمُومٌ ، وَطَالِبُهُ مُحْرَمٌ : لِأَنَّهُ مَقْسُومٌ ، وَالْأَجَلُ مُحْتَمٌ ؛ وَلَكِنْ تَطْهِيرُهُ مِنَ الدَّنَسِ وَاجِبٌ ، وَالْحَسْبَةُ فِي عِيَارِهِ حَتَّى يَغْدُو وَبُودُقُ صِفَائِهِ مِنَ الْغَيْشِ نَاضِبٌ .

فَلْيُعْتَمِدِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ هَذِهِ الْجَهَةِ حُسْنَ التَّقْوَى وَيُلَاحِظْ بَعْزُهُ أُمُورَهَا لِتَكُونَ عَلَى السَّدَادِ ، وَيُعْتَمِدَ عَلَى السَّيِّدِ النَّاطِرِ فَإِنَّهُ نِعَمُ الْعِمَادِ ، وَيُفَوِّضْ إِلَيْهِ كَشْفَ الرُّبَايِصِ وَحَكَّ الْعِيَارِ فَهُوَ بِهِ أَذْرَى وَأُخْرَى وَأَذْرَبُ بِأَدْحَاضِ غَيْشِ الْفَسَادِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الْمُقَرَّرَ لَهُ عِنْدَ الْوُجُوبِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، هَنِيئًا مُبَسَّرًا خَالِصًا مِنَ التَّنَازُعِ وَالشَّقَاقِ ، وَمِثْلُهُ فَلَا يُدَلُّ عَلَى [صَوَابِ] : إِذْ تَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةُ الْقَضَلِ وَفَضْلُ الْخُطَابِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهَا لَنَا وَلَهُ زَادًا وَحِرْزًا ، وَذُنْخًا يَوْمَ الْمَعَادِ وَرِكْرًا .



وهذه نسخة توقيع بشد البحر بمينا طرأ بلس ، وهي :  
رُسم بالأمر - لا زال سيفه قاطعاً من الأعداء نخراً ، وأمره نافذاً براً وبحراً ، وفعله صالحاً دنياً وأخرى - أن يستقرّ الجنبُ المشارُ إليه في شدِّ مينا البحر بطرأ بلس .  
فليباشر هذه الوظيفة شارحاً لها صدرها ، فاتحاً لها بحسن مباشرته الجميلة بصراً وفكراً ، باعثاً لها في الآفاق بمباشرته ذكراً جميلاً ، باحثاً عما يتعلق بمتحصل المينا

(١) يريد ركوة واحدة الركاز المال المدفون . وذكر مراعاة السجع .

المعمورة بركة وأصيلا؛ مَسَوِيًّا بين الناس فيما رَزَقَ اللهُ وَفَتَحَ ، وَبَعَثَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَحَ ؛ بِحَيْثُ لَا يَقْدَمُ عَزِيزًا وَلَا يُؤْتَرَدِّلِيلًا ، وَلَا يُرَاعَى فِي ذَلِكَ صَدِيقًا وَلَا خَلِيلًا .

وَلْيَقْدَمْ خَوْفَ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَوْفِ خَلْقِهِ ، وَلْيَسُوِّيَنَّ الضَّعِيفَ وَالْقَوِيَّ فِيمَا بَسَّطَ اللهُ مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَآكُدْ مَا نُوصِيهِ بِهِ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِيمَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، فَلْيَجْعَلْهَا فِي أُمُورِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ مِنْ عُدَدِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَقْدَمُهُ فِي مَبَاشَرَتِهِ لِأَقْنَاءِ مُحَاسِنِ الْمَعْرُوفِ وَزُبْدِهِ ، وَيَرْزُقُهُ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ تَجَارِ هَذَا الْبَحْرِ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ زُبْدِهِ .



توقيع كريم بناية اللادقية ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، كتب به لـ «شمس الدين» ابن القاضي ، بـ «بالجناب العالي» ، وهو :

الحمد لله الذي زاد «شمس» الأولياء إشراقا، ومنحه في هذه الدولة الشريفة إرفادا وإرفاقا ، وصان الثغور المحروسة بعزائمه التي سرت قلوبا وأقرت أحداقا ، وجددت لأولائها من مواهبها عطاء وفاقا .

نحمده على حكمه وفعله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنح قائلها مزيد فضله ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بملائكته المقربين ، وشدد أزره من أصحابه بالآباء والبنين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الدين، صلاة تمنح قائلها غفر الحنان (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ) وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن من شيم هذه الدولة إذا بدأت تعود ، وإذا نظرت تجود ، وإذا قدمت وليا لحظته بأعين السعود .

وكان الجنبُ العالى - أدام الله نعمته - عَيْنَ القِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعْدِنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبَّرَ الْأُمُورُ ، وَيَسَدَّ الثُّغُورُ ؛ وَنِيَابَةُ الْأَلَذِّيَّةِ بِمَجَاوِرَةِ الْبُحُورِ ، وَجَزِيرَةِ الْعَدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارٌ فَهِيَ فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي النُّحُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعَ شَرَّهَا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر - أعلى الله تعالى شرفه - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْأَلَذِّيَّةِ المحروسة ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ الشَّمْسِ فِي أَجْرَاجِ شَرَفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَّةِ عَلَى التَّرَائِبِ بعد مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا نَأْمُرُهُ [بِهِ] : إِرْهَابُ الْعَدُوِّ بِالْعُدَّةِ وَالْعِيدِ ، وَإِظْهَارُ الْمَهَابَةِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَتَفَقُّدُ الْأَيْرَاقِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اتِّكَالٍ عَلَى سِوَاهُ كَمَا يَفْعَلُ الْبَطْلُ الصَّنِيدُ ، وَلِيُخْلَعَ عَنْهُ مَلَابِيسُ الْوَشْيِ وَيَلْبَسَ الْحَدِيدَ ، وَلِيُمَجِّرَ الْمُضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مَسْتَقَرَّهُ الْعِيدَ ، حَتَّى يَنْتَشِرَ لَهُ صِيَتٌ بَيْنَ أَهْلِ التَّثْلِيثِ كَمَا أَنْتَشَرَ صِيَتُهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسُطُ بِسَاطِ الْعَدْلِ لِيَطَّاهُ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ ، وَأَحْكَمُ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالْبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ التُّجَّارُ بِعَدْلِكَ جَاءُوا بِالْأَصْنَافِ وَالْمَتَجَرِّجِ الْحَدِيدِ ، وَأَرْكَنَ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَأَتَقَى اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ فِيمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكَ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ يَزِدُّكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا نَسْتَنْجِزُ لَكَ تَشْرِيفًا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَالْخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



تَوَقَّعْ بِنِيَابَةَ قَلْعَةِ حَضْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لَشَهَابِ الدِّينِ «أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شهاباً، وفتح لمن خافه وآتاه إلى الخيرات أبواباً، وحباه من إفضاله وألبسه من حلل إنعامه ونعمائه أثواباً .

نحمده على نعمه التي أجزل لنا بمزيد حمدها أنعماً وثواباً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نتخذه من النار حجاباً، ونعتد بها في الآخرة مقاراً حدائق وأعشاباً، وكواعب أثراباً؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرفه على الأنبياء منصباً ونصبا، وسبى بطاعته وطليعته قلوباً وأحزاباً، وقربه إلى أن كان قاب قوسين وأسمعه من لذيذ كلامه خطاباً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : أكرم به وبهم ألا وأصحاباً !؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من أن تدب، لحفظ المعامل الإسلامية وأئمتها، وأخرى من لحظته عين عنايتنا فكان إليها من العين أقرب، وأحق من اعتمد على بسالته وإيالاته بما سبر من الأنام والأيام وجرب - من عرف بشجاعة أين منها عمرو بن معدى، وأمانة كفت حين كفت كفى التعدي؛ وعفة جعلها في أحواله كلها نصب العين، وسياسة ما زال يصلح بها بين ذوي المشاققة ذات البين؛ وكان فلاً هو الموصول المقدم، الموصوف بهذه الصفات التي سر الساحل بها فبسم .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال يطلىح في آفاق الحصون المصونة شهاباً، ويرفع الأولياء بإحسانه الذي يؤكد لهم في جوده أسباباً - أن يستقر نائبا بقلعة حصن الأكراد المحروس وأعمالها، على عادة من تقدمه ومستقر قاعدته .

فليباشر ما وليناه وأوليناه : مباشرة تسفير عن حسن فطنته وذكاؤه، ونضىء الآفاق بنور شهابها وسنائه، وتظهر معروفها المعروف بعدم غيبته وخفائه؛ معتمداً



على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب أَلَانَهُ إِحْسَانُهُ بعد غِلْظَتِهِ  
وجَفَائِهِ ، مانحاً من بحر جوده وعدله بالدر لا يحفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من  
أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مُقيماً لمنار الشرع الشريف الذي لا تستقيم  
الأُمُورُ إلَّا بمتابعته وإبدائه ؛ وليُظهِر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ،  
وليُشهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعَدِم خوفه ، من سَطَوَةِ رَبِّهِ وَكُرْمَائِهِ .

وأعظم ما نُوصِيهِ به التَّقْوَى ، فإنه بِلَا زَمَتِهَا يَقْوَى ، على دَفْعِ الشَّرِّ وَفِعْلِ الْخَيْرِ  
وإِسْدَائِهِ ، والوصايا كثيرةٌ وهو المحزَّب بالعمل بها لمن يرغب في آسْتِيلَائِهِ ، والله  
تعالى يُحْرِقُ بِشِهَابِ عَدْلِهِ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ .... \* \* \*

وأعلم أنه ربما كُتِبَ تَوْقِيعُ نَائِبِ حَضَنِ الْأَكْرَادِ مُفْتَحاً بـ «أَمَّا بعد حمد الله» .  
وهذه نسخةُ تَوْقِيعِ بَيَانَةِ حَضَنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ به باسم «شِهَابِ الدِّينِ الْجَاكِي»  
بـ «الجناب العالی» ، وهي :

أَمَّا بعد حمد الله الذي جعل شِهَابَ الدِّينِ يَتَّقِلُ في مَطَالِيعِ سَعْدِهِ ، وَجَدَّ  
أَثْوَابَ النِّعَمَاءِ لِمَنْ قَدِمَتْ هِجْرَتُهُ وَظَهَرَ خَيْرُهُ فَأَنْجَزَ لَهُ الْإِقْبَالَ صَادِقَ وَعْدِهِ ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَبْلُغُ قَائِلَهَا إِنَالَةَ قَصْدِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بَنَصْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَانُوا  
مِنْ أَنْصَارِهِ وَجُنْدِهِ ، صَلَاةً دَائِمَةً يَبْلُغُ الْمُؤْمِنُ بِهَا غَايَةَ رُشْدِهِ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً - فَإِنَّ  
أَوَّلَى مَنْ شَمِلَهُ إِحْسَانُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ وَتَوَلَّاهُ مُرَادُهُ ، وَأَجْزَلَ عَلَيْهِ النِّعَمُ فَكَانَ  
أَحَقَّ بِهَا لِحُسْنِ طَوْبِيَّتِهِ فَأَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَحْسَنِ عَادَةٍ ، وَبَلَّغَهُ غَايَةَ الْقَصْدِ وَمَعْدِنِ  
السَّعَادَةِ - مِنْ سَلَكَ مَسَالِكَ الْأَمْنَاءِ الثَّقَاتِ ، وَاشْتَمَرَّتْ عَنْهُ الْعَقَّةُ وَحُسْنُ الصِّفَاتِ ،  
فَتَعَيَّنَ تَقْدِيمُهُ وَتَقْرِيْبُهُ إِلَى أَجَلٍ وَلَايَاتِ الْفُتُوحَاتِ .

ولما كان فلان - أدام الله عزه ، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد ، المشهور بالتهذيب والشجاعة في هذه البلاد ؛ الذي حوى المكارم والإفضال ، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رُسم بالأمر - لا زال شهاب فضله ساطعاً ، ونور إحسانه لامعاً - أن يستقر المجلس العالی الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحِصْنِيَّة والمناصف عَوْضاً عَنْهَا ، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه شمس أعيان الأمائل ، وألفيناه قليل الظير والمضاهي والمُئائِل ؛ وعليه عُقِدَتِ الحَنَاصِر ، وأتَفَقَتِ الآراءُ النَّاقِبَةُ في الباطن والظاهر ؛ ولما جَمَعَ من كَرَمِ الشِّيمِ وَجَمِيلِ الحِلَالِ ، وحاز من النَّبَاهَةِ الرِّفْعَةَ الذَّرَا المَدِيدَةَ الطَّلَالِ .

فليتوجه إلى محلِّ ولايته ، وليظهر ما أكتنه من العدل والإنصاف في ضمائره بحسن سياسته ؛ وليُنصِفِ المَظْلُومَ مِمَّنْ جَارَ عَلَيْهِ وأَعْتَدَى ، ويتَّبِعْ في ذلك ما يُوَضِّعُ له من طريق منار الهدى ؛ وليبْسِطِ المَعْدِلَةَ ويمدِّدَ بَاعَهُ ، وليبيدِ الظُّلْمَ ويقصِّمَ ذِرَاعَهُ ؛ وليصْرِفَ هِمَّتَهُ في عمارة البلاد ، وتأمين العباد ، وسُلوِكِ سُبُلِ الرِّشَادِ ؛ وليجْتَهِدَ في سدِّ الحلال ، وإصلاح ما فسد بغيره من الأحوال ؛ وليجعل تقوى الله محجته ، وأتباع العدل محجته ، وسُلوِكِ الحَقِّ عُدَّتَهُ ؛ فقد جاءت التَّقْوَى في التنزيل مُؤَكِّدَةً ، ووردت في كثير من السُّور مُرَدِّدَةً ؛ والله تعالى يُعِينُهُ على ما ولَّاه ، ويحورسه ويتولَّاه ، بعد الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها ، كتب به لصالح الدين «خليل» ، بـ «الجناب العالی» ، وهي :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح ، ووفق أوليائها  
إلى سلوك سبل السعادة وشيئها بالصلاح ، وخولهم فى أيامها المراتب العلية ليتهلوا  
بأدعيتهم وبدوامها فى المساء والصباح .

نحمده على نعمه التى لا يبرح مخلصها فى ازدياد وأرتياح ، ونشكره على آلائه شكراً  
نستحق به المزيد كما أوضح فى القرآن أكل إيصاح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح ، وأن مجدا عبده ورسوله الذى أنزل عليه فى محكم  
كتابه العزيز : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾  
صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباح ، ماترّم طائر على غصن وحيل  
الداعي الى الفلاح ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُدّت به نيابة أجل المعاقيل والثغور وفوّضت إليه ، وعوّل  
فى حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عُيّدت على حزمه الخناصر ، وورث  
الشجاعة والشهامة كابرًا عن كابر ، وهو الذى نما قرعاً وزكاً [أصلاً] ، وفاق فى المكارم  
على نظرائه قولاً وفِعْلاً ؛ فأضحى وإفر الثناء واضع الغرر ، شاهداً له به العين والبصر .  
ولما كان فلان هو المنعوت بهذه الصفات ، والموصوف فى مواقف الحروب  
بما لديه من الثبات والوثبات ؛ المشكورة خدمته ، شاماً ومِصراً ، المشهورة بين الهمم  
همته ، براً وبحراً .

فلذلك رُسم ... - لازالت مراسيمه الشريفة مبثوثة بالعدل والإحسان ، ومعدّته  
تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوّض إليه نيابة قلعة  
المرقب المحروس ، والولاية بالأعمال الشرقيّة ، وما هو منسوب إليها ، على العادة  
فى ذلك ومستقر القاعدة : إذ هو أحق بها وأهلها ، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليُباشِر ما يُدب إليه من هذه الجهات مُباشرةً تُقصر الأفكار عن تَوْهَمِها ،  
والأبصار عن تَوْسِمِها ؛ والخواطر عن تَحْيَلِ مَبْنِها ، و [الأذهان] عن تَمَثُّلِ صُورِها  
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها مُتَمَسِّحاً ، ولأحوالِ رجالها مُتَصَفِّحاً ، ولأقدارِ جهاتها مُرَبِّحاً ،  
وللخواطرِ إِدْاء أحوالها على السَّدادِ مُرَبِّحاً ؛ ولوظائفِها مُقِيماً ، وللنظر في الكبير والصغير  
من مصالحها مُدِيماً ؛ ولحُرْمَتِها مُضَاعِفاً ، وعلى كُلِّ ما يَتِمُّنُ الاحتفالُ به من مُهِمَّاتِها  
واقفاً ؛ ويُعَدُّ للعدوِّ المخدولِ عند تَحَرُّكِ العِزِّ الشديدِ ، ويَهْجُرُ لَيْسَ الوَشْيِ ويُتَأَلَّفُ  
لَيْسَ الحَدِيدِ ، وَيَتَّخِذُ ظَهْرَ جَوَادِهِ مُسْتَقَرَّهُ العَتِيدِ ؛ وَيَسْمُرُ لِلجِهَادِ ذَيْلاً ، ومعاذَ الله  
أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ مَيْلاً ؛ وَيَسْطِرُّ العَدْلَ للرَّعِيَّةِ ، وَيُعَامِلُهُمُ المعاملةَ المَرْضِيَّةَ ، وَيُحْسِنُ  
إِلَى الأُمَرَاءِ البَحْرِيَّةِ ، وَيُلَاحِظُ مصالحَهُمْ في كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ ، وَأَرْبابَ  
الأدراكِ والشَّوَانِي وَيُحَذِّرُهُمُ مِنَ الإِفْمالِ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْيَقَظَةِ والاحترازِ في اللَّيْلِ  
والنَّهارِ وسائرِ الأحوالِ ؛ وَليعْمَلُ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلاَتِ الجِهَادِ وَلِيَكُنَّ عَلَى حَذَرٍ  
مِمَّا يَتَجَدَّدُ كُلُّ يَوْمٍ ، وَلِيُوَقِّعَ الرَّهْبَةَ فِي قُلُوبِ الأَعْدَاءِ بِحَيَلِهِ فِي الْيَقَظَةِ وَخَيَالِهِ فِي النَّوْمِ ؛  
وَيَتَفَقَّدُ المَوَانِي فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وَلِيُحَذِّرَ أُمَرَاءَ الأَيْرَاكِ مِنَ الغَفْلَةِ  
فَإِنَّ الغَافِلَ لَا يَزَالُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .

وَلْيَتَّقِ اللهَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ . والوصايا كثيرةٌ وهو أَدْرَبُ بِهَا وَأَذَرَى ، وَأَبْوَابُ  
الخَيْرَاتِ وَاسِعَةٌ وهو إِلَيْهَا أَسْرَعُ وَأَجْرَى ؛ وَلِيُشْكِرَ اللهَ تَعَالَى عَلَى مَا وَلَّاهُ ، وَالاعتمادَ  
عَلَى الخَطِّ الكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُ بِنَايَةِ حَضَنِ عَكَارٍ ، كُتِبَ بِهِ لـ «ناصر الدين الكردي» ،  
بـ «الجناب العالي» ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفي بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووفى الأولياء بعودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء ينتظر .

نحمده على منتهى طامس بدا فى جهات الأولياء بشره وظهر، ونشكره على جوده الذى أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحْيى قائلها يوم الفزع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله بسيفه الإيمان فآشتره، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى<sup>(١)</sup> من رُعيته له خدم عديده، وعُرفت له فى أجل الثغور مباشرات سعيده، وآشترت شهامته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجنب العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الخلية، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا الشبل من ذاك الأسد؛ وسارت الرُكبان فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسد الخلل فى المهمات المضلات .

فلذلك رسم ... - لازالت أيامه مبنوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها ومصالحها، ويستدرك ما استهدم من بيوت حواصلها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فإن أولى الأولياء بالمنصب من رعيته» الخ ليستقيم الكلام .

بِحُلُولِهِ بِهِ بِاسْمَا ، وَيُنْشَرُّ لَهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيدِهِ عَالِمًا ؛ وَلِيُحَسِّنَ إِلَى الْأَمْرَاءِ  
الْبَحْرِيَّةِ ، وَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ ؛ وَلِيَعْدِلَ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَيُنْصِفَ  
الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَلِيُزِمَ أَرْبَابَ الْوُظَائِفِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَ  
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَيُوصِلَ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمُعْتَادَةِ ؛ وَيَتَّبِعِ  
الْحَقَّ الْمُخْتَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْعَدْلِ  
فِي وَظِيفَتِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَقْوَى اللَّهِ  
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ : فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا يَقْوَى ، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السِّرِّ  
وَالنَّجْوَى ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِنَايَةِ بَلَاطْنُسَ بِ«الْحَنَابِ الْعَالِي» ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَأَجْرَلَ كَرَمَهُ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُخَيِّ قَائِلُهَا مِنْ وَبِيلِ الْعَذَابِ ، وَتُجَدِّدُ لَهُ  
أَسْبَابَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحِسَابِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ  
بِالنُّورِ الْمُبِينِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْدِّينِ الْمُتَيْنِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَهْلِهِ  
وَأَصْفِيَائِهِ وَأَثَرِيَاهُ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْقِلَاعَ الْمَنْصُورَةَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ الْأَحْتِفَالُ بِأَمْرِهَا ، وَالْإِهْتِمَامُ بِحِفْظِ  
رِجَالِهَا فِي سِرِّهَا وَجَهْرِهَا ؛ وَمَنْ أَجَلَّ قِلَاعِ السَّاحِلِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَجْمَلَ مَسَاكِنِ الْبَحْرِ  
الْمَأْنُوسِ ، قَلْعَةُ بَلَاطْنُسَ .

فَلَذَلِكَ رُسْمٌ ... - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ تَشْمَلُ كُلَّ أَوْحَدٍ ، وَتَجْبُرُ كُلَّ وَلِيٍّ أَمْجَدَ - أَنَّ  
يَسْتَقَرُّ ... .. إِذْ هُوَ الْخَيْرُ ، الَّذِي لَيْسَ لِمَعْرِفَتِهِ نَظِيرٌ ، وَالضَّابِطُ الَّذِي يُحَاقِقُ عَلَى

الجليل والحقير، والتَّقيير والقَطْمِير، والشُّجَاعُ الذى هو فى يوم النَّضالِ على أخذ العدوِّ  
لَقْدِير، والضَّرغامُ الذى أعطاه الله القُوَّةَ والمَعْرِفَةَ التَّامَّةَ فهو بهما جَدِير .  
فليَسِّرْ إلى النَّعْرِ المحروس، ويعتمد فى أموره ما هو فيه من الخِبرة مغروس .



وهذه نسخة تَوَقِّع بتَقْدِمة العَسْكَر بِجَبَلَةَ ، كُتِبَ به لـ «صالح الدين الحافظى» ،  
بـ «الجناب العالى» ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدَّوْلَةَ الشَّرِيفَةَ تَتَّقِلُ كُلَّ وَلِيٍّ إلى درجات سَعْدِهِ ،  
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حُدَّتْ مآثرُهُ وحَسُنَتْ سِيرَتُهُ فى اليوم والذى من بَعْدِهِ ،  
وتجدد أثواب النِّعماء لمن ظَهَرَ خَيْرُهُ وخَبِرَتْهُ فَأُنْجِزَ له الإقبال صادق وَعْدِهِ .

نحمده على نِعَمِهِ التى أَجْزأتْ لِمُسْتَحِقِّهَا مَوَاهِبَ رِفْدِهِ ، ونشكره على مَنَنِه التى  
خَصَّتْ كُلَّ كَافٍ بِتَأْثِيلِ مَجْدِهِ ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
يُلْغُ بها قائلُها غَايَةَ قَصْدِهِ ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدَّه الله تعالى  
بَنَصْرِ مَنْ عِنْدَهُ ، وآمنه على وَحْيِ الرِّسَالَةِ فنصح الأُمَّةَ غَايَةَ جُهْدِهِ ، صلى الله عليه  
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصارِهِ وجُنْدِهِ ، صلاةً دَائِمَةً باقيةً يُلْغُ بها الْمُؤْمِنُ  
غَايَةَ رُشْدِهِ ، وسلِّم تسليما كثيرا .

وبعدُ ، فإنَّ الجنابَ العالىَ لَمَّا تَقَدَّمتْ له مِباشرات ، فى أَجَلِّ الولاياتِ وأَحْسَنِ  
النياباتِ ، وهو يَسِيرُ فى كُلِّ منها أَجْمَلَ سَيْرٍ ، ويَحْسِنُ إلى رَعِيَّتِها فلا غَرَوَ أنْ يذكروه  
بِكُلِّ خَيْرٍ ، كم قامَ بِمُهَمَّاتٍ من غَيْرِ عَسْفٍ أَذِلَّ البلاد ، وكم أعانَ الدِّيوانَ المَعْمُورَ  
من غيرِ ضَرَرٍ للعباد ، وكم ميزَ أَمْوالًا فَكَانتْ أَيَّامُ مِباشراتِهِ أعيادَ ، وكم له من خِدَمٍ  
سار بها الرِّكابُ وبلغ بها المُراد ، وكم أُنْحِىَ عليه لِسَانُ القَلَمِ حَتَّى نَفَدَ المِداد ،

وَكَمْ وَصِفَتْ هِمَمُهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصَّدْقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فَاقْتَضَىٰ تَحْمُودُ رَأْيَنَا الَّذِي مَا بَرَحَ بَعَوْنُ اللَّهِ يُصِيبُ ، وَجَمِيلُ فِكْرِنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرِ إِلَّا وَبِالْإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ ، أَنْ نُعَيِّنَ لَهُ وَظِيفَةً تُرِيحُهُ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَنُوفِرَهُ مِنْ تَبَعَاتِ الطَّلَبِ ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَعْتَرِيهِ أَلَمْ يَعُوقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالنُّزُولِ ، سِيَّيَا فِي هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمَخْذُولُ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ ... - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تُبَسِّرُ أَسْبَابَ النَّجَاحِ ، وَعَوَارِفُهُ تُطَوِّىٰ لَهَا أَرْضَ الْبُعْدِ غِنَىٰ أَوْلِيَائِهَا كَمَا تُطَوِّىٰ لِذِي الصَّلَاحِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ ... .. فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةٍ ، عَلَىٰ عَادَةٍ مِنْ تَقْدِيمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَبْشُرْهَا بِمَبَاشَرَةٍ تَلِيقُ بِشَجَاعَتِهِ ، وَتُعْهَدُ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ ؛ وَلْيُكْرِمِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ ، وَلْيُرَدِّعْ مَنْ يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ أَوْ يَحْجِيفُ ؛ وَلْيَجْمَعْ الْأُمَرَاءَ الْمَقْدَمِينَ وَالْحَلَقَةَ الْمَنْصُورَةَ عَلَى الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُطِيفَةِ ؛ وَلْيَتَقَيَّظْ لِرَدِّعِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهَا أَسْتَرَعَيْنَاهُ أَمْرَ ذَلِكَ وَكُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٍ ؛ وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ الْعَدُوَّ الْمَخْذُولَ طَالِبٌ لِلْمَالِكِينَ مِنْهُمْ بِالْثَّارِ ، وَهُمْ قَاصِدُونَ جَبَلَةٍ فَلْتَكُنْ عِنْدَهُ يَقَظَةً وَأَسْتَبْصَارًا ؛ وَلْيَرْتَبِ الْأَيَّازُ وَلْيُعَمِّرِ الْمَوَانِي بِالرِّجَالِ ، وَيَتَفَقَّدَهُمْ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ ؛ وَلْيَهْجُرِ النَّوْمَ فِي طَلَبِ الظَّفَرِ وَالْمُنَىٰ مِنْ سَهَرٍ لَذَلِكَ مَا خَابَ ، وَلَا يَأْمَنُ مَكِيدَتَهُمْ وَيَعْتَرِّبُهُمْ فَيَقُولُ : قَدْ ضُرِبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ؛ وَبَاقِي الْوَصَايَا فَهِيَ بِهَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ يَبْرَحْ مُتَلَقِّمًا بِثَوْبِهَا الْمُعْلَمِ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا يَأْتُمْ ، وَمَنْ تَرَكَهَا يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَزِمَهَا فَهُوَ فِي الدَّارَيْنِ مُقَدَّمٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ .



وَأَعْلَمَ أَنَّهُ رَبِّمَا أَفْتَحَ تَوْقِيعُ مَقْدَمِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ بِ«أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» .  
تَوْقِيعٌ بِتَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لِحَسَامِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ بِ«بِالْجَنَابِ  
الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُجْزَلُ لِكُلِّ وَلِيٍّ مِنْ مَوَادِّ فَضْلِهَا إِنْعَامًا ، وَتَمْنَحُ  
مِنْ عَوَارِفِهَا أَقْسَامًا ؛ وَتُبَلِّغُ مِنَ التَّجَعُّعِ لَذَوَى الْاِسْتِحْقَاقِ أَمَالًا وَتَجْعَلُ فِي نُحُورِ  
الْبَاغِينَ حُسَامًا ؛ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ لِلْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ لِزَامًا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ  
فِي الْجَنَابَاتِ مَقَامًا ؛ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي حَمَّا اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ عَنِ الْأُмَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ  
آثَامًا ، وَشَرَّفَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامًا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ ظَافَرُوهُ وَبَايَعُوهُ دُحُورًا وَأَعْوَامًا ، صَلَاةً دَائِمَةً تَزِيدُ مُرَدِّدَهَا عِزًّا وَإِكْرَامًا -  
فَإِنَّ الْإِهْتِمَامَ بِكُلِّ جِهَةٍ هُوَ عَلَى قَدْرِهَا ، وَالْعَنَاءُ بِقَطْرِهَا .

وَلَمَّا كَانَتْ مَدِينَةُ جَبَلَةِ الْحُرُوسَةِ مَخْصُوصَةً بِمَقَامِ بَرِّ<sup>(١)</sup> السَّنَدِ ، الرَّاهِدِ الَّذِي  
تَرَكَ الدُّنْيَا وَالْأَهْلَ وَالْوَلَدَ ، وَالْوَلِيَّ الْمُبَرِّزَ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ ، وَالْمَتَوَكِّلَ الَّذِي لَمْ يَدْنَحْ  
قُوَّةَ سَاعَةٍ لِسَاعَةٍ أَعْتَمَادًا عَلَى الرَّازِقِ - تَعَيَّنَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهَا وَحِفْظِهَا مِنَ الْعَدُوِّ  
الْمَخْذُولِ ، وَإِنْ كَانَ بِهَذَا السَّيِّدِ السَّنَدِ قَدِ تَبَيَّنَ حِفْظُهَا ؛ وَكَانَ فَلَانٌ مِّنْ بَاشِرِهَا  
فَأَحْسَنَ فِيهَا الْمُبَاشَرَةَ ، وَكَلَّأَ حِفْظَهَا بِقِطْعَتِهِ وَعَيْنِهِ السَّاهِرَةِ - أَفْتَضَى رَأْيَانُ أَنْ نُعِيدَهُ  
إِلَيْهَا ، وَنُسَبِّغَ ظِلَّهُ عَلَيْهَا .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ حُسَامُهُ قَاطِعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ نَحْرًا ، وَفِعْلُهُ صَالِحًا دُنْيَا  
وَأُخْرَى - أَنْ يُعَادَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ إِلَى تَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةِ الْحُرُوسَةِ ، عَوْضًا  
عَمَّنْ بِهَا ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدَ الْحُسَامِ إِلَى غَمْدِهِ، وَالْمَاءِ إِلَى مَنَهْلِ وَرْدِهِ ؛ وَلْيُقَدِّمَ خَيْرَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا، وَلْيَبْسُطِ الْعَدْلَ لِيَأْمَنَ أَهْلُهَا بِقُدُومِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلْيُكْرِمَنَّ مِنْ بَهَا مِنَ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ، وَيُحَسِّنَنَّ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِهَا لِيُصْبِحَ خَيْرَ مَشْكُورٍ ؛ وَلْيُنْصِفِ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَنْشُرَ لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ عِلْمَهُ ؛ وَلْيُخْلَصِ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالْدِّينَ وَالشَّرِيفَ ؛ وَلْيُزَيِّمَنَّ مِنْ بَهَذَا الثَّغْرِ بِعَمَلِ الْبِرِّكَ الْمَعْتَادِ، وَالتَّيَقُّظِ لِأَمْرِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ وَمُضَاعَفَةِ الْاجْتِهَادِ، وَلْيُزَيِّمَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَرْجُو مِنَ الْآمَالِ .



وهذه نسخُ توَاقِيعَ لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ بِطَرَايُسَ .  
تَوَاقِيعُ بِنَظَرِ الْحَسْبَةِ بِطَرَايُسَ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ شَيْصَةَ » وَهُوَ :  
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، وَمَوْصِلِ الْأَرْزَاقِ عَلَى يَدِ أَصْفِيَائِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَمُعِيدِ كُلِّ وَلِيٍّ إِلَى مَنْصِبِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمُبِينِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْتِ جَعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَدَّخَرَهَا لِيَوْمِ الدِّينِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، الَّذِي أَرْسَلَهُ بِوَاضِحِ الْمُحْجَجِ وَمُحْكَمِ الْبَرَاهِينِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا عَرَبِيًّا مُبِينًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِّينَ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ غَزَرْنَا مَوَادَّ رِفْدِهِ، وَأَجْرَلْنَا لَهُ حُظُوظَ سَعْدِهِ، وَبَلَّغْنَاهُ مِنْ إِقْبَالِنَا غَايَةَ قَصْدِهِ، وَحَمَدُنَا تَصَرُّفَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدِ مَارَسَمِ لِمَا جَدَّدَ [ مِنْ ] بَعْدِهِ ؛ وَأَعَدَّنَاهُ إِلَى رُبَّةِ الْفَتْتِ مِنْهُ حُسْنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ، وَعُورَفَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ

وَيُؤْمِنُ التَّائِيهِ - مَنْ لَهُ وَاسْلَفُهُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدُّ طُولَى ، فَكَانَ بوظيفته  
أَحَقَّ وَأَوَّلَى .

ولما كان المجلس العالى هو الْمُتَصِفَ بصفات الكمال ، الْمَشْكُورَ فى سائر الأحوال ؛  
فلذلك رُسم بالأمر - أَنْفَذَهُ اللهُ فى الآفاق ، وَأَجْرَاهُ بِصَلَةِ الْأَرْزَاقِ - أَنْ يُعَادَ فَلَانٌ  
- أدام الله نِعْمَتَهُ - إِلَى نَظَرِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَاعَدَتِهِ ،  
مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ : لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِى لَا يُجَارَى ، وَالْعَالِمُ  
بِأَحْوَالِ الرِّعْيَةِ فَلَا يُنَاطَرُ فى ذَلِكَ وَلَا يُمَارَى ؛ وَالْفَيْلَسُوفُ الَّذِى يُظْهِرُ زَيْفَ كُلِّ  
مُرِيبٍ ، وَالتَّحْرِيرُ الَّذِى يُخْبِرُهُ يَسِيرُ كُلِّ حَبِيبٍ وَلَيْبٍ .

فَلْيَنْظُرْ فى الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ؛ وَمَا يُخَصَّرُ بِالْمُقَادِيرِ وَمَا لَا يُخَصَّرُ ،  
وَمَا يُؤَمَّرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ؛ وَمَا يُشْتَرَى وَيُبَاعَ ، وَمَا يُقَرَّبُ بِتَحْرِيرِهِ إِلَى  
الْجَنَّةِ وَيُبْعَدُ عَنِ النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قَدْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ؛ وَكُلُّ  
مَا يَعْمَلُ مِنَ الْعَالِيشِ فى نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، وَمَا لَا يُعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ لِسَانُ الْمِيزَانِ  
أَوْ تَكَلَّمَ فَمُ الْكِيلِ ؛ وَلْيَعْمَلْ لَدَيْهِ مُعَدَّلًا لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِيَارًا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَايِيرُ  
يَعْرِفُ مِنْ جَارٍ وَمِنْ عَدَلٍ ، وَلْيَتَفَقَّدْ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَيُحَدِّثْ مِنَ الْغِشِّ : فَإِنَّ الدَّاءَ  
أَكْثَرُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؛ وَلْيَتَعَرَّفِ الْأَسْعَارَ ، وَيَسْتَلِمِ الْأَخْبَارَ مِنْ كُلِّ سُوقٍ  
مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ لِأَهْلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ؛ وَلْيُقِيمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْنَاءِ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ فى النَّظَرِ ،  
وَيَطْمَئِنُّ بِهِ إِنْ غَابَ أَوْ حَضَرَ ؛ وَدَارَ التَّقْوَدِ وَالضَّرْبِ الَّتِى مِنْهَا تَنْبَثُّ ، وَقَدْ يَكُونُ  
فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوْلِ اللَّبَثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ لِمُحِبِّهَا بِصَدْرِهِ الَّذِى لَا يَخْرُجُ ،  
وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْحَكِّ [ مِنْ رَأْيِهِ ] مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يَلْقَى مِنَ الذَّهَبِ  
الْمَكْسُورِ وَيَرْوِصُ مِنَ الْفُضَّةِ وَيَخْرُجُ ؛ وَلْيُقِيمِ الضَّمَانَ عَلَى الطَّعَّارِينَ وَالطَّرِيقَةِ

في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يشتري فيه وهو معروف ، وبخط طيب ماهير  
لمريض معين في دواء موصوف ، والطريقة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة  
إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء  
من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان ؛ فامنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل  
الرجاج حتى لا يجبر لهم صنع ، وصب عليهم النكال وإلا فاثبتهم في تأديبهم  
ذات التأديب والصفع ؛ ومن وجدته قد غش مسلماً ، أو أكل باطل درهما ،  
أو أخبر مستتراً بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره بالبلد ، وأركب تلك  
الآلة قفاه حتى يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء [ من فقهاء المكاتب ، وعالمات  
النساء وغيرهما من الأنواع ] <sup>(١)</sup> ممن يخاف من ذنبه العاث في سرب الظباء والجمادير ،  
ومن يقدم على ذلك أو مثله وما يحاذر ؛ أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم  
بإقدامك ؛ ولا تدع منهم إلا من اخترت أمانته ، واختبرت صيانتته ؛ والنواب  
لا ترص منهم إلا من يحسن نفاذاً ، ويحتسب لك أجر استينائته إذا قيل لك : من  
استنبت ؟ قلت : هذا ؛ وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه  
بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمذهب مالك ، والله تعالى يسدّدك ويرشدك ويوفّقك  
إلى أحسن المسالك .



توقيع بخطابة والإمامة بالجامع المنصوري بطرابلس ، كتب به الخطيب  
« جمال الدين إبراهيم » ، بـ « المجلس السامي » بغيراء ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زال عود منابر الإسلام بماء إحسانه رطيباً ، وورد  
شعائر الدين الحنيفي في أيامه الزاهرة قشياً ، ومواهبه ومناقبه تقيم لمناجحه في كل

(١) الزيادة من « التعريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَإِدِّ شَاعِرًا وَمُحَامِدَةً فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا - أَنْ يُرْتَّبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :  
- رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَفَ، وَزَادَ مَجْدَ الْخَلْفِ - خَطِيْبًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ  
الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابُلُسِ الْحُرُوسَةِ، عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ، وَبِمَعْلُومِهِ  
الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ بِاسْمِهِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةً لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاصِحَةِ  
الدَّلَائِلِ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشَّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْحَايِلِ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ  
مَنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلِ ؛ وَلَأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ، وَالْخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ  
الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَذُوَ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَنْجِبُ،  
وَالنَّجْلُ النَّبِيُّ الْمُهَذَّبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدِّينِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ  
فِي النَّبَاهَةِ وَالْتِهَانِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْخُطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَالِهَا، وَطَلَّاعُ ثَنَائِهَا ؛ زَائِنًا حِلَالِهَا،  
زَائِدًا عَلَاهَا ؛ وَلِيَرَقْ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ، وَلِيَتَقَيَّ  
نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيَّةَ ؛ وَلِيُقِمَّ مَقَامَ وَالِدِهِ  
فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ السَّنِيَّةِ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النَّيِّ ؛ مُجَلِّيًا فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ الَّذِي  
سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَتُهُ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْمَتُهُ ؛ مُحَلِّيًا بِقِلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَقِرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ  
الْمُنْبَرِّ الَّذِي لَوْ أُمْكِنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ، مُشَنَّفًا الْأَشْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزَّوَاهِرِ  
الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلْيَسِرْ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُتْلَى وَسَلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدَ، وَلِيَجْتَهِدَ فِي إِحْيَاءِ  
رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْفَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبْلُ  
مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ ؛ جَازِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَانَتِهِ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ  
صِيَانَتِهِ ؛ وَلْيُوَصِّلْ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى  
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِاسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أَحْيَانُ الْوُجُوبِ وَأَزْمَانُ الْاسْتِحْقَاقِ،

رُزْقًا دَارًا ، سَارًا ، هَيَّأَ ، مَرْضِيًّا ، من غير تَغْيِص ، ولا تَقْيِص ، والاعتماد على  
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوتها إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بخطابه ، كُتِبَ به للشيخ «صدر الدين الخابوري» ، بـ «المجلس  
السامي» بالباء ، وهي :

رُسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تَضَعُ الأشياءَ في محلِّها ، وتُفَوِّضُ المناصبَ  
المنيفة إلى أهلها ، وتُشَرِّفُ صُدُورَ المحافل بصُدُورِ العلماء في حَزْنِها وسَهْلِها - أن تُفَوِّضَ  
إلى فلان الخطابة بالجامع الناصري المعروف "بجامع التوبة" بطرابلس المحروسة  
وَجُوبًا وَتَعِينًا ، أَقْتَضَى في تَقْدِمِ الفاضل على المَفْضُولِ تَيْقِنًا وَتَبَيَّنًا ؛ لِأَنَّهُ الْحَبْرُ الَّذِي  
لا يُجَارَى في فضائله ، وَالْبَحْرُ الَّذِي يَحُودُ فِيْجِدُ بفواضله ، وَالصَّادِرُ الَّذِي مِلَّتْ  
بقوائده وفرائده بزمانه محافل صُدُورِهِ وَصُدُورِ محافله ؛ كَمَ نَطَقَتْ ألسُنُ الأَقْلَامِ  
بأفواه الحابر بفضله في الأقاليم والأفاق ، وَكَمَ من عبارة بفصاحة وبلاغة حَقَّقَتْ أَنَّهُ  
بها فات الفصحاء والبُلغاء وفاق ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ هذا الجامع بهذا الفاضل الذي  
طال آرتقابه له جَامِعًا ، وَأَمْسَى وقد ظَفِرَتْ يَمَنَاهُ من اليَمِينِ به والبركة بما لم يكن  
بشيءٍ منه في مثل هذه الأيام طَامِعًا ، فَلِذَلِكَ بَادَرَ مِنْبَرَهُ الْمُنِيفُ وحلَّ له حَقُّهُ  
مُسَارِعًا ؛ وَوَطَأَ - لَامْتِطَائِهِ إِيَّاهُ - صَمُوتَهُ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ بهذه الحسنة الجميلة فيما  
سَلَفَ منه هَفْوَتُهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْخَطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِطَالِعِ المنابر من خُطْبَتِهِ بما يُفَجِّرُ  
من العيون مَنَابِعَ المَدَامِيعِ ، وَيُسَوِّقُ إلى الآخرة : من أَلْفَاظٍ يُشَنِّفُ بها المَسَامِيعَ ؛  
وَأَنَّ قُسًّا لَا يُقَاسُ به في خُطْبِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنَّ سَحَابًا يَوَدُّ من تَجَلِّهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَيْلَهُ  
على مآثره الماثورة عنه لِيُعْفَى آثارَ فَلَنتِ كَلِمَاتِهِ وَلَفَنَاتِ لَفْظَاتِهِ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مذكراً ، وليأمر عباده ونهأهم عنه على أسماعهم مكرراً ، ويعلم أنه في المحراب مناج لربه ، وأقف بين يدي من يحول بين المرء وقلبه ، فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله ، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت من قلب لا تقع إلا في مثله .

وفي إحاطة عليه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ، ما يغني عن وصية بها يتذكر ، وتذكرة في صحيفة فكره ترقم وتسطر ، وتوصل إليه معلومه على هذه الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور . وليوفر خاطره من التبذل في تحصيل معلومه الجارى له وطلبه ، وليعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة والمحل العالي الرفيع من منصبه ، والعلامة الكريمة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس ، كتبت به للقاضي بدر الدين « محمد ابن الفرفور » ، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها ، بـ « المجلس العالي » ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى زين سماء المعالى ببدرها ، وأثبت فى رياض السعادة يانع زهرها ، ورفق المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة فى قولها وفعلها ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالملة الخنيفة قائماً بفرضها ونفلها ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مبلغاً لرسالات ربه كلاًها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها ، ولا ينقضى أمدها ، وسلم تسليماً كثيراً - فإن أولى من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها <sup>(١)</sup> فيها

(١) بياض بالأصل ولعله : وله فيها ، الخ .

نِسْبَةً لَا يُنْكِرُ فَضْلُهَا ، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَفَّةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ - حَرَسَ اللَّهَ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلَّ وَالِدِهِ - هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ ، وَتَمَسَّسَ هَذِهِ الْحَالَةَ وَبَدَّرَ هَذِهِ الدَّارَةَ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ ... - زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا ، وَمَنَحَهُ فِي الْحِنَانِ قُصُورًا وَغُرَفًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : أَقْرَارًا لِعَيْنِ وَالِدِهِ ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ طَرِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ ؛ لِأَنَّهُ التَّبَعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاشِ السِّيَادَةِ ، وَالزَّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كَيْلَامِ السَّعَادَةِ ؛ فَلَا يَزَالُ قَرَعُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمُّ إِلَى أَنْ يَتَأَصَّلَ ، وَزَهْرَتُهُ تُزْهِىَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِنْمَارَ وَتَتَوَصَّلَ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْإِسْتِقَادِ ، وَتَعَمُّدُ فِيهَا عَقْبِي الْأَخْتِيَارِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالرَّشَادِ ؛ وَلْيَسْلُكْ فِي أَمَانَتِهِ سُنَنَ أَبِيهِ - أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ - الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَى وَأَعَادَ ، وَيَتَّبِعْ طُرُقَهُ الْهَادِيَةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ ؛ وَيُنْدِ مَا آكْتَسَبَهُ مِنَ وَالِدِهِ عَنْ سَلَفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السَّنَدِ ، وَلَا يُخْرِجُ عَنْ رَأْيِ أَبِيهِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّيْءُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ وَلْيُسَمِّرْ فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُبْلَغُ بِهَا الْأُمَالُ ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ ؛ وَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِعَزَمِهِ الشَّدِيدِ ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ ؛ فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْئُولٌ ، يَقُولُهُ يَوْفَقُ فِي الْإِسْتِحْقَاقِ وَفِي التَّقْوِدِ وَالْكَيْوَلِ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِحَبْلِهَا يَقْوَى ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْهُدَى ؛ فَإِنَّهُ أَنْجَحَ الطَّرِيقَ وَأَسْلَمَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ ، وَيُدِيمُ صَوْنَهُ ؛ وَالْإِعْتِمَادَ .....





تَوْفِيعٌ بَكَاةِ الدَّرَجِ بِطَرَابُلُسَ ، كُتِبَ بِهِ بِـ «المجلس السامى» بآلباء ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت مَراسِمُهُ الْعَالِيَةُ تُطْلَعُ فِي أَفْلاكِ الْمَعَالَى بِدَرًا مُنِيرًا  
هَادِيًا إِلَى الْفَضَائِلِ مَأْمُونًا مِنَ السَّرَارِ ، وَمَكَارِمُهُ الْوَافِيَةُ تَرْفَعُ مِنْ أَعْلَامِ الْمَعَانِي صَدْرًا  
كَبِيرًا رَشِيدًا فِي الْبَيَانِ أَمِينًا عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَمَرَامِحُهُ الْكَافِيَةُ تُقَرِّعُونَ الْأَعْيَانَ  
وَالْأَخْيَارَ - أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَارَ فَضَائِلِهِ الَّتِي يَأْتِمُّ بِهَا الْمُسْتَضَى  
وَالْمُهْتَدَى ، وَيَعِشُو إِلَى قِرَآهَا الْمُسْتَعِينُ وَالْمُقْتَدَى - فِي كِتَابَةِ الدَّرَجِ السَّعِيدِ بِطَرَابُلُسَ  
الْمَحْرُوسَةِ بِمَا قُرَّرَ لَهُ مِنَ الْمَعْلُومِ الْوَاردِ فِي الْأَسْتِمَارِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا يَتَيْنُ بِقَلَمِ الْأَسْتِيفَاءِ  
جِهَتُهُ ، وَيُبَيِّنُ تَفْصِيلَهُ وَجُمْلَتَهُ ، نَظَرًا إِلَى آسْتِحْقَاقِهِ الظَّاهِرِ ، وَفَضْلِهِ الْبَاهِرِ ،  
وَبَلَاغَتِهِ الَّتِي أَفْصَحَتْ عَنْ بَيَانِ الْبَلِيغِ الْقَادِرِ ، وَفَصَاحَتِهِ الَّتِي بَلَغَتْ الْكَمَالَ بَعَوْنَ  
الْمَلِكِ الْقَادِرِ ، وَإِطْرَائِهِ ، فِي إِطْنَائِهِ ، وَإِعْجَازِهِ ، فِي إِيجَازِهِ ، فَهُوَ فِي الدَّلَائِلِ قُدْرَةٌ  
«الْمَنْصُورِ» وَفِي الْفَضَائِلِ قُوَّةُ «النَّاصِرِ» ، طَالَمَا أَزْهَرَ بِقَلَمِهِ «الْمُهْتَدَى» لِلصَّوَابِ ،  
«السَّفَاحِ» كَالسَّحَابِ ، رَوَّضَ الْعُلُومَ وَالْآدَابَ ، وَأَظْهَرَ بَيَانَهُ «الْمُنْتَصِرِ»  
فِي الْخُطَابِ ، «الْمُقْتَدِرِ» عَلَى الْاِقْتِضَابِ ، طُرُقَ الْفُنُونِ ، وَاصْحَحَ الْعْيُونَ ، مُحْكَمَةً  
الْأَسْبَابِ ، وَسَبَّلَ الْحَكَمَ مُفْتَحَةً الْأَبْوَابِ ، فَهُوَ بِالسَّنَا وَالسَّنَاءِ بِدَرٍ «الْمُسْتَرِشِدِ» ،  
وَبِالْحَدَا وَالْجَدَّاءِ «مُعِزٌّ» «الْمُسْتَنْجِدِ» ، وَبِقَرِطِ الْحَيَا وَالْحَيَاءِ سَحَابُ الْمُسْتَمْطَرِ  
وَالْمُسْتَظْهِرِ ، وَبِقَرَبِ الذِّكَا وَالذِّكَا بَرَقَ «الْمُسْتَبْصِرِ» وَ«الْمُسْتَنْصِرِ» .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوُضُفَةِ الْمُبَارَكَةِ «مُعْتَصِمًا» بِحَبْلِ التَّقْوَى ، «مُسْتَعِصِمًا» مِنَ الْمُرَاقَبَةِ  
بِالسَّبَبِ الْأَقْوَمِ الْأَقْوَى ، مُجَدِّدًا رُسُومَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي رَبَّعَهَا قَدْ دَرَسَ وَمَحَلَّهَا  
قَدْ أَقْوَى ، فَإِنْ «الْمُتَّقَى لِلَّهِ» «الرَّاضَى» بِهِ هُوَ «الرَّاشِدُ» «الْفَائِزُ» بِالسَّعَادَةِ ،

و«المتوكل» عليه «المطيع» له هو «الواثق» ببلوغ القصد الحائز لارادته ؛ وليطرّز حُلَّ البيان بوثني بنانه الذي أصبح ديباج الطرس به «معترا» ، وليقوم معاني البديع بعامل قلبه الخطي الذي أمسى الفضل به كالسمهري قائما مهترا ؛ «مستكفيا» بما يصرّعه ويرصّعه نظما ونثرا من البدائع ، «مستعليا» لما يرفّعه ويفرّعه من غرر الفقر ، ودّرر الفكر ، بخاطره الوقاد النقاد المنقاد الطائع ؛ «مقتفيا» فيما ينشئه آثار ما يصدر عن «الحاكم» و«الامر» ، «مكتفيا» فيما يئديه بمقدار ما تبرز به المراسيم والأوامر ، «حافظا» للسّرّ العزيز «كاتبًا كاتبًا فلا يعضده فيه «عاضد» ولا يظفر به «ظافر» ؛ «معتمدا» على الكتان في جميع ما يورده ويصدره ، مقتصدًا بالتوفيق في سائر ما يحفيه ويظهره .

والوصايا فن آدابه تُستفاد ، والنصائح فلها منه المبدأ وإليه المعاد ؛ فليتنسّم ذرّوة أعلاها ، وليتنسّم نغمة رايها ... ..



توقيع بشهادة دار الضرب بطرابلس ، وهو :

رسم بالأمر - لا زال رأيّه الشريف يقرب من الأمور صوابا ، ولا برح أفق سماء مملكته الشريفة يطالع بقلبه بذرا منيرا وشهابا - أن يُربّ فلان ... : لأنه العدل الذي أشتهرت عدالته ، والأمين الذي بهرت فظهرت أمانته ؛ والرئيس الذي ما برح صدر المحافل ، والفاضل الذي فاق بفضله على الأقران والأماثل ، وشهدت بتراهته المشهورة الأواخر والأوائل .

فليأشِر هذه الوظيفة مباشرة مطابقة لعدالته المشهورة ، مغربة عن أصالته المخبورة ، موصحة عن ديانته التي غدت في العالمين معروفة خير منكورة ؛ ليصبح هذا المنصب

مُشْرِقًا بُنُورَهُ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شَهِائِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -  
غَنَى عَنْ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ  
الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ  
ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوَقُّعُ بِنَظَرِ اللَّادِقِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانِ الدِّينِ» الْأَذْرَعِيُّ ، وَهُوَ :  
رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْآفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنِّهِ وَقَوَاضِلِ بَرِّهِ الْأَعْنَاقِ - أَنْ  
يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ اللَّادِقِيَّةِ  
الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى  
آخِرَوَقْتٍ : عِلْمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورَةٍ ،  
وَخَبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَالُوفَةُ الْمَوْفُورَةِ ؛ فَإِنَّهُ  
بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَاتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ،  
وَضَبَطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحُسْنِ نَظَرِهِ وَمَيَّزَ وَثَرَهُ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنْ  
الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِّلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ  
الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنْ أَجَلِّ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ  
مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُبَسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْقُرُوعِ  
وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ  
تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُقِيمُ لاتباع الحق برهانا، وتُسَدِّى إلى كلِّ أحد خيرا وإحسانا - أن يرتب فلانٌ ناظرا باللاذقية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما بأشر نظر بيت المال فوق الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدد بحسن تديره الأقوال والأفعال ؛ وأظهر من الأمانة ما تميز به في مباشراته ، وفاق به على قرانه وأهل زمانه وأوقاته ؛ ثم بأشر الحسبة فسلك فيها مسلك السر والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فليأشر هذا النظر بقلب مُشرِّح ، وأملٍ مُنْقِصٍ ؛ وليُظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنب الخيانة ؛ وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، ويَسِّطَ قلبه في إصلاح الأمور؛ وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مُستحق ، فإنهم به أولى وأحق ؛ وليوصل إليه معلومه أو أن وجوبه وأستحقاقه ....



توقيع بمشارفة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » بـ « المجلس العالى » ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه العالية تُولى الأنام رعا ، ويُجدد بإسباغ الإنعام بشرا ، وتُصَوِّعُ في كلِّ نادٍ من أندية الثناء والدعاء نشرا ؛ وتُطْلِعُ في كلِّ أُنْفٍ من آفاق السيادة من صُدُور الأعيان وأعيان الصُدُور بدرا - أن يرتب فلانٌ في مُشارفة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العِفَّة والصِّلَف ، والنَّزَاهَة

التي عُرف بها وأتصف بها ، والرأسة التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلوك نهجها : ومن العجب خلو البدن عن الكلف ! ، كم حُفظت بمباشرته الأموال ، وصَلَحَتْ بِمُلاحَظَتِهِ الأحوال ، وعُقِدَتْ الخناصِرُ على سيرته . وحُسِنَ سَيرُهُ ، وأَشْتَهَرَ بِجَمِيلِ تَدْيِيرِهِ أَوْجِبَ تَقْدِيمَهُ على غيره .

فليأشُرْ هذه الوظيفة التي هي من أجلِّ الوظائف ، وليشْكُرْ ما أُولِيَ من المعروف وأُسْدِيَ إليه من العوارف ، وليبذل جهده في صلاح الأحوال ، وتأثير الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ، فانه ممن دلت خبرته على جميل آثاره ، ولاحت الغبطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختباره ، كيف لا ؟ وهو ممن نَسَأَ في خُذُورِ فنون الكتابة ، وأشهر في مواطن النضال مع وفور الانتقال بحسن الإصابه ، فهو إن شاء الإنشاء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد للتصرف قيل : هذا الكتابُ النَّظَامُ ، كم له من يدٍ بيضاء في التبييض والتسويد ، وهمة علياء بلغ بها من السيادة ما كان يُريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويعملها إمامه ، وليتمسك بها مقتدياً بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حسن الظن به ليلبغ من سعادة الدارين مرامه .

والوصايا التي يعم نفعها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ، به تُسَلِّكُ سبلها ، وعنه تُؤْخَذُ تفاصيلها وجمالها ، فليسلِّك منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالأنفود الأحمَد ، بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ، وليناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقاً داراً ، هنيئاً ميسراً ساراً ، من غير تقثير ولا تكدير ، ولا تنغيص ولا تأخير .



تَوْفِيقٌ بِمَشِيخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْهَمِيِّ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ «عَبْدَ اللَّهِ السُّطُوحِي»  
بِـ«الْمَجْلِسِ الْعَالِي» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَقَى مَحَلَّنَا بِلْيَايِهِ ، وَأَنْبَتَ عُشْبَنَا بِسَحَابِهِ ؛ وَأَقْرَأَنَا كِتَابَ  
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا عَنْ وَجْهِ كِتَابِهِ ؛ وَجَعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَائِهِ ، وَمَنْحَهُمْ  
بِمَا اخْتَارَ لَهُمْ مِنْ سَرَائِرِ مَوَاهِيهِ وَعَطَائِهِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ  
بِوَاسِطَةِ مَنْ أَحْبَابِهِ وَأَخِصَّاءِ تُجْبَانِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَجْمِ السُّرَى ،  
وَلَيْثِ الشَّرَى ، وَسَيِّدِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ لِأَبَرِّ  
قَسَمِهِ رَبِّ السَّمَاءِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانِ الْأَعْيُنَاءُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مِنْ  
الْوَاجِبَاتِ ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ النُّفُوسِ الرَّغْبَاتِ ؛ وَبُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى  
فَهِيَ قِوَامُ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَلَا يَنْهَضُ بِعَارَتِهَا إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
فَطُوبَى لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

وَمِنْ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةِ ، وَالسَّرَاتِ الطَّاهِرَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ الَّتِي إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهَا  
أَكْبَهُ الْعَيْنُ بَصَرَتَهُ نُجُومًا زَاهِرَةً - مَقَامٌ مِنْ ذِكْرِ كَرَامَتِهِ أَشَامٌ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ  
وَأَيْمَنُ وَأُنْجِدُ وَأَتَمُّهُمْ ، السَّيِّدُ الْجَلِيلُ وَلَّى اللَّهُ «إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمٍ» ؛ سَيِّدُ الْأَوْلِيَاءِ ،  
وَسُلْطَانُ الْأَتْقِيَاءِ ؛ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَائِرٌ ، وَمَا أَمْتَطَى ظَهَرَ قُلُوبِصِ  
مُسَافِرٍ ؛ مَقَامٌ بِالزُّهْدِ مَوْصُوفٌ ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٌ ؛ وَلَهُ الْإِطْلَاقَاتُ الْمَشْهُورَةُ ،  
وَالْمَنَاهِلُ الْمَائُتُورَةُ ، فِي وَرْدِهَا الْمَبْرُورَةُ ؛ قَدْ آسَتْوَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّبْذِيرِ ، وَعَادَ بَعْدُ طَوْلُ  
سِمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ ، وَاخْتَلَفَ فِيهِ النَّيَاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ ؛ فَكَشَفَ اللَّهُ <sup>(١)</sup>  
هَذِهِ النِّقْمَةَ ، وَأَدَامَ سَوَائِغَ النِّعْمَةِ ؛ وَأُسْبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالِ الْحُرْمَةِ ؛

(١) لَعَلَّ الصَّوَابَ «فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي كَيْسِ» الْخ .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ بَاعْتِثْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَيُّظْهِمُ لَعَلِّهِ بِأَن كَلَّا وَقِفْ عِنْدَ أَمْرِهِ وَحَدِّهِ ؛ وَأَنْتَقِ لِسَانَ مَنْ لَا رَأْيَ لِأَمْرِهِ ، فَكَشَفَ غُمَّةَ هَذَا الْمَقَامِ وَعَزَلَ مِنْ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ تَدْيِيرِهِ وَشَرِّهِ .

فلذلك رُسم - أن تفوّض مشيخةُ المقام الجليل الأذهميّ بشرفِ جبلة المحروس - على ساكنه الرحمة والرضوان - إلى فلان - نفع الله ببركاته ، وأعاد على المسلمين من صالح دعواته - عوضاً عما كان بها يحكم انفصاله حسب ما وردت المراسيم الشريفة - شرفه الله تعالى وعظمها - عند اتصال العلوم الشريفة - زادها الله تعظيماً - بأمر المقام المشار إليه واعتماد المتصرفين فيه : إذ وضعت الآن الأشياء في محلّها ، وأسندت الأمور إلى أهلها ، وقُلِّدت هذه المثوبة إلى من يُظهِر سرائر فضيلتها ؛ ولحظت الآراء بحجج هذا المقام والأثر ، ولا شك أن السعادة تلحظ المحجّر ؛ كم له من آيات مشهوره ، وكرامات بلسان الحمد مذكوره ، ومساج في الخيرات مبروره ؛ وقد عمّ الزوايا بأجناس المكارم ، وبسط تديريّين من إكرامه سيماطاً يقول الزائر : هذا ولا خاتم :

تُزُورُ دِيَارًا زَارَهَا جُودُ كَفِّهِ ، \* وَمِنْ دُونِهَا لِلزَّائِرِينَ مَرَا حِلُّ ،

وَتَرْجِعُ عَنْهَا وَالْخُفُونُ قَرِيرَةٌ : \* كَمَا رَاجَعْتُ مَأْوَى الْخُفُونِ الْمَسَاحِلُ !

فليتلق - أعاد الله من بركته - هذه التورية : وليجعل للمقام المشار إليه من خاطره الكريم أوفر عنايته ؛ ويستخلف عنه إذا توجه إلى (١) بحضن الأكراد فإنها مُستمرّة بيده وولايتها باقية عليه ؛ وأمرها في إبدائه وإعادته عليه ؛ والله تعالى يتولاه ، فيما ولّاه ؛ والاعتماد ... ..

(١) بياض بالأصل ومراده إلى مشيخة ... بحضن الأكراد .

قلتُ : وقد أُتيتُ على بُحْمَةٍ من تواقع أرباب الوظائف : بدمشق وحلب  
وطرابلس وأعمال كلِّ منها، يَسْتَفْنِي بها الماهرُ عما سواها، وَيَقِيسُ عليها ما عداها،  
إِذْ لا سَبِيلَ إلى استيفاء جميعها، والإتيانِ على بُحْمَتِها .

وفيما ذُكر من هذه الممالك الثلاث تَبَيَّنَ على ما يكتب بِحِجَاةٍ وَصَفَدَ اللَّتَيْنِ هُمَا  
في رُتْبَةِ طَرَابُلُوسَ ، وتَلَوَّجُ إلى ما عداها، مما هو دونها كَغَزَّةٍ إِذَا كانت نِيَابَةً ،  
والكَرَّكَ التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق، والمرشد للسداد، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

### واژه المقالة السادسة

(فيما يكتب في المسامحات، والاطلاقات السلطانية، والطرخانيات  
وتحويل السنين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب)

والحمد لله رب العالمين : وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه وآله وسلم ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- القسم الثانى — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية  
ما يكتب لأرباب الوظائف بالملك الشامية ،  
وهى على ضربين ... .. ٥
- الضرب الأول — من لا تصدر عنه منهم تولية فى عمل نيابته ... ٥  
» الثانى — من تصدر عنه التولية والعزل فى عمل نيابته ،  
وهى سبع نيابات ... .. ٦
- النيابة الأولى — نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،  
وظائفها على نوعين ... .. ٧
- النوع الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به عن  
الأبواب السلطانية على أربعة أصناف ... .. ٨
- الصف الأول — أرباب السيوف ، وهم على طبقات ... .. ٨
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد فى قطع الثلاثين ... .. ٨
- » الثانية — من يكتب له تقليد فى قطع النصف ... ٢٤
- » الثالثة — من يكتب له مرسوم ، وهى على مرتبتين ... ٢٦
- المرتبة الأولى — من يكتب له فى قطع النصف ... .. ٢٦
- » الثانية — من المراسيم التى تكتب بحاضرة دمشق لأرباب  
السيوف ما يكتب فى قطع الثلاث ... .. ٣٣
- الصف الثانى — من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع  
ما يكتب فيها تواقع ، وهى على مرتبتين ... .. ٣٨
- المرتبة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف الخ ... .. ٣٨
- » الثانية — ما يكتب فى قطع الثلاث الخ ... .. ٥٩
- الصف الثالث — تواقع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان ... ١٦
- المرتبة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف الخ ... .. ١٦
- » الثانية — من يكتب له فى قطع الثلاث الخ ... .. ١٩

صفحة

- صنف الرابع — وظائف المتصوفة ومشايخ الخواص، وفيها مرتبتان ١٠١
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع الثلث الخ... ١٠١ ... ١٠١
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة الخ... ١٠٣ ... ١٠٣
- النوع الثاني — من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى — ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ... ١٠٦ ... ١٠٦
- الصنف الثاني — ممن هم خارج دمشق أمراء العرب، وهم على طبقتين ١١٨
- الطبقة الأولى — من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨ ... ١١٨
- » الثانية — من يكتب له مرسوم شريف، وهم على مرتبتين... ١٢٤ ... ١٢٤
- المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع النصف ... ١٢٤ ... ١٢٤
- » الثانية — من يكتب في قطع الثلث ... ١٣٥ ... ١٣٥
- النيابة الثانية — من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب، ووظائفها التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين... ١٤٠ ... ١٤٠
- النوع الأول — من بحاضرة حلب، وهم على أصناف... ١٤٠ ... ١٤٠
- الصنف الأول — منهم أرباب السيوف، وهم على طبقتين ... ١٤٠ ... ١٤٠
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقايد في قطع الثلثين ... ١٤٠ ... ١٤٠
- » الثانية — من يكتب له في قطع الثلث ... ١٥١ ... ١٥١
- الصنف الثاني — أرباب الوظائف الدينية بحلب، وهم على طبقتين ١٥٥
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث الخ... ١٥٥ ... ١٥٥
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة ... ١٦٠ ... ١٦٠
- الصنف الثالث — من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف الديوانية، وهم على طبقتين ... ١٦٠ ... ١٦٠
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث ... ١٦٠ ... ١٦٠
- » الثانية — من يكتب له في قطع العادة... ١٦٧ ... ١٦٧

النوع الثانى - من أرباب الوظائف بالمملكة الحلييه من

- خارج عن حاضرتها، وهم على أصناف ... ١٦٨
- الصف الأول - أرباب السيوف ... ١٦٨
- » الثانى - الوظائف الدينية ... ١٧٤
- » الثالث - الوظائف الديوانية ... ١٧٥
- النيابة الثالثة - نيابة طرابلس، ووظائفها التى جرت العادة بالكتابة فيها
- من الأبواب السلطانية على نوعين ... ١٧٦
- النوع الأول - ما هو بحاضرة طرابلس، وهو على ثلاثة أصناف ... ١٧٦
- الصف الأول - أرباب السيوف، وهم على طبقتين ... ١٧٦
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ... ١٧٦
- » الثانية - من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ... ١٧٩
- الصف الثانى - الوظائف الدينية، وهم على مرتبتين ... ١٨٢
- المرتبة الأولى - من يكتب له فى قطع الثلث ... ١٨٢
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ... ١٨٧
- الصف الثالث - الوظائف الديوانية، وهم على مرتبتين ... ١٨٨
- المرتبة الأولى - ما يكتب فى قطع الثلث ... ١٨٨
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ... ١٩٤
- النوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس، وهم على ثلاثة أصناف ... ١٩٥
- الصف الأول - أرباب السيوف، وهم على طبقتين ... ١٩٥
- الطبقة الأولى - الطبليخاناه ... ١٩٥
- » الثانية - العشرات ... ١٩٧
- الصف الثانى - الوظائف الدينية ... ١٩٨
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ... ٢٠٠

- النيابة الرابعة - نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف ... ..
- الصف الأول - أرباب السيوف ... ..
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ... .. ٤
- النيابة الخامسة - نيابة صفد، ووظائفها على ثلاثة أصناف ... .. ٥
- الصف الأول - أرباب السيوف، وفيه وظيفتان ... .. ٥
- الوظيفة الأولى - نيابة السلطنة ... .. ٥
- » الثانية - نيابة قلعة صفد ... .. ٨
- الصف الثاني - أرباب الوظائف الديوانية ... .. ١١
- » الثالث - أرباب الوظائف الدينية ... .. ١١
- النيابة السادسة - نيابة غزة، ووظائفها على صنفين ... .. ١٢
- الصف الأول - أرباب السيوف ... .. ٢١٢
- » الثاني - الوظائف الديوانية بغزة ... .. ٢١٩
- النيابة السابعة - نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف ... .. ٢٢٠
- الصف الأول - أرباب السيوف ... .. ٢٢٠
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ... .. ٢٣٢
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ... .. ٢٣٢

القسم الثالث - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية

بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف

- بالمملكة الحجازية، وتشمل على ثلاث قواعد ... .. ٢٣٢
- القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان ... .. ٢٣٣
- الوظيفة الأولى - الإمارة ... .. ٢٣٣
- » الثانية - قضاء مكة ... .. ٢٤٠
- القاعدة الثانية - المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف ... .. ٢٤٢

- ٢٤٢ ... .. الإمارة —
- ٢٥٨ ... .. الثانية — القضاء ...
- ٢٦٠ ... .. الثالثة — مشيخة الحرم الشريف ...
- ٢٦٢ ... .. ساعدة الثالثة — البنيغ ، وبها وظيفة واحدة وهى النيابة ...
- ٢٦٥ ... .. بمال المصرىة ما يقع على سبيل الدور ...
- ٢٨٠ ... .. يحمل الثالث — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من الولايات عن تواب السلطنة ، وفيه طرفان ...
- ٢٨٠ ... .. طرف الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد ...
- ٢٨٠ ... .. المقصد الأول — فى بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة ...
- ٢٨١ ... .. » الثانى — فى بيان الولايات التى تصدر عن تواب السلطنة بالممالك الشامية ...
- ٢٨٢ ... .. الثالث — فى افتتاحات التواقع والمراسيم بتلك الولايات ...
- ٢٨٣ ... .. الرابع — فى بيان الألقاب ، وفيه أصناف ...
- ٢٨٥ ... .. الصنف الأول — أرباب السيوف ، ولألقابهم مراتب ...
- ٢٨٧ ... .. » الثانى — أرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب ...
- ٢٩٠ ... .. » الثالث — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب الوظائف الدينية ، وفيه مراتب ...
- ٢٩٢ ... .. الرابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ...
- ٢٩٣ ... .. الخامس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ...
- ٢٩٣ ... .. السادس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب الوظائف العادية ...
- ٢٩٤ ... .. » السابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء أهل الذمة ...

- المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن نواب الممالك الشامية ... ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرة التواقيع ... ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع ... ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتتة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيابات ... ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على خمسة أصناف ... ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين ... ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب ... ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله ... ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله ... ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر العالي ... ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب ... ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله ... ٣١١
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله ... ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتح برسم ... ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهي على ضربين ... ٣٣٧
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب ... ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله ... ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله ... ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر ... ٣٧٢

- صفحة
- الضرب الثانى — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين ٣٧٧
- المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله ... .. ٣٧٧
- » الثانية — ما يفتح برسم بالأمر ... .. ٣٧٩
- الصنف الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،
- وهى على ضربين ... .. ٣٨٣
- الضرب الأول — ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ،
- وهو على ثلاث مراتب ... .. ٣٨٣
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ... .. ٣٨٣
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ... .. ٣٩٠
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف ... .. ٣٩٣
- الضرب الثانى — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب
- فيها من التواقيع مفتتح برسم ... .. ٤٠٤
- الصنف الرابع — تواقيع مشايخ الخواثق ، وهى على ضربين ... .. ٤١٠
- الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهى على ثلاث مراتب ... .. ٤١٠
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ... .. ٤١٠
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ... .. ٤١٧
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر ... .. ٤١٩
- الضرب الثانى — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة
- وهى الافتتاح برسم ... .. ٤٢٠
- الصنف الخامس — تواقيع العربان ... .. ٤٢٢
- » السادس — تواقيع زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى ٤٢٤
- النيابة الثانية — نيابة حلب ... .. ٤٢٨
- » الثالثة — نيابة طرابلس ... .. ٤٥٠